مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثاني

البيان والتبيين

الجزء الثالث

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة السابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثالث

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العصا [١]

هذا أبقاك الله الجزء الثالث ، من القول فى البيان والتبيين [٢] ، وما شابَهَ [٣] ذلك من غُرَرِ الأحاديث ، وشاكَلَه من عُيون الخُطب ، ومن الفِقَرِ المستحسَنة ، والنُّتَف المستخرَجة ، والمُقَطَّعات المتخيَّرة ، وبعضِ ما يجوز فى ذلك من أشعار المذاكَرة ، والجواباتِ المنتخَبة .

ونبدأُ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية [٤] ومن يتحلَّى باسم التَّسوِيَة [٥]

---

(١) ما عدا ل : « هذا كتاب العصا » . وبعد العنوان : « الحمد لله ولا قوة إلا بالله وصلى الله تعالى على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة » .

(٢) ل ، هـ : « والتبين » .

(٣) ل ، هـ والتيمورية : « وما شاب » .

(٤) الشعوبية : نسبة غير قياسية إلى « الشعوب » ، وهم فريق من الناس لا يرون للعرب فضلا على غيرهم ، بل يبالغون فى ذلك فيذهبون إلى تنقصهم والحط من قدرهم ، حتى ألفوا فى ذلك الكتب . وسموا بذلك لانتصارهم للشعوب ، التى هى مغايرة للقبائل ؛ فقد قال جمع من المفسرين فى قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) : إن القبائل العرب ، والشعوب العجم . ويقولون : إن زياد بن أبيه حين استلحقه معاوية بأبيه وخشى ألا تقر العرب له بذلك ، صنع كتاب « المثالب » وعدد نقائص العرب . كما أن النضر بن شميل الحميرى وخالد ابن سلمة المخزومى وضعا كتابا فى مثالب العرب ومناقبها ، بأمر هشام بن عبد الملك . وكان الهيثم بن عدى دعيا فى نسبه ، فصنع كتابا طعن فيه على أشراف العرب . وأما أبو عبيدة ، وقد كان أبوه يهوديا وكان يعير بذلك ، فصنع كتابا فى مثالب العرب امتاز بالسعة والاستقصاء . وجاء من بعدهم علان بن الحسن الشعوبى الوراق الزنديق ، فألف لطاهر ابن الحسين كتابا فى مثالب العرب ، بدأه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ، ولم يعبأ فى ذلك بالخروج عن أدب الدين ، وقد أجازه طاهر عليه بثلاثين ألف درهم . وصنع ابن غرسية رسالة فى تفضيل العجم على العرب . وقد رد عليه علماء الأندلس بعدة رسائل . انظر نوادر المخطوطات ١ : ٢٢٩ – ٣٣٠ ، وشرح البكرى لأمالى القالى ص ٨٠٨ والخزانة (٢ : ٥١٩) وبلوغ الأرب (١ : ١٥٩ – ١٨٤) . وقد أورد الأخير نموذجا لرد ابن قتيبة على الشعوبية . ولابن الكلبى كتاب فى المثالب ، منه نسخة عتيقة بدار الكتب المصرية .

(٥) أى التسوية بين العرب والعجم . ويتحلى ، أى يتصف .

وبمطاعِنهم على خطباء العرب : بأخذ المِخصَرَةِ عند مناقَلَة الكلام [١] ، ومساجَلة الخصومِ بالموزون والمُقَفَّى ، والمنثور الذى لم يُقَفَّ ، وبالأرجاز عند المَتْح [٢] ، وعند مُجاثاة الخَصْم [٣] ، وساعةَ المشاوَلَة [٤] ، وفى نفس المجادَلة والمحاوَرة . وكذلك الأسجاعُ عند المنافرة والمفاخرة [٥] ، واستعمال المنثور فى خُطَب الحَمَالَة [٦] ، وفى مقامات الصُّلح وسَلِّ السخيمة [٧] ، والقولُ عند المعاقدَةِ والمعاهَدة [٨] ، وتركُ اللّفظ يَجرى على سجيَّته وعلى سلامته ، حتّى يخرجَ على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف [٩] ، ولا التماسِ قافية ، ولا تكلُّف لوزنٍ . مع الذى عابُوا من الإشارة بالعِصىّ ، والاتّكاء على أطراف القِسِىّ ، وخدِّ وجه الأرض بها ، واعتمادها عليها إذا اسحَنفرت فى كلامها [١٠] ، وافتنَّتْ يومَ الحفْل فى مذاهبها ، ولزومِهم العمائم فى أيام الجُموع ، وأخْذِ المخاصر فى كلِّ حال ، ٨٩
وجلوسِها فى خطب النّكاح ، وقيامِها فى خطب الصُّلْح وكلِّ ما دخل فى

---

(١) المخصرة : ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه ، من عصا أو مقرعة أو عكازة أو قضيب ، أو ما أشبه ذلك . والمناقلة : مراجعة الكلام فى صخب .

(٢) المتح : الاستقاء من أعلى البئر . والميح : الاستقاء من أسفلها .

(٣) المجاثاة : الجلوس على الركبتين للخصومة .

(٤) المشاولة : أن يتناول بعضهم بعضا عند القتال بالرماح .

(٥) المنافرة : المفاخرة بكثرة عدد القوم وعزتهم . والمفاخرة أعم .

(٦) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٧) سل السخيمة : انتزاعها . والسخائم : الأحقاد والأضغان .

(٨) المعاقدة : المعاهدة والميثاق ، بذلك فسر ابن عباس قوله تعالى : (والذين عاقدت أيمانكم) . وهذه قراءة جمهور القراء فى الآية ٣٣ من سورة النساء . وقرأها بغير ألف عاصم وحمزة والكسائى ، وكذا خلف ، ووافقهم الأعمش . إتحاف فضلاء البشر . ما عدا ل : « والمعاقرة » بالراء ، ومعناها التفاخر بعقر الإبل ، يتبارى الرجلان ليرى أيهما أعقر لها ، وأسلوب الجاحظ فى المزاوجة يأباها .

(٩) ما عدا ل : « اختلاف تأليف » ، محرف .

(١٠) اسحنفر الرجل فى منطقه : مضى فيه ولم يتمكث .

باب الحَمَالة ، وأكّد شأن المحالفةِ ، وحقّق حُرمةَ المجاورة ، وخُطَبِهم على رواحلهم
٩١ فى المواسم العظام ، والمجامع الكِبار . والتّماسُح بالأكُفّ [١] ، والتّحالف على النار ، والتعاقُد على المِلح [٢] ، وأخذ العهد المؤكّد واليمين الغَمُوس [٣] مثل قولهم : ما سَرَى نجمٌ وهبّت ريح ، وبلّ بَحْرٌ صوفةً [٤] ، وخالفت جِرّةٌ دِرَّةً [٥] . ولذلك قال الحارث بن حِلِّزة اليشكرىّ :

واذكروا حِلفَ ذى المجاز وما قُـ ـدِّمَ فيه : العهود والكُفلاءُ [٦]
حذَر الخَوْن والتعدّى وهل تَنْـ ـقُضُ ما فى المَهارِق الأهواءُ [٧]

الخَون : الخيانة . ويروى : « الجور » .

وقال أوس بن حَجَر :

إذا استقبلته الشّمسُ صَدَّ بوجهِهِ كما صَدّ عن نار المُهوِّل حَالِفُ [٨]

---

(١) فى أساس البلاغة : « وماسحته : صافحته .والتقوا فتماسحوا : فتصافحوا . وتماسحوا على كذا : تصافقوا وتحالفوا » .

(٢) فى الحيوان (٤ : ٤٧٢) : « والملح شيئان : أحدهما المرقة ، والأخرى اللبن » وفى القاموس أن « الملح » الحرمة . وفى اللسان عن ابن الأنبارى ، والخزانة (٤ : ١٦٤) عن المفضل بن سلمة ، أن « الملح » : البركة . أما النجيرمى فى أيمان العرب ٣١ فيفسر الملح بشيئين : أحدهما ملح الإدام التى يتملح بها ، والآخر اللبن .

(٣) اليمين الغموس : التى لا استثناء فيها . وفى اللسان (غمس) : « وكان عادتهم أن يحضروا فى جفنة طيبا ، أو دما ، أو رمادا ، فيدخلون فيه أيديهم عند التحالف ، ليتم عقدهم عليه باشتراكهم فى شىء واحد » .

(٤) فى اللسان (صوف) : « وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى ، واحدته صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا آتيك مابل بحر صوفة » . وانظر الحيوان (٤ : ٤٧٠) .

(٥) الجرة ، بالكسر : ما يجتره الحيوان من جوفه . والدرة ، بالكسر : كثرة اللبن وسيلانه . واختلافهما أن الدرة تسفل والجرة تعلو .

(٦) البيتان من معلقته . ذو المجاز : موضع ، كان عمرو بن هند أصلح فيه بين بنى بكر وتغلب ، فأخذ عليهم المواثيق والرهائن ، من كل حى ثمانين .

(٧) المهارق : جمع مهرق ، بضم الميم وفتح الراء ، وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسى معرب .

(٨) ديوان أوس ١٦ وأيمان العرب ٣١ . والمهول : الذى كان يتولى تحليف القوم . وكانوا إذا أرادوا أن يحلفوا الرجل أوقدوا ناراً وألقوا فيها ملحاً من حيث لا يشعر الحالف ، فيتفقع الملح ، يهولون عليه بذلك .

وقال الكُميْت :

كَهُولَةِ ما أوقد المُحلِفُونَ   لدى الحالِفينَ وما هَوَّلُوا (١)

وقال الأَوَّلُ (٢) :

حلَفْتُ بالمِلح والرَّماد وبالنـ   ـنَّار وبالله نسْلِمُ الحَلَقَهْ (٣)

حَتَّى يظَلَّ الجَوادُ منعفِراً   ويَخْضِبَ النَّبْلُ غُرَّة الدَّرَقَهْ (٤)

وقال الأَوّل :

حَلفتُ لهم بالمِلح والجَمعُ شُهَّدٌ   وبالنـار والـلَّاتِ التـى أعظـمُ

وقال الحُطَيْئة فى إضجاع القِسِىّ :

أم من لخَصمٍ مُضْجعين قِسِيهَّم   صُعْرٍ خُدُودُهُم عظامِ المفخَرِ (٥)

وقال لبيدٌ فى خَدِّ وجه الأرض بالعصِىّ والقسِىّ :

نَشِينُ صِحَاحَ البِيدِ كلَّ عشِيَّةٍ   بعُوجِ السَّراءِ عند باب مُحجَّبِ (٦)

ومثله :

إذا اقتسم الناس فضلَ الفخار   أطلنا على الأرض ميلَ العَصَا (٧)

---

(١) الهولة ، بالضم : ما يهولك . وفى الحيوان (٤ : ٤٧١) : « ويهولون على من يخاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها ، والتخويف من حرمان منفعتها » . وأنشد البيت . وانظر الخزانة (٣ : ٢١٤) وأيمان العرب للنجيرمى ٣١ حيث تجد تفصيلا .

(٢) البيتان أنشدهما فى اللسان (حلق) شاهداً على فتح لام « الحلقة » .

(٣) الحلقة : حلقة القوم ، جماعتهم . وفى حواشى هـ : « يعنى السلاح » .

(٤) انعفر : ظل ملقى فى العفر متترباً . والنبل : السهام . والدرقة : واحدة الدرق ، وهو ضرب من الترسة يتخذ من الجلود . وغرة كل شىء : أوله ووجهه . وفى اللسـان : « عروة الدرقة » . هـ : « وتخضب » .

(٥) البيت فى ديوانه ٦٢ من قصيدة له يرثى بها علقمة بن هوذة . وفى الديوان : « ميل خدودهم » . قال السكرى : « وذلك أن القوم إذا جلسوا يتفاخرون خطوا بأظفار قسيهم فى الأرض ، يقولون : لنا يوم كذا ، يعدون أيامهم ومآثرهم » . وظفر القوس : ما بين معقد وترها إلى طرفها . وقد سبق البيت فى (١ : ٣٧١) .

(٦) سبق الكلام على البيت وتخريجه فى (١ : ٣٧١) .

(٧) سبق أيضاً فى (١ : ٣٧٢) .

ومثله :

حكَمَتْ لنا فى الأرض يومَ مُحرِّقٍ … أيّامُنا فى الناس حُكماً فيصَلا (١)

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسىّ :

ما إنْ أهابُ إذا السُّرادِق غمَّهُ … قَرعُ القِسِىِّ وأُرْعِشَ الرِّعْديدُ (٢)

وقال كثيِّر فى الإسلام :

إذا فَرعوا المنابر ثم خَطُّوا … بأطراف المَخاصرِ كالغِضاب (٣)

وقال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخاً من بقايا العرب : أى العربِ رأيتَه أضخمَ شأناً ؟ قال : حِصن بن حُذيفة (٤) ، رأيته متوكِّئاً على قوسه يَقْسِم فى الحليفين أسدٍ وغَطَفان .

وقال لبيد بن ربيعة فى الإشارة :

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ كأنّها … جِنُّ البَدِىِّ رواسيا أقدامُها (٥)

وقال مَعْنُ بن أَوْسٍ المزَنىّ (٦) :

ألا مَن مُبْلغٌ عنّى رسولاً … عُبيدَ الله إذ عَجِلَ الرِّسَالَا (٧)

تُعاقِلُ دوننا أبناءَ ثَورٍ … ونحن الأكثرون حَصًى ومَالا (٨)

---

(١) فى (١ : ٣٧٣) : « كتبت لنا ... يوماً فيصلا » .

(٢) مضى الكلام عليه فى (١ : ٣٧٢) .

(٣) سبق تفسير المخصرة فى ص ٦ . فرعوا المنابر : علَوْها .

(٤) هو حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، كان قائد ذبيان يوم شعب جبلة . وهو والد عيينة بن حصن . وللنابغة الذبيانى مرثية فى حصن بن حذيفة فيها :

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم … وكيف بحصن والجبال جنوح

(٥) البيت من معلقته . وهو فى صفة رجال الحرب . وقبله :

وكثيرة غرباؤها مجهولة … ترجى نوافلها ويخشى ذامها

الغلب : الغلاظ الأعناق ، جمع أغلب . والتشذر : رفع اليد ووضعها . والذحول : جمع ذحل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : البادية ، أو هو موضع . وانظر ماسبق فى (١ : ٣٧١) .

(٦) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٧٢) حيث سبقت الأبيات وتفسيرها . وهى فى ديوان معن بن أوس برواية القالى ص ٢٥ ليبسك ١٩٠٣ .

(٧) وذكر القالى أن « عبيد الله » رجل من قومه . أما الرسال فأراها مصدراً مثل المراسلة .

(٨) ضبط فى هـ والديوان : « تعاقل دوننا أبناءُ » .

إذا اجتمع القبائلُ جئتَ رِدفا   وراءَ الماسحِينَ لكَ السِّبالا [١]

فلا تُعطَى عَصَا الخُطباء يوما   وقد تُكفَى المقادَةَ والمَقالَا [٢]

فذكر عصا الخطباء كما ترى . وقال آخرُ فى حمل القناة :

إلى امرئٍ لا تَخطّاه الرِّفاق ، ولا   جَدْبُ الخِوانِ إذا ما استُنشِيءَ المرقُ [٣]

صُلْبُ الحيازِيمِ لا هَذْرُ الكلامِ إذا   هَزَّ القناة ولا مُستعجِلٌ زَعِقُ [٤]

وقال جرير بن الخَطَفى فى حمل القناة :

مَن للقناة إذا ماعىٍّ قائلُها   أو للأعنَّة ياعمروَ بنَ عَمّارِ [٥]

قالوا : وهذا مثل قول أبى المجيب الرَّبَعى [٦] ، حيث يقول : « لا تزال [٧] تحفظ أخاك حتَّى يأخذَ القناة ، فعند ذلك يَفضَحك أو يمدحُك » . يقول : إذا قام يخطب فقد قام المَقامَ الذى لابد من أن يخرج منه مذموماً أو محمودا .

وقال عبد الله بن رؤبة [٨] : سأل رجلٌ رؤبةَ عن أخطب بنى تميم ، فقال : خداش بن لبيد بن بَيبة بن خالد [٩] ، يعنى البعيثَ الشاعر . وإنّما قيل له البَعيثُ لقوله :

---

(١) فى جميع النسخ : « أمام الماسحين » صوابه من الديوان ومما سبق .

(٢) فى الديوان : « عصا الخطباء فيهم » ، وقد سبقت هذه الرواية . القالى : « عصا الخطباء ، يعنى المخصرة ، أى لا يسمعون لك قولا ولا يقدمونك فى أمر » .

(٣) سبق البيتان فى (١ : ٣٧٣) .

(٤) الزعق : النشيط الذى يفزع من كل شئ . ما عدا ل : « زهق » . وقد مضت هذه الرواية .

(٥) سبق البيت وتخريجه فى (١ : ٢٧٣) . وأشير فى حواشى ل إلى رواية : « إذا ما عىّ حاملها » . و « عمرو بن عمار » تحريف ، إذ أن الشعر فى رثاء عقبة بن عمار ، كما أسلفت فى التحقيق . والرواية الصحيحة الثابتة فى ديوان جرير ٢٣٧ :

أم للقناة إذا ما عى قائلها   أم للأعنة يا عقب بن عمار

(٦) مضت ترجمته فى (١ : ١٧٣) حيث سبق الخبر .

(٧) ل : « ما تزال » .

(٨) المعروف أن « عبد الله بن رؤبة » هو اسم « العجاج » والد رؤبة . أما رؤبة فلم يعرف له ولد يدعى « عبد الله » .

(٩) فى المؤتلف ٥٦ : « خداش بن بشر بن خالد بن بيبة » .

تبعَّثَ منى ما تبعَّثَ بعد ما أمِرّت حبالى كُلَّ مِرّتِهاَ شَزْرَا [١]

قال أبو اليقظان [٢] : كانوا يقولون : أخطب بنى تميم البَعيثُ إذا أخذ القناة فهزّها ثمَّ اعتمد بها على الأرض ، ثمَّ رفَعَها .

وقال يونس : لعمرى لئن كان مُغلَّباً فى الشعر لقد كان غُلِّب فى الخُطَب . وإذا قالوا غُلِّب فهو الغالب ، وإذا قالوا مغلَّبٌ فهو المغلوب [٣] .

وفى حديث النبى ﷺ أنه جاء إلى البَقيع [٤] ، ومعه مِخْصَرَةٌ ، فجلس ونكَتَ بها الأرض ، ثمّ رفع رأسَه فقال : « ما مِنْ نفس منفوسةٍ إلاّ وقد كُتِبَ مكانُها من الجَنَّةِ أوِ النار [٥] . وهو من حديث أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ [٦] .

ومِمّا يدلُّك على استحسانهم شأنَ المِخصرة حديثُ عبد الله بن أُنَيْس ذى المِخْصَرةِ [٧] ، وهو صاحب ليلةِ الجُهَنىّ [٨] . وكان النبى عليه السلام ٩٢

---

(١) سبق فى (١ : ٣٧٤) .

(٢) هو سحيم بن حفص ، وقد سبق الكلام بإيجاز فى (١ : ٣٧٤) .

(٣) انظر ما مضى فى (٢ : ٣١٢) .

(٤) هو بقيع الغرقد . وأصل البقيع فى اللغة : الموضع الذى فيه أروم الشجر من ضروب شتى . والغرقد : كبار العوسج . وهذا البقيع بداخل المدينة ، وهو مقبرتها .

(٥) منفوسة ، أى مولودة ، يقال نفست أمه به ، أى ولدته ، فهى نفساء .

(٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة (بالتصغير) السلمى الكوفى القارئ . كان لأبيه صحبة ، وكان هو ثقة يكثر الحديث ، قرأ القرآن فى المسجد أربعين سنة ، وشهد مع على صفين ، ثم صار عثمانياً ، توفى سنة ٧٢ وهو ابن تسعين سنة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣٠) ونكت الهميان ١٧٨ .

(٧) هو عبد الله بن أنيس (بالتصغير) الجهنى المدنى ، حليف بنى سلمة من الأنصار ، شهد العقبة وما بعدها ، ودخل مصر وخرج إلى إفريقية . وتوفى بالشام سنة ٥٤ . الإصابة ٤٥٤١ وتهذيب التهذيب والمعارف ١٢١ .

(٨) قال ابن قتيبة فى ترجمته فى المعارف ١٢١ : « وهو الذى يقال فيه ليلة الأعرابى وليلة الجهنى . وكان رسول الله ﷺ أمره أن ينزل من باديته إلى مسجده فيصلى فيه ليلة ثلاث وعشرين ، فكان يدخل المسجد مساء ليلة ثلاث وعشرين إذا صلى العصر ، ثم لا يخرج عنه إلا لحاجة حتى يصلى الصبح ثم يخرج إلى أهله ، فقيل : ليلة الجهنى . وهو الذى روى عن رسول الله ﷺ فى ليلة القدر أنه قال : التمسوها الليلة . وكانت ليلة ثلاث وعشرين » .

أعطاه مِخصرةً وقال : « تَلْقاني بها فى الجنة [١] » . وهو مهاجرىٌّ عَقَبىٌّ أنصارىٌّ ، وهو ذو المخصرة فى الجنّة .

* * *

قالت الشُّعوبيَّة ومَن يتعصَّب للعَجمية . القضيب للإيقاع [٢] ، والقناة للبَقّار [٣] ، والعصا للقِتال ، والقوس للرَّمْى . وليس بين الكلام وبين العصا سبَب ، ولا بينَه وبين القوس نَسَب ، وهما إلى أن يَشغْلا العقل ويَصرِفا الخواطر ، ويعترضا على الذِّهْن أشبَهُ ؛ وليس فى حَمْلِهما ما يشحذ الذِّهْن ، ولا فى الإشارة بهما ما يجلب اللَّفْظ . وقد زعم أصحابُ الغِناء أن المغنِّىَ إذا ضُرِب على غِنائه ، قصَّر عن المغنِّى الذى لا يُضربَ على غنائه . وحَمْلُ العصا بأخلاق الفدّادين [٤] أشبه ، وهو بجَفاءِ العرب [٥] وعُنجُهيَّة أهلِ البدو ، ومزاوَلَةِ إقامة الإبل على الطُّرق [٦] أشكل، وبه أَشْبَه .

قالوا : والخطابة شىءٌ فى جميع الأمم ، وبكلِّ الأجيال إليه أعظم الحاجة [٧] ، حتَّى إنّ الزَّنْج مع الغَثَارة [٨] ، ومع فرط الغَباوة ، ومع كلال الحَدّ وغِلَظ الحسّ

---

(١) تفصيل ذلك ، أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان أرسله إلى خالد بن سفيان الهذلى ليقتله ، فلما قتله وقدم على رسول الله أدخله بيته وأعطاه عصا وقال : « أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس ، قال عبد الله : فخرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إليه فتسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله فقلت ؛ لم أعطيتنى هذه العصا ؟ قال : آية بينى وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتخصرون يومئذ . قال ابن إسحاق : فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت فى كفنه ثم دفنا جميعاً . السيرة ٩٨١ – ٩٨٢ جوتنجن والمعارف ١٢١ .

(٢) الإيقاع : إيقاع ألحان الغناء ، وهو أن يوقع الألحان ويبينها . وسمى الخليل كتاباً من كتبه فى ذلك المعنى :كتاب الإيقاع .

(٣) فى الأصول : « للنقار » .

(٤) فى الحيوان (٥ : ٥٠٧ – ٥٠٨) : « الفداد : الجافى الصوت والكلام ».وقد ساق فى ذلك خبراً وحديثاً . وانظر ما سبق فى (١ : ١٣) .

(٥) ما عدا ل ، هى « بجفاة العرب » .

(٦) إقامتها على الطرق ، أى توجيهها جهة مستقيمة .

(٧) الجيل : الصنف من الناس ، كالعرب والروم والترك .

(٨) الغثارة : أراد بها الحمق والجهل . وهذه الكلمة مما لم يرد فى المعاجم . وذكروا « الأغثر » وهو الأحمق الجاهل .

وفساد المزاج ، لَتُطيل الخُطَبَ ، وتفوق فى ذلك جميعَ العجم ، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ ، وألفاظُها أخطَلَ وأجهل (١) . وقد علمْنا أنّ أخطبَ النّاسِ الفرس وأخطبَ الفرس أهل فارس ، وأعذبَهم كلاماً وأسهلهم مخرجاً وأحسنهم دَلاًّ (٢) وأشدَّهم فيه تحكما (٣) ، أهلُ مرو ، وأفصحَهم بالفارسية الدَّرِيَّةِ (٤) ، وباللغة الفَهْلَوِيّة (٥) ، أهلُ قصبة الأهواز . فأمّا نَغْمةُ الهَرَابذة (٦) ، ولغةُ المَوَابذة (٧) ، فلصاحب تفسير الزَّمزمة (٨) .

---

(١) الخطل : الخطأ . ما عدا ل : « أخطأ وأجهل » .

(٢) ما عدا ل : « ولاء » تحريف . والدل : الهدى والسمت .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « تحنكا » .

(٤) الدرية ، وهى بالفارسية « دَرِى » : إحدى اللغات الفارسية القديمة . ولفظها نسبة إلى « دَرْ » بمعنى الباب ، والمراد باب الملك ، أو ما يسمونه بالبلاط . وهى إحدى لغات ثلاث بقيت من سبع لغات قديمة . ويزعمون أن هذه اللغة – وهى لغة القصر – هى اللغة التى يتكلم بها فى الجنة . انظر استينجاس ٥١٦ . وذكر ابن النديم فى الفهرست ١٩ قول عبد الله ابن المقفع : « لغات الفارسية : الفهلوية ، والدرية ، والفارسية ، والخوزية ، والسريانية . فأما (الفهلوية) فمنسوبة إلى فهلة : اسم يقع على خمسة بلدان ، وهى أصفهان ، والرى ، وهمدان ، وماه نهاوند ، وأذربيجان . وأما (الدرية) فلغة مدن المدائن وبها كان يتكلم من بباب الملك ، وهى منسوبة إلى حاضرة الباب ، والغالب عليها من لغة أهل خراسان والمشرق لغة أهل بلخ . وأما (الفارسية) فيتكلم بها الموابذة والعلماء وأشباههم ، وهى لغة أهل فارس . وأما (الخوزية) فبها كان يتكلم الملوك والأشراف فى الخلوة ومواضع اللعب واللذة مع الحاشية . وأما (السريانية) فكان يتكلم بها أهل السواد » . ومثل هذا الكلام مروى عن حمزة الإصفهانى فى معجم البلدان (٦ : ٤٠٦ – ٤٠٧) .

(٥) سبق الكلام عليها فى الحاشية السابقة . ونسبتها إلى « بَهْلَوْ » التى تعرب إلى « فهله » .

(٦) الهرابذة : جمع هربذ ، واحدة هرابذة المجوس ، وهم قَوَمَة بيوت النار التى للهند ، فارسى معرب . وتقييد بيوت النار بالهندية هو المذكور فى المعاجم العربية . وهى مكونة من كلمتين : « هير » بمعنى النار ، و « بد » بمعنى الحافظ والقيم .

(٧) الموابذة : جمع موبذ ، وهو قاضى المجوس ، فارسى معرب . ماعدا ل : « ونغمة الموبذان » . والموبذان للمجوس كقاضى القضاة للمسلمين ، والألف والنون فى آخره علامة الجمع . وتركيبه من كلمتين « مو » بمعنى الدين ، و « بد » أى الحافظ والقيم .

(٨) الزمزمة : صوت لا يستعملون فيه اللسان ولا الشفة ، وإنما يديرونه فى حلوقهم فيفهم بعضهم عن بعض ، وإنما يستعمله المجوس عند تناول الطعام ، أو حين الاغتسال . اللسان (زمم) ومعجم استينجاس ٦٢١ .

قالوا : ومَن أحبَّ أن يبلُغ فى صناعة البلاغة ، ويعرفَ الغريب ، ويتبحَّرَ (١) فى اللغة ، فليقرأ كتاب كارْوَنْد (٢) . ومَن احتاج إلى العقل والأدب ، والعلم بالمراتب والعِبَر والمَثُلات (٣) ، والألفاظ الكريمة ، والمعانى الشريفة ، فلينظُرْ فى سِيَرَ الملوك . فهذه الفرسُ ورسائلُها وخطبها ، وألفاظُها ومعانيها . وهذه يُونان ٩٣
ورسائلُها وخطبُها ، وعِلَلُها وحِكَمُها ؛ وهذه كتُبها فى المنطق التى قد جعلتها الحكماءُ بها تعرف السَّقَم من الصِّحّة ، والخطأ من الصَّواب ؛ وهذه كتبُ الهندِ فى حِكَمها وأسرارها ، وسِيَرها وعللها . فمن قرأ هذه الكتبَ ، وعرفَ غورَ تلك العقول ، وغرائبَ تلك الحِكَم ، عرف أين البيانُ والبلاغة ، وأين تكاملَتْ تلك الصِّناعة . فكيف سَقَط على جميع الأُمَم من المعروفين بتدقيق المعانى ، وتخيُّر الألفاظ ، وتمييز الأمور ، أن يشيروا بالقَنا والعِصىّ ، والقُضبان والقِسىّ . كلاَّ ، ولكنكم كنتم رعاةً بين الإبل والغنم (٤) ، فحملتم القنا فى الحضَر بفضل عادتكم لحملها فى السَّفَر ، وحملتموها فى المدر بفَضْل عادتكم لحملها فى الوبَر ، وحملتموها فى السِّلم بفضْل عادتكم لحملها فى الحرب . ولطُول اعتيادكم لمخاطبة الإبل ، جفا كلامُكم ، وغلُظت مخارجُ أصواتكم ، حتَّى كأنّكم إذا كلّمتم الجلساء إنّما تخاطِبون الصُّمَّان (٥) . وإنما كان جُلُّ قتالِكم بالعصىّ . ولذلك فخر الأعشى على سائر العرب فقال :

---

(١) ل : « ويتحر » تحريف .

(٢) كاروند ، مكون من كلمتين فارسيتين : « كار » ومعناها الصناعة ، ولا تزال هذه الكلمة مستعملة إلى وقتنا هذا فى العامية المصرية . و « وند » بمعنى المديح والثناء .

(٣) المثلة ، بفتح الميم وضم الثاء : العقوبة والتنكيل .

(٤) ل : « رعاة الإبل والغنم » .

(٥) ما عدا ل : « كأنكم إنما تخاطبون الصمان إذا كلمتم الجلساء » . والصمان : جمع أصم . قال الجليح :

* يدعو بها القوم دعاء الصمان *

لسنا نُقاتِل بالعصِـ ـــيِّ ولا نُرامِى بالحجارة (١)
إلاّ عُلالَة أو بُدا هةَ قارحٍ نهدِ الجُزاره (٢)

وقال آخر :

فإن تمنعوا منا السِّلاحَ فعندنا سلاحٌ لنا لا يُشترى بالدراهمِ
جنادلُ أملاءُ الأُكُفّ كأنَّها رؤوس رجال حُلِّقت بالمواسمِ (٣)

وقال جندل الطُّهوِىُّ :

حتى إذا دارت رحىً لا تجرى (٤) صاحت عصىٌّ من قناً وسِدْرِ (٥)

وقال آخر (٦) :

دعا ابنُ مطيعٍ للبِياعِ فجئتُه إلى بَيعةٍ قلبى لها غيرُ آلِفِ (٧)
فناوَلَنى خَشْنَاءَ لمَّا لمستها بكَفِّىَ ليست من أُكُفِّ الخلائِفِ
من الشَّثَنَاتِ الكُزْم أنكرتُ مَسَّها وليست من البيض الرِّقاق اللطائفِ (٨)

---

(١) ديوان الأعشى ١١٥ .

(٢) البداهة : أول جرى الفرس . والذى بعده علالة . والقارح : الفرس فى السنة الخامسة . والنهد : المرتفع . والجزارة : اليدان والرجلان والعنق . وهذا البيت من ل ، هـ .

(٣) الجنادل : جمع جندل ، وهى صخرة مثل رأس الإنسان . أملاء الأكف : تملؤها ؛ جمع مِلء . والمواسم ، عنى بها مواسم الحج . وفى الكامل ٣٣٣ : « جلاميد أملاء » .

(٤) أراد بالرحى التى لا تجرى : رحى الحرب .

(٥) قال أبو منصور : القناة من الرماح ماكان أجوف كالقصبة . السدر : شجر النبق .

(٦) هو فضالة بن شريك الأسدى ، أحد مخضرمى الجاهلية والإسلام . وكان من خبر الشعر أن عبد الله بن الزبير كان قد ولى عبد الله بن مطيع الكوفة ، فكان ينشر الدعوة ويتقبل البيعة لابن الزبير ، حتى إذا نهض المختار بن أبى عبيد ودعا لنفسه ، طرد عن الكوفة فيمن طرد عبد الله بن مطيع ، فقال فضالة الشعر . وقد رواه أبو الفرج فى الأغانى (١٠ : ١٦٤) برواية أبسط .

(٧) سبق هذا البيت وتاليه فى (١ : ٩٤) .

(٨) الشثنات : جمع شثنة بسكون الثاء ، وقد حرك العين فى الجمع مع أنه وصف ، وهو شاذ إلا فيما ذهب قطرب والمبرد ، حيث يجيزان الفتح فى جمع الصفات . همع الهوامع (١ : ٢٣) وأوضح المسالك (جمع المؤنث السالم) . والكزم : جمع كزماء ، وهى القصيرة الأصابع .

معاودَةً حملُ الهَرَاوَى لقومِها فَروراً إذا ماكان يومُ التّسايُفِ (١)

وقال آخر (٢) :

ما لِلفـرزدق من عزٍّ يلـوذ به إلا بنى العَمّ فى أيديهم الخَشَبُ (٣)

قالوا : وإنما كانت رماحكم من مُرّان (٤) ، وأسنّتكم من قُرون البقر ، وكنتم تركبون الخيل فى الحرب أعراء (٥) . فإنْ كان الفَرَس ذا سرجٍ فسَرجه رِحالةٌ من أَدَمٍ ، ولم يكن ذا ركابٍ ، والرِّكاب من أجود آلات الطاعن برُمحه ، والضاربِ بسيفه . وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما (٦) . وكان فارسُهم يطْعُن بالقناة الصَّمَّاء ، وقد علمنا أن الجوفاء أخفُّ مَحملاً ، وأشدُّ طعنةً . ويفخرون بطُول القناة ولا يعرفون الطّعن بالمطارِد (٧) ، وإنما القنا الطِّوال للرّجّالة ، والقصارُ للفُرْسان ، والمطارد لصَيد الوحش . ويفخَرون بطُول الرُّمح وقِصَر السَّيف ، فلو كان المفتخر بقِصَر السيف الرّاجلَ دون الفارس ، لكان الفارس يفخر بطول السيف ، وإن كان الطول فى الرُّمح إنما صار صواباً لأنه يُنال به البعيد ، ولا يفوته العدوّ ، ولأن ذلك يدلُّ على شدّة أَسْرِ الفارس وقوّة أَيْدِهِ . فكذلك (٨) السّيف الطَّويل العريض .

---

(١) الهراوى ، بفتح الواو : جمع هراوة ، وهى العصا الضخمة . والتسايف : التضارب بالسيوف .

(٢) هو جرير . ديوانه ٤٨ . وكان بنو العم ــ وهم مرة بن مالك بن حنظلة ، كما فى اللسان (١٥ : ٣٢٤) – قد أعانوا الفرزدق عليه .

(٣) بعده فى الديوان :

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم ونهر تِيرى فما تعرفكم العرب
الضاربو النخل لا تنبو مناجلهم عن العذوق ولا يعييهم الكرب

(٤) فى اللسان (مرن) : « قال أبو عبيد : المران نبات الرماح » .

(٥) أعراء : جمع عرى ، بالضم ، وهو الذى لا سرج عليه

(٦) أراد فى الركابين : مثنى الركاب ، إذ أن الركاب لا يستعمل إلا مزدوجاً . والركاب ككتاب : ما يضع فيه الفارس رجله .

(٧) المطارد : جمع مطرد ، بكسر الميم ، وهو رمح قصير يطرد به الوحش وغيره .

(٨) ل : « وكذلك » .

وكنتم تتَّخذون للقناة زُجًّا وسِناناً حين لم يقبِض الفارسُ منكم على أصل قناته ، ويعتمد عند طعنته بفخذه ، ويستعِنْ بحَمِيَّة فرسه .

وكان أحدُكم يقبض على وسط القناة ويخلِّف منها مِثلَ ما قدّم [١]. فإنما طعُنكم الرَّزّةُ [٢] والنَّهزةُ [٣] ، والخَلْس والزَّجّ [٤]

وكنتم تتساندون فى الحرب [٥] ، وقد أجمعوا على أنّ الشِّرْكة رديَّةٌ فى ثلاثةِ أشياء : فى المُلْك ، والحرْب ، والزّوجة .

وكنتم لا تقاتلون باللّيل ، ولا تعرفون البَيَاتَ ولا الكمين [٦] ولا الميمنة ولا الميسرة ، ولا القَلب ولا الجَناح ، ولا الساقَةَ ولا الطّليعة [٧] ولا النّفّاضة ولا الدّرّاجة [٨] ، ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العَرّادة [٩] ، ولا المجانيق [١٠] ،

---

(١) ما عدا هـ ، ل : « على مثل ما تقدم » وكلمة « على » مقحمة .

(٢) الرزة : الطعنة بشىء يثبت فى المطعون ، كالسكين فى الحائط . ما عدا ل : « الدرة » ، وليس بشىء .

(٣) النهزة : المرة من النهز ، وهو الطعن فى دفع .

(٤) الطعنة الخلس : التى يختلسها الطاعن بحذقه . والزج : الطعن فى عجلة .

(٥) يقال : خرج القوم متساندين ، أى على رايات شتى ، إذا خرج كل بنى أب على راية ولم يجتمعوا على راية واحدة وأمير واحد .

(٦) البيات : الإيقاع بالقوم فى جوف الليل وهم غارُّون . والكمين : القوم يكمنون للعدو ويستخْفون فى مكمن لايفطن له .

(٧) ساقة الجيش : مؤخرته ، جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه .

(٨) فى حاشية هـ : « النفاضة : قوم يتقدمون أمام الملك ينفضون الطريق وينقُّونها . والدراجة : قوم يدرجون أمامه » . ل : « النفيضة » .

(٩) الرتيلة : فى حواشى هـ : « الرتيلة : أن يقام خلف الصف صف آخر » . وأما العرَّادة فهى شبه المنجنيق صغيرة .

(١٠) المجانيق : جمع منجنيق ، معرب من الفارسى « منجنيك » وهذه مأخوذة من اليونانى : **Maggamon** ، وهى آلة ترمى بها الحجارة فى القتال . ويضطرب اللغويون العرب فى تأصيلها من الفارسى . انظر المعرب للجواليقى بتحقيق العلامة أحمد شاكر ٣٠٦ ومعجم استينجاس . وقد ذكر الأخير أنها مأخوذة عن اليونانى .

ولا الدّبّابات (١) ، ولا الخنادق ، ولا الحَسَك (٢) ، ولا تعرفون الأقبِيَة (٣) ولا السَّراويلات ، ولا تعليقَ السُّيوف ، ولا الطَّبولَ ولا البنود (٤) ولا التَّجافيف (٥) ، ولا الجواشن (٦) ، ولا الخُوَذ (٧) ، ولا السواعد ولا الأجراس ، ولا الوَهَق (٨) ولا الرَّمى بالبَنْجَكان (٩) ، والزَّرْق بالنِّفْطِ والنيران .

وليس لكم فى الحرب صاحبُ عَلَم يرجع إليه المُنْحاز (١٠) ، ويتذكَّره المنهزم . وقتالُكم إمَّا سَلَّةٌ وإمّا مزاحَفة (١١) . والمزاحفة على مواعد متقدِّمة ، والسَّلَّةُ مُسارقةٌ وفى طريق الاستلاب والْخُلْسَة .

قالوا : والدَّليل على أنّكم لم تكونوا تقاتلون قولُ العامرىّ (١٢) :

---

(١) الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب ، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وتقيهم ما يرمَون به من فوقهم . ما غدا ل ، هـ : « الدباب » ، تحريف .

(٢) الحسك من أدوات الحرب ، ربما اتخذ من حديد وألقى حول العسكر ، وربما اتخذ من خشب فنصب حوله ، وذلك لعرقله سير العدو . وأصل الحسك حسك السعدان ، وهو شوكه ، ثم جعل لما يعمل على مثاله من السلاح ، انظر اللسان (حسك) والمخصص (٣ : ٨٤) .

(٣) الأقبية : جمع قباء ، كسحاب ، وهو ضرب من الثياب ، سمى بذلك لاجتماع أطرافه .

(٤) البند : العلم الكبير ، فارسى معرب .

(٥) جمع تجفاف ، بكسر التاء وفتحها ، وهو ماجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، يقال فرس مجفف ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً .

(٦) الجوشن : زرد يلبسه الصدر والحيزوم .

(٧) جمع خوذة ، وهى بالضم : المغفر ، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة . ولم يذكر صاحبا اللسان والجمهرة « الخوذة » ، وذكرها صاحب القاموس .

(٨) الوهق : حبل شديد الفتل ، يرمى وفيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٩) البنجكان : جاء فى الطبرى ٧ : ٢٧ : « فقال لهم بالفارسية : صُكُوهُمْ بالفنجقان ، أى بخمس نشابات فى رمية ، بالفارسية » .

(١٠) انحاز القوم : تركوا مراكزهم ومعركة قتالهم ومالوا إلى موضع آخر .

(١١) المزاحفة : أن تمشى كل فئة زحفاً ، أى مشيا رويداً ، قبل التدانى للضرب .

(١٢) هو خداش بن زهير العامرى ، شاعر جاهلى ، وقيل إنه شهد حنينا مع المشركين ثم أسلم . الإصابة ٢٣٢٣ والأغانى (١٩ : ٧٦) وحماسة ابن الشجرى ٣١ .

ياشَدَّةً ما شددنا غيرَ كاذبةٍ ... على سَخينةَ لولا الليل والحَرَمُ (١)

ويدلُّك على ذلك أيضاً قول عبد الحارث بن ضرار (٢) :

وعَمْروٌ إذْ أتانا مستميتاً ... كسونا رأسَه عَضباً صقيلا (٣)
فلولا اللّيلُ ما آبوا بشخصٍ ... يخَبّر أهلَهم عنهم قليلا

وقال أمية بن الأسكر (٤) :

ألم تَرَ أن ثعلبةَ بن سعدٍ ... غضابٌ ، حَبَّذا غَضَبُ الموالى
تركتُ مصرّفاً لما التقينا ... صريعاً تحت أطراف العوالى
ولولا اللّيلُ لم يُفلِتْ ضرارٌ ... ولا رأسُ الحمار أبو جُفَالِ

قلنا : ليس فيما ذكرتم من هذه الأشعار دليلٌ على أنّ العرب لا تقاتل باللّيل . وقد يقاتل بالليل والنّهار مَن تَحُول دون مَالِهِ المُدُنُ وهولُ اللّيل . وربّما تحاجز الفريقان وإنّ كلَّ واحدٍ منهم يرى البَيات (٥) ، ويرى أن يقاتل إذا بَيّتوه . وهذا كثير . والدّليل على أنّهم كانوا يقاتِلون باللّيل قولُ سعد بن مالك (٦) فى قتل كعب بن مُزَيقيا الملك الغَسّانى :

---

(١) البيت يقوله فى وقعة حنين ، أو فى حرب الفجار ، كما فى الأغانى والإصابة . و « سخينة » كناية عن قريش . وأصل السخينة دقيق يلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر ، أو يحسى ، وكانت قريش تكثر من أكلها ، فعيرت بها حتى سموا سخينة . ومثله قول كعب بن مالك :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

(٢) ما عدا ل : « الحارث بن ضرار » . ومن رجال العرب « الحارث بن أبى ضرار » وهذا لم يعرف بشعر ، وهو والد جويرية زوج الرسول ﷺ ، وهو من بنى المصطلق . الإصابة ١٤٢٤ والسيرة ٧٢٥ ، ١٠٠٣ والاشتقاق ٢٨١ .

(٣) كساه السيف ، أى جلله به وعممه . العضب : السيف القاطع .

(٤) ماعدا ل ، هـ : « بن الأشكر » تحريف . وهو أمية بن حرثان بن الأسكر الليثى الكنانى . شاعر سيد فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وعمر عمراً طويلا . الأغانى (١٨ : ١٥٦ – ١٦٢) والمعمرين ٦٧ – ٦٩ .

(٥) البيات : اسم من قولهم : بيت القوم والعدوَّ : أوقعَ بهم .

(٦) سعد بن مالك بن ضبيعة ، أحد شعراء العرب وفرسانهم فى الجاهلية ، ولا سيما يوم =

وليلَةَ تُبّعٍ وخَميسِ كعبٍ   أتونا ، بعد ما نِمنا ، دَبيبا
فلم نُهدَدْ لبأْسهمُ ولكنْ   ركبنا حَدَّ كوكبِهم رُكوبا (١)
بضرب يُفلِّقُ الهاماتُ منه   وطعنٍ يفصل الحَلقَ الصَّليبا (٢)

وقال بشرُ بن أبى خازم :

فأمّا تميمُ تميمٌ بن مُرٍّ   فألفاهُمُ القومُ روْبَى نِيامَا (٣)

يقول : شَرِبوا الرّائب من اللبَن فسكِروا منه ، وهو اللبَن الذى قد (٤) أدرك لِيُمخَض . يقال منه راب يروب رَوباً ورءوباً . ورُؤْبةُ اللبن : خميرة تلقى فيه من الحامض . ورؤبة الليل : ساعةٌ منه . يقال أهرق عنّا من رؤْبة الليل . وقال بعضهم : منه قول الشاعر (٥) .

* فألفاهم القومُ رَوبَى نيامَا *

ويقال : رَوبَى : خُثَراء الأَنْفُس مختلطون . ويقال شرِبوا من الرّائب فسكروا .

وقال عياضٌ السِّيدِىُّ (٦) :

= قضّة ، وهو القائل فى تحضيض الحارث بن عباد رئيس بكر :

يا بؤس للحرب التى   وضعت أراهط فاستراحوا
والحرب لا يبقى لصا   حبها التخيل والمراح

الأغانى (٤ : ١٤٣ - ١٤٤) .

(١) لم نهدد ، أى لم نكسر . والبأس : الشدة . ماعدا ل ، هـ : « فلم تهدو » تحريف . وكوكب الجيش : معظمه . وأنشد فى اللسان :

وملمومة لايخرق الطرف عرضها   لها كوكب فخم شديد وضوحها

(٢) ما عدا ل : « تفلق الهامات » . والحلَق : جمع حَلْقة ، عنَى به حَلَق الدرع .

(٣) البيت من قصيدته فى مختارات ابن الشجرى ٦٩ - ٧١ . وهو فى ديوانه ١٩٠ وسيبويه ١ : ٤٢ .

(٤) فيما عدا ل : « الذى أخرجت زبدته » . والكلام بعدها إلى « فسكروا » من ل فقط .

(٥) هو بشر بن أبى خازم ، كما سبق قريباً .

(٦) عياض السيدى : نسبة إلى السيد ، وهم بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، فهو ضبى أيضا . وفى معجم المرزبانى . « عياض بن حنين الضبى ، جاهلى ، يقول =

ونحن نَجلْنا لابن ميلاءَ نَحرَهُ   بنَجلاءَ من بين الجوانح تشهَقُ (١)

ويومَ بنى الدَّيَّانِ نالَ أخاهم   بأرماحنا بالسِّىِّ موتٌ مُحدِّقُ (٢)

ومِنَّا حُماةُ الجَيش ليلةَ أقبلت   إيادٌ يزجِّيها الهُمَامُ مُحرِّقُ (٣)

وقال آخر :

وعلى شُتَيرٍ راحَ منّا رائحٌ   بأَبِى قَبيصة كالفَنيق المُقرَم (٤)

يَردِى بشرحاف المَغَاورِ بعد ما   نشر النهار سوادَ ليل مظلمِ (٥)

وقال عياضٌ السِّيِدىُّ (٦) : ٩٧

لحِمام بِسطام بن قيسٍ بعد ما   جَنَحَ الظّلامُ بمثل لون العِظْلِم (٧)

وقال أوس بن حجر :

باتوا يُصيبُ القوم ضَيفًا لهم   حتَّى إذا ما ليلُهم أظلما (٨)

= ومنا الذى أدى ابن جفنة رمحه   إلى الحى مجنوناً يخب ويعنق »

فهو هو . التيمورية : « عياض بن السيدى » ، ب ، جـ : « عياض بن السندى » كلاهما محرف عما أثبت من ل .

(١) نجله بالرمح ينجله نجلا : طعنة وأوسع شقه . وطعنة نجلاء : واسعة . تشهق : تصوت من قوة اندفاع الدم .

(٢) السى : أرض بين ذات عرق ووجرة . وهى رواية هامش هـ . وفى أصل هـ . « بالسن » وسائر النسخ « بالسبى » .

(٣) الهمام : الملك العظيم الهمة . ومحرق : لقب عمرو بن هند ، سمى بذلك لتحريقه بنى تميم يوم أوراة .

(٤) شتير : موضع ، كما فى اللسان (شتر) عند إنشاد هذا البيت . والرواية فيه وفى مجالس ثعلب ٥٣٩ : « يأتى قبيصة » .

(٥) فى الأصل واللسان (شرحف) . « تردى » صوابه بالياء . والشرحاف : السريع . والمغاور : جمع مغار ، بضم الميم : مصدر ميمى من أغار . ما عدا ل : « بشرحاف المغادر » تحريف .

(٦) كذا فى الأصول . والأبيات الثلاثة مقطوعة واحدة فى مجالس ثعلب .

(٧) بسطام بن قيس ، سبقت ترجمته فى (١ : ٢١) . جنح الظلامُ : أقبل . والعظلم ، بكسر العين واللام : عصارة يخضب بها .

(٨) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان أوس . ل : « بصيت القوم » .

قرَوْهــمُ شهَبـاءَ ملمومــةً مثلَ حريق النّار أو أضْرَما (١)
واللّه لولا قُرزُلٌ ما نَجا وكان مثوى خدِّك الأخْرَما (٢)
نجاّك جَيّاشٌ هزيـمٌ كما أَحَميْتَ وسط الوبر المِيسما (٣)

وبعدُ فهل قتلَ ذُؤابٌ الأسدىّ عتيبةَ بن الحارث بن شهاب إلّا فى وسط الليل الأعظم ، حين تَبِعوهم فلحِقوهم . ٩٨

وكانوا إذا أجْمَعوا للحرب (٤) دخّنوا بالنهار ، وأوقدوا بالليل . قال عمرو ابن كلثوم وذكَرَ وقعةً لهم :

ونحن غداةَ أُوقِدَ فى خَزَازٍ رَفَدنا فوقَ رَفدِ الرّافدينا (٥)

وقال خَمْخَامٌ السَّدُوسىُّ (٦) :

وإنّا بالصُّليب ببطن فَجٍّ جميعاً واضعين به لَظَانا (٧)

---

(١) الشهباء : الكتيبة التى عِليتُها بياض الحديد . أضرم : أشد اشتعالا .

(٢) قرزل : اسم فرس طفيل بن مالك ، كما فى نسب الخيل لابن الكلبى ٢٦ وأسماء خيل العرب لابن الأعرابى ٧٥ . والبيت فى الموضع الأول واللسان (خرم) برواية : « إذ نجا لكان » . ورواية اللسان تخرج على جعل « ما » مصدرية ، وفى قرزل يقول سلمة بن الخرشب لعامر بن الطفيل :

فإنك يا عام ابن فارس قرزل معيد على قيل الخنا والهواجر

يا عام ، أى يا عامر . المفضليات (١ : ٣٦) . والأخرم : أخرم الكتف ، أى رأسها .

(٣) الجياش : المتدفق فى الجرى . والهزيم : الشديد الصوت . والميسم : مايوسم به البعير ونحوه .

(٤) ما عدا ل : « اجتمعوا للحرب » .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « فى خزازى » وهما روايتان . والبيت فى معلّقته .

(٦) ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٢١٢ فى رجال بنى سدوس ، قال : « ومنهم الخمخام وكان من فرسانهم ، وكان ذا بغى فسمى بذلك لأنه يتخمخم فى كلامه ، كأنه يجنن نفسه » . وفى حواشى الاشتقاق : « الخمخام بن حملة ، الاسم الأول بخاءين معجمتين ، وحملة بحاء غير معجمة بفتحتين ، واسمه الحارث . وهو شاعر فارس ، وسمى الخمخام لأنه كان يتخمخم على الناس يجنن نفسه على كل أسير حتى يفكه . وكان ظلوماً ، ويقول : أنا جار كل من طلعت عليه الشمس » . وفى اللسان (خمم) : « والخمخام : رجل من بنى سدوسٍ ، سمى بالخمخمة » .

(٧) الصليْب ، بهيئة التصغير : جبل عند كاظمة كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبنى عمرو بن تميم . وأنشد ياقوت البيت فى معجم البلدان منسوباً إلى الأعشى ، وبرواية : « وبطن فلج » .

نُدخِّنُ بالنهار ليبصِرونا ولا نَخفى على أحدٍ أتانا

وأمّا قولهم : « ولا يعرفون الكمين » فقد قال أبو قيس بن الأسلت (١) :

وأحرزنا المغانمَ واستَبَحنا حَمِى الأعداء واللهُ المعينُ
بغَير خِلَابَةٍ وبغَيْرِ مكرٍ مجاهرةً ولم يُخْبَأْ كمينُ

* * *

وأما ذكرهم للرُّكُب (٢) ، فقد أجمعوا على أن الرُّكُب كانت قديمة ، إلّا أنّ رُكُبَ الحديد لم تكن فى العرب إلّا فى أيام الأزارقة (٣) . وكانت العرب لا تُعَوّد أنفُسَها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلَها فى الرُّكُب ، وإنما كانت تنزو نَزْوا .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا تَخورُ قوّة (٤) ماكان صاحبُها ينزو ويَنْزِع » . يقول : لا تنتكث قوّته مادام ينزِع فى القَوس ، وينزو فى السَّرج من غير أن يستعين برِكاب .

وقال عمر : « الراحة عُقْلة ، وإياكم والسِّمْنة فإنها عُقْلَة (٥) » .

ولهذه العلّة قُتِل خالدُ بن سعيد بن العاصى ، حين غَشِيه العدوّ وأراد الرُّكوب ولم يجد من يحملُه . ولذلك قال عُمر حين رأى المهاجرين والأنصار قد أخصبوا ،

---

(١) أبو قيس كنيته ، واختلف فى اسمه والمشهور الراجح أنه صيفى بن الأسلت بن عامر بن جشم ابن وائل الأنصارى . وكانت الأوس قد أسندت أمرها إلى أبى قيس وجعلته رئيسا عليها فكفى وساد . واختلف فى إسلامه ، فقيل إنه أسلم ، وقيل إنه وَعَد بالإسلام ، ثم سبق إليه الموت فلم يسلم . الإصابة (٧ : ١٥٧) والأغانى (١٥ : ١٥٤) وابن الأثير (١ : ٢٨٤) .

(٢) الركب ، بضمتين : جمع ركاب ، وهو مايضع فيه الفارس رجله .

(٣) الأزارقة : جمع أزرق ، نسبه إلى نافع بن الأزرق الحنفى ، من بنى حنيفة . أحد شجعان الخوارج الذين ظهروا فى العصر الأموى ، وقد تولى قتالهم المهلب بن أبى صفرة من قبل عبد الله بن الزبير ، وهزمهم عند دولاب الأهواز . ومات نافع بن الأزرق فى تلك الهزيمة سنة ٦٥ . انتهى باختصار من معجم الفرق الإسلامية .

(٤) ما عدا ل : « قوى » : جمع قوة .

(٥) عقلة ، أى تعقل صاحبها وتحبسه .

وهَمٌّ كثيرٌ منهم بمقاربة عَيش العجم : « تَمَعْدَدوا واخشَوشِنوا (١) ، واقطعوا الرُّكُب ، وانزُوا على الخيل نزواً » . وقال : « احفَوْا وانتعلوا ؛ فإنّكم لا تَدْرون متى تكون الْجَفلة (٢) » .

وكانت العرب لا تدَعُ اتّخاذ الرِّكاب للرَّحل فكيف تدَعُ الرِّكابَ للسَّرج ؟! ولكنّهم كانوا وإن اتَّخذوا الرُّكُبَ فإنّهم كانوا لا يستعملونها إلا عندما لابدَّ منه ، كراهةَ أن يتّكلوا على بعض ما يُورثهم الاسترخاء والتفنّخ (٣) ويضاهئوا أصحاب التُّرْفَة والنَّعْمة (٤) . قال الأصمعيّ : قال العُمَرِيّ : كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليُمنىَ (٥) أذنَ فرسه اليسرى ، ثم يجمع جراميزَه ويثب (٦) ، فكأنما خُلِقَ على ظهر فرسه . وفعل مثلَ ذلك الوليدُ بن يزيدَ بنِ عبد الملك وهو يومئذ وليُّ عهدِ هشام ، ثمّ أقبَلَ على مَسلمةَ بنِ هشام فقال له : أبوك يُحسِن ٩٩ مثلَ هذا ؟ فقال مَسلمةُ : لأبِى مائةُ عبدٍ يحسنون مثلَ هذا . فقال الناس : لم ينصفْه فى الجواب . وزعم رِجَالٌ من مشيختنا أنّه لم يقم أحدٌ من ولد العباس بالمُلْك إلا وهو جامعٌ لأسباب الفروسيّة .

* * *

وأمّا ذكروا من شأن رماح العرب فليس الأمر فى ذلك على ما يتوهَّمون . للرِّماح طبقات : فمنها النَّيزَك (٧) ، ومنها المربوع ، ومنها المخموس (٨) ، ومنها التامّ ، ومنها الخَطِلُ وهو الذى يضطرب فى يد صاحبه لإفراط طُوله . فإذا أراد

---

(١) تمعددوا ، أى تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكانوا أهل قشف وغلظ فى المعاش .

(٢) الجفلة : الانزعاج والشرود والذهاب فى الأرض .

(٣) التفنخ ، من قولهم فنخه تفنيخا ، أى قهره وأذله . ما عدا ل : هـ : « التفتح » ولا وجه له .

(٤) الترفة ، بالضم : الترف والنعمة . ما عدا ل ، هـ : « والشرفة » تحريف .

(٥) ل : « اليسرى » .

(٦) الجراميز : جملة البدن : الجسد والأعضاء .

(٧) النيزك : الرمح القصير ، فارسى معرب ، فارسيته « نيزه » . استينجاس ١٤٤٢ .

(٨) المربوع : الذى طوله أربع أذرع . والمخموس : الذى طوله خمس .

الرّجُل أن يخبِر عن شدّةِ أَسْر صاحبِه ذكره ، كما ذكر متمّمُ بنُ نويرةَ أخاه مالكا ، فقال : « كان يخرج فى الليلة الصِّنَّبر (١) ، عليه الشَمْلَةُ الفَلوت (٢) ، بين المزادتين النَّضُوحَين ، على الجمل الثَّفال (٣) ، معتقلَ الرُّمح الخَطِل » . قالوا له : وأبيك إنّ هذا لهو الجَلد . ولا يحمل الرُّمحَ الخَطِل منهم إلا الشّديدُ الأَيِّدُ (٤) ، والمُدِلُّ بفَضْل قوّته عليه ، الذى إذا رآه الفارسُ فى تلك الهيئة هابه وحاد عنه ، فإنْ شدَّ عليه كان أشدَّ لاستخذائه له (٥) .

والحال الأخرى أن يخرُجوا فى الطَّلَب بِعَقِب الغارَة ، فربَّما شدَّ على الفارس المُولِّى فيفوته بأن يكون رمحُه مربوعاً أو مخموساً ، وعند ذلك يستعملون النّيازك ، والنَّيزَك أقصر الرِّماح . وإذا كان الفارسُ الهاربُ يفوت الفارسَ الطالبَ زَجَّه بالنَّيزِك ، وربَّما هاب مخالطتَه فيستعمل الزَّجَّ دون الطَّعْن ، صنيعَ ذُؤابِ الأسدىّ بعتيبة بن الحارث بن شهاب .

وقال الشاعر (٦) :

وأسْمَرَ خطِّيًّا كأنّ كُعُوبَه
نوى القَسْبِ قد أربى ذراعاً على العشْرِ (٧)

وقال آخر (٨) :

---

(١) يقال ليلة صنبر وصنبرة : شديدة البرد . ب ، جـ : « الصنبرة » وكلاهما صحيح .

(٢) الشملة : الكساء والمئزر يتشح به . والفلوت : التى لا ينضم طرفاها لصغرها ، أو التى لا تثبت على صاحبها للينها أو خشونتها . وكلمة متمم فى الكامل ٧٦٣ والأغانى ١٤ : ٦٧ وشروح سقط الزند ٥٨٧ برواية أخرى .

(٣) مزادة نضوح : تنضح الماء . والثفال ، كسحاب : البطىء الثقيل .

(٤) الأيد : كسيد : القوى . ويصح أن تقرأ « الأيد » بسكون الياء والإضافة . والأيد : القوة كالآد .

(٥) الاستخذاء : الخضوع . ما عدا ل ، هـ : « لاستخدامه » تحريف .

(٦) هو حاتم الطائى ، كما فى اللسان (قسب) ، والبيت فى ديوانه ص ١٢١ .

(٧) القسب : التمر اليابس ، ونواه أصلب النوى .

(٨) هو عبيد بن الأبرص . والبيت فى ديوانه ٤٣ والمقاييس واللسان (خمس) .

هاتيك تحملُنى وأبيضَ صارماً   ومُحَرَّباً فى مارِنٍ مخموسِ (١)

وقال آخر :

فولَّوا وأطرافُ الرماحِ عليهم   قوادرُ ، مربوعاتُها وطِوَالُها (٢)

وهم قومٌ الغاراتُ فيهم كثيرة ، وبقدرِ كثرة الغارات كثُر فيهم الطَّلَب . ١٠٠

والفارس ربّما زاد فى طولِ رمحِه ليُخْبِر عن فضل قُوّته ؛ ويُخبرُ عن قصر سَيفه ليُخبرَ عن فضل نَجدته . قال كعبُ بن مالك :

نَصِلُ السُّيوفَ إذا قصُرن بخَطوِنا   قُدُماً ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

وقال آخر (٣) :

إذا الكُماة تنحَّوْا أن يصيبَهمُ   حَدُّ الظُّبَات وصلناها بأيدينا

وقال رجلٌ من بنى نمير (٤) :

وصَلْنا الرِّقاقَ المرهفاتِ بخطونا   على الهول حتّى أمكنتْنا المضاربُ

وقال حُميد بن ثورٍ الهلالىّ :

ووصل الخطا بالسَّيِف والسَّيِف بالخطا   إذا ظَنَّ أن السيفَ ذو السيف قاصِرُ (٥)

وقال آخر :

الطاعنون فى النُّحُور والكُلَى   شَزْراً ووصَّالو السُّيوف بالْخُطَى (٦)

* * *

وأمّا ذكروا « من اتخاذ الزُّجّ لسافلة الرُّمح ، والسِّنان لعاليته » فقد

---

(١) محربا ، أى سنانا مذربا محددا . والرواية فى المصادر المتقدمة : « ومدربا » . والمارن : الصلب اللين . والمخموس : ما طوله خمس أذرع .

(٢) ما عدا ل : « تولوا » .

(٣) هو بشامة بن حزن النهشلى . والبيت من أبيات فى الحماسة (١ : ٢٥) .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « من بنى تميم نمير » .

(٥) أى إذا ظن ذو السيف أن سيفه قاصر .

(٦) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .

ذكروا أنّ رجلًا قتل أخوينِ فى نِقاب (١) ، أحدهما بعالية الرُّمح ، والآخر بسافلته . وقدِم فى ذلك راكبٌ من قِبَل بنى مروان على قَتادة (٢) يستثبت الخبر من قِبَلِه ، فأثبته له .

وقال الآخر :

إنّ لقيسٍ عادةً تعتادُها سَلَّ السيوفِ وخُطًى تزدادها

وقد وصفوا أيضاً السيوف بالطُّول . وقال عُمارة بن عَقيل (٣) :

بكلِّ طويلِ السيف ذى خيزُرانةٍ جرِئٍ على الأعداء معتمد الشَّطبِ (٤)

* * *

وجملة القول أنّا لا نعرف الخطبَ إلّا للعرب والفُرْس . فأما الهندُ فإنما هم
١٠١ معانٍ مدونة ، وكُتُبٌ مخلّدة (٥) ، لا تضاف إلى رجلٍ معروف ، ولا إلى عالم موصوف ، وإنّما هى كتبٌ متوارثة ، وآدابٌ على وجه الدّهر سائرةٌ مذكورة .

ولليونانيّين فلسفةٌ وصناعةُ منطق ، وكان صاحبُ المنطقِ نفسُه بكيَّ اللسان ، غيرَ موصوفٍ بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه ، وبخصائصه . وهم يزعمون أنّ جالينوس (٦) كان أنطقَ الناس ، ولم يذكروه

(١) أى فجأة على غير ترصد . ما عدا هـ : « أخويه » .

(٢) قتادة بن دعامة السدوسى البصرى ، المترجم فى (١ : ٢٤٢) .

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى ، من شعراء الدولة العباسية . وكان النحويون البصريون يأخذون عنه اللغة . الأغانى (٢٠ : ١٨٣ – ١٨٨) .

(٤) الخيزرانة : واحدة الخيزران ، وهى الرماح . والشطب من الخيل : الطويل الحسن الخلق .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « مجلدة » .

(٦) كان جالينوس إمام الأطباء فى عصره ، ورئيس الطبيعيين فى وقته ، وكان بعد المسيح بنحو مائتى عام وبعد بقراط بنحو ستمائة سنة . وكان يفد إلى رومة كثيراً ، لمعالجة ملكها المجذوم ، وكان يغزو مع ملوك رومية لتدبير الجرجى . ويفهم من تاريخه أنّه دخل مصر وبلاد النوبة . وله مؤلفات شتى فى الطب والفلسفة سردها ابن النديم والقفطى فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء .

بالخطابة [١] ، ولا بهذا الجنس من البلاغة ، وفى الفُرس خُطباء ، إلّا أنّ كلَّ كلامٍ للفُرس ، وكلَّ معنًى للعجم ، فإنّما هو عن طُولِ فكرة وعن اجتهاد رأى ، وطُول خلوة [٢] ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طُول التفكُّر ودِراسة الكتُب ، وحكايةِ الثانى علمَ الأول ، وزيادةِ الثالث فى علم الثانى ، حتّى اجتمعت ثمار تلك الفِكَر عند آخِرهم . وكلُّ شيءٍ للعرب فإنّما هو بديهةٌ وارتجال ، وكأنّه إلهام ، وليست هناك معاناةٌ ولا مكابدة ، ولا إجالةُ فكر ولا استعانة ، وإنّما هو أن يصرفَ وهْمَه إلى الكلام ، وإلى رجَزِ يومِ الخصام ، أو حين يمتَح على رأس بئر ، أو يحدُو ببعير ، أو عند المقارعة أو المناقلة ، أو عند صِراع أو فى حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهْمَه إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذى إليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالا [٣] ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيِّده على نفسه ، ولا يَدْرُسه أحداً من ولده [٤] . وكانوا أُمّيّين لا يكتبون ، ومطبوعِين لا يتكلَّفون ، وكان الكلام الجيِّد عندهم أظهرَ وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وله أقهَر [٥] ، وكل واحدٍ فى نفسه أنطَق ، ومكانُه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجَد [٦] ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفُّظ ، ويحتاجوا إلى تدارُس . وليس هم كمن حفِظ علمَ غيرِه ، واحتذى على كلامِ مَن كان قَبله ، فلم يحفظوا إلّا ما عَلِق بقُلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتّصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ،

---

(١) لكن ذكر القفطى ٨٦ أنه « كانت له بمدينة رومية مجالس مقامية خطب فيها وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله ، وبان به علمه » . وقال : « وكان جالينوس عالما بطريق البرهان خطيباً . وله كتاب ناقض به الشعراء ، وكتاب فى لحن العامة » .

(٢) ما عدا ل : « وعن اجتهاد وخلوة » .

(٣) أرسالا : أفواجا ، جمع رسل بالتحريك .

(٤) يقال درسته إياه وأدرسته أيضاً . قالوا : وقرأ ابن حيوة فى الشواذ : « وبما كنتم تدرسون » بضم التاء . ويقال دارست الكتب وتدارستها وادّارستها .

(٥) كلمة « له » من ل فقط .

(٦) ما عدا ل . « وخطباؤهم أوجز » .

ولا تحفُّظ ولا طلب . وإنّ شيئاً هذا [١] الذى فى أيدينا جزءٌ منه ، لَبالمقدار الذى
١٠٢ لا يعلمه إلا مَن أحاط بقَطْر السَّحابِ وعدد التُّراب ، وهو الله الذى يحيط بما كان ، والعالِمُ بما سيكون .

ونحن – أبقاك الله – إذا ادّعينا للعرب أصنافَ البلاغة من القصيد والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لا يزدوج ، فمعَنا العلم أن ذلك [٢] لهم شاهدٌ صادق من الدِّيباجة الكريمة ، والرَّونق العجيب ، والسَّبْك والنَّحت ، الذى لا يستطيع أشعَرُ الناس اليومَ ، ولا أرفعهُم فى البيان أن يقول مثلَ ذلك إلا فى اليسير ، والنَّبْذ القليل [٣] .

ونحن لا نستطيع أن نَعلم أنّ الرسائل التى بأيدى الناس [٤] للفُرس ، أنها صحيحة غيرُ مصنوعة ، وقديمةٌ غير مولَّدة ، إذْ كان [٥] مثل ابن المقفَّع وسهل بن هارون ، وأبى عُبَيد الله ، وعبد الحميد وغيلان ، يستطيعون [٦] أن يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السِّيَر .

وأخرى : أنّك متى أخذتَ بيد الشُّعوبىّ فأدخلته بلادَ الأعراب الخُلَّص ، ومعدِنَ الفصاحة التامّة ، ووقَفْته على شاعرٍ مفْلِق ، أو خطيب مِصْقع ، علم أنَّ الذى قلتَ هو الحقُّ ، وأبصَرَ الشاهد عِياناً . فهذا فرقُ ما بيننا وبينهم .

فتفهّمْ عنِّى ، فهَّمك الله ، ما أنا قائلٌ فى هذا ، ثم أعلم أنك لم تَرَ قوماً قطُّ أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دِينه ، ولا أشدَّ استهلاكاً لعِرضه ، ولا

---

(١) هذه الكلمة من ل ، هـ .
(٢) ما عدا ل : « على أن ذلك » .
(٣) النبذ ، بالفتح : الشئ القليل . ل : « والشئ القليل » .
(٤) ما عدا ل : « فى أيدى الناس » .
(٥) ما عدا ل ، هـ : « إذا كان » .
(٦) ما عدا ل : « وغيلان وفلان لا يستطيعون » .

أطوَلَ نصَباً ، ولا أقل غُنْما من أهل هذه النِّحلة . وقد شَفَى الصُّدورَ منهم طولُ جُثومِ الحسد على أكبادِهم ، وتوقُّدِ نار الشنَآن فى قلوبهم ، وغليانُ تلك المراجل الفائرة ، وتسعُّرُ تلك النِّيران المضطرمة . ولو عرفوا أخلاق أهلِ كلِّ ملة ، وزىّ أهل كل لغةٍ وعِلَلَهم [١] ، على اختلاف شاراتهم [٢] وآلاتهم ، وشمائلهم وهيئاتهم ، وما علَّةُ كلِّ شيء من ذلك ، ولِمَ اجتلبوه [٣] وَلِمَ تكلّفوه لأراحوا أنفسَهم ، ولخفّت مؤونتُهم [٤] على مَن خالطهم .

والدَّليل على أنَّ أخْذَ العصا مأخوذٌ من أصْلٍ كريم ، ومعدن شريف ، ومن المواضع التى لا يَعيبها إلّا جاهل ، ولا يعترضُ عليها إلّا مُعانِد ، اتِّخاذُ سليمانَ بنِ ١٠٣ داود صلى الله عليه العصا لخطبته وموعظته ، ولمقاماته ، وطول صلاته ، ولطول التِّلاوة والانتصاب ، فجَعَلها لتلك الخصال جامعةً . قال الله عز وجل وقولُه الحقّ : ﴿ فلَمَّا قَضَينا عليه الموتَ ما دلّهمْ عَلَى مَوتِه إلّا دَابّة الأرضِ تَأكُلُ مِنسأتَه [٥] فَلَمَّا خَرَّ تبيَّنَتِ الجِنُّ أنْ لو كانُوا يَعْلَمُون الغَيْب مَا لَبِثُوا فى العَذَابِ المُهِين ﴾ . والمِنسأة هى العصا .

قال أبو طالب حين قام يذُمُّ الرجل الذى ضربَ زميلَه بالعصا [٦] فقتله حين تخاصما فى حبل وتجاذبا :

أمن أجل حَبْلٍ لا أباكَ علوتَه ... بمِنسأة قد جاء حبلٌ وأحبُلُ [٧]

---

(١) كلمة « أهل » فى الموضعين من ل فقط . وهى فى هـ فى الموضع الأول .

(٢) الشارة : الهيئة ، واللباس . ب ، جـ : « إشاراتهم » التيمورية ، هـ : « إشارتهم » صوابهما فى ل .

(٣) ما عدا ل : « اختلقوه » ، تحريف .

(٤) ب ، جـ : « وتخففت » . التيمورية : « وتخفت » .

(٥) ل : « من منسأته » تحريف . على أنه قرئ : « من ساته » . والساة : العصا ، استعير اسمها من ساة القوس وسيتها . انظر تفسير أبى حيان (٧ : ٢٦٧) .

(٦) ما عدا هـ : « بدم الرجل الذى ضربه بالعصا » ، تحريف . وانظر المحبر ٣٣٦ ونسب قريش ١٦ .

(٧) لا أباك ، أى لا أبالك ، حذف اللام ، كما فى قوله : =

وقال آخر :

إذا دببْتَ على المِنساة من كِبَرٍ ... فقد تباعد عنك اللّهوُ والغزلُ (١)

* * *

قال أبو عثمان : وإنما بدأنا بذكر سليمان صلى الله عليه لأنّه من أبناء العجَم ، والشُّعوبيةُ إليهم أمْيَل ، وعلى فضائلهم أحرص ، ولِما أعطاهم الله أكثرُ وصفاً وذِكراً .

وقد جمع الله لموسى بنِ عمران عليه السلام فى عصاه من البُرهانات العظام ، والعلامات الجِسام ، ما عسى أن يفىَ ذلك بعلامات عدّةٍ من المرسَلين ، وجماعة من النبيِّين . قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر من عصاه (٢) : ﴿ إنَّ هَذانِ لساحِرانِ يُريدَانِ أنْ يُخرِجَاكمْ مِنْ أرضِكُم بسحرِهما ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ ولا يُفلِحُ السَّاحرُ حَيْثُ أتَى ﴾ .

فلذلك قال الحسنُ بن هانئ فى شأن خصيبٍ (٣) وأهلِ مصر حين اضطربُوا عليه :

= وقد مات شماخ ومات مزرد ... وأى كريم لا أباك يخلد

وقول أبى حية :

أبالموت الذى لابد أنى ملاق لا أباك تخوفينى

وأكثر ما يستعمل فى المدح ، أى لا كاف لك غير نفسك . وقد يذكر فى معرض للذم ، كما يقال لا أم لك . والبيت لم يرد فى ديوان أبى طالب مخطوط الشنقيطى بدار الكتب . وأنشده فى اللسان (نسأ) برواية : « قد جر حبلك أحبل » . وبعده بأبيات :

هلم إلى حكم ابن صخرة إنه ... سيحكُم فيما بيننا ثم يعدل

كما كان يقضى فى أمور تنوبنا ... فيعمد للأمر الجميل ويفصل

(١) أنشده فى اللسان (نسأ) برواية : « من هرم » . « فقد تباعد منها » . وفى هـ : « منك » فوق « عنك » ، رواية أخرى .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « فى عصاه » .

(٣) هو الخصيب بن عبد الحميد العجمى ثم المزارى ؛ أمير مصر . وهو دهقان من أهل المزار شريف الآباء ، وليس بابن صاحب نهر أبى الخصيب ، ذاك عبد للمنصور يقال له مرزوق وكان هذا رئيساً فى أرضه ، فانتقل إلى بغداد وصار كاتب مهرويه الرازى ، ثم انتقل إلى الإمارة . =

فإن تكُ من فرعون فيكم بَقِيّةٌ　　　فإنّ عصا موسى بكفٍّ خصيبِ

ألم تر أنَّ السَّحرة لم يتكلَّفوا تغليط الناس والتموية عليهم إلّا بالعصِىّ ، ولا عارضَهم موسى إلّا بعصاه .

وقال الله عزّ وجل : ﴿ وقَالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إنِّى رَسُولٌ مِنْ ربِّ العَالَمِين . حَقِيقٌ عَلَى أن لا أقُولَ على الله إلَّا الحقَّ قَدْ جِئتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ ربِّكُمْ فأَرْسِلْ مَعِىَ
بَنِى إسْرائِيل . قال إنْ كُنْتَ جِئتَ بآيةٍ فأتِ بِهَا إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . ١٠٤
فألْقَى عَصَاهُ فإذَا هِىَ ثعبانٌ مُبين ﴾ .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالُوا يا مُوسَى إمّا أنْ تُلْقِى وإمّا أنْ نكونَ نَحْنُ المُلْقِينَ . قَالَ أَلْقوا فلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيم . وأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فإذَا هِىَ تَلْقَفُ ما يأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ . ألا ترى أنّهم لمّا سحروا أعينَ الناس واسترهبوهم بالعصىِّ والحبال ، لم يجعل الله للحبال من الفضيلة فى إعطاء البُرهان ما جَعَلَ للعصا ، وقدرةُ الله على تصريف الحبال فى الوجوه ، كقدرته على تصريف العصا .

= ديوان أبى نواس ٩٧ . وقد وفد أبو نواس على الخصيب فى حداثة سنه – أخبار أبى نواس ٢٣٤ . وكان من خبر هذا الشعر أن أهل مصر كانوا قد شنعوا على الخصيب لزيادة فى أسعارهم ، وكان على شربه وعنده أبو نواس ، فوثب أبو نواس وقال : دعنى أيها الأمير أكلمهم . فقال : ذاك إليك . فخرج حتى وافى المسجد الجامع وقد تواعدوا أن يجتمعوا فيه ، فأنشد هذه الأبيات ، ويقال إنه ارتجلها على المنبر ، فلما سمعها من اجتمع تفرقوا فلم يبق أحد منهم ، وعاد إلى مجلس الخصيب فأمر له بألف دينار . أخبار أبى نواس ٢٤٠ . والأبيات كما رواها ابن منظور وكما فى الديوان ١٠٣ :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتى　　　ألا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاة فتحملوا　　　على حد حامى الظهر غير ركوب
فإن يك باق إفك فرعون فيكم　　　فإن عصا موسى بكف خصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية　　　أكول لحيات البلاد شروب

ولما استنشده الرشيد هذه الأبيات قال : ألا قلت فباق عصا موسى بكف خصيب ؟ فقال له وهذا يا أمير المؤمنين أحسن ، ولكنه لم يقع لى .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ مِنْ شَاطِىءِ الوَادِى الأَيْمَنِ فِى البُقْعَةِ المُبارَكَة مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إنِّى أَنَا اللهُ ربُّ العَالَمِين ۝ وأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تَهْتَزُّ كأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً ولم يُعَقِّب يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إنَّكَ من الآمِنِين ﴾ . فبارَكَ كما ترى على تلك الشّجرة ، وبارك فى تلك العصا ، وإنّما العَصَا جزءٌ من الشجرِ .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۝ أَخْرَجَ منها ماءَها ومَرْعاها ﴾ .

وقالت الحكماء : إنما تُبنى المدائن على الماء والكلإ والمحتَطَب [1] . فجمع بقوله : ﴿ أَخْرَجَ منها ماءَها ومَرْعاها ﴾ النّجمَ والشجر ، والمِلْحَ واليقطين [2] ، والبقل والعُشْب . فذكر ما يقوم على ساقٍ وما يتفنّن وما يتسطّح ، وكلُّ ذلك مرعًى ، ثم قال على النَّسَق : ﴿ متاعاً لَكُمْ ولأَنْعَامِكُمْ ﴾ ، فجمع بين الشجر والماء والكلإ والماعونِ كلِّه ؛ لأنّ الملح لا يكون إلّا بالماء ، ولا تكون النّار إلّا من الشَّجَر .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ الذى جَعَلَ لكُمْ من الشجر الأَخْضرِ ناراً فإذا أنتُمْ منهُ تُوقِدُونَ ﴾ . وقال : ﴿ أفرَأيتمُ النّارَ التى تُورُونَ ۝ أأنتُمْ أنْشَأْتمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً ومَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ ﴾ . والمَرْخ والعَفَارُ [3] ، والسَّوَاسُ [4] والعراجين ، وجميعُ عيدان النارِ ، وكلُّ

---

(١) سبق هذا فى (٢ : ١٩٣) والحيوان (٥ : ٩٩) .

(٢) اليقطين ، بالفتح : كل شجر لا يقوم على ساق ، نحو الدباء ، والقرع والبطيخ ، والحنظل .

(٣) المرخ : شجر كثير الورى سريعه ، وهو من العضاه ينفرش ويطول فى السماء ، وليس له ورق ولا شوك . والعفار ، كسحاب : شجر مثله يتخذ منه الزناد ، وهو شجر خوار ، ولذلك جاد للزناد .

(٤) السواس ، كسحاب : شجر من العضاه يقتدح به . ل : « الشواس » تحريف .

١٠٥ عُودٍ يُقدح على طول الاحتكاك فهو غنىٌّ بنفسه ، بالغٌ لِلمُقْوِى وغير المقْوى (١) وحَجَر المَروْ يحتاج إلى قَرّاعة الحديد ، وهما يحتاجان إلى العُطْبة (٢) ، ثم إلى الحطب . والعِيدانُ هى القادحة ، وهى المُورِيةُ ، وهى الحطب .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ الذين هُمْ يُرَاءُونَ . ويَمْنَعُونَ الماعُونَ ﴾ .

والماعون : الماء والنار والملح (٣) والكلأ . وقال الأسدىّ (٤) :

وكأنّ أرحلَنا بِجَوٍّ مُحَصَّبٍ ... بِلوَى عُنَيزةَ مِن مَقيل التُّرْمُسِ (٥)
فى حيث خالطت الخُزامَى عرفجا ... يأتيك قابسُ أهلها لم يُقْبَسِ (٦)

وإنّما وصف خِصْبَ الوادى ولُدونةَ عِيدانه ، ورطوبةَ الورق . وهذا خلاف قول عمرو بن عَبْدِ هند (٧) :

فإنّ السِّنانَ يركب المرءُ حَدَّهُ ... من العار أو يعدو على الأَسدِ الوَرْدِ (٨)
وأنّ الذى ينهاكُمُ عن طِلابها ... يناغى نِساءَ الحيِّ فى طُرّةِ البُردِ (٩)
يُعَلَّلُ والأيّامُ تنقُص عمره ... كما تَنقُص النّيرانُ من طرَف الزَّنْدِ

* * *

(١) المقوى : المسافر ينزل بالأرض القى ، بكسر القاف ، وهى القفر .

(٢) العطبة : القطعة من العطب ، بضمتين وبضمة واحدة ، وهى القطن .

(٣) كلمة : « والملح » من ل ، هـ فقط .

(٤) وهذه النسبة أيضاً فى الحيوان (٣ : ١٢١) . لكن نسبه فى (٤ : ٤٦٥) إلى المرار بن منقذ .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « بأرض محصب » . وفى المخصص (١٠ : ١٣٣) : « بجو مخصب » والجو : ما انخفض من الأرض . وعُنَيْزة : موضع بين مكة والبصرة . والترمس : ماء لبنى أسد . وفى المخصص : « من مفيض الترمس » .

(٦) البيت فى المخصص (١٠ : ١٧٦ / ١١ : ٣٢) .

(٧) فى الحيوان (٣ : ٤٨ ، ٤٧٩) : « عمرو بن هند » وفى (٦ : ٥٠٢) : « عبد هند » . وفيما عدا ل هنا : « وهذا خلاف قوله » فقط .

(٨) من العار ، أى من خشية العار ، فالحر يذود عن حوضه بالسلاح ويقتحم الأخطار . والورد : ما لونه الوُردة ، وهى الحمرة الضاربة إلى الصفرة .

(٩) يناغى : يغازل . وطرة الثوب : شبه علمين يخاطان بجانبى البرد على حاشيته . وفى هامش هـ : « شَبَّهَ الأرض إذا اكتَسَتْ بالنور فى الخصب بطرة البرد » .

وذكر الله عزّ وجلّ النَّخلةَ فجعلها شجرة ، فقال : ﴿ أَصْلُها ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فى السَّماء ﴾ .

وذكر رسول الله ﷺ حُرمة الحَرَمِ فقال : « لا يُختلى خلاَها ، ولا يُعضَد شجرها » .

وقال الله عزّ وجل : ﴿ وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِين ﴾ .

وتقول العرب : ليس شئٌ أدفأ من شجرٍ ، ولا أظلَّ من شجَر [1] .

ولم يكلّم اللهُ موسى إلّا من شجرة ، وجعل أكبرَ آياته فى عصاه ، وهى من الشجر . ولم يمتحن الله جلّ وعزّ صبْر آدم وحوّاء ، وهما أصلُ هذا الخلقِ وأوّلُه ، إلّا بشجرة . ولذلك قال : ﴿ ولا تقَربا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وجعل بيعة الرِّضوان [2] تحت شجرة . وقال : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُور سَيْنَاءَ تَنْبُتَ بالدُّهْنِ وصِبْغٍ للآكِلِينَ ﴾ .

وسِدرة المنتهى التى عندها جنّة المأوى شجرةٌ .

وشجرةٌ سُرَّ تحتها سبعون نبيًّا لا تُعْبَل ولا تسرَف [3] .

وحين اجتهد إبليسُ فى الاحتيال لآدمَ وحوّاء صلى الله عليهما ، لم يصرف

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « شجرة » فى الموضعين .

(٢) كانت بيعة الرضوان فى السنة السادسة من الهجرة ، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا ، وكان رسوله إلى قريش عثمان بن عفان ، فاحتبسته قريش عندها ، وبلغ رسول الله أنه قد قتل ، فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا إلى البيعة وكانت تحت شجرة جلس رسول الله فى أصلها ، فبايعه الناس على الموت ، فلما علمت قريش بذلك أرسلوا فى طلب الهدنة فكان من ذلك صلح الحديبية . السيرة ٧٤٦ – ٧٥٢ . وكان الناس يأتون تلك الشجرة من بعد يصلون عندها فبلغ عمر فأمر بقطعها . تفسير أبى حيان (٨ : ٩٦) .

(٣) سر الصبى يسره : قطع سرره ، بالتحريك . وما بقى فهو السرة . لا تُعبَل ، أى لا يسقط ورقها . وسرفت الشجرة . أصابتها السرفة ، وهى دويبة تنسج على بعض الشجر وتأكل ورقه وتهلك ما بقى منه بذلك النسج . والحديث بتمامه فى اللسان (عبل ، سرف) : أن ابن عمر رضى الله عنه قال لرجل : إذا أتيت منى فانتهيت إلى موضع كذا وكذا فإن هناك سرحةً لم تعبل ولم تجرد ولم تسرف ، سُرَّ تحتها سبعون نبيا ، فانزلْ تحتها » .

الحيلة إلّا إلى الشّجرة ، وقال : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ . ١٠٦

وفيما يُضرب بالأمثال من العصىّ قالوا : قال جميل بن بَصْبَهَرِى (١) حين شكا إليه الدّهاقين (٢) شرَّ الحجّاج . قال : أخبرونى أين مولدُه ؟ قالوا : الحجاز . قال : ضعيف مُعجَب . قال : فمنشؤه ؟ قالوا : الشام . قال : ذلك شرٌّ . ثم قال : ما أحسن حَالَكم إن لم تُبْتَلَوا معه بكاتبٍ منكم ، يعنى من أهل بابل . فابتُلوا بزاذان فرُّوخَ الأعور (٣) . ثم ضَرب لهم مثلًا فقال : إنّ فأساً ليس فيها عودٌ ألقيت بين الشّجر (٤) ، فقال بعضُ الشّجر لبعض : ما أُلقيت هذهِ (٥) ها هنا لخير . قال : فقالت شجرةٌ عاديّة (٦) : إن لم يدخل فى است هذه (٥) عودٌ منكن فلا تخفْنَها .

وقال يزيد بن مفرِّغ (٧) :

---

(١) هذه الكلمة مهملة فى الأصل ، ونقطها وضبطها مما سبق فى (٢ : ٢٦٣) . ما عدا ل : « يصبهرى » . وضبطت فى هـ بتشديد الراء المفتوحة .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، بالكسر ، وهو زعيم فلاحى العجم ، فارسى معرب ، فارسيته « دهكان » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٣٥) .

(٤) الفأس مؤنثة . ما عدا ل : « ليس فيه عود ألقى بين الشجر » ، تحريف .

(٥) ما عدا ل : « هذا » تحريف .

(٦) عادية ، قديمة ، كأنها منسوبة إلى عاد .

(٧) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، من شعراء الدولة الأموية . لما ولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، استصحب يزيد فأبى عليه وآثر صحبة عباد بن زياد ، وكان من ذلك أيضاً منافسة بين عباد بن زياد وأخيه عبيد الله بن زياد ، ولكن عباداً لم يرق من بعد فى عينى يزيد فرأى أن يهاجره ، وكان ليزيد قينة تسمى الأراكة ، وغلام يدعى بردا ، فطلب إليه عباد أن يبيعه إياهما ، ثم ضربه حتى أخذهما منه ، فقال يزيد فى ذلك :

شريت برداً ولو ملكت صفقته	لما تطلبت فى بيع له رشدا
لولا الدعى ولولا ما تعرض لى	من الحوادث ما فارقته أبدا
يا برد ما مسَّنا برد أضر بنا	من قبل هذا ولا بعنا له ولدا
أما الأراك فكانت من محارفنا	عيشا لذيذا وكانت جنة رغدا

وقال أيضاً :

وشريت بردا ليتنى ... من بعد برد كنت هامه

وهو من قصيدة البيت التالى . الأغانى (١٧ : ٥١ – ٥٥) وأمالى الزجاجى ٤١ – ٤٣ .

العبدُ يُقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الملامه

وقال : أخذه من الفَلَتان الفَهميّ [(١)] ، حيث قال :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشاره

وقال مالك بن الرَّيب [(٢)] :

العبدُ يُقْرعُ بالعصا والحرُّ يكفيه الوعيدُ

وقال بشّار بن بُرد :

الحُرُّ يُلحَى والعَصَا للعبدِ وليس للمُلحِفِ مثلُ الردِّ

وقال آخر [(٣)] :

فاحتلتُ حين صَرَمْتِنِى والمرء يَعجِزُ لا المَحاله [(٤)]
والدَّهر يلعب بالفتى والدّهر أروغ من ثُعالَه [(٥)]
والمرءُ يَكسِبُ مالَه بالشُّحِّ يورثُه الكَلاله [(٦)]
والعبد يُقرع بالعصا والحُرُّ تكفيـه المقالـه

* * *

---

(١) كذا فى جميع النسخ ، وصوابه « الصلتان الفهمى » ، كما أسلفت فى تحقيق الحيوان (٥ : ٦٢) .

(٢) كان مالك بن الريب معاصرا ليزيد بن مفرغ ، وكان لصا يقطع الطريق مع شظاظ الضبى الذى يضرب به المثل ، فلما كان سعيد بن عثمان بن عفان فى طريقه إلى خراسان حين ولاه معاوية ، مر بمالك بن الريب فاستصحبه واستتابه وأجرى عليه خمسمائة دينار فى كل شهر ، فكان معه حتى قتل بخراسان . الخزانة (١ : ٣٢١) والأمالى (٣ : ١٣٥) .

(٣) هو أبو دُوَاد ، يعاتب امرأته فى سماحته بماله . اللسان (حول ١٩٧) . لكن البيت الأخير من هذه المقطوعة لم يروه ابن منظور ، بل روى الثلاثة الأولى فقط .

(٤) فى اللسان وما عدا ل : « حاولت » . والمحالة : الحيلة . ما عدا ل : « لا محالة » ، تحريف يفسد معه المعنى .

(٥) ثعالة : علم جنس للثعلب . وهو معروف بالمراوغة .

(٦) الكلالة هم من الأقارب ما خلا الوالد والولد ، سموا كلالة لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب .

١٠٧ وممّا يدخل فى باب الانتفاع بالعصا أنّ عامر بن الظَّرِب العَدْوانىّ (١) حكَمَ العربَ فى الجاهليّة ، لما أسنّ واعتراه النّسيان ، أمر ابنتَه أن تقرَع بالعصا إذا هو فَهَّ عن الحكم (٢) ، وجارَ عن القصد ، وكانت من حكيمات بناتِ العرب حتى جاوزت فى ذلك مقدار صُحْرَ بنت لقمان (٣) ، وهندِ بنت الخُسّ ، وجُمعة بنت حابس بن مُلَيل الإياديِّين (٤) .

وكان يقال لعامرٍ : ذو الحلم ، ولذلك قال الحارث بن وعلة (٥) :

وزعَمتمُ أنْ لا حلومَ لنا إنّ العصا قُرِعت لذى الحِلمِ

وقال المتلمِّس فى ذلك (٦) :

لِذِى الحلم قبل اليوم ما تُقْرَع العصا وما عُلِّم الإنسان إلا ليعلما

وقال الفرزدق بن غالب :

---

(١) ترجم فى (١ : ٢٦٤) . والخبر إلى كلمة « من القتل » فى الأغانى (٢ : ١٣٤) .

(٢) فه عن الشىء يفَهُّ فَهًا : نسيه .

(٣) صحر ، بضم الصاد وسكون الحاء ، كما فى القاموس (صحر) . وفى الأصول : « صخرة » تحريف . وفى هـ : « صحرة » . ومما يسجل أنها « صحر » قول خفاف بن ندبة :

وعياش يدب لى المنايا وما أذنبت إلا ذنب صحر

وكذا قول عروة بن أذينة ، وقد روى البيتان فى الحيوان (١ : ٢٢) :

أتجمع تهياما بليلى إذا نأت وهجرانها ظلماً كما ظلمت صحر

(٤) هذا بالنظر إلى أبويهما ، وإلا فهما إياديتان .

(٥) هو الحارث بن وعلة بن عبد الله الجرمى ، كان هو وأبوه وعلة من فرسان قضاعة وأنجادها وشعرائها ، وشهد أبوه يوم الكلاب الثانى فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المنقرى . الأغانى (١٩ : ١٤١ - ١٤٢) .

(٦) كلمة « فى ذلك » من ل ، هـ . والمتلمس : أحد شعراء الجاهلية ، وهو خال طرفة بن العبد ، وكان ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة ، فلما هجراه حاول الانتقام منهما كما تروى الأساطير ، فكتب لهما كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما ، وأوهمهما أنه أمر لهما بصلة ، حتى إذا كانا ببعض الطريق عرف المتلمس ما فى الصحيفة فقذف بها فى نهر الحيرة ، وذهب طرفة إلى العامل فقتل هناك . الأغانى (٢١ : ١٢٠) ، والخزانة (٣ : ٧٣) ومعاهد التنصيص (١ : ١٠) وسرح العيون ٢٧ .

فإن كنتُ أستأنِى حلومَ مُجَاشِعٍ　　فإنّ العصا كانت لذى الحلم تقرعُ [١]

ومن ذلك حديثُ سَعْد بن مالك [٢] بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، واعتزامُ الملك على قتل أخيه [٣] إن هو لم يُصِب ضَميره ، فقال له سعد : أبيتَ اللعن أتدعُنى حتَّى أقرعَ بهذه العصا أختَها ؟ فقال له الملك : وما عِلْمُه بما تقول العصا ؟ فقرع بها مرّةً وأشار بها مرةً ، ثمّ رفعها ثم وضعها ، ففهِم المعنى فأخبره ونجا من القتل .

وذِكْر العصا يجرى عندهم فى معانٍ كثيرة . تقول العرب : « العصا من العُصَيَّة [٤] ، والأفعى بنت حيَّة » ، تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير .

ويقال : « طارت عصا فلانٍ شِقَقاً » . وقال الأسدىّ :

عِصِىُّ الشَّمل من أسَدٍ أُراها　　قد انصدعت كما انصدع الزجاجُ

ويقال : « فلانٌ شقَّ عصا المسلمين » ، ولا يقال شق ثوباً ولا غير ذلك مما

---

(١) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٥٠٣ يعتب فيها على قومه . والرواية فيه : « وإن أعف استبقى » . أستأنى : أنتظر وأتربص ولا أتعجل . ما عدا ل ، هـ : « أنسانى حلوم مجاشع » تحريف .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « سعيد بن مالك » تحريف . وسعد هذا والد جد طرفه بن العبد بن سفيان ابن سعد بن مالك ، أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها فى الجاهلية وشعرائها . المؤتلف ١٣٥ . وهو صاحب المقطوعة الحماسية التى أولها :

يا بؤس للحرب التى　　وضعت أراهط فاستراحوا

وانظر ما سبق فى ص ١٩ .

(٣) أخوه هذا هو عمرو بن مالك . وكان النعمان قد أرسله رائداً للكلأ فأبطأ عليه فأغضبه ذلك فأقسم إن جاء حامدا أو ذاما ليقتلنّه ، فاحتال أخوه سعد فى إنقاذه بقرع العصا ، فى قصة مسهبة يرويها أبو الفرج فى الأغانى (٢١ : ١٢٤) .

(٤) يعنون أن الشىء الجليل إنما يكون فى بدئه صغيراً ، وذلك كما يقولون : « القرم من الأفيل » وقيل إن « العصية » فرس ، هى أم « العصا » فرس جذيمة .

يقع عليه اسم الشق . وقال العتّابى [١] فى مديح بعض الخلفاء [٢] : ١٠٨

إمامٌ له كفٌّ يضم بنانها عصا الدّينِ ممنوعاً من البرْيِ عودُها
وعينٌ محيطٌ بالبرّية طرفُها سَوَاءٌ عليه قُرْبُها وبَعيدُها

وقال مُضَرِّس الأسدى [٣] :

فألقت عصا التّسيار عنها وخيّمَتْ بأرجاء عذب الماء بيض محافره

وقال أيضاً [٤] :

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

ويقال لبنى أسد : « عبيد العصا » يُعنَى أنهم كانوا ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء . وقال بشر بن أبى خازم [٥] :

عَبيد العصا لم يتّقوك بذِمّةٍ سوى سَيب سُعْدَى إنّ سيبَك واسعُ [٦]

وتسمّى العربُ كلَّ صغيرِ الرّأس : « رأسَ العصا » .

---

(١) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، المترجم فى (١ : ٢٣١) .

(٢) هو الخليفة هارون الرشيد ، كما فى معجم المرزُبانى ٣٥٢ . وبعد البيتين :

وأصمع يقظان يَبيت مناجياً له فى الحشا مستودعات يكيدها
وسمع إذا ناداه من قعر كربة مناد كفته دعوة لا يعيدها

(٣) هو مضرس بن ربعى بن لقيط الأسدى ، شاعر محسن متمكن ، كان معاصراً للفرزدق . المؤتلف ١٩١ ومعجم المرزبانى ٣٩٠ . والبيت فى اللسان (عصا) بدون نسبة .

(٤) لمعقر بن حمار ، أو عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى . اللسان (عصا) .

(٥) يقوله لأوس بن حارثة . وكان بشر قد حُمل حملا على هجاء أوس ، وجعلت له فى ذلك جعالة ، فهجاه بقصائد خمس ، ثم وقع بشر فى الأسر وظفر به أوس بعد أن أعطى من أسروه مائتى بعير ، وأوقد له ناراً ليحرقه ، فبلغ ذلك أم أوس – وهى سعدى بنت حصن – فأنذرته أن يخلى سبيله ويصفح عنه خوف الهجاء ، فعفا عنه وكساه وحمله وأمر له بمائة ناقة ، فكان ذلك سبباً فى أن يغسل بشر هجاء أوس بخمس قصائد فى مدحه . انظر مختارات ابن الشجرى ٦٥ – ٨٣ . والبيت التالى من أبيات المديح ، وهى كذلك فى هجو بنى أسد . وبنو أسد هم قوم بشر بن أبى خازم الأسدى ، فكأنه يتقرب إلى أوس بهجائه عشيرته وقومه .

(٦) سعدى ، بنت حصن ، وهى أم أوس . والسيب : العطاء والعرف والنافلة . ورواية ثمار القلوب ٥٠٤ : « سوى أنهم بخل وفضلك واسع » . وانظر الحيوان (٥ : ٢٩٣) .

وكان عمرُ بن هُبَيرة [١] صغيرَ الرّأس ، فقال سُويد بن الحارث [٢] .

مَن مُبلغٌ رأسَ العصا أنَّ بيننا ضغائنَ لا تُنْسَى وإن قدُم الدّهرُ

وقال آخر :

فمن مبلغ رأس العصا أنّ بيننا ضغائنَ لا تنسى وإن قيل سُلَّتِ
رضيتَ لقيسٍ بالقليل ولم تكن أخا راضياً لو أنّ نعلَك زَلّتِ [٣]

وكان والبة صغير الرأس [٤] ، فقال أبو العتاهية فى رأس والبة ورءوس قومه :

رءوس عِصِيٍ كُنَّ من عُودِ أثلةٍ لها قادحٌ يَبرِى وآخر مُخْرِبُ [٥]

* * *

والدليل على أنهم كانوا يتَّخذون المخاصرَ فى مجالسهم كما يتخذون القنا والقِسيَّ فى المحافل ، قولُ الشاعر فى بعض الخلفاء [٦] :

١٠٩ فى كفّه خيزُرانٌ ريحهُ عبِقٌ من كَفِّ أروعَ فى عرنينه شَمَمُ [٧]

---

(١) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى بن فزارة ، ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين ، وكان يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق مخاطباً يزيد :

أولَّيتَ العراق ورافديه فزاريا أحذ يدِ القميص
تفنق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

وأولاده : يزيد ، وسفيان ، وعبد الواحد . المعارف ١٨٩ .

(٢) كلمة « بن الحارث » من ل ، هـ .

(٣) يقول : لو زلت نعلك لوجدت من قيس من العون ما لا ترضى لهم معه إلا الكثير .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « حقير الرأس » . ووالبة هذا هو والبة بن الحباب الأسدى ، من شعراء الدولة العباسية ، وهو أستاذ أبى نواس . وكان شاعراً ظريفا غزلا ، وصافا للشراب والغلمان . وقد هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئا وفضحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب وخمل ذكره بعد . الأغانى (١٦ : ١٤٢) .

(٥) القادح : أكال يقع فى الشجر والأسنان . ما عدا ل : « يفرى » . مخرب ، من الإخراب . ما عدا ل : « مجرب » تحريف .

(٦) انظر ما سبق من التحقيق فى (١ : ٣٧٠) .

(٧) فى (١ : ٣٧٠) : « بكف أروع » وفى الحيوان (٣ : ١٣٣) : « فى كف أروع » .

يُغْضِى حياءً ويغضَى من جلالته   فما يُكلّمُ إلّا حين يَبتَسِمُ

وقال الآخر :

مجالسهم خَفْضَ الحديثِ وقولهم   إذا ما قضَوْا فى الأمر وحْىُ المخاصرِ

وقال الآخر :

يُصيبون فَصل القول فى كلِّ خطبة   إذا وصلوا أيمانَهم بالمخاصر (١)

* * *

وحدَّثنى بعضُ أصحابنا قال : كنّا منقطِعِينَ إلى رجلٍ من كبار أهل العسكر ، وكان لُبْثنا يطولُ عنده ، فقال له بعضُنا : إن رأيتَ أن تجعلَ لنا أَمارةً إذا ظهرَتْ لنا خفّفْنا عنك (٢) ولم نُتعِبك بالقُعود ، فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية مثلَ الذى قُلنا لك فقال : أمارةُ ذلك أنْ أقول : إذا شئتم . وقيل ليزيدَ مثلُ ذلك فقال : إذا قلتُ على بركة الله . وقيل لعبد الملك مثلُ ذلك فقال : إذا ألقيت الخيزرانة من يدى . فأىَّ شئٍ تجعلُ لنا أصلحَكَ الله ؟ قال : إذا قلتُ : يا غلامُ الغَدَاء .

وفى الحديث : أنْ رجلًا ألحّ على النبى ﷺ فى طلب بعض المَغْنم وفى يده مخصرةٌ ، فدفعه بها ، فقال يارسول الله : أَقِصّنى . فلما كشف النبى له عن بطنه احتضنه فقبّل بطنه .

وفى تثبيت شأنِ العصا وتعظيم أمرها ، والطّعنِ على مَن ذمَّ حامِلَها ؛ قالوا : كانت لعبد الله بن مسعود عشرُ خصال : أوّلها السِّواد ، وهو سِرار النبى ﷺ . فقال له النبى : « إذْنُك علىّ أن يُرفع الحجاب ، وتسمع سِوَادى » . وكان معه مسواكُ النبى ﷺ ، وكانت معه عصاه .

---

(١) البيت ملفق من صدر وعجز لبيتين ، سلفا لصفوان الأنصارى (١ : ٢٦ ، ٢٥ س ٩ ، ١٢) .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « حفظنا » مع إسقاط الكلمة بعدها . وكلمة « عنك » من ل .

قال : ودخل عُمَير بن سعد [١] على عمر بن الخطاب ، حينَ رجع إليه من عمل حمص ، وليس معه إلّا جرابٌ وإداوَة وقَصعةٌ وعصاً [٢] ، فقال له عمر : ما الذى أرى بك ، من سوء الحال أو تصنُّع ؟ قال : وما الذى ترى بى [٣] ، ألستُ صحيحَ البدَن ، معى الدُّنيا بحذافيرها ؟ قال : وما معَك من
الدنيا . قال : معى جرابى أحمل فيه زادى ، ومعى قَصعتى أغسل فيها ثوبى ، ١١٠
ومعى إداوتى أحمل فيها مائى لشرابى ، ومعى عصاى إنْ لقيتُ عدواً قاتلتُه ، وإن لقيت حيّة قتلتُها ، وما بقى من الدنيا فهو تبعٌ لما معى [٤] .

وقال الهيثم بنُ عدىّ ، عن شرقىّ بن القُطَامىّ وسأله سائلٌ عن قول الشاعر :

لا تَعدِلنَّ أتاويِّين تضربُهم ... نكباءُ صِرٌّ بأصحاب المُحِلّاتِ [٥]

قال : والمُحِلّات : الدلو ، والمِقدحَةُ ، والقِربة ، والفأس . قال : فأين أنت عن العصا ؟ والصُّفْن خير من الدَّلو وأجمعُ [٦] .

---

(١) ما عدا ل : هـ : « عمر بن سعد » ، تحريف . وهو عمير بن سعيد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن عوف . وكان عمر بن الخطاب يسميه « نسيج وحده » لإعجابه به . شهد فتوح الشام ، واستعمله عمر على حمص إلى أن مات ، وكان من الزهاد العُبّاد . الإصابة ٦٩٣١ وصفة الصفوة (١ : ٢٩١ – ٢٩٣) .

(٢) التيمورية : « وعصاه » بالإضافة . ب ، جـ : « وعصاة » تحريف .

(٣) ما عدا ل : « ترانى » تحريف .

(٤) الخبر بتفصيل فى صفة الصفوة (١ : ٢٩١ – ٢٩٢) .

(٥) الأتاوى ، بفتح الهمزة : الغريب فى غير وطنه . والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع وقعت بين ريحين ، وهى تهلك المال وتحبس القطر . والصر : الشديدة البرد . والمحلات كما فى المخصص (١٣ : ٢٢٥) هى القدر ، والرحى ، والدلو ، والشفرة ، والفأس . وفى الحيوان (٥ : ٩٧) أنها القداحة والقربة والمسحاة . وقد نقص الجاحظ عن البيان هنا : الدلو . وفى اللسان (حلل) أنها القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند . وانظر اللسان (حلل ، أتو) ، والمقاييس (١ : ٥٢) ، ومحاضرات الراغب (٢ : ١٦١) .

(٦) الصفن ، بضم الصاد وفتحها : وعاء من أدم كالسفرة لأهل البادية يجعلون فيها زادهم ، وربما استقوا به الماء كالدلو .

وقال النَّمر بن تولب :

أفرغتُ فى حَوضها صُفْنى لتشربَه ... فى داثرٍ خَلَقِ الأعضادِ أهدَامِ (١)

* * *

وأما العصا فلو شئتُ أن أشغلَ مجلسى كله بخصالها لفعلت .

وتقول العرب فى مديح الرجل الجَلْد ، الذى لا يُفتات عليه بالرأى : « ذلك الفحلُ لا يُقرَع أنفه (٢) ». وهذا كلام يقال للخاطب إذا كان على هذه الصِّفة ، لأنّ الفحل اللئيم إذا أراد الضِّراب ضربوا أنفَه بالعصا .

وقد قال أبو سُفيانَ بنُ حرب بن أميَّة ، عندما بلغه من تزوُّج النبى ﷺ بأمّ حَبيبة (٣) ، وقيل له : مثلك تُنكَح نساؤه بغير إذنه ؟! فقال : « ذلك الفحلُ لا يُقرع أنفه » .

والحمار الفارِه يفسده السَّوط (٤) وتصلحه المِقرعة . وأنشد لسَلامة بن جندل :

---

(١) يروى نظيره ، وكأنه هو ، لأبى دواد فى اللسان (صفن) :

هرقت فى حوضه صفنا ليشربه ... فى داثر خلق الأعضاد أهدام

(٢) يقرع ، بالراء ، أى يضرب ، ويروى بالدال أيضا ، بمعناه . انظر اللسان (قدع ، قرع) حيث أورد قول ورقة بن نوفل : « محمد يخطب خديجة ، هو الفحل لا يقدع أنفه » ، و « لا يقرع أنفه » .

(٣) هى أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، القرشية الأموية ، زوج رسول الله واسمها « رملة » . ويروون أن الذى عقد عليها لرسول الله هو النجاشى ، بعد أن خطب خطبة قال فيها : « أما بعد فإن رسول الله ﷺ كتب إلىّ أن أزوِّجه أم حبيبة ، فأجبت ، وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار » ، ثم سكب الدنانير ، فخطب خالد بن الوليد فقال : « قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وزوجته أم حبيبة » . وقبض الدنانير ، وعمل لهم النجاشى طعاما . وقيل أن الذى عقد عليها لرسول الله هو عثمان بن عفان . وكان ذلك قبل إسلام أبيها وبغير إذنه . الإصابة ٤٣٢ من قسم النساء .

(٤) فى جميع الأصول : « الصوت » .

إنّا إذا ما أتانا صارخ فزِعٌ كان الصُّراخُ له قرعَ الظَّنابيب (١)

وقال الحجاج : « والله لأعصِبَنَّكم عصْبَ السَّلَمة ، ولأضربنَّكم ضرب غرائب الإبل (٢) . وذلك أن الأشجار تُعْصَبُ أغصانُها ، ثم تخبط بالعصيّ لسقوط الورق وهَشيمِ العِيدان .

ودخل أبو مِجْلز (٣) على قتيبة (٤) بخراسان ، وهو يضرب رجالًا بالعصيّ فقال : أيُّها الأمير ، إنّ الله قد جعل لكل شيءٍ قدْرا ، ووقّت فيه وقتا ، فالعصا ١١١
للأنعام والبهائمِ العظام (٥) ، والسَّوط للحدود والتعزير ، والدِّرَّة للأدب (٦) ، والسَّيف لقتال العدوّ والقَوَد .

ثم قال الشَّرْقيّ : ولكن دعْنا من هذا ؛ خرجتُ من الموصل وأنا أريد الرَّقَّة مستخفيا ، وأنا شابٌّ خفيف الحاذِ (٧) ، فصحبنى من أهل الجزيرة فتًى ما رأيتُ بعده مثلَه (٨) ، فذكر أنه تغلبى (٩) ، من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مِزْود وركوة وعصاً (١٠) ، فرأيتُه لا يفارقها ، وطالت ملازمتُه لها ، فكدت من الغيظ أرمى بها فى بعض الأودية ، فكنّا نمشى فإذا أصبنا دوابَّ ركبناها ، وإن لم نُصب

---

(١) رواية الديوان ١١ و المفضليات (١ : ١٢٢) : « كنا إذا » . والصارخ : المستغيث ، والصراخ : الإغاثة . والظنبوب : حرف عظم الساق ، يقال : قد قرع ظنبوبه لهذا الأمر ، أى عزم عليه .

(٢) هذا الكلام من خطبة سبقت فى الجزء الثانى ص ٣٩٧ — ٣١٠ .

(٣) أبو مجلز : لاحق بن حميد ، المترجم فى (٢ : ٤٣) .

(٤) هو قتيبة بن مسلم ، ترجم فى (٢ : ٤٢) .

(٥) هذه الكلمة من ل ، هـ .

(٦) فى المصباح : « والدرة : السوط » . وفى اللسان:« الدرة درة السلطان التى يضرب بها » ، فجعلها خاصة بالسلطان .

(٧) خفيف الحاذ : قليل المال والعيال ، كما يقال خفيف الظهر . اللسان (حوذ) . والحاذ : لحمة فى ظاهر الفخذ . ما عدا ل : « خفيف الحال » .

(٨) المألوف : « مارأيت قبله ولا بعده مثله » .

(٩) النسبة إلى تغلب ، بكسر اللام : تغلبى بفتحها ؛ وربما قالوه بالكسر .

(١٠) الركوة ، مثلثة الراء ، كما فى القاموس : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

الدوابَّ مشيَنا ، فقلت له فى شأن عصاه ، فقال لى : إنّ موسى بن عمران ﷺ حين آنس من جانب الطُّور ناراً ، وأراد الاقتباسَ لأهله منها ، لم يأتِ النارَ فى مقدار تلك المسافة القليلة إلا ومعه عصاه ، فلما صار بالوادى المقدَّس من البقعة المباركة قيل له : ألق عصاك ، واخلَعْ نعليك . فرمى بنعليه راغباً عنهما ، حين نزّه الله ذلك الموضِع عن الجِلد غير الذَّكىّ ، وجعل الله جِمَاعَ أمره من أعاجيبه وبرهاناته فى عصاه ، ثم كلمه من جوف شجرةٍ ولم يكلّمه من جوف إنسان ولا جانّ .

قال الشَّرْقىّ : إنه ليُكثر من ذلك وإنى لأضحك متهاوناً بما يقول ، فلما برزْنا على حمارَينا تخلَّف المُكَارى فكان حمارُه يمشى ، فإذا تلكّأ أكرهَه بالعصا ، وكان حمارى لا ينساق ، وعلم أنه ليس فى يدى شئٌ يُكرهه ، فسبقنى الفتى إلى المنزل فاستراح وأراح ، ولم أقدر على البَراح ، حتَّى وافانى المُكارى ، فقلت : هذه واحدة .

فلمّا أردْنا الخروجَ من الغدِ لم نقدْر على شئٍ نركبُه ، فكنّا نمشى ، فإذا أعيا توكأ على العصا . وربما أحضَرَ (١) ووضع طرف العصا على وجه الأرض فاعتمد عليها ومَرَّ كأنه سهم زالج (٢) ، حتى انتهينا إلى المنزل وقد تفسَّخْتُ من الكلال ، وإذا فيه فضل كثير (٣) ، فقلت : هذه ثانية (٤) . ١١٢

فلمّا كان فى اليوم الثالث ، ونحن نمشى فى أرض ذات أخاقيقَ وصُدوع (٥) ، إذْ هجمنا على حيَّةٍ منكَرة فساورتْنا ، فلم تكن عندى حيلةٌ إلا خِذلانَه وإسلامَه

---

(١) الإحضار : ضرب من العدو . ما عدا ل ، هـ : « أحفر » تحريف .

(٢) الزالج : الذى إذا رماه الرامى فقصر عن الهدف وأصاب صخرة استقل من إصابة الصخرة فقوى وارتفع . ما عدا ل ، هـ : « سهم وألج » تحريف .

(٣) ما عدا ل : « كبير » بالباء .

(٤) ل : « اثنتان » .

(٥) الأخاقيق : الشقوق ، واحدها أُخقوق .

إليها ، والهربَ منها ، فضربها بالعصا فثقلت ، فلمّا بَهَشَت له (١) ورفعت صدرَها ضربَها حتّى وقذَها (٢) ، ثمّ ضربها حتّى قتلها ، فقلت : هذه ثالثةٌ ، وهى أعظمهنّ .

فلمّا خرجنا فى اليوم الرابع ، وقد واللهِ قَرِمْت إلى اللّحم (٣) وأنا هاربٌ مُعْدِم ، إذا أرنبٌ قد اعترضَتْ ، فحذفها بالعصا ، فما شَعرتُ إلّا وهى معلّقة وأدركنا ذكاتَها (٤) ، فقلت : هذه رابعة .

وأقبلتُ عليه فقلت : لو أنّ عندنا ناراً لما أخّرتُ أكلَها إلى المنزل . قال : فإنّ عندك نارا ! فأخرج عُوَيداً من مِزْوِدِه ، ثمّ حكّه بالعصا فأورَتْ إيراءَ المَرْخ والعَفَارُ عنده لا شئ (٥) ، ثم جَمَع ما قدَر عليه من الغُثاء والحشيش فأوقد نارَه وألقى الأرنبَ فى جوفها ، فأخرجناها وقد لزِق بها من الرّماد والتُّراب ما بغّضَها إلىّ ، فعلَّقَها بيده اليُسرى ثم ضرب بالعصا على جُنوبها وأعْراضها ضرباً رقيقاً ، حتّى انتثر كلُّ شئ عليها ، فأكلناها وسكن القَرَم ، وطابت النَّفس ، فقلت : هذه خامسة .

ثمّ إنّا نزلْنا بعضَ الخانات (٦) ، وإذ البيوتُ مِلاءٌ روثاً وتُراباً ، ونزلنا بعَقِب جُنْدٍ وخَرابٍ متقدّم ، فلم نجدْ موضعاً نَظلُّ فيه ، فنظر إلى حديدةِ مِسحاةٍ مطروحةٍ فى الدّار (٧) ، فأخذَها فجعل العصا نِصَاباً لها ، ثمّ قام فجرفَ جميعَ ذلك

---

(١) بهشت له : أقبلت إليه تريده .

(٢) الوقذ : شدة الضرب .

(٣) قرم إلى اللحم : اشتدت شهوته له .

(٤) الذكاة : الذبح ، أى كان بها بقية من حياة فذبحناها .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٣٣ .

(٦) الخانات : جمع خان ، وهو الحانوت أو الفندق الذى ينزل به التجار : ولفظه فارسى . أدى شير ٥١ .وقال : « وهو موجود فى جميع اللغات الشرقية الدارجة » .

(٧) المسحاة : مجرفة من حديد .

التُّرابِ والرَّوث ، وجرَدَ الأرضَ بها جرْدا ، حتَّى ظهر بياضُها ، وطابت ريحُها فقلت : هذه سادسة .

وعلى أىِّ حالٍ لم تَطِبْ نفسى أن أضعَ طعامى وثيابى على الأرض ، فنَزَع والله العصا من حديدة المِسحاة فوتَّدها فى الحائط ، وعلَّقَ ثيابى عليها ، فقلت : هذه سابعة .

فلما صرتُ إلى مَفْرِق الطُّرق ، وأردتُ مفارقته ، قال لى : لو عَدَلت فبتَّ عندى كنتَ قد قضيتَ حقَّ الصُّحبة ، والمنزلُ قريب . فعدلتُ معه فأدخلَنى فى مَنزلٍ يتَّصل ببيعة (١) . قال : فما زال يحدِّثنى ويُطْرِفنى ويُلْطِفنى اللّيلَ كلَّه ، فلما ١١٣
كان السَّحرُ أخذ خُشَيْبة (٢) ثم أخرجَ تلك العصا بعينها فقرعَها بها ، فإذا ناقوسٌ ليس فى الدنيا مثلُه ، وإذا هو أحذَقُ النّاس بضرْبه ، فقلت له : ويلَك ، أمَا أنت مسلم ، وأنت رجلٌ من العرب من ولد عَمرو بن كلثوم ؟ قال : بلى . قلت : فلِمَ تضربُ بالناقوس ؟ قال : جُعلتُ فِداك ! إنَّ أبى نصرانىّ ، وهو صاحب البِيعة ، وهو شيخٌ ضعيف ، فإذا شَهِدتهُ (٣) بَرَرته بالكفاية .

فإذا هو شيطانٌ مارد ، وإذا أظرفُ النّاس كلِّهم وأكثرُهم أدباً وطلبا ، فخبَّرته بالذى أحصيتُ من خِصالِ العصا ، بعد أن كنتُ هممتُ أن أرمَى بها ، فقال : والله لو حدّثُتك عن مناقب نفع العصا إلى الصبح لما استنفَدْتُها .

* * *

---

(١) البيعة بالكسر ، كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) ما عدا ل : « خشبة » .

(٣) ل : « شهدت » .

ومن جـــمل القول فى العصا وما يجوز فيها
من المنافع والمرافق

تفسير شعر غَنيّةَ الأعرابية ، فى شأن ابنها [١] :

وذلك أنّه كان لها ابنٌ شديد العَرامة [٢] ، كثير التفلت إلى النّاس ، مع ضعف أَسْرٍ ودقّة عظْم ، فواثب مرّةً فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفَه ، فأخذَتْ غنيّةُ ديةَ أنفه فحسُنت حالُها بعد فقرٍ مُدْقِع . ثم واثب آخرَ فقطع أذنَه فأخذت الدِّيةَ ، فزادت ديةُ أذنه فى المال وحُسْن الحال . ثمّ واثَبَ بعد ذلك آخرَ فقطع شَفَته فأخذَتْ ديةَ شفتِه . فلمّا رأت ما قد صار عندها من الإبل والغَنَم والمتاع والكسب بجوارح ابنِها حَسُن رأيها فيه ، فذكرته فى أرجوزة لها تقول فيها :

أحلفُ بالمروة يوماً والصَّفا   أنّكَ خيرٌ من تفاريق العصا

فقيل لابن الأعرابىّ [٣] : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطّع ساجوراً [٤] ،
١١٤ وتقطّع عصا السّاجُور فَتصير أوتاداً ، ويفرَّق الوتِد فيصير كلُّ قطعةٍ شِظاظا [٥] فإذا كان [٦] رأس الشِّظاظ كالفُلْكة صار للبُخْتىّ مِهاراً ، وهو العود الذى يُدخَل فى أنف البُخْتىّ ، وإذا فُرِّق المِهارُ جاءت منه تَوادٍ [٧] . والسَّواجير

(١) انظر أمثال الميدانى فى : (إنك خير من تفاريق العصا) ، حيث أورد الشعر وتفسيره .
(٢) العرامة : الشراسة والشدة .
(٣) فى أمثال الميدانى : « فقيل لأعرابى » .
(٤) الساجور : الخشبة التى توضع فى عنق الكلب .
(٥) الشظاظ ، بالكسر : العود الذى يدخل فى عروة الجوالق .
(٦) ما عدا ل : « فإن كان » . وفى الميدانى : « فإن جعل لرأس الشظاظ » .
(٧) التوادى : جمع تودية كتورية ، وهى خشبات تصر بها أخلاف الناقة لئلا يرضعها الفصيل .

تكون للكلاب والأسرى من النّاس . وقال النبى ﷺ : « يؤتى بناسٍ من ها هنا يقادون إلى حُظوظهم بالسَّواجير [١] » . وإذا كانت قناةً فكلُّ شِقّة منها قوسُ بندُق [٢] ، فإنْ فُرِّقت الشُّقّة صارت سهاماً ، فإنْ فرِّقت السّهامُ صارت حِظاءً ، وهى سهامٌ صغار . قال الطرِمّاح :

* أكلبٌ كحِظاء الغلامْ [٣] *

والواحدة حَظْوة وسَرْوة ، فإن فُرِّقت الحظاء صارت مَغازل ، فإنْ فرِّق المِغزل شعَبَ به الشَّعّاب أقداحَه المصدوعة ، وقِصاعهُ المشقوقة [٤] . على أنّه لا يجدُ لها أصلح منها . وقال الشّاعر :

نوافذُ أطرافِ القَنا قد شكَكْنَه ... كشكِّكَ بالشَّعبِ الإناءَ المثلَّما

فإذا كانت العصا صحيحةً ففيها من المنافع الكِبار والمرافق الأوساط والصِّغار مالا يُحصيه أحد [٥] ، وإن فُرِّقت ففيها مثلُ الذى ذكرنا وأكثر . فأىُّ شىءٍ يبلغُ فى المرفق والرِّدِّ مبلغَ العصا [٦] .

وفى قول موسى : ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ دليلٌ على كثرة المرافق فيها ؛ لأنه لم يقل : ولى فيها مأرُبة أخرى ، والمآرب كثيرة . فالذى ذكرنا قبل هذا داخلٌ فى تلك المآرب .

ولا نعرف شعراً يشبه معنَى شعرِ غَنيّةَ بعينه لا يغادِر منه شيئا . ولكنْ زعَمَ بعضُ أصحابنا أنّ أعرابيَّين ظريفيين من شياطينِ الأعراب حطَمَتهما السّنة ،

---

(١) انظر ما سبق فى الحيوان (١ : ٣٨ س ٧) وما سيأتى ص ٦٣ .

(٢) البندق ، ذلك الذى يرمى به ، كأنه شُبِّهَ بحمل شجرة الجلوز .

(٣) البيت بتمامه كما فى ديوان الطرماح ١٠٥ :

بينا ذلك هاجت به ... أكلب مثل حظاء الغلام

(٤) كلمة « وقصاعه » من ل ، هـ وأمثال الميدانى .

(٥) ل : « ما لا تحصيه » .

(٦) المرفق : كمنبر ومجلس ومكتب : مااستعين به . والرد بمعنى الفائدة والمنفعة ، ولم ينص عليها فى المعاجم . انظر الحيوان (٤ : ٤٧٣) .

١١٥ فانحدرا إلى العراق ، واسم أحدهما حَيدَان ، فبيناهما يتماشيان فى السُّوق إذا فارسٌ قد أوطأ دابّته رِجلَ حيدَان فقطع إصبعاً من أصابعه ، فتعلَّقا به حتَّى أخذا منه أرْش الإصبع (١) ، وكانا جائعين مقرورين ، فحين صار المال فى أيديهما قصَدا لبعض الكرابج (٢) فابتاعا من الطعام ما اشتهيا ، فلمّا أكل صاحبُ حيدَان وشبع أنشأ يقول :

فلا غَرثٌ ماكان فى النَّاس كُربُجٌ وما بقيت فى رِجل حَيدَانَ إصبعُ

وهذا الشِّعر وشعرُ غنيّةَ من الظَّرف الناصِع الذى سمعتَ به ، وظَرف الأعراب لا يقوم له شئ .

وناس كثير لا يستعملون فى قتالهم إلا العصىّ ، منهم الزنج : قنبلة ولنجويَه (٣) والنَّمل والكلاب (٤) ، وتكفو وتنبو (٥) . على ذلك يعتمدون فى حروبهم .

ومنهم النَّبَط ، ولهم بها ثقافةٌ وشدّة وغلبة ، وأثقف ما تكون الأكراد إذا قاتلتْ بالعصى . وقتالُ الخارَجات (٦) كلُّها بالعصىّ ، ولهم هناك ثقافة ومنظرٌ حسن ، ولقتالهم منزلةٌ بين السَّلامة والعطَب .

والناس يضربون المثل بقتال البقّار بقناته (٧) . ويقال فى المثل : « ما هو

---

(١) الأرش : دية الجراحات كالشجة ونحوها .

(٢) الكرابج : جمع كربج ، بضم الكاف والباء ، وبضمها وفتح الباء ، معرب من الفارسى : « قربق » بمعنى الحانوت . لسان العرب والقاموس والمعرب ٢٩٢ .

(٣) قنبلة ولنجويه هما أصلا الزنج . وفى رسائل الجاحظ ٧٣ ساسى : « لأن الزنج ضربان : قنبلة ولنجويه ، كما أن العرب ضربان قحطان وعدنان » . ل ، هـ : « قبيلة لنجويه » وما عداهما « قبيلة كنجوية » صوابهما ما أثبت من رسائل الجاحظ .

(٤) فى الحيوان : (٤ : ٣٥) : « والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب ، وأحدهما تكبو والآخر تنبو . فالكلاب تكبو والنمل تنبو » . وفى هـ : « وتِكفو وزينو » .

(٥) ما عدا ل : « ثبتوا » . واللفظان يعبران عن النمل والكلاب فى لغة الزنج ؛ كما يفهم من الحاشية السابقة .

(٦) المخارجة : المناهضة .

(٧) ل : « النقار » ، وأثبت ما فى سائر النسخ . وانظر ما مضى فى ص ١٢ س ٥ .

إلا أُبْنةُ عصاً ، وعُقْدةُ رِشا (١) » .

ويقال للراعى : « إنّه لضعيف العصا » إذا كان قليلَ الضَّرب بها للإبل ، شديدَ الإشفاق عليها . وقال الرّاعى :

ضعيفُ العصا بادِى العروق ترى له ... عليها إذا ما أجدب النَّاس إصبعا (٢)

فإذا كان الراعى جَلْداً قوياًّ عليها قالوا : صُلْبُ العصا . ولذلك قال الراجز :

* صُلْب العصا باقٍ على أَذَاتها *

وقال الآخر فى معنى الراعى :

* لا تَضرِباها واشْهَرا العِصيًّا (٣) *

ويقولون : قد أقبل فلان ولانت عصاه ، إذا أصابه السُّوَاف (٤) فرجع وليس معه إلا عصاه لأنّه لا يفارقها كانت له إبلٌ أم لم تكن (٥) . ويقولون : كلَّما ١١٦
قُرِعت عصاً بعصا ، وعصاً على عصا ، وعصاً عصاً قالوا : خُذُوا فلاناً بذلك (٦) . وقال حُميد بن ثَور :

---

(١) الأبنة ، بضم الهمزة : العقدة فى العود أو فى العصا . والرشاء : الحبل . وفى العقد ٦ : ١٧٨ : « لأن عقدة الرشاء المبلول لاتكاد تنحل » .

(٢) أنشده فى اللسان والمقاييس فى (صبع) . وفى المقاييس : « ويقال للراعى الحسن الرعية للابل ، الجميل الأثر فيها : إن له عليها إصبعاً » . وأنشده القالى فى الأمالى (٢ : ٣٢٢) ، وقال : « يقال : إن لفلان على ماله إصبعاً ، أى أثراً حسناً » ، ثم قال بعد إنشاد البيت : « أى يشار إليها بالأصابع إذا رئيت » . وكذا أنشده ابن سيده فى المخصص (٧ : ٨٢) ، وقال : « أى يشير الناس إليها بالأصابع » .

(٣) يقول : أخيفاها بشهركما العصا لها ولا تضرباها . وفى اللسان :

لا تضرباها واشهرا لها العصى ... فربَّ بَكْر ذى هباب عجرفى
فيها وصهباء نَسُولٍ بالعشى

(٤) السواف ، بالضم ، ويقال بالفتح أيضاً : الموت فى المال والناس .

(٥) ما عدا ل : « أم لا » .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « أخذوا فلانا بذلك » .

اليوم تُنْتَزَعُ العصا من ربِّها ... ويَلُوك ثِنْىَ لسانِه المنطيقُ (١)

ويكتب مع قوله :

تَغْشَى العصا والزّجرَ إنْ قيل حَلِ (٢) ... يرسلُها التّغميضُ إن لم تُرْسَلِ (٣)

وقال آخر :

هذا وُرُود بُزَّلٍ وسُدُسِ (٤) ... يُغْلِي بها كلُّ مُسِيمٍ مُرْغِسِ (٥)

رُدَّت من الغَور وأكناف الرَّسِى ... من عُشُبٍ أحوى وحَمْضٍ مُورِسِ

وذائد جَلْد العصا دلَهْمَسِ (٦) ... إن قيل قُمْ قام وإن قيل اجلسِ

داست سِماطَىْ عَفِرٍ مدعَّسِ (٧)

ويدلّ على شدّة قتالهم بالعصا قول بَشَامة بن حَزنٍ النَّهشلى (٨) :

---

(١) أنشده ثعلب فى مجالسه ١١٩ ، وكذا ابن منظور فى (نطق) برواية : « والنوم ينتزع » .

(٢) لأبى النجم العجلى فى « أم الرجز » المنشورة بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٣٤٧ . ما عدا ل : « تخشى العصا » تحريف . وانظر ص ٥٨ . وحل : زجر للإبل .

(٣) أنشده فى اللسان (غمض) . وذكر قبله : « وغمضت الناقة ، إذا ردت عن الحوض فحملت على الذائد مغمضة عينيها فوردت » .

(٤) البازل : الذى بزل نابه ، أى انشق ، وذلك فى التاسعة ، وجمعه بزل كركع . والسديس : الذى أتت عليه السادسة ، وجمعه سدس كرغيف ورغف . ما عدا ل : « هذا وورد » .

(٥) يغلى بها : يشتريها بثمن غال . والمسيم ، من قولهم أسام الإبل : أرعاها . وفى القاموس : « والمرغس ، كمحسن : الذى ينعم نفسه » ، والمراد به هنا الذى ينعم إبله .

(٦) الدلهمس : الجرىء الماضى على الليل .

(٧) السماطان : الجانبان والصفان . والعفِر ، من العَفَر ، وهو التراب . والمراد به الطريق . والمدعس : الطريق الذى دعسته القوائم ووطئته وطئا شديداً .

(٨) بشامة بن حزن النهشلى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٦٦ ، وروى له المقطوعة الحماسية التى أولها :

إنا محيوكِ ياسلمى فحيينا ... وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

وإن دعوتِ إلى جلى ومكرمة ... يوما سراة كرام الناس فادعينا

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب ... عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

قال البغدادى فى الخزانة (٣ : ٥١٥) : « ولم أر له ترجمة ، وليس له ذكر فى ترجمة الأنساب ، والظاهر أنه إسلامى » .

فِدًى لِرِعاءٍ بالنَّحِيرةِ ذَبَّبُوا   بأعصيهم والماءُ بردُ المشاربِ (١)
تألَّى نُعيمٌ لا تجوزُ بِحَوضه   فقلت تحلَّلْ يا نُعيمَ بنَ قارب (٢)
فإنَّ زياداً لم يكنْ ليُرُدَّها   وسَبْرَةَ عن ماء النَّضيح المقاربِ
أغرَّكَ أنْ جاءت ظِماءً وباشرت   بأعناقها بَرد النُّصاب الصُّباصب (٣)
تناولْن ما فى الحوض ثم امترينَه   بجَرْعٍ وأعناقِ طِوال الذوائب (٤)

ويقول : فلانٌ ضعيف العصا ، إذا كان لا يستعمل عصاه . ولذلك قال البَعيث :

وأنت بذاتِ السِّدر من أمِّ سالمٍ   ضعيفُ العصا مستَضعَفٌ متهضَّمُ ١١٧

وقال آخر (٥) :

وما صاديات حُمْنَ يوماً وليلةً   على الماء يَغْشَين العِصىَّ حَوَانِ (٦)
لوائبُ لا يصدُرْن عنه لِوجهةٍ   ولا هُنّ من برد الحياض دَوَانِ (٧)
يرين حَبَاب الماء والموتُ دونه   فهنّ لأصوات السُّقاةِ رَوَانِ (٨)
بأوجَعَ منِّى جَهدَ شوقٍ وغُلّةٍ   إليك ولكنَّ العَدُوّ عَدَانى (٩)

---

(١) النحيرة : واد فى ديار غطفان . ماعدا ل ، هـ : « بالنجيرة » ، ولم أجده . والتذبيب : الطرد والدفع . والأعصى : جمع العصا .

(٢) تألى : حلف وأقسم . ما عدا ل ، هـ : « مالا نعيم » تحريف . وتحلل فلان من يمينه ، إذا خرج منها بكفارة أو حنث يوجب الكفارة .

(٣) نصاب كل شىء : أصله ؛ عنى أصل الحوض . والصباصب : الغليظ الشديد .

(٤) الامتراء : الاستخراج والاستدرار . وفى الأصول : « امتذينه » ، ولا وجه له . والذوائب : الأعالى .

(٥) هو جميل ، كما فى زهر الآداب ١ : ١٥٩ .

(٦) يغشين العصى : يركبنها . انظر ما سيأتى ص ٦٨ س ١١ — ١٣ . ما عدا ل « يخشين » تحريف . والحوانى : جمع حانية ، وهى التى تحنو على ولدها .

(٧) لوائب من اللوب ، وهو استدارة الحائم حول الماء . ل : « لواثب » ، تحريف .

(٨) روان : مديمات النظر . وحباب الماء ، بالفتح : معظمه ، ومنه قول طرفة :

يشق حباب الماء حيزومها بها   كما قسم الترب المفايل باليد

(٩) عدانى : صرفنى وشغلنى .

وقال آخر (١) :

فما وجدُ مِلوَاحٍ من الهِيم حُلِّئت   عن الماء حتّى جوفُها يتصلصل (٢)
تحوم وتَغْشاها العصيُّ وحولها   أقاطيع أنعامٍ تُعَلُّ وتُنهلُ
بأعظمَ منى غُلّةً وتعطُّفا   إلى الوِرد إلاّ أنّنى أتجمّلُ

ويقال : « ضُرِب فلانٌ ضربَ غرائب الإبل » وهى تُضرَبُ عند الهرَب (٣) وعند الخِلاط ، وعند الحوض ، أشدّ الضَّرب . وقال الحارث بن صخرٍ :

بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكِناتِه   كما ذِيدَ عن ماء الحياض الغرائبُ (٤)

وقال آخر :

للهامِ ضرّابُون بالمَناصِلِ (٥)   ضرب المُذِيد غُربَ النّواهِلِ (٦)

وفى جواهر العصا تفاوت . ويقولون : ما هى إلاّ غصن بان (٧) .

---

(١) الأبيات رويت فى الحيوان (٣ : ١٠٤) .

(٢) الملواح من الدواب : السريع العطش ، يقال للذكر والأنثى . والهيم : العطاش ، جمع أهيم وهيماء . حلئت : منعت .

(٣) أى عند اضطرار أربابها إلى الهرب .

(٤) السكنات ، بكسر الكاف : جمع سكنة ، وهى مقر الرأس من العنق . ومثله قول زامل بن مصاد القينى :

بضرب يزيل الهام عن سكناته   وطعن كأفواه المزاد المخرق

وقول طفيل :

بضرب يزيل الهام عن سكناته   وينقع من هام الرجال المشرب

وقول النابغة :

بضرب يزيل الهام عن سكناته   وطعن كإيزاغ المخاض الضوارب

(٥) المناصل : جمع منصل ، بضم الميم والصاد ، وهو السيف .

(٦) المذيد : المعين لك على ما تذود . والغرب ، بضمتين : الغريب . والنواهل : العطاش ، فالناهل من الأضداد ، يقال للريان والعطشان . ل : « عزب النواهل » ، تحريف .

(٧) هذه العبارة من ل ، هـ والتيمورية .

وقال ابنُ أحمر :

رُودُ الشَّباب كأنّها غُصُنٌ   بحَرامِ مَكّةَ ناعمٌ نَضِرٌ (١)

وقال آخر : ١١٨

إمّا ترَيْنِى قائماً فى جِلٍّ (٢)   جَمِّ الفُتُوق خَلَقٍ هِمِلٍّ (٣)

محاذِراً أُبغِض عن تحَلِّى (٤)   عند اعتلال دهرك المُعتلِّ

فقد أُرَى فى اليلمَقِ الرِّفَلِّ (٥)   أَصْوَنَ للأُنْسِ جميلَ الدَّلِّ

* لَدْنا كخُوط البانَةِ المبتَلِّ (٦) *

وتكون العصا مِحراثًا ، وتكون مخصرة ، وتكون المِخصرةُ قضيبَ حنَيرة (٧) وعُودَ ساجُورٍ ، ثم تكون تَودِيَة (٨) .

ويقال للرجل إذا كان فيه أُبنةٌ : « فلان يَخْبا العصا » . وقال الشاعر :

زوجُكِ زوجٌ صالح   لكنّهُ يخبَا العصا (٩)

وفى الأمثال : « فحَذفَه (١٠) بالقول كما تُحذَف الأرنب بالعصا » .

وقال إياسُ بن قتادة العبشمى :

---

(١) الرود من النساء : الشابة الحسنة ، وأصلها الهمز .

(٢) الجل ، بالكسر : الكساء ونحوه .

(٣) الخلق : البالى ، ومثله الهمل ، بكسر الهاء والميم وتشديد اللام .

(٤) عن : لغة فى « أن » ، وهى ما يسمونه عنعنة تميم .

(٥) اليلمق : القباء المحشو ، وهو بالفارسية « يلمه » . اللسان (لمق) واستينجاس ١٥٣٦ . والرفل : الواسع .

(٦) الخوط ، بالضم : الغصن الناعم .

(٧) الحنيرة : القوس ، أو القوس بلا وتر . وفى هـ : « حبرة » ، وسائر النسخ « حيرة » .

(٨) انظر ما سبق فى ص ٤٩ .

(٩) أنشده الجرجانى فى الكنايات ٣٦ نقلا عن الجاحظ . ووزنه لا يستقيم إلا أن ينشد « يخبا العصا » بالتسهيل . وهو من مجزوء الرجز .

(١٠) ما عدا ل ، هـ : « تحذفه » .

سأنحر أولاها وأحذِفُ بالعصا　　على إثرها إنّى إذا قلتُ عازمُ

وقال ابن كُنَاسة [١] : فى شرط الرَّاعى على صاحب الإبل [٢] : « ليس لك أن تَذكر أمّى بخيرٍ ولا شرّ ، ولك حذفَةٌ [٣] بالعصا عند غضبك أصبتَ أم أخطأتَ [٤] ، ولى مقعدى من النّار ، وموضع يدى من الحارّ والقارّ [٥] » .

وكان العُتْبىّ يحدِّث فى هذين بحديثين : أحدهما قولُه عن الأعرابىّ : « وكان إذا خِرَست الألسُن عن الرّأى حذف بالصَّواب كما تُحذف الأرنب بالعصا » . وأمّا الحديث الآخر فذكر أنّ قوماً أضلوا الطريق ، فاستأجروا أعرابيّا يدلُّهم على الطّريق ، فقال : إنّى والله لا أخرجُ معكم حتّى أشْرُطَ لكم واشترط عليكم . قالوا : فهاتِ مالك . قال « يدى مع أيديكم فى الحارّ والقارّ ، ولى موضعى من النّار موسَّعٌ علىّ فيها [٦] ، وذِكرُ والدىَّ عليكم محرَّم » . قالوا : فهذا لك فما لنا
١١٩ عليك إن أذنبتَ ؟ قال : « إعراضةٌ لا تؤدِّى إلى عَتْبٍ [٧] ، وهِجْرةٌ لا تمنع من مجامعة السُّفْرة » . قالوا : فإن لم تُعتب ؟ قال : « فحذفَةٌ بالعصا أخطأتْ أم أصابت » .

وهذان الحديثان لم أسمعْهما من عالم ، وإنّما قرأتُهما فى بعض الكتب من

---

(١) هو محمد بن كناسة ، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدى . شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كوفى المولد والنشأة ، قد حمل عنه شيء من الحديث . وكان إبراهيم ابن أدهم الزاهد خاله . وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة فى الشعر . وله مؤلفات منها « كتاب سرقات الكميت من القرآن » . ولد سنة ١٢٣ وتوفى سنة ٢٠٧ . ابن النديم ١٠٥ والأغانى (١٢ : ١٠٥ — ١١٠) .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ١٠٨ — ١٠٩) واللسان (ثمن ٢٣٢) .

(٣) ما عدا ل : « حذفى » وهى رواية اللسان .

(٤) وكذا فى اللسان وفى ل : أخطأت أم أصبت » .

(٥) وكذا فى اللسان . وفيما عدا هـ : « من الحار » فقط .

(٦) ما عدا ل : « على ما فيه » .

(٧) ما عدا ل : « إلى تعب وعتب » . لكن فى هـ : « إلى تعب وعنت » .

كتب المسجديِّين (١) .

ولأهل المدينة عِصىٌّ فى رءوسها عُجَرٌ (٢) لا تكاد أكُفُّهم تفارقها إذا خرجوا إلى ضياعهم ومتنزَّهاتهم ، ولهم فيها أحاديثُ حسنةٌ ، وأخبار طيِّبة .

وكان الإفشين (٣) يقول : « إذا ظفرتُ بالعرب شدختُ رءوس عظمائهم بالدَّبُّوس » . والدَّبُّوس شبيه بهذه العصا التى فى رأسها عُجْرة .

وقال جَحْشويه (٤) :

يا رجلاً هام بلَبَّادِ ... معتدلٍ كالغصن مَيَّادِ (٥)
هام به غَسّانُ لّما رأى ... أيراً له مثل عصا الحادى
ولم يزل يَهوَى أبو مالك ... كُلَّ فتًى كالغصن مُنْآدِ (٦)
يعجبُه كُلُّ متين القُوَى ... للطّعن فى الأدبار معتادِ

وقالوا فى (٧) تغميض الناقة عينها ، كى تركب العصا إلى الحوض ، وهو فى معنى قول أبى النَّجم :

تَغشَى العصا والزَّجْرَ إن قيل حَلِ ... يرسلُها التَّغميض إن لم تُرسَلِ (٨)

---

(١) المسجديون : طائفة كانت تلزم المسجد الجامع بالبصرة ، تقص وتحدث وتروى الأخبار . ما عدا ل : « من المستحدثين » تحريف . وانظر الحيوان (٣ : ٣٦٠) .

(٢) العجرة ، بالضم : العقدة فى الخشبة ونحوها .

(٣) الأفشين بفتح الهمزة وكسرها ، واسمه خيذر بن كاوس . وخيذر ، بالخاء والذال المعجمتين . وكان الأفشين من أعظم القواد فى جيش المعتصم ، وهو الذى حارب بابَك الخرمى حين اشتدت شوكته ، وألجأه إلى الفرار إلى بلاد الروم ، وهناك أسر وبعث به إلى الأفشين ، فحمله الأفشين إلى المعتصم فقطعه وصلبه . وكان هذا النصر باعثا له على الطغيان والتمرد ، فقبض عليه المعتصم واستصفى أمواله وقتله وصلبه . وكان ذلك سنة ٢٢٦ . الطبرى فى حوادث سنة ٢٢٠ – ٢٢٦ .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ١٨١ / ٥ : ٣٤١ / ٦ : ٢٦١) .

(٥) لباد ، نسبة إلى عمل اللبد ، كما يقال حداد وصواف . ما عدا ل ، هـ : « لياد » ولا وجه له .

(٦) المنآد : المتثنى من لينه ونعمته .

(٧) كلمة « فى » هذه ، ونظيرتها التالية ساقطتان مما عدا ل ، هـ .

(٨) سبق الرجز فى ص ٥٣ .

وهذا مثل قول الهذليّ :

ولأنت أشجعُ من أسامة إذ ... شدُّوا المناطق تحتها الحَلَقُ (١)
حَدُّ السُّيوفِ على عواتقهم ... وعلى الأكفِّ ودونها الدّرق (٢)
كغَماغــم الــثِّيران بينهمُ ... ضربٌ تغمَّض دونه الحَدَقُ (٣)

وقال حميدُ بن ثورٍ الهلاليّ :

١٢٠ اليوم تُنْتَزَع العصا من ربها ... ويَلوكُ ثِنْىَ لسانه المنْطيقُ (٤)

ويقال : رجلٌ كالقناة ، وفرسٌ كالقناة . وقال الشّاعر (٥) :

مَتى ما يجئْ يوماً إلى المال وارثِى ... يجِدْ جُمع كفٍّ غيرِ ملأى ولا صِفْرِ (٦)
يجد فرساً مثل القناة وصارماً ... حُساما إذا ما هزّ لم يرضَ بالهَبْرِ (٧)

* * *

وجاء فى الحديث : أجدبت الأرض على عهد عمر رحمه الله حتى ألقت الرِّعاء العصىّ ، وعُطِّلت النَّعَم ، وكُسر العظم . فقال كعبٌ (٨) : يا أمير المؤمنين ، إنّ بنى إسرائيل كانوا إذا أصابتهم السّنةُ استسقَوْا بعُصْبة الأنبياء . فكان ذلك سببَ استسقائه بالعبّاس بن عبد المطلب (٩) .

---

(١) أسامة : علم جنس للأسد .

(٢) الدرق : ضرب من الترسة تتخذ من جلود ، ليس فيها خشب ولا عَقَب .

(٣) أى غماغمهم كغماغم الثيران ، عنى أصوات أبطالهم فى الوغى عند القتال .

(٤) سبق البيت فى ص ٥٣ .

(٥) هو حاتم الطائى . ديوانه ١٢١ والحماسة (٢ : ٣٧٤) .

(٦) جمع الكف ، بالضم ، هو قدر أن تجمع أصابعها وتضمها . يقول : لا يجد عندى كثيراً ولا قليلا ، بل بين بين .

(٧) الهبر : قطع اللحم . يقول : يأبى إلا أن يخالط العظم .

(٨) هو كعب بن ماتع الحميرى ، المعروف بكعب الأحبار ، وكان يهوديا وأسلم فى خلافة عمر . وكان يقص فبلغه حديث النبى ﷺ : « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو محتال » فترك القصص حتى أمره معاوية فصار يقص بعد ذلك . ومات بحمص سنة ٣٢ . الإصابة ٧٤٩٠ والمعارف ١٨٩ والجامع الصغير للسيوطى ٩٩٨٤ ، حيث خرج الحديث من مسند أحمد وابن ماجه .

(٩) انظر أيضاً استسقاء عبد المطلب بالرسول الكريم فى الخزانة (١ : ٢٥٧ – ٢٥٨) .

وساورَت حيةٌ أعرابياً فضربها بعصاه وسلِم منها ، فقال :

لولا الهِراوةُ والكَفَّانِ أنهلنى حوضَ المنيَّةِ قتَّالٌ لمن عَلِقَا (١)
أصَمُّ منهرِتُ الشدقين ملتبِدٌ لم يُغْذَ إلاّ المنايا مُذْ لَدُن خُلقَا (٢)
كأنّ عينَيه مسمارانِ من ذهبٍ جَلاهُمَا مِدْوس الألان فائتلقا (٣)

* * *

وقال الحجّاج بن يوسف لأنس بن مالك (٤) : « والله لأقلعنَّك قلع الصَّمغة ، ولأعصِبنَّك عصْب السَّلَمة ، ولأضربنَّك ضرب غرائب الإبل (٥) ولأجَرِّدنَّك تجريد الضبّ » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لأبى مريم الحنفى (٦) : « والله لاأُحبُّك حتى تحبَّ الأرضُ الدّمَ المسفوح » . لأن الأرضَ لا تقبل الدّم ، فإذا جَفَّ الدّم تقلّع جُلَباً (٧) .

ولقد أسرف المتلمّس حيث يقول :

أحارِثُ إنّا لو تُسَاط دماؤُنا تزايَلْن حتى لا يمسّ دَمٌ دَمَا (٨)

وأشدُّ سَرَفاً منه قولُ أبى بكرٍ الشَّيبانى ، قال : كنتُ أسيراً مع بنى عمٍّ لى

---

(١) فى الحيوان (٤ : ٢٤٢) : « والكفات » : جمع كفة ، بالكسر ، وهى من آلات الصيد . والبيتان بعده ساقطان من هـ .

(٢) منهرت الشدقين : واسعهما . وهذا البيت وتاليه من ل فقط .

(٣) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها مسن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والألان ، كذا وردت فى الأصل . ولعلها : « الألاق » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٠٨) .

(٥) مضى بعض هذا القول فى (١ : ٣٧٦) . وجملة « لأضربنك ضرب غرائب الإبل » من ل فقط .

(٦) انظر ما سبق من تحقيق اسمه فى (١ : ٣٧٦) .

(٧) الجلب : جمع جلبة ، بالضم ، وهى القشرة تعلو الجرح عند البرء .

(٨) السوط : الخلط والمزج . والبيت فى أول ديوان المتلمس مخطوطة الشنقيطى .

١٢٠ من بنى شيبان ، وفينا من موالينا جماعةٌ فى أيدى التّغالبة ، فضربوا أعناقَ بنى عمّى وأعناقَ الموالى على وَهْدةٍ من الأرض ، فكنتُ والذى لا إله إلا هو ، أرى دمَ العربىّ يماز من دم المولى ، حتى أرى بياضَ الأرض بينهما ، فإذا كان هجيناً قام فوقَه ، ولم يعتزل عنه (١) .

وأنشد الأصمعى :

يُذَدْن وقد أُلقيتُ فى قعر حُفرة ... كما ذِيدَ عن حوض العِراك غرائبُه (٢)

وقال العبّاس بن مرداس :

نقاتلُ عن أحسابنا برماحنا ... فنضربهم ضرب المُذِيد الخوامسا (٣)

وقال الفرزدق بن غالب :

ذكرتَ وقد كادت عصا البين تنشَظِي ... حبالَك من سَلمى وذو اللُّب ذاكِرُ (٤)

وقال الأسدى (٥) :

إذا المرءُ أَولاك الهوانَ فأَوْلِه ... هواناً وإن كانت قريباً أواصرهُ
ولا تَظلم المولى ولا تَضَع العصا ... على الجهل إن طارت إليك بوادره

---

(١) هذه الكلمة من ل ، هـ فقط . والهجين : ولد العربى من غير العربية .

(٢) العراك : ازدحام الإبل على الماء .

(٣) البيت من قصيدة له مطلعها ، كما فى الخزانة (٣ : ٥١٨) .

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا ... وأقفر إلا رحرحان وراكسا

وهى من القصائد المنصفات ، التى « أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم فى إمحاض الإخاء » . وقد اختار منها أبو تمام فى الحماسة (١ : ١٦٨) . والمذيد : الذى يعين على ذود الإبل ، وهو طردها ودفعها . والخوامس : التى ترد الخمس ، والخمس بالكسر : أن ترد الإبل يوما ثم ترعى ثلاثا ثم ترد فى الخامس من يوم وردها . والخوامس من أحرص الإبل على الماء لشدة ظمئها ، فدفعها يلجئ إلى عنف وإلحاح . وانظر الكلام على أظماء الإبل بتفصيل فى المخصص (٧ : ٩٥ – ١٠١) . ومثله قوله حسيل بن سجيح الضبى :

وأرهبت أولى القوم حتى تنهنهوا ... كما ذدت يوم الورد هيما خوامسا

(٤) البيت مما لم يرد فى ديوان الفرزدق . هـ : « خيالك » .

(٥) البيت الأول نسب فى الحماسة (١ : ٢٦٦) إلى أوس بن حبناء .

وقال جرير بن عطية :

ألا ربَّ مصلوب حَملتَ على العصا　　وباب استه عن مِنْبر المُلكِ زائل (١)

وقالوا فى مديح العصا نفسِها مع الأغصان وكَرَم جَوهر العِصىِّ والقسىِّ :

إذا قامت لسَبْحتها تثنّتْ　　كأنّ عظامَها من خَيْزُرانِ (٢)

وقال المؤمَّل بن أُمَيْل (٣) :

والقوم كالعيدانِ يفضُل بعضُهم　　بعضا كذاك يفــوق عُودٌ عُودَا

لو تستطيع عن القضاء حِيادةً　　وعن المَنيّة أن تُصيب مَحيدا ١٢٢

كانت تقيَّدُ حين تنزِلُ منـزلا　　فاليومَ صار لها الكَلالُ قيودا (٤)

وقال آخر :

وأسلَمَها الباكُون إلاّ حمامةً　　مطوّقةً بانت وبـانَ قرينُهـا

تُجاوِبُها أخرى على خيزُرانةٍ　　يكادُ يُدَنِّيها من الأرض لينُها (٥)

---

(١) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٤٣٩ يمدح فيها الحجاج بن يوسف . وقبله :

أطيعوا فلا الحجاج مبق عليكم　　ولا جبرئيل ذو الجناحين غافل

(٢) لبشار بن برد فى الأغانى (٣ : ٢٨) برواية : « إذا قامت لمشيتها » . والسبحة ، بالفتح : المرة من السبح ، وهو التصرف والجيئة والذهاب . وضبطت فى هـ بضم السين . وانظر ماكتبت فى حواشى أمالى الزجاجى ١٢٤ . يروون أن بشارا أنشد قول الشاعر :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة　　إذا غمزوها بالأكف تلين

فقال : والله لو زعم أنها عصا مخ ، أو عصا زبد ، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا . ألا قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معد　　كأن حديثها ثمر الجنان

إذا قامت لمشيتها تثنت　　كأن عظامها من خيزران

(٣) هو المؤمل بن أميل المحاربى الكوفى ، كان شاعراً مجيداً من مخضرمى الأموية والعباسية ، مدح المهدى وأجازه ، وتوفى فى حدود التسعين والمائة . وهو القائل :

شف المؤمل يوم الحيرة البصر　　ليت المؤمل لم يخلق له بصر

الأغانى (١٩ : ١٤٧ - ١٥٠) ونكت الهميان ٢٩٩ والخزانة (٣ : ٥٢٣ - ٥٢٥) .

(٤) يبدو فى هذه الأبيات عدم الترابط . وهذا البيت الأخير فى صفة ناقة .

(٥) وكذا روايته فى الحيوان (٣ : ٤٨٧) . وفى شروح سقط الزند ١٨٢ :

* هتوف دعت شجواً على خيزرانة *

وقال آخر :

ألاَ أيُّها الركب المُخبّون هل لكمْ بأُختِ بنى هندٍ عتَيبةَ من عَهدِ
أألقت عصاها واستقرَّ بها النوى بأرض بنى قابوسَ أم ظَعَنت بعدِى

وقال آخر :

ألاَ هتَفَتْ ورقاءُ فى رونقِ الضُّحى على غُصُنٍ غَضِّ النَّبات من الرَّندِ (١)

وقال آخر فى امرأةٍ رآها فى شارَةٍ وبِزّة (٢) ، فظنّ بها جَمالا ، فلما سَفَرت إذا هى غُولٌ :

فأظهرها ربّى بمنّ وقدرةٍ علىَّ ولولا ذاك مُتُّ من الكَربِ
فلما بدتْ سبَّحتُ مِن قُبح وجهها وقلت لها: السَّاجور خيرٌ من الكلبِ (٣)

وقال النبى ﷺ : « يُؤتَى بقومٍ من هاهنا (٤) يقَادون إلى حُظوظهم فى السَّواجير » . والسَّاجور يُسَمّى الزَّمَّارَةَ . قالوا : وفى الحديث : « فأُتِىَ الحجّاج بسعيد بن جُبير (٥) ، وفى عنقه زَمَّارَةٌ » .

وقال بعض المُسَجَّنين (٦) :

---

(١) رونق الضحى ، أولها . والرند : الآس ، أو شجر من أشجار البادية طيب الرائحة يستاك به .
(٢) الشارة : الحسن والهيئة واللباس . والبزة : الهيئة واللبسة .
(٣) أى ملبسها خير منها . والساجور : خشبة توضع فى عنق الكلب .
(٤) ما عدا ل : « من هنا » وانظر ما سبق فى ص ٥٠ .
(٥) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الكوفى ، وكان مولى أسود لبنى والبة من بنى أسد : كان كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود حين كان على قضاء الكوفة ، ثم كتب لأبى بردة بن أبى موسى ، ثم خرج مع ابن الأشعث فى جملة القراء ، فلما هزم ابن الأشعث هرب إلى مكة فأخذه خالد القسرى بعد مدة وبعث به إلى الحجاج بواسط ، فقتله صبرا سنة ٩٥ ، ثم مات الحجاج بعده بأيام . وكان فقيها عابدا ورعا . وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول ، أليس فيكم ابن الدهماء ؟ — يعنى سعيد بن جبير . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٢) والمعارف ١٩٧ .
(٦) ورد أيضاً فى المعارف ١٥٨ : « وأخرج المسجنين الذين كانوا بالبصرة » .

ولى مُسْمِعَانِ وزَمّـارَةٌ   وظلٌّ مديدٌ وحصنٌ أَمَقّْ (١)
وكم عائـِدٍ لى وكم زائـرٍ   لوَ آبصَرَنى زائراً قد شَهَقْ (٢)

المُسْمِعَان : قيدان . وسمَّى الغُلَّ الذى فى عنقه زَمَّارة .

وأمّا قولُ الوليد (٣) :

اسْقنى يا زُبيرُ بالقَرقـارهْ   قد ظَمِئنا وحَنَّتِ الزّمّارهْ (٤)
اِسقنى اِسقنى فإنَّ ذُنوبِى   قد أحاطت فما لها كَفّارهْ ١٢٣

فإنّ الزَّمارة ها هنا : المزمار .

وقال أيضاً صاحب الزّمّارة فى صفة السِّجن :

فبتُّ بأحصَنِها منزلاً   ثقيلاً على عُنُق السالكِ
ولستُ بضيف ولا فى كِراءٍ   ولا مستعيـرٍ ولا مالكِ
وليس بغَصبٍ ولا كالرُّهون   ولا يشبه الوَقف عن هالكِ
ولى مُسْمِعَان فأدنـاهما   يغنِّى ويُمْسِك فى الحالكِ (٥)
وأقصاهما ناظرٌ فى السما   ءِ عمداً وأوسخُ من عاركِ (٦)

المُسمِعان ها هنا أحدهما قيدُه ، والآخر صاحب الجَرَس .

قال : وأخبرنى الكلابىُّ قال : قاتلت بنو عمٍّ لى (٧) بعضُهم بعضا ، فجعل

---

(١) أمق : واسع ، كما فى مجالس ثعلب ٥٤١ عند إنشاد البيت . وأنشده فى اللسان (زمر ٤١٦ سمع ٣٧ مقق ٢٣٣) .

(٢) شهق ، من بابى ضرب وعلم : ردد البكاء فى صدره .

(٣) ما عدا هـ : « قول الراجز » .

(٤) القرقارة : إناء ، سميت بذلك لقرقرتها . وفى القاموس : « القرقار » بدون هاء . وحنت الزمارة : صوتت .

(٥) الحالك ، أى الليل الحالك ، وهو الشديد الظلمة .

(٦) العارك : الحائض من النساء .

(٧) هذا مثل قوله تعالى : (إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل) . ل : « بنو عمى » .

بعضُهم ينضمُّ إلى بعضٍ لِوَاذاً منّى ، وليس لى فى ذلك هِجِّيَرى [١] إلاّ قولى :

قد جعلَت تأْوِى إلى خَمَّانِها [٢] … وكِرْسِها العادىِّ من أعطانها [٣]

فلمَّا طلبوا القِصاص ، قلت : دونكم يا بنى عمّى حَقَّكم ، فأنا اللحم [٤] وأنتم الشَّفْرة ؛ إن وهبتم شكرْتُ ، وإن اعتقلتم عقَلْت [٥] ، وإن اقتصصتم صَبَرْت .

قال : وسألت يونس عن قوله : ﴿ نَسْياً مَنْسِيًّا [٦] ﴾ ، قال : تقول العرب إذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه : انظروا أنساءكم . وهى العصا ، والقَدَح ، والشِّظاظ ، والحَبْل . قال : فقلت : إنى ظننت هذه الأشياء لا ينساها أربابُها إلاّ لأنها أهونُ المتاع عليهم . قال : ليس ذلك كذلك ، المتاع الجافى يذكِّر بنفسه ، وصغار المتاع تذهبُ عنها العيون . وإنّما تذهب نفوسُ العامّة إلى حفظِ كل ثمين وإن صغُر جسمه ، ولا يقفون على أقدار فَوت الماعون عند الحاجة وفقد المُحِلّات فى الأسفار .

١٢٤ وقال يونس : المنسىُّ : ما تقادم العهدُ به ونُسِى حيناً لهوانه . ولم تكن مريمُ لتضربَ المثلَ فى هذا الموضع بالأشياء النَّفيسة التى الحاجةُ إليها أعظم من الحاجة إلى الشيء الثمين فى الأسواق .

---

(١) الهجير ، كسكيت ، والهجيرى مثله بالألف المقصورة : العادة والدأب والشأن . ما عدا ل : « هجير » .

(٢) الخمان ، بفتح الخاء وتشديد الميم : ردىء الشجر . ما عدا ل : « جثمانها » تحريف

(٣) الكرس ، بالكسر : أبوال الإبل والغنم وأبعارها ، يتلبد بعضها على بعض فى الدار . والعادى : القديم ، كأنه منسوب إلى عاد . والأعطان : جمع عطن ، بالتحريك ، وهو مبرك الإبل حول الحوض .

(٤) ما عدا ل : « فنحن اللحم » .

(٥) أراد باعتقلتم : طلبتم العقل ، وهو الدية . ولم أجد هذا الفعل بهذا المعنى فى معجم .

(٦) قرأ حفص وحمزة بفتح النون ، والباقون بكسرها . إتحاف فضلاء البشر ٢٩٩ .

وقال الأشهب بن رُمَيلة (١) :

قالَ الأقاربُ لا تغررك كثرتُنا   وأغْنِ نفسَك عنّا أيُّها الرجلُ
عَلَّ بَنِيَّ يشُدُّ اللهُ أعظمَهُمْ   والنَّبْعُ ينبُت قضباناً فيكتهِلُ (٢)

وكان فرسُ الأخنس بن شهابٍ (٣) يسمَّى « العَصا » ، والأخنسُ فارس العصا .

وكان لَجذيمَةَ الأبرشِ فرسٌ يقال له « العصا » .

ولبنى جعفر بن كلاب « شَحمة » و « الغدير » و « العصا » . فشحمة : فرس جَزْءِ بن خالد . والعصا : فرس عوف بن الأحوص . والغدير : فرس شُرَيح بن الأحوص .

والعصا أيضاً : فرس شبيب بن كعب الطائى .

وقال بعضُهم أو بعض خُطبائهم :

وليس عصاه من عراجين نَخْلةٍ   ولا ذاتَ سيرٍ من عصِىٍّ المسافرِ
ولكنَّها إمَّا سألتَ فنبعةٌ   وميراثُ شيخٍ من جياد المَخاصرِ

والرجل يتمنّى إذا لم تكن له قوةٌ وهو يَجدُ مَسَّ العجز ، فيقول : « لو كان فى العصا سيرٌ » . ولذلك قال حبيب بن أوسٍ :

---

(١) الأشهب بن رميلة : شاعر إسلامى مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم تعرف له صحبة ولا اجتماع بالنبى ﷺ ، ولذا أورده ابن حجر فى قسم المخضرمين من الإصابة . ورميلة أمه ، وكانت أمة لخالد ابن مالك بن ربعى بن سلمى بن جندل . وأبوه ثور بن أبى حارثة بن عبد المدان بن جندل بن نهشل بن دارم ابن عمرو بن تميم . وكان الأشهب يهاجى الفرزدق . الإصابة ٤٦٤ والخزانة (٣ : ٥٠٩ – ٥١٠) .

(٢) نهشل بن حرى ، كالمنسوب إلى الحر : شاعر مُخَضرم أدرك معاوية ، وكان معه فى حروبه . الإصابة ٨٨٧٨ والخزانة (١ : ١٥١) . وقد نسب البيتان فى الحيوان (١ : ١٠٩) إلى الأشهب بن رميلة .

(٣) الأخنس بن شهاب بن شريق التغلبى ، شاعر جاهلى قديم قبل الإسلام بدهر . الخزانة (٣ : ١٦٩) . وانظر ما كتب فى تحقيق اسمه فى المفضليات (٢ : ٣) .

ما لك من همَّةٍ وعزمٍ … لو أنّهُ فى عصاكَ سَيرُ (١)
رُبَّ قليلٍ جَنَى كثيراً … كم مطرٍ بدؤه مُطَيرُ (٢)
صبراً على النّائبات صبراً … ما صَنَع اللهُ فهو خيرُ

وإذا لم يجعل المسافرُ فى عصاه سَيراً سقطت إذا نعسَ من يده .

وسئل (٣) عن قوله : ﴿ وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخرَى ﴾ ، قال : لستُ أحيط بجميع مآربِ موسى ﷺ ، ولكنى سأُنَبِّئكم جُمَلاً تدخل فى باب الحاجة إلى ١٢٥ العصا . من ذلك أنها تُحمَل للحيّة ، والعقرب ، وللذّئب ، وللفحل الهائج ، ولعَير العانَةِ فى زمن هَيْج الفُحول ، وكذا فحول الحُجُور فى المُروج (٤) . ويتوكَّأُ عليها الكبير الدالف ، والسَّقيم المدنَف ، والأقطعُ الرِّجلِ ، والأعرج ، فإنها تقوم مقامَ رِجلٍ أخرى .

وقال أعرابىٌّ مقطوعُ الرِّجل :

اللهُ يعلم أنّى من رجالِهِــمُ … وَإنْ تَخَدَّدَ عن متنىَّ أطمارِى (٥)
وإنْ رُزِيتُ يداً كانت تُجَمِّلُنى … وإنْ مشَيت على زُجّ ومسمارِ

والعَصَا تَنوب للأعمى عن قائده ، وهى للقصّار والفَاشِكار (٦) والدبَّاغ . ومنها المِفأَد للمَلَّة (٧) والمحراك للتَّنور (٨) . قال الشاعر :

(١) الأبيات مما لم يرد فى ديوان أبى تمام .
(٢) هـ : « حدا كثيرا » .
(٣) المسئول هو يونس بن حبيب .
(٤) الحجر ، بالكسر : الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الهاء ، لأنه لا يشركها فيه المذكر .
(٥) التخدد : التشنج . والأطمار : جمع طمر . بالكسر ، وهو الثوب الخلق .
(٦) سبق تفسيره فى (١ : ٦٠) . وفى هامش هـ : « ألفاشكار : الحراث » .
(٧) المفأد : الخشبة التى يحرك بها التنور ونحوه . والملة ، بالفتح : الرماد الحار والجمر .
(٨) المحراك : ما تحرك به النار . ل : « والمحراث » ما عدا ل : « ومحراك » ، الوجه ما أثبت .

إذا كان ضربُ الخبز مَسْحاً بخِرقَةٍ وأُخْمِدَ دون الطارق المتنوِّرِ (١)

كأنَّهُ كرِهِ أن ينفُض عنها الرَّماد بعَصاً فيُستدلَّ على أنه قد أنضج خُبزتَه . يصفُه بالبخل .

وهى لدق الجِصّ (٢) والجِبْسين (٣) والسِّمسم .

وقال الشّماخ بن ضرار :

وأشعثَ قَدْ قَدَّ السِّفارُ قميصَهُ يَجُر شِواءً بالعصا غير مُنْضَجِ (٤)

ولِخَبط الشَّجَر ، وللفَيْج وللمُكارِى (٥) ، فإنهما يتخذان المخاصر ، فإذا طال الشّوْط وبَعُدَت الغاية استعانا فى حُضْرهما وهَرْوَلتهما فى أضعاف ذلك ، بالاعتماد على وجه الأرض .

وهى تعدِّل من مَيل المفلوج ، وتُقيم من ارتعاش المُبرسَم (٦) ، ويتّخذها الرّاعى لغَنمِه ، وكلُّ راكب لمركَبه . ويُدْخل عَصاهُ فى عُروة المِزْوَد ، ويمسك بيده الطرفَ الآخر ، وربَّما كان أحدُ طرفيها بيد رَجُل والطَّرَف الآخَر بيد صاحبه وعليها حِمْلٌ ثقيل .

---

(١) وأخمد ، أى أخمدت النار . والطارق : الذى يطرق القوم ليلا . والمتنور : الذى يتبصر الناس من بعيد برؤية النور أو النار .

(٢) الجص ، بفتح الجيم وكسرها : هذا الذى يطلى به الجدار . وفى التيمورية : « الجس » تحريف .

(٣) الجبسين ، ذكره داود فى تذكرته وقال : « وهو فى الحقيقة طلق لم ينضج » قال : « ومنه شديد البياض يعرف بإسفيداج الجبس » . وقال : « وخالصهُ المعروف فى مصر بالمصيص » . ل: « الحشيش » وما عدا ل : « الجبين » . صوابهما فى هـ .

(٤) السفار : السفر . والبيت فى ديوان الشماخ ٩ .

(٥) الفيج ، بالفتح : واحد الفيوج ، وهو الذى يسعى على رجليه يحمل الأخبار من بلد إلى بلد . ولفظه فارسى معرب ، فارسيته « بيك » . استينجاس ٢٦٨ . والمكارى : الذى يكريك دابته بالأجر .

(٦) المرسم : المصاب بالبرسام . والبرسام ، بالكسر : علة يهذى فيها . قلت : هى بالفارسية « برسام » بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من « بر » وهو الصدر ، و « سام » بمعنى الالتهاب . وهو بالمعنى الدقيق . التهاب غشاء الرئة : **The Pleurisy** .

وتكون إنْ شئتَ وتِداً فى حائط ، وإن شئت ركَزْتها فى الفضاء وجعلتَها قِبلةً ، وإنْ شئتَ جعلتها مِظلَّة ، وإنْ جعلت فيها زُجًّا كانت عَنَزة [(١)] ، وإن
١٢٦ زِدتَ فيها شيئاً كانت عُكاَّزاً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت مِطْرداً [(٢)] ، وإن زدت فيها شيئاً كانت رُمْحاً .

والعصا تكون سَوْطاً وسلاحاً . وكان رسولُ الله ﷺ يخطُب بالقضيب ، وكفى بذلك دليلاً على عِظَم غَنائها ، وشَرَف حالها . وعلى ذلك الخلفاءُ وكبراءُ العرب من الخُطباء .

وقد كان مروانُ بن محمَّد حين أُحيط به دَفعَ البُرْدَ والقضيبَ إلى خادمٍ له ، وأمَرَه أن يدفنهما فى بعض تلك الرِّمال ، ودفع إليه بنتاً له ، وأمره أن يضرِبَ عنقَها . فلما أُخِذ الخادمُ فى الأسرى قال : إنْ قتلتمونى ضاع ميراثُ النبى ﷺ . فأمَّنوه على أن يُسلِّم ذلك لهم .

وقال الشاعر فى صفة قناة :

وأسمر عاترٍ فيه سِنَانٌ   شُرَاعىٌّ كساطعَةِ الشّعَاعِ [(٣)]

وقال آخر :

هَوْنَةٌ فى العِنانِ تهتزُّ فيه   كاهتزاز القناةِ تحت العُقَاب [(٤)]

ومما يجوز فى العصا قول الشاعر :

للهـام ضرّابـون بالمنـاصلِ   ضَربَ المُذيِدَ غرَّب النَّواهِلِ [(٥)]

---

(١) العنزة ، بالتحريك : عصا فى قدر نصف الرمح أو أكثر شيئا ، فى طرفها الأسفل زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير .

(٢) المطرد ، بكسر الميم : رمح قصير يطرد به الوحش .

(٣) الرمح العاتر : المضطرب من لينه . هـ : « عاتق » وأشير فى حواشيها إلى رواية « عاتر » ما عدا ل ، هـ : « عانق » تحريف . وروايته فى اللسان (شرع) : « عاتك » وهو الذى قدم واحمر . والشراعى : نسبة إلى رجل كان يعمل الأسنة اسمه « شراع » .

(٤) يصف فرساً . والعقاب : العلم الضخم .

(٥) سبق الرجز فى ٥٥ . ل : « عزب » ، تحريف .

وقال عبّاس بن مرداس :

نطاعِن عن أحسابنا برماحنا ... ونضربهم ضرب المُذِيد الخوامسا (١)

وقال الآخر :

دافَع عَنْها جلبى وحَشّى (٢) ... فهى كَعُود النَّبْعَة الأجَشّ

وقال نُصَيْب الأسْود :

ومَن يُبقِ مالاً عُدّةً وصيانةً ... فلا الدّهر مُبقيه ولا الشُّحُّ وافِرُهْ

ومن يَكُ ذا عُودٍ صليبٍ يعدُّه ... ليكسر عُودَ الدّهرِ فالدّهرُ كاسِرُهُ

وقال آخر (٣) :

تخيَّرتُ من نَعْمانَ عودَ أراكةٍ ... لهندٍ فمن هذاَ يبلِّغهُ هِندَا (٤)

خليليَّ عُوجا بارَكَ الله فيكمـا ... وإن لم تكن هندٌ لأرضكما قَصْدَا

وقُولا لها ليس الضَّلَالُ أجارَنـا ... ولكنّما جُرْنا لنَلقاكُمُ عَمْدَا (٥) ١٢٧

وقال آخر :

فتـلك ثيــابى لم تدَنَّس بغـــدرَةٍ ... ووَرْىُ زنادى فى ذُرى المجد ثاقبُ (٦)

ولو صادَفَتْ عوداً سوى عُود نَبعةٍ ... وهيهاتَ أفنتْه الخطُوبُ النّوائبُ (٧)

وقال آخر :

عصا شِرِيْانةٍ دُهنت بزُبِدٍ ... تدُقّ عظامَه عَظماً فَعظْما

---

(١) البيت وعبارة الإنشاد قبله ساقط من ل . وقد سبق البيت فى ص ٦١ .

(٢) ل : « حلبى وحشى » ولم أجد للبيت مرجعاً لتحقيقه .

(٣) هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة ، أحد شعراء الجاهلية ، الحماسة (٢ : ١٢٣) . ونسب الشعر فى الأغانى (١٠ : ١٢٢) إلى المرقش الأكبر . وأنشد صاحب اللسان البيت الثانى فى اللسان (جور) منسوباً إلى عمرو بن عجلان .

(٤) البيت لم يروه أبو تمام . وفى الأغانى أن المأمون غنى بين يديه بهذا البيت فقال : اطلبوا له ثانياً ، فلم يعرفوا ، ثم سأل عن صاحبه فلم يعرفه أحد . ثم عرف الشعر وصاحبه من بعد ، إسحاق بن حميد ، فبعث بخبره إلى المأمون . هـ : « ولكن من يبلغه هندا » .

(٥) أجارنا : عدل بنا ، كما فى اللسان (جور) .

(٦) الورى : خروج النار من الزند . والزناد : جمع زند .

(٧) أى لو صادفت الخطوب عوداً غير عود النبع أفنته وحطمته . يفتخر بصلابة عوده .

وليس هذا مثل قول لَقيط بن زُرَارة [١] :

إذا دهَنُوا رماحَهُمُ بزُبِدٍ فإنّ رماحَ تيمٍ لا تَضِيرُ

وقال صالح بن عبد القُدُّوس [٢]

لا تدخُلَنْ بنَميمةٍ بين العصا ولِحائها

وقال شِبْل بن معبدٍ البَجَلىّ [٣]

بَرَتْنى صروفُ الدَّهرِ من كلِّ جانب كما يُبترَى دونَ اللِّحاء عَسِيبُ

وقال أوس بن حَجَر :

لحونَهم لحوَ العصا فطردنهم إلى سَنَة جُرذانُها لم تَحلَّمِ [٤]

وقال الرَّقاشىّ فى صفة القناة التى تُبرَى منها القِسىّ :

من شِقَقٍ خُضرٍ بَرُوصِيّاتِ [٥] صُفْرِ اللِّحاءِ وخَلُوقيّاتِ [٦]

١٢٨ جُدِلْن حتّى إضْنَ كالحيّاتِ رشائقـا غير مؤَبَّنـاتِ [٧]

---

(١) لقيط بن زرارة : شاعر فارس من فرسانهم فى الجاهلية . وله خبر فى يوم رحرحان . وكان من الرؤساء فى يوم جبلة ، وقتل فى ذلك اليوم ، وجعل يقول عند موته :

يا ليت شعرى عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المرموس
أتحلق القرون أم تميس لا بل تميس إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغانى (١٠ : ١٩ — ٤٤) .

(٢) ترجم فى (١ : ٢٠٦) .

(٣) هو شبل بن معبد بن عبيد البجلى الأحمسى ، صحابى جليل ، وهو أحد من شهدوا على المغيرة ابن شعبة . الإصابة ٣٩٥٢ .

(٤) ما عدا هـ : « لحوتهم . فطردتهم » صوابه من هـ والديوان ٢٧ واللسان والمقاييس (حلم) . وقبله :

ويخلجهم من كل صمد ورجلة وكل غبيط بالمغيرة مفعم

لم تحلم : لم تسمن ، وذلك لشدة الجدب . ويروى : « قرداتها » .

(٥) بروصيات ، كذا وردت مضبوطة فى الأصل .

(٦) خلوقيات : لونها لون الخلوق ، وهو بالفتح : الزعفران .

(٧) رشائق : جمع رشيقة ، وهى الحسنة القد اللطيفة . ما عدا ل ، هـ : « وشائقا » ، تحريف . والمؤبنات : المعيبات ؛ والأبنة : العيب فى الخشب والعود .

أنَّفهـــن متمطِّـــراتِ [١] عمرو بن عُصفورٍ على استثباتِ [٢]

وقال محمد بن يَسِير [٣] :

ومشَمَّرِينَ عن السَّواعِدِ حُسَّرٍ عنها بكُلِّ رشيقة التوتير [٤]

ليس الذى تُشوِى يداه رميَّةً فيهم بمعتـذِرٍ ولا معذورِ [٥]

عُطُفِ السِّيَاتِ موانعٍ فى عطفها تُعزَى إذا نُسبتْ إلى عُصفُورِ [٦]

ذهب إلى قوله : * فى كَفِّه مُعطِيَةٌ مَنُوعُ [٧] *

وهذا مثل قوله : * خرقاءُ إلاَّ أنَّها صَنَاعِ [٨] *

وهذا مثل قوله : * غادرَ داءً ونجا صَحيحَا [٩] *

ومثل قوله : * حتَّى نجا من جَوفه وما نَجَا [١٠] *

---

(١) التأنيف : التحديد . ما عدا هـ : « أفقهن » وليس لها وجه . والمتمطرات : المسرعات .

(٢) عمرو بن عصفور : أحد القواسين . وفى الحيوان (٥ : ٢٣٣) « عصفور القواس » ، فلعله والده .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٦٥) . ما عدا هـ : « محمد بن بشير » تحريف . والأبيات رويت فى الحيوان (٥ : ٢٣٥) . والأغانى (١٢ : ١٣٠) .

(٤) عنى بالمشمرين الصيادين بالسهام . والتوتير : شد وتر القوس ونحوها . ووجه روايته : « لمشمرين » كما فى الأغانى . هـ : « رقيقة التوتير » .

(٥) أشوى الرمية : لم يصب الصيد الذى يرميه .

(٦) عطف : جمع عطفاء ، وهى المحنية . وسية القوس : ماعطف من طرفها . وقبل البيت فى الحيوان :

يتبوعون مع الشروق غديَّةً فى كل معطية الجذاب نتور

(٧) نسب فى (١ : ١٤٩) وديوان المعانى (٢ : ٥٩) إلى العكلى . وأنشده فى الحيوان (٣ : ٧٢) .

(٨) سبق فى (١ : ١٥٠) وهو فى صفة ناقة . قال الجاحظ : « يصف سرعة نقل يديها ورجليها ، أنها تشبه المرأة الخرقاء ، وهى الخرقاء فى أمرها الطياشة » . وانظر الحيوان (٣ : ٧٢) والعمدة (١ : ١٦٨) .

(٩) سبق البيت والكلام عليه فى (١ : ١٥٠) .

(١٠) « نجا من جوفه » ، أى نفد سهم الصائد من جوف الحمار ، كما ذكر الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٧٥) . وسبق إنشاده فى البيان (١ : ١٥٠) ، « حتى نجا من شخصه » .

فإذا طال قيامُ الخطيب صار فيه انحناءٌ وجَناً (١). وقال الأسدىّ :

أنا ابنُ الخالدين إذا تلاقَى ... من الأيّام يومٌ ذو ضَجَاج (٢)
كأنّ اللَّغْب والخُطباءَ فيه ... قِسىٌّ مثقَّف ذاتُ اعوِجَاجِ (٣)

وعلى هذا المعنى قال الشماخ بن ضِرارٍ :

فأضحت تَفَالَى بالسِّتار كأنَّها ... رماحٌ نحاها وِجهةَ الرِّيح راكِزُ (٤)

وقال العُمَانىّ :

عاتٍ يرى ضَرْبَ الرجال مَغْنَما ... إذا رأى مُصَدِّقاً تجهَّما (٥)
وهزّ فى الكفّ ، وأبدَى المِعصما ... هِرَاوةً نَبْعِيّـــةً أو سَلَمـــا (٦)
تترُكُ ما رام رُفَاتا رِمَمَا (٧)

وقال أميّة بن الأسكر (٨) : ١٢٩

هلاّ سألتِ بنا إن كنتِ جاهلةً ... ففى السُّؤال من الأنباء شافيها (٩)

---

(١) الجنأ : ميل فى الظهر وحدب .

(٢) الضجاج ، بالفتح والكسر : المشاغبة والمشارّة . والخالدان : خالد بن نضلة ، وخالد بن قيس . جنى الجنتين ٤٣ .

(٣) اللغب ، بالفتح : الكلام الفاسد السيّئ . ما عدا ل ، هـ : « اللعب » بالعين المهملة ، تحريف . ما عدا هـ : « فيها اعوجاج » فيكون فيه الإقواء .

(٤) البيت آخر بيت من قصيدة له فى ديوانه ٤٣ وجمهرة أشعار العرب ١٥٤ . وتفالت الحُمُر : احتكت ، كأن بعضها يفلى بعضا . والستار : موضع . ووجهة الريح : أى فى مواجهتها . والراكز : الذى يغرز الرمح ونحوه فى الأرض . ورواه القرشى فى الجمهرة : « تغالى » بالغين ، وفسرها بقوله : أى تسابق ، تدخل رأسها بين أخواتها .

(٥) المصدق : الذى يتولى جمع الصدقات ، وهى الزكاة ، وكان النزاع دائماً بين المصدقين والمتصدقين . انظر صورة قوية منه فى قصيدة الراعى فى جمهرة أشعار العرب ١٧٥ .

(٦) نبعية ، من النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسى . والسلم : ضرب من الشجر

(٧) الرفات : الحطام من كل شئ تكسر . ما عدا ل ، هـ : « رفاقا » تحريف .

(٨) أمية بن الأسكر ، شاعر من مخضرمى الجاهلية والإسلام . وهاجَرَ ابنه « كلاب » إلى المدينة ثم خرج فى بعث إلى العراق فى خلافة عمر ، وكان هو قد كبر ، فبكاه بشعر ، فلما بلغ عمر ذلك أمر برده إليه . الإصابة ٢٥١ والمعمرين ٦٧ — ٦٩ والأغانى (١٨ : ١٥٦) والخزانة (٢ : ٥٠٥) وأسد الغابة .

(٩) ما عدا ل : « من الإعياء » تحريف .

تخبركِ عنا معدٌّ إنْ هُم صدقوا ... ومِن قبائل نجرانٍ يَمانيها
وبالجياد تجرُّ الخيْـلَ عابسةً ... كأنَّ مذرورَ مِلحٍ فى هواديها (١)
قومٌ إذا قَذَعُ الأقوال طاف بهم ... ألقى العَصىٌّ عِصىٌّ الجهل باريها

قال . والرَّجل إذا لم يكن معه عصاً فهو باهل . وناقةٌ باهِلٌ وباهلة ، إذا كانت بغير صِرار (٢) . وقال الراجز :

أبهَلَهـا ذائدُهـا وسَبَحـا (٣) ... ودقَّت المركُوّ حتّى ابلندحا (٤)

* * *

احتجنا إلى أن نذكرَ ارتفاقَ بعضِ الشَّعراء من العُرجان بالعصىّ ، عند ذكرنا العصا وتصرُّفَها فى المنافع . والذى نحنُ ذاكروه من ذلك فى هذا الموضع قليل من كثيرٍ ما ذكرناه فى كتاب العرجان . فإذا أردتموه فهو هناك موجودٌ إن شاء الله .

قالوا : ولما شاع هجاء الحَكم بن عبدلٍ الأسَدىّ (٥) لمحمد بن حسان بن سعد (٦) وغيره من الوُلاة والوجوه ، هابه أهل الكوفة ، واتَّقى لسانه الكبيرُ والصغير ، وكان الحَكمُ أعرجَ لا تفارقه عصاه ، فترك الوقوفَ بأبوابهم وصار يكتب على عصاه حاجتَه ويبعثُ بها مع رسوله فلا يُحبَس له رسول ، ولا يؤخّر

---

(١) الهوادى : الأعناق . وإذا يبس عرق الخيل ابيض وصار كالملح . قال طفيل الغنوى :

كأن يبيس الماء فوق متونها ... أشارير ملح فى مباءة مجرب

انظر شروح سقط الزند ٤٨ ، ٢٥٤ والمفضليات (٢ : ١٤٣) .

(٢) الصرار ، بالكسر : خيط يشد فوق خلفها لئلا يرضعها ولدها .

(٣) السبح : الفراغ الطويل والتصرف جيئة وذهابا .

(٤) المركو : الحوض الكبير . وابلندح : اتسع وعرض . والبيت فى اللسان (بلدح) .

(٥) فيما عدا هـ : « الأزدى » ، تحريف . وهو الحكم بن عبدل بن جبلة ، ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة . وكان هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية . ومنزله ومنشؤه الكوفة . وترجمته فى الأغانى (٢ : ١٤٤ – ١٥٣) .

(٦) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٨) .

عنه لقراءة الكتاب ، ثم تأتيه الحاجة على أكثر مما قدّر ، وأوفرَ مما أمّل ، فقال يحيى بن نوفل :

عصا حَكَمٍ فى الدّار أوّلُ داخلٍ   ونحن عن الأبواب نُقْصَى ونُحْجبُ (١)

١٣٠ وأما قول بِشر بن أبى خازم :

للهِ درُّ بنى الحَذَّاءِ مِن نفرٍ   وكلُّ جارٍ على جيرانه كَلِبُ (٢)
إذا غَدَوْا وعِصِىُّ الطّلْح أرجلُهم   كما تُنصَّبُ وسطَ البِيعةِ الصُّلُبُ

وإنَّما يعنى أنّهم كانوا عُرجاناً ، فأرجلُهم كعصىِّ الطَّلح . وعصىُّ الطَّلح معوجَّة . وكذَلك قال مَعْدانُ الأعمى ، فى قصيدته الطُّويلة التى صنّف فيها الغالية والرافِضة ، والتميميّة ، والزيديَّة :

والذى طفَّف الجِدارَ من الذُّعْـ   ـرِ وقد بات قاسمَ الأنفالِ (٣)
فغدا خامعاً بوجه هشيمٍ   وبساقٍ كعودِ طَلحٍ بالٍ (٤)

وقال بعض العُرجان (٥) ممن جعل العصا رِجْلاً :

ما للكواعب يا دهماء قد جعلَتْ   تَزْوَرُّ عنّى وتطوَى دونى الْحُجَرُ (٦)
لا أسمع الصّوتَ حتّى أستديرَ له   ليلاً طويلاً يناغينى له القَمرُ
وكنتُ أمشى على رجلينِ معتدلاً   فصرتُ أمشى على رجلٍ من الشَّجرِ

---

(١) بعده فى الأغانى (٢ : ١٤٤) :

وكانت عصا موسى لفرعون آية   وهذى لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها   ويرغب فى المرضاة منها ويرهب

(٢) البيتان فى الحيوان (١ : ٣١٦ / ٦ : ٤٨٤) .

(٣) طفف الجدار : علاّه ورفعه . والأنفال : الغنائم والهبات ، جمع نفل بالتحريك .

(٤) فى الحيوان (٦ : ٤٨٥) : « بأيدى هشيم » .

(٥) الشعر يروى لعمرو بن أحمر الباهلى ، كما فى الموشح ٨٠ . وانظر الخزانة (٤ : ٩٤) .

(٦) فى الموشح والخزانة : « يا عيساء » . وفى هـ : « وتلقى » .

وقال رجلٌ من بنى عِجل :

وشَى بِىَ واشٍ عند ليلَى سَفاهةً   فقالت له ليلى مقالةَ ذى عقلِ [1]
وخبّرها أنى عَرُجتُ فلم تكنْ   كورهاءَ تجترّ الملامةَ للبعلِ
وما بىَ من عيبِ الفتى غير أننى   جعلتُ العصا رِجْلاً أُقيم بها رِجلى

وقال أبو ضَبّةَ [2] فى رِجله :

وقد جعلتُ إذا ما نمتُ أوجعنى   ظَهرى وقمتُ قيامَ الشارف الظَّهِرِ [3]
وكنت أمشى على رجلينِ معتدلاً   فصرتُ أمشى على رجلٍ من الشَّجَرِ ١٣١

وقال أعرابىٌّ من بنى تميم :

وما بىَ من عَيب الفتى غير أنّنى   أَلِفتُ قَناتِى حين أوجعَنى ظهرى [4]

قال : ودخل الحَكم بن عبدل الأسَدىّ [5] وهو أعرج ، على عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب ، وهو أمير الكوفة وكان أعرج [6] ، وكان صاحب شُرَطِه أعرج ، فقال ابن عبدَل [7] :

أَلْقِ العصا ودع التخامع والتمسْ   عملاً فهذى دولةُ العُرجانِ [8]
لِأَميرنا وأميرِ شُرطِتنا معاً   لكليْهما يا قومَنا رِجلانِ

---

(١) الأبيات فى الحيوان (٦ : ٤٨٣) .
(٢) فى الحيوان (٦ : ٤٨٣) والخزانة (٤ : ٩٥) : « أبو حية » .
(٣) الشارف من الإبل : المسنّ . والظهِر : الذى يشتكى ظهره ، كما فى مقاييس اللغة . ورواية الحيوان : « الشارب السكر » .
(٤) الحيوان (٥ : ٤٨٤) .
(٥) ل : « الأزدى » ، صوابه فيما عدا ل .
(٦) ما عدا ل : « وهو أعرج » فقط .
(٧) فى الخبر نقص ، وفى الأغانى (٢ : ١٤٥) أنه لقى سائلا أعرج وقد تعرض للأمير يسأله .
(٨) التخامع : التعارج . وفى الأصل : « التخادع » ، صوابه من الأغانى (٢ : ٤٠٦ طبع دار الكتب) . وفى الحيوان (٥ : ٤٨٥) : « ودع التعارج » .

فإذَا يكونُ أميرُنا ووزيرُنا   وأنَا فإنّ الرابعَ الشيطانُ (١)

ومما يدلُّ على أنّ للعصا موقعاً منهم ، وأنها تدور مع أكثر أمورهم قولُ مزرِّد ابن ضِرار :

فجاءَ على بَكرٍ ثَفَالٍ يَكُـدُّه   عصاهُ استُه ، وَجْءَ العُجايَة بالفِهْرِ (٢)

ويقولون : اعتصى بالسَّيف ، إذا جعل السيف عصاه ، وإنَّما اشتقُّوا للسيف اسماً من العصا ؛ لأنّ عامّة المواضع التى تصلحُ فيها السيوف تصلحُ فيها العصيّ ، وليس كلُّ موضع تصلُح فيه العصا يصلح فيه السَّيف .

وقال الآخر :

ونحن صدَعْنا هامَةَ ابنِ مُحرِّقٍ   كذلك نَعصَى بالسيوف الصوارمِ

وقال عمرو بن الإطنابة (٣) :

وفتًى يضربُ الكتيبة بالسَّيْـ   ـفِ إذا كانت السيوفُ عصيًّا (٤)

وقال عمرو بن مُحرِز :

نزَلوا إليهم والسيوف عصيُّهم   وتذكّروا دِمَناً لهم وذُحُولا (٥)

---

(١) فى هذا البيت إقواء .

(٢) البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل . والثفَال ، بفتح الثاء وتخفيف الفاء : البطىء الثقيل . عصاه استه ، أى ليس معه عصا فهو يحرك استه على الحمار حتى يسير . انظر مجالس ثعلب ٣٨٠ حيث أنشد عجز هذا البيت . والوجء : الضرب . والعجاية ، بالضم : العصب يضرب حتى يلين . والفهر ، بالكسر : الحجر ملء الكف . ل : « العجانة » ما عدا ل : « العجابة » صوابهما ما أثبت من هـ . وانظر الأغانى (١٤ : ٢٠) .

(٣) الإطنابة أمه ، وهو عمرو بن زيد مناة الخزرجى ، شاعر فارس من فرسان الجاهلية . معجم المرزبانى ٢٠٣ – ٢٠٤ . وذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٠ : ٢٨) أنه كان ملك الحجاز .

(٤) قبله فى الأغانى :

إن فينا القيانَ يعزفن بالد   ف لفتياننا وعيشاً رخيا
يتبارين فى النعيم ويصبيـ   ـن خلال القرون مسكا ذكيا
إنما همهـن أن يتحليـ   ـن سموطاً وسنبلا فارسيا
من سموط المرجان فُصِّل بالد   ر فأحسِنّ بحليهن حليا

(٥) الدمن : جمع دمنة ، بالكسر ، وهو الحقد القديم . والذحل : الثأر .

وقال الفرزدق همامُ بن غالبِ بن صعصعة : ١٣٢

إنّ ابنَ يوسف محمودٌ خلائقُـه سِيَّانِ معروفُه فى الناس والمطَـرُ (١)
هو الشّهاب الذى يُرمَى العدوُّ به والمشرفـىُّ الـذى تَعصَى به مُضرُ

يُقال عَصِيَ بالسيف واعتصى به .

وقال العُريان بن الأسود ، فى ابنٍ له مات :

ولقد تَحمِل المُشاةُ كريماً ليِّنَ العود ماجدَ الأعراقِ
ذاك قوْلى ولا كقول نساءٍ مُعْوِلاتٍ يبكين بالأرْواق (٢)

وكتب عمرو بن العاص إلى عُمَر بن الخطاب رحمه الله : « إنّ البحر خَلْقٌ عظيمٌ يركبُه خلقٌ صغيرٌ : دودٌ على عودٍ (٣) » .

وقال واثلة السَّدوسىُّ (٤) :

رأيتُكَ لمّا شِبْتَ أدركَكَ الذى يُصيبُ سَراةَ الأزدِ حين تشيبُ (٥)
سفاهـةُ أحـلامٍ وبُخـلٌ بنائـلٍ وفيك لمن عابَ المَزُون عُيُوبُ (٦)
لقد صبرَتْ للذلِّ أعوادُ مِنبرٍ تقوم عليها ، فى يديك قضيبُ
وقد أوحشَتْ منكم رزَاديق فارسٍ وبـالمصر دُورٌ جَمَّـةٌ ودُرُوب (٧)

---

(١) ابن يوسف هو الحجاج ، كما فى ديوان الفرزدق ٤٣٥ .

(٢) الأرواق : أرواق البيوت ، جمع روق بالفتح ، وهو البيت أو ما بين يديه . ل : « بالأوراق » ما عدا ل : « للأوراق » ، والوجه ما أثبت .

(٣) سبق هذا الكتاب فى (٢ : ١١٣) .

(٤) ل : « واثلة بن الأسقع السدوسى » . وكلمة « الأسقع » مقحمة ، وإنما هو « واثلة بن خليفة السدوسى » كما سبق فى (١ : ٢٩١ / ٢ : ٣١٣) . وأما واثلة بن الأسقع فهو صحابى جليل كان من أهل الصفّة.توفى سنة ٨٣ فى خلافة عبد الملك بن مروان . تهذيب التهذيب والإصابة ٩٠٨٨ . والشعر يقوله فى هجاء عبد الملك بن المهلب .

(٥) سبق تفسير الشعر فى الموضعين السالفين .

(٦) فى هامش هـ : « المزون : أزدعمان » . وهو بفتح الميم كما فى اللسان .

(٧) الرزاديق ، هى الرساتيق ، وقد سبق تفسيرها . ما عدا ل : « رساتيق » .

وأنشد الأصمعى (١) :

أعددتُ للضِّيفان كلباً ضاريا وهِراوةً مجلوزةً من أَرْزَنِ (٢)
ومعاذِراً كذباً ووجهاً باسِراً وتشكّياً عَضّ الزمان الأَلْزَنِ (٣)
وشذاةَ مَرْهُوبِ الأذى قاذُورَةٍ خَشِنٍ جوانبه دَلُوظٍ ضَيْزَنِ (٤)
وبكفّ محبوكِ اليدين عن العُلَا والباعِ مسوَدِّ الذراع مُقَحْزَنِ (٥)
وتجنّياً لهم الذنوبَ وأتّقى بغليظ جِلد الوجنتين عَشَوْزَنِ (٦) ١٣٣

وقال جرير :

تَصِفُ السيوفَ وغيرُكم يَعْصَى بها يا ابنَ القيون وذاك فعلُ الصَّيقلِ (٧)

وقال الراعى :

تبيت ورِجلاها إوَانانِ لاستها عصاها استُها حتّى يكلّ قَعودها (٨)

---

(١) الشعر لوبر بن معاوية الأسدى ، كما فى حماسة البحترى ٤١٥ . وكان يعامل تجار المعدن ويلويهم بحقوقهم . وانظر إنشاد الشعر فى الحيوان (٢ : ٢١٠) والبخلاء ٢٠٠ وعيون الأخبار (٣ : ٢٤٢) .

(٢) جلز السكين والسوط : حزم مقبضه وشده بعلباء البعير . ويروى : « وفضل هراوة » . والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصى ، كما فى اللسان (رزن) عند إنشاد هذا البيت .

(٣) الباسر : العابس الذى ينظر بكراهة شديدة . والألزن : الضيق ؛ وأصله من الماء الملزون : الذى يزدحم عليه . انظر اللسان (لزن) حيث أنشد البيت .

(٤) الشذاة : الشر والحدة . والقاذورة : السيىء الخلق . والدلوظ : أراد به الشديد الدفع . وفى اللسان : « المدلظ : الشديد الدفع » . والضَّيْزَن : المزاحم .

(٥) الباع : السعة فى المكارم . والمقحزن : المصروع .

(٦) العشوزن : العسر الخلق .

(٧) يهجو الفرزدق من قصيدة فى ديوانه ٤٤٢ – ٤٤٨ .

(٨) الإوان من أعمدة الخباء . وأنشد هذا الصدر فى اللسان (أون) . وقال : أى رجلاها سندان لاستها تعتمد عليهما . ما عدا ل ، هـ : « أذانان » تحريف . وانظر لقوله : عصاها استها ، ما سبق فى حواشى ٧٧ . والقعود ، كصبور : ما اتخذه الراعى للركوب من الإبل . وفى شروح سقط الزند ١٦٦٤ : « يريد أن كفلها قليل اللحم عارى العظام ، فإذا أرادت أن تستحث الناقة اعتمدت عليها بكفلها ، فقام ذلك لها مقام العصا ، فأسرعت الناقة بها » .

وقال أعرابىٌّ للحُطيئة : ما عندكَ يا راعى الغنم ؟ قال : عجراء من سَلَم [١] قال : إنى ضَيفٌ ! قال : للضِّيفان أعددتُها .

* * *

وقال الشَّمَّاخ بن ضِرار :

إلى بَقَرٍ فيهنَّ للعين منْظرٌ ... ومَلْهًى لمن يلهو بهنَّ أنيقُ [٢]
رَعَينَ النَّدَى حتَّى إذا وَقَد الحصى ... ولم يبقَ من نَوء السِّماك بُرُوقُ [٣]
تَصدَّع شَعْبُ الحىِّ وانشقَّت العصا ... كذاك النَّوى بين الخليط شَقُوقُ [٤]

وقال امرؤ القيس :

قُولا لدُودَانَ عبيـدِ الـعصا ... ما غَرَّكُمْ بالأسدِ الباسلِ [٥]

وقال علىُّ بن الغدير [٦] :

وإذا رأيت المرءَ يشعَب أمـرَه ... شَعْبَ العصا ويَلجُّ فى العِصيانِ
فاعمِدْ لما تعلُو فما لَكَ بالتى ... لا تستطيع من الأمور يدانِ [٧]

---

(١) العجراء : الكثيرة العُجَر ، أى العقد . والسلم ، بالتحريك : شجر . وقد سبق الخبر فى (٢ : ١٤٧) .

(٢) قبله فى الديوان ٦٢ :

فقلت خليلى انظرا اليوم نظرة ... لعهد الصبا إذ كنت لست أُفيقُ

(٣) الندى ، أراد ما أنبته الندى من المرعى . ووقد الحصى : اشتدت حرارته .

(٤) هذا البيت ساقط من ب ، حـ . والخليط : القوم الذين أمرهم واحد . وشَقوق : وصف من شق ، أى فرق .

(٥) دودان : قبيلة من بنى أسد بن خزيمة . وانظر ديوان امرئ القيس ١٤٨ .

(٦) هو على بن الغدير الغنوى ، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية ، وله شعر فى فتنة ابن الزبير . المؤتلف ١٦٤ ومعجم المرزبانى ٢٨٠ . وهو القائل :

وهُلْكُ الفتى ألا يَرَاح إلى الندى ... وألا يرى شيئا عجيبا فيعجبا

(٧) يقال علا بالأمر : اضطلع به ، كما فى اللسان عند إنشاد البيت . وروى المرزبانى من هذه القصيدة :

وإذا سئلت الخير فاعلم أنـه ... نِعـم تخص بها من الـرحمن
شيم تعلـق فى الرجـال وإنما ... شيم الرجال كهيئة الألـوان

وقال الآخر :

وهَجهاجةٍ لا يملأ اللّيلُ صَدْرَهُ إذا النِّكسُ أغضى طرفَه غيرِ أروعِ (١)

صحيح برىء العُودِ من كل أُبْنَةٍ وجَمَّاعِ نَهْبِ الخير فى كلّ مَجمَعِ (٢)

وقال مِسكين الدارمىّ :

تَسمُو بأعناقٍ وتحبسها عَنَّا عصىُّ الذادةِ العُجُرُ (٣)

١٣٤ * حبابُ بن موسى (٤) ، عن مُجَالِدٍ ، عن الشَّعبى (٥) ، عن زَحْر بن قيس (٦) قال : قدمتُ المدائن بعد ما ضُرِبَ على بن أبى طالب رحمه الله ، فلقيَنى ابنُ السَّوداء (٧) وهو ابن حرب ، فقال لى : ما الخبر ؟ قلتُ : ضُرِبَ أمير المؤمنين ضربةً يموت الرّجلُ مِن أيسرَ منها ويعيش من أشدَّ منها . قال : لو جئتمونا بدماغه فى مائة صُرَّة لعلمنا أنّه لا يَمُوت حتّى يذودَكم بعصاه (٨) .

---

(١) فى هامش هـ : « يقال فحل هجهاج ، إذا كان شديد الهدير » . والنكس ، بالكسر : الرجل الضعيف . والأروع : الذى يرتاع من كل ما رأى وما سمع .

(٢) الأبنة ، بالضم : العيب يكون فى العود ونحوه .

(٣) هـ : « عنها » ل والتيمورية : « للعجز » تحريف . والذادة : جمع ذائد ، وهو الذى يذود الإبل ويطردها . والعجر : جمع عجراء ، وهى العصا التى فيها عقد .

(٤) المعروف فى كتب الرجال « حسان بن موسى » . انظر تهذيب التهذيب .

(٥) ترجمة مجالد بن سعيد فى (١ : ٢٤٢) ، وعامر الشعبى فى (١ : ١٩٤) .

(٦) هو زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سعنة الجعفى ، وزحر ، بفتح الزاى وسكون الحاء المهملة . وكان أحد أصحاب على بن أبى طالب ، أنزله المدائن فى جماعة جعلهم هناك رابطة . روى عنه عامر الشعبى ، وحصين بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٤٦٠٥ حيث أورد الخبر التالى أيضاً . وكان على إذا نظر إليه قال : « من سره أن ينظر إلى الشهيد الحى فلينظر إلى هذا ».وكان له أربعة أولاد نجباء : أحدهم فرات ، قتله المختار . والثانى جبلة ، قتل مع ابن الأشعث وكان على القراء ، فقال الحجاج : ما كانت فتنة قط تنجلى حتى يقتل عظيم من العظماء . والثالث جهم كان مع قتيبة بن مسلم بخراسان ، وولى جرجان . والرابع حمال ، كان بالرستاق . الإصابة ٢٩٦٠ .

(٧) ابن السوداء هذا هو عبد الله بن سبأ . وكانت أمه سوداء . الطبرى (٥ : ٩٨) والفرق بين الفرق ٢٢٥ . وكان يهوديا من أهل صنعاء ، أسلم فى أيام عثمان وحاول تضليل المسلمين . وهو صاحب السبائية .

(٨) بعده فى تاريخ بغداد : « قال : فوالله ما مكثنا إلا تلك الليلة حتى جاءنا كتاب =

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ ﴾ الآية . وقال الشاعر :

رأيتُ الغانياتِ نَفَرنَ منّى … نِفارَ الوحش من رامٍ مُفِيقِ (١)
رأينَ تغيُّرى وأردن لَدْنـاً … كغُصْنِ البانِ ذى الفَنَن الوريقِ

وقال أبو العتاهية :

عرِيتُ من الشَّباب وكان غَضًّا … كما يَعرَى من الورق القَضِيبُ (٢)
ألا ليتَ الشَّبابَ يعودُ يوما … فأُخبرَه بما صنع المَشِيبُ

وقال الآخر (٣) :

ولئن عَمِرتُ لقد عَمِرتُ كأننى … غُصْنٌ تثَنّيهِ الرِّياح رطيب (٤)
وكذاكَ حقاً من يُعَمرْ يُبلِهِ … كرُّ الزَّمانِ عليه والتّقليبُ
حتّى يعودَ من البِلَى وكأنّهُ … فى الكفِّ أفوَقُ ناصِلٌ مَعصوبُ (٥)
مُرُط القِذاذِ فليس فيه مصنعٌ … لا الرِّيشُ ينفعه ولا التعقيبُ (٦)

= الحسن بن على : من عبد الله حسن أمير المؤمنين إلى زحر بن قيس . أما بعد فخذ البيعة على مَنْ قِبلك » . والخبر برواية أخرى فى الفرق بين الفرق ، وفرق الشيعة للنوبختى ٢٠ .

(١) أفاق الرامىُ السهم : وضعه فى الوتر ليرمى به .

(٢) قبله فى ديوانه ٢٣ :

بكيت على الشباب بدمع عينى … فلم يغن البكاء ولا النحيب
فيا أسفا أسفت على شباب … نعاه الشيب والرأس الخضيب

(٣) هو نويفع بن نفيع الفقعسى ، كما فى أمالى الزجاجى ١٢٦ - ١٢٩ ولسان العرب (مرط) حيث القصيدة بتمامها . ويقال بل هو نافع بن نفيع ، وقيل نافع بن لقيط الفقعسى . وقد نسب البيت الأول والرابع فى اللسان (فيأ ، صنع) منسوباً إلى نافع بن لقيط . والأبيات فى ملحقات ديوان لبيد ٤٩ .

(٤) فى الديوان واللسان وأمالى الزجاجى : « ولئن كبرت » . وفى هذه المراجع أيضاً : « تفيئه الرياح » ، أى تحركه وتميله يمينا وشمالا .

(٥) الأفوق : السهم المنكسر الفوق ؛ والفوق ، بالضم : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . والناصل : الذى لا نصل له .

(٦) السهم المرط : الذى لا ريش عليه . والقذاذ : جمع قذة ، وهى ريشة السهم . ويقال ليس فيه مصنع ، أى ما فيه مستملح . والتعقيب : أن ينكسر فيشده بالعقب ؛ والعقب بالتحريك العصب الذى تعمل منه الأوتار ، وهو عصب =

وقال عروةُ بن الورد :

أليس ورائى أن أدِبَّ على العصا   فَيَأْمَنَ أعدائى ويسأَمَنى أهلى [(١)]

وأنشد :

عَصَوْا بسُيوفِ الهند واعتركت بهم   بَرَاكاءُ حرب لا يطيرُ غرابها [(٢)]

١٣٥ وقال لبيد :

أليس ورائى إن تراخت مَنّيتى   لُزومُ العصا تُحنَى عليها الأَصابعُ [(٣)]

وقال الآخر :

نُقِيم العصا ما كان فيها لدونَةٌ   وتأبى العصا فى يُبْسِها أن تُقَوَّما

وقال الآخر :

إنّ الغصون إذا قوَّمتَها اعتدلت   ولن تلينَ إذا قوّمتَها الخُشُبُ [(٤)]

وقال جرير :

ما للفرزدق من عزٍّ يلوذ به   إلا بنى العَمِّ فى أيديهم الخَشَبُ [(٥)]

سِيروا بنى العمّ فالأهوازُ منزلكمْ   ونهرُ تِيرَى فَما تدريكم العرب

وقال جرير فى هجائه بنى حنيفة [(٦)] :

= المتنين والساقين والوظيفين ، ينقى من اللحم ويسوى منه الوتر . وضبط « الريش » فى هـ بفتح الراء ، من راش السهم يريشه .

(١) البيت مطلع قصيدة له فى ديوانه ١٠٢ .

(٢) يقال عصا بسيفه يعصو ، وعصى بكسر الصاد يعصى بفتحها : أخذه أخذ العصا . والاعتراك : الازدحام . والبراكاء ، بالفتح : ساحة القتال . لايطير غرابها ، كناية عن كثرة القتلى والجيف .

(٣) ورائى ، بمعنى قدامى . كما فى قوله تعالى : (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) . يقول:ليس بعد الهرم إلا أن ألزم العصا وأدب عليها . والبيت فى ديوان لبيد ٢٣ طبع ١٨٨٠ .

(٤) سبق البيت مع قرين له فى (٢ : ٢٣٣) .

(٥) مضى البيت والكلام عليه فى ص ١٦ من هذا الجزء .

(٦) الأبيات من قصيدة له فى ديوانه ٥٩٩ — ٦٠٠ .

أصحابُ نخلٍ وحِيطان ومزرعةٍ   سيوفُهُم خُشبٌ فيها مساحِيها (١)
قَطْعُ الدِّبَارِ وسقْىُ النخل عادَتُهم   قِدماً وما جاوَزتْ هذا مساعيها (٢)
لو قيل أين هَوادى الخيل ما عَرَفوا   قالوا لأعجازها هذِى هواديها (٣)
أو قلتَ إنّ حِمامَ الموت آخِذُكم   أو تُلجموا فرساً قامت بواكيها (٤)
لمّا رأت خالداً بالعِرض أهلكَها   قتلاً وأسلمها ما قال طاغيها (٥)
دانت وأعطتْ يداً للسِّلْم طائعة   من بعد ما كاد سيفُ الله يُفْنيها (٦)

وقال سلامة بن جندل :

كنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فزِعٌ   كان الصُّراخُ له قَرعَ الظَّنابيب (٧)

ويقال للخاطب (٨) إذا كان مرغوباً فيه كريماً : ذاك الفحل الذى لا يقرع أنفه (٩) ؛ لأن الفحل اللئيم إذا هبَّ على الناقة الكريمة ضربوا وجهَه بالعصا .

وقال الآخر :

---

(١) الحيطان : جمع حائط ، وهو البستان من النخل إذا كان عليه جدار . والمسحاة : المجرفة من حديد .

(٢) الدبار : جمع دبرة بالفتح ، وهى الساقية بين المزارع . وفى الديوان : « وأبْر النخل » أى إصلاحه . ل فقط : « هذى » بدل « هذا » .

(٣) هوادى الخيل : أعناقها لأنها أول شئ فيها . والهادية من كل شئ : أوله . هـ : « ما علموا » . وفى الديوان : « قالوا لأذنابها » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « أو قيل » . وحمام الموت : ما قضى منه وقدر .

(٥) خالد هذا هو خالد بن الوليد ، الذى فتح اليمامة وقضى على بنى حنيفة سنة ١١ فى أيام أبى بكر الصديق . والعرض ، بالكسر : وادى اليمامة ، كله لبنى حنيفة ، إلا شيئاً منه لبنى الأعرج من بنى سعد ابن زيد مناة . وكتب فى هـ فوق « طاغيها » : « غاويها » رواية أخرى .

(٦) سيف الله : لقب خالد بن الوليد . الإصابة ٢١٩٧ حيث أورد حديث : « نعم عبد الله ، هذا سيف من سيوف الله » . فى الديوان : « صاغرة » بدل : « طائعة » .

(٧) سبق البيت والكلام عليه فى ص ٤٥ .

(٨) ما عدا هـ : « للخطاب » . وأشير فى حاشية التيمورية إلى أنها فى نسخة : « للخاطب » .

(٩) انظر ما مضى فى حواشى ص ٤٤ .

كأنّها إذْ رُفِعَتْ عصاها   نعامةٌ أوحَدَها رألاها (١)

* * *

وممَّن أضافوه إلى عصاه: داود مَلْكِينَ اليشكُرِىّ ، وكان ولِىَ شُرَط البصرة .

وجاء فى الحديث أنّ أبا بكرٍ رحمه الله أفاض من جَمْع (٢) وهو يخرِش بعيره بمِحجنه (٣).

وقال الأصمعىّ : المِحْجَنُ : العصا المعوجَّة .

وفى الحديث المرفوع : « أنّه طاف بالبيت يستلم الأركان بمحجنِه .

والخَرْشُ : أن يضربه بمحجنه (٤) ثم يجذبه إليه ، يريد بذلك تحريكه .

وقال الراعى :

فألقى عَصَا طلحٍ ونعـلاً كأنَّهـا   جَنَاحُ السُّمانى رأسهُ قد تصوّعا (٥) ١٣٦

والعَصَا أيضاً : فرس شَبيب بن كُرَيبٍ الطائى .

أبو الحسن ، عن على بن سُلَيمٍ (٦) قال : كان شبيب بن كريب الطائىّ يصيب الطريق فى خلافةِ على بن أبى طالب رحمه الله ، فبعث إليه أحمر بنَ شُمَيط العِجلىّ وأخاه فى فوارس ، فهرب شَبيبٌ وقال (٧) :

ولما أن رأيت ابنَىْ شُمَيطٍ   بسكّة طيِّئٍ والبابُ دُونى

---

(١) الرأل : فرخ النعامة . وأوحدها : تركها وحدها ، كما فى القاموس .

(٢) جمع ، بالفتح ، هى المزدلفة . ويوم جمع هو يوم عرفة .

(٣) أورد الخبر فى اللسان (خرش) وقال عن الأصمعى : « الخرش أن يضربه بمحجنه ثم يجتذبه إليه ، يريد بذلك تحريكه للإسراع . وهو شبيه بالخدش » . ما عدا ل ، هـ : « يحرش » بالحاء المهملة ، وهى صحيحة أيضا ، يقال حرش البعير بالعصا : حك فى غاربه ليمشى .

(٤) جملة « والخرش أن يضربه بمحجنه » من ل فقط . وإسقاطها يفسد الكلام .

(٥) السمانى ، كحبارى : طائر معروف يقطع من الشمال إلى الجنوب . تصوع : تفرق شعره . هـ : « رأسها » .

(٦) هـ : « على بن سليمان » .

(٧) ل : « فقال شبيب وهرب » .

تجلّلتُ العصا وعلمتُ أنّى … رهينُ مُخَيَّسٍ إن يثقَفونى (١)

ولو أنظرتُهُم شيئاً قليلا … لساقونى إلى شيخٍ بَطينِ

شديدِ مَجَالزِ الكَتِفين صُلْبٍ … على الحَدثان مجتمعِ الشُّؤونِ (٢)

وقال النَّجاشىّ لأمّ كَثِير بن الصَّلْت (٣) :

ولستُ بهنديٍّ ولكنّ ضَيعةً … على رَجُلٍ لو تعلمين مَزِيرِ (٤)

وأعجبْتِنى للسَّوط والنَّوط والعَصَا … ولم تعجبينى خُلَّـةً لأميـرِ (٥)

وقال أعشى بنى ربيعة (٦) :

وكان الخلائفُ بعد الرسو … لِ لله كلُّهمُ خاشعَا (٧)

شهيدَيْن من بعد صِدِّيقهم … وكان ابنُ صخر هو الرّابعا (٨)

وكان ابنُه بعده خامساً … مُطيعاً لمن قبله سامعا (٩)

ومَروان سادِسُ مَنْ قد مضى … وكان ابنُه بعده سابعا (١٠)

---

(١) المخيّس : السجن ، يقال بفتح الياء المشددة وكسرها . وهو أيضاً سجن لعلى بن أبى طالب يقول فيه :

أما ترانى كيساً مكيسا … بنيت بعد نافع مخيسا

نافع : سجن بالكوفة كان غير مستوثق البناء . يثقفونى : يظفروا بى .

(٢) المجالز : مواضع الجلز ، وهو الطى واللى .

(٣) مضت ترجمة النجاشى فى (١ : ٢٣٩) . وأما كثير بن الصلت فصحابى جليل ترجم له فى الإصابة ٧٤٧٣ وطبقات ابن سعد (٥ : ٧) .

(٤) المزير : الشديد القلب القوى النافذ .

(٥) النوط : التعليق . والخلة ، بالضم : الزوجة . قال جران العود :

خذا حذرا يا خلتى فإننى … رأيت جران العود قد كاد يصلح

(٦) ما عدا ل ، هـ : « أعشى بن ربيعة » ، تحريف . واسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب . وهو شاعر إسلامى من ساكنى الكوفة . وكان مروانى المذهب شديد التعصب لبنى أمية . انظر أخباره مع عبد الملك بن مروان والحجاج فى الأغانى (١٦ : ١٥٥ – ١٥٧)

(٧) ما عدا ل : « كلهم أسوة خاشعا » .

(٨) الشهيدان : عمر ، وعثمان . والصديق : أبو بكر . ولم يعترف بعلى بن أبى طالب لعصبيته الأموية ، فجعل رابع الخلفاء ابن صخر ، وهو معاوية بن صخر أبى سفيان .

(٩) ابنه هو يزيد بن معاوية .

(١٠) أسقط قبل مروان بن الحكم هذا ، معاوية بن يزيد بن معاوية ؛ لأن خلافته =

وبشرٌ يُدَافعُ عبدَ العزيز ... مضى ثامناً ذا وذا تاسعا (١)

١٣٧ وأيُّهمُ ما يَكُن سائساً ... لها لم يكن أمرُها ضائعا (٢)

فإما تَرَيْنِى حليفَ العصا ... فما كنت من رَثْيَةٍ خامِعا (٣)

فساوَمنى الدّهرُ حتى اشترى ... شبابى وكنت له مانِعا

وقال عوف بن الخَرِع (٤) :

ألا أبلغا عنِّى جُريجةَ آيةً ... فهل أنت عن ظلم العشيرة مُقْصِرُ (٥)

وإنْ ظَعَن الحىُّ الجميعُ لِطيّةٍ ... فأمرُكَ معصىٌّ وشِربُكَ مُغْوِرُ (٦)

أفى صِرْمةٍ عشرينَ أو هى دونَها ... قشر تم عصاكم فانظروا كيف تُقشَرُ (٧)

زعمتم من الهُجْر المضلِّلِ أنّكم ... سَتَنصُرُكم عمروٌ علينا ومِنْقَرُ (٨)

= لم تدم إلا أربعين يوماً أو عشرين يوماً . وبموته زال الأمر عن آل حرب . وولى مروان الخلافة فى رجب سنة ٦٤ ووليها بعده ابنه عبد الملك فى رجب سنة ٦٥ .

(١) لم يبايَع بشر بن مروان ولا عبد العزيز بن مروان بالخلافة ، وإنما كان بشر واليا على الكوفة ثم ضمت إليه البصرة . وأما عبد العزيز فكان ولى العهد بعد عبد الملك ، ولم يل الخلافة .

(٢) ل : « وأيهما » .

(٣) ما عدا ل : « فقد كنت من وثبة » تحريف . والرثية : كل ما يمنع من الانبعاث من وجع أو كبر . والخامع : الأعرج .

(٤) نسبه إلى جده . وهو عوف بن عطية بن الخرع التيمى ، شاعر فارس جاهلى . وانفرد البكرى فى السمط ٣٧٧ ، ٧٢٣ بقوله : إنه جاهلى إسلامى . والخرع لقب جده عمرو بن عبس . وفى اللسان (٤ : ٤٤) أن « الخرع » لقب أبيه عطية ، وهو خطأ . قال البغدادى فى الخزانة (٣ : ٨٣) : « وله ديوان صغير ، وهو عندى » . قلت : وله ثلاث قصائد مفضليات رقمها ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٤ . وروى له المرزبانى فى معجمه ٢٨٦ بعض الأبيات .

(٥) ل : « كريجة » . والآية : العلامة والأمارة والعبرة .

(٦) الجميع : المجتمع . والطية ، بالكسر : النية ، أى المنزل الذى ينتوى . والشرب ، بالكسر : مورد الماء . مغور : غائر ذاهب فى الأرض .

(٧) الصرمة ، بالكسر : القطعة من الإبل . وقشر عصاه : أبدى ما يكن ضميره من عداوة ، هذا ما فهمت من هذه الكناية عند ما لم أجد لها ذكرا فى معظم المعاجم . ثم وجدت فى أساس البلاغة : « وقشرت له العصا : أبديت له مافى ضميرى » .

(٨) الهجر ، بالضم : الفحش والتخليط والهذيان . ل : « من الهجر المغلل ، تحريف .

فيا شَجَر الوادى ألا تنصرونهم ... وقد كان بالمُروت رِمثٌ وسَخْبَرُ (١)
ألم تجعلوا تَيْماً على شُعبتَىْ عَصاً ... فما ينطق المعروفَ إلا معذِّرُ (٢)

وقال رجلٌ من محارب يرثى ابنَه :

ألم يكُ رطباً يعصِر القومُ ماءه ... وما عودُه للكاسرين بيابسِ

وقال حاجبُ بن زُرارة (٣) : « والله ما القعقاع (٤) برَطب فيُعْصَر ، ولا يابس فيُكسَر » .

وقال حَمَّادُ عَجْرَدٍ :

وجَــــرَوْا على ما عُوِّدوا ... ولكلِّ عيدانٍ عُصَارَهْ (٥)

وقال أيضاً (٦) :

فأنتَ أكــــرمُ مَن يمشى على قدمٍ ... وأنضَرُ الناس عند المَحْلِ أغصانا (٧)

---

(١) شجر الوادى : كناية عن الكثرة . والمروت : واد بالعالية كانت به وقعة بين تميم وقشير . انظر معجم البلدان والعقد (٥ : ١٧٩ طبع لجنة التأليف) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٨٥) والعمدة (٢ : ١٦١) وأمثال الميدانى (٢ : ٣٥٤) . والرمث : شجر يشبه الغضى من الحمض ، وهو مرعى من مراعى الإبل . والسخبَر : شجر إذا طال تدلت رءوسه وانحنت . وفى البيت تهكم ظاهر .

(٢) يقال عصا فى رأسها شعبتان ، أى طرفان . جعلهم على شعبَتى عصا ، أى هم فى غير استقرار . والمعذر : الذى يعتذر ولا عذر له .

(٣) حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمى ، كان من رؤساء يوم جبلة ، وكان يوم جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبى ﷺ ، كما فى العقد . وقد عاش حاجب إلى أن وفد على الرسول وأسلم ، وبعثه على صدقات بنى تميم ، وهو الذى رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفَى به . الإصابة ١٣٥٥ .

(٤) القعقاع هذا ، وهو ابن أخى حاجب بن زرارة . وهو القعقاع بن معبد بن زرارة ، له صحبة ، ووفد فى بنى تميم . وكان يقال له « تيار الفرات » لسخائه . الإصابة ٧١٢٢ . وقد أولعت هذه الأسرة بالفخر ببَنِيها . ويشبه ذلك الفخر الذى سيأتى ، فخر القعقاع نفسه بابنه عوف إذ يقول : « والله لما أرى من شمائل الجن فى عوف أكثر مما أرى فيه من شمائل الإنس » . الحيوان (٦ : ٢٣٦) .

(٥) بعد هذا سقطٌ فى النسخة التيمورية ينتهى فى منتصف ص ٩٢ س ١٢ .

(٦) يقوله فى محمد بن أبى العباس السفاح كما فى الشعراء ٧٥٦ .

(٧) ب ، جـ : « عند الناس » . وبدله فى الشعراء :

أرجوك بعد أبى العباس إذ بانا ... يا أكرم الناس أعراقا وأغصانا

لو مَجَّ عُود على قومٍ عُصَارته … لمَجَّ عودُك فينا المِسكَ والبانا

وقال آخر (١) :

إنّا وجَدْنا النّـاسَ عُودَيـن : طيّبـاً … وعوداً خبيثًا ما يَبِضُّ على العَصرِ (٢)

١٣٨ تَزيـن الفتـى أخلاقُـــه وتَشينـــه … وتُذكر أخلاقُ الفتى حيثُ لا يدرى (٣)

وقال المؤمَّل بن أُمَيل :

كانت تقيَّد حين تنزل منزلا … فاليوم صار لها الكلالُ قُيودا

والنَّاس كالعِيدانِ يَفضُلُ بعضهُم … بعضاً كذاك يفوق عودٌ عودا (٤)

وقالت ليلى الأخيليّة (٥) :

نحنُ الأخايل لا يزال غُلامُنا … حتَّى يدبَّ على العصا مذكورا (٦)

* * *

انظر – أبقاك الله – فى كم فنٍّ تَصرَّف فيه ذكرُ العصا من أبواب المنافع والمرافق ، وفى كم وجه صرّفته الشُّعراء وضُرِب به المثل . ونحن لو تركْنا الاحتجاج لمخاصِر البلغاء ، وعِصىّ الخطباء ، لم نجد بُدًّا من الاحتجاج لِجلَّة المرسَلين ، وكبار النبيِّين ؛ لأنّ الشُّعوبيّة قد طعنت فى جملةِ هذا المذهب على قضيبِ النبى ﷺ وعَنَزَته ، وعلى عصاه ومِخْصَرَته ، وعلى عصا موسى ؛ لأنّ موسى ﷺ قد كان اتَّخذها من قبل أن يَعلم ما عند الله فيها ، وإلامَ يكون صَيُّور أمرها (٧) . ألَا ترى أنّه لما قال الله عزّ وجل : ﴿ وما تِلْكَ بِيَمِينكَ

---

(١) هو أبو البلاد الطهوى ، كما سبق فى (٢ : ١٠٤) .

(٢) لا يبض : لا يخرج منه ماء .

(٣) ب ، حـ ، هـ : « وهو لا يدرى » ، كما مضى فى (٢ : ١٠٤) .

(٤) سبق فى ص ٦٢ : « والقوم كالعيدان » .

(٥) ويقال إن الشعر لأبيها ، كما فى اللسان (١٣ : ٢٤٦) .

(٦) جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية العقيلى .

(٧) صيور الأمر : منتهاه وما يصير إليه .

يَا مُوسى ﴾ ، قال : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهاَ عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مآرِبُ أُخْرى ﴾ . وبعد ذلك قال : ﴿ قال أَلْقِهاَ ياَ مُوسَى . فَأَلْقاَها فإذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسعَى ﴾ . ومَن يستطيع أن يدَّعى الإحاطةَ بما فيها من مآربِ موسى إلاّ بالتقريب وذِكرِ ما خطَر على البال ؟! وقد كانت العصا لا تُفارِق يدَ سليمانَ بنِ داود عليه السلام فى مَقاماته وصلواته ، ولا فى موته ولا فى أيّام حياته ، حتَّى جعل الله تسليط الأَرَضة عليها وسليمانُ ميّتٌ وهو معتمدٌ عليها ، من الآياتِ عندَ مَن كان لا يعلم أنّ الجنَّ لم تكن تعلم إلاَّ ما تعلم الإنس .

ولو علم القومُ أخلاقَ كلِّ ملّة ، وزىَّ أهلِ كلِّ لغةٍ وعِلَلهم فى ذلك ، ١٣٩
واحتجاجَهم له ، لقلَّ شَغْبهم ، وكفَونا مَئُونتهم . هذه الرُّهبان تتَّخذ العِصىَّ ، من غير سُقم ولا نُقصانٍ فى جارحة . ولا بدَّ للجاثَليق من قِناعٍ ومن مظِلَّة وبَرْطُلَّة (١) ، ومن عُكّازٍ ومن عصًا ، من غير أن يكون الدَّاعى إلى ذلك كِبَراً ولا عجزاً فى الخِلقة .

ومازال المُطِيل القيامَ بالموعظةِ أو القراءةِ أو التِّلاوة يتخذ العصا عند طول القيام ، ويتوكّأُ عليها عند المشى . كأنَّ ذلك زائدٌ فى التكهُّل والزَّماتة (٢) ، وفى نفى السُّخف والخِفّة .

* * *

وبالنّاس حفظك اللهُ أعظم الحاجةِ إلى أنْ يكونَ لكلِّ جنسٍ منهم سِيما ، ولكلِّ صنفٍ حليةٌ وسِمَةٌ يتعارفون بها .

---

(١) الجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى . والبرطلة ، بفتح الباء وضم الطاء وتشديد اللام : كلمة نبطية وليست من كلام العرب . قال أبو حاتم : قال الأصمعىّ : بر : ابن . والنبط يجعلون الظاء طاء ، وكأنهم أرادوا ابن الظل . ألا تراهم يقولون : الناطور ، وإنما هو الناظور . المعرب للجواليقى ٦٧ — ٦٨ . والمراد بالبرطلة ها هنا : القلنسوة التى تدار عليها العمامة . انظر اللسان (برطل) ومعجم استينجاس ١٧٥ .

(٢) الزماتة : الحلم والوقار . ل : « الرمانة » ما عدا ل : « الزمانة » صوابهما من هـ .

وقال الفرزدق بن غالب :

به نَدَبٌ مما يقول ابنُ غالبٍ   يلوح كما لاحت وسومُ المَصَدِّقِ (١)

وقال آخر :

أنارَ حتى صدَقت سِماتُه   وظهرت من كرَمٍ آياتُه

وأنشدنى أبو عبيدة :

سقاها مِيسمٌ من آل عمرو   إذا ما كان صاحبُها جَحيشا (٢)

وذكر بعضُ الأعراب ضروباً من الوسم ، فقال :

بهنَّ من خُطَّافنا خبْطٌ وُسِمْ (٣)   وحَلَقٌ فى أسفل الذِّفرَى نُظِمْ (٤)

مَعْها نظامٌ مثل خطٍّ بالقَلَمْ   وقُرْمَةٌ ولست أدرى من قَرَم (٥)

* عَرضٌ وخَبْطٌ للمحلِّيها المُسَمّ (٦) *

وقال تبارك وتعالى : ﴿ سِيماهُمْ فى وُجوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجود ﴾ .

---

(١) البيت مما لم يرو فى ديوان الفرزدق . والندب ، بالتحريك : واحِد الندوب ، أو جمع الندبة ، والندبة : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد . أراد بذلك وقع هجائه . ويعنى بابن غالب نفسه . والمصدق : الذى يتولى جمع الصدقات . وكانوا يَسِمون إبل الصدقة ، أى يعْلمون عليها بالكى .

(٢) الميسم : آلة الوسم ، وهو أيضاً أثر الوسم . يقول : هذه الإبل عرفت سماتها الدالة على عزة أصحابها فسمح لها بالسقيا . وصاحبها : راعيها . جحيشا : منفرداً بعيداً . وهذا مثل قوله :

حتى سقوا آبالهم بالنار   والنار قد تشفى من الأوار

قال فى اللسان (نور) . « أى سقوا إبلهم بالسمة ، أى إذا نظروا فى سمة صاحبه عرف صاحبه فسقى وقدم على غيره ؛ لشرف أرباب تلك السمة » .

(٣) الخطاف : سمة يوسم بها البعير كأنها خُطَّاف البكرة . والخبط : ضرب من الوسم يكون فى الفخذ أو الوجه . ما عدا ل : « من خطافها علط وسم » . والعلط : ضرب من الوسم يكون فى العنق .

(٤) أراد حلقا من الوسم أيضا . والذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن .

(٥) القرمة ، بالضم والفتح : سمة فوق الأنف ، تسلخ منها جلدة ثم تجمع فوقها .

(٦) العرض : ضرب من الوسم يكون فى عرض الفخذ . التحلية . الوصف . والمُسَمُّ ، أى المسمى من التسمية . ما عدا ل : « لمحليها الوسم » . وفى هـ : « لمخليها الوسم » .

وكما خالفوا بين الأسماء للتّعارُف ، قال الله عز وجل : ﴿ وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . فعند العرب العِمَّةُ وأخذ ١٤٠ المِخصرة من السِّيما .

وقد لا يلبس الخطيب [(١)] المِلْحفة ولا الجُبَّةَ ولا القميصَ ولا الرِّداء . والذى لابدَّ منه العِمَّةُ والمِخصرة . وربّما قام فيهم وعليه إزارهُ قد خالَفَ بين طرَفيه . وربّما قام فيهم وعليه عمامتُه ، وفى يدهِ مخصَرته ، وربّما كانت قضيباً وربما كانت عصاً ، وربّما كانت قناة . وفى القنا ما هو أغلظُ من السّاق ، وفيها ما هو أدق من الخِنْصَرِ . وقد تكون مُحكَّكة الكعوب مثقَّفة من الاعوجاج ، قليلة الأُبَن [(٢)] . وربّما كان العود نَبْعاً وربّما كان من شَوْحَطٍ ، وربما كان من آبَنُوس [(٣)] ، ومن غرائب الخشَب ومن كرائم العيدان ، ومن تلك المُلْس المصفَّاة . وربّما كانت لبَّ غصنٍ كريم ؛ فإنَّ للعيدان جواهرَ كجواهر الرِّجال [(٤)] ولولا ذلك لما كانت فى خزائن الخلفاء والملوك . ومنها [(٥)] مالا تَقْرَبه الأَرَضة ولا تؤثِّر فيه القوادح [(٦)] .

والعُكّازة إذا لم يكن فى أسفلها زُجٌّ فهى عصاً [(٧)] ؛ لأن أطول القنا أن

---

(١) ل : « وقد قالوا لا يلبس الخطيب » .

(٢) الأبن ، جمع أبنة ، بالضم ، وهى العقدة .

(٣) الآبنوس ، لم تعرفه المعاجم العربية ولا كتب المعربات . ولفظه الفارسى : « آبْنُوس » . استينجاس ١٠ . قال داود فى تذكرته : « معرب من العجمية » . وذكر أنه ينبت بالحبشة والهند ، وأن له أوراقا كأوراق الصنوبر أو هى أعرض ، لا تسقط . وأن له ثمراً كالعنب لكنه إلى الصفرة والحلاوة . وذكر أن أجود خشبه الرزين الشديد السواد الشبيه بالقرون . وأنشد فى الأغانى ١١ : ١٣٣ لمحمد بن يسير :

آبنوس دهماء حالكة اللو ... ن لُبَاب من اللطاف الملاح

(٤) جوهر كل شئ : ما خلقت عليه جبلته .

(٥) إلى هذه الكلمة يستمر سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ٨٨ س ٩ .

(٦) القوادح : جمع قادح ، وهو أكال يقع فى الشجر .

(٧) يقال عكازة وعكاز أيضاً ، كما فى القاموس . ما عدا ل : « والعكاز إذا لم يكن فى أسفله زج فهو عصا » .

يقال رمحٌ خَطِلٌ ، ثم رمح بائِنٌ (١) ، ثمّ رمحٌ مخموس ، ثم رمحٌ مربوع (٢) ، ثم رمح مِطرَد (٣) ، ثم عُكّازةٌ (٤) ، ثم عصا .

ثم من العصيِّ نُصُب المساحى (٥) والمرورِ (٦) والقُدُمِ (٧) والفؤوس والمَعاول ، والمناجِل ، والطَّبَرْزِينات (٨) . ثم يكون من ذلك نُصُب السَّكاكينِ والسُّيوفِ والمَشامِل (٩) .

وكلُّ سهامٍ نبْعيةٍ ، وغيرُ ذلك من العِيدان ، مما امتدحها أوس بن حجرٍ (١٠) أو الشمَّاخ بن ضِرار ، أو أحدٌ من الشعراء ، فإنما هى من عَصًا (١١) .

وكلُّ قوسٍ بُندقٍ فإنّما جيءَ بقناتها من بَرْوَض (١٢) ، ومُدِح ببَرْيها وصنعتها عصفورٌ القوّاس . وقال الرَّقَاشىّ (١٣) :

---

(١) ل : « نابر » ماعدا ل : « نائر » ، كلاهما محرف عما أثبت . وفى اللسان (بين) : « وفى الحديث فى صفته ﷺ : ليس بالطويل البائن . أى المفرط طولا الذى بعد عن قد الرجال الطوال » .

(٢) المخموس : ماطوله خمس أذرع . والمربوع : ما طوله أربع . مجالس ثعلب ٥٣٩ .

(٣) المطرد ، بالكسر : ما يطرد به الوحش .

(٤) يقال عكازة وعكاز ، كما سبق فى حواشى ٩٢ . ما عدا ل : « عكاز » .

(٥) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة . والنصب ، بضمتين : جمع نصاب بالكسر ، وهو المقبض .

(٦) المرور : جمع مر ، بالفتح ، وهو المسحاة .

(٧) القدم ، بضمتين : جمع قدوم ، بالفتح ، وهى التى ينحت بها .

(٨) الطبرزينات : جمع طبرزين ، وهو فأس يستعمل فى القتال عند الفرس . مركب من كلمتين « تَبَر » بمعنى الفأس و « زين » بمعنى السرج . لعله سمى بذلك لالتزام وضعه بجانب السرج . استينجاس ٢٧٠ والمعرب ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ .

(٩) المشامل : جمع مشمل كمنبر ، وهو سيف قصير دقيق . وفى المحكم أنه سيف قصير يشتمل عليه الرجل فيغطيه بثوبه .

(١٠) كلمة « مما » من ل فقط .

(١١) ما عدا ل ، هـ : « من كل عصا » . وكلمة « كل » مقحمة .

(١٢) بروض : موضع لم يذكر فى المعاجم وكتب البلدان المتداولة . وقد جعلها فى الشعر التالى « بروضاء » . وانظر ما سبق فى ص ٧١ س ١٠ . وفى هـ : « بروص » .

(١٣) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشى : شاعر أديب معاصر لأبى نواس ، وليس من الرقاشيين بل هو من مواليهم . الأغانى (١٥ ، ٣٤) . وقد لج الهجاء بينه وبين أبى نواس انظر الديوان ١٧٦ – ١٧٩ =

أنعَتُ قوساً نعتَ ذى انتقاءِ … جاء بها جالبُ بَرْوضَاءِ
بعد اعتيامٍ منه وانتصَاء (١) … كافيةَ الطُّول على انتهاءِ
مجلوزة الأكعبِ فى استواءِ (٢) … سالمةً من أُبَن السِّيساءِ (٣)
* فلم تَزل مَساحِلُ البَرَّاءِ (٤) … تأخذ من طوائف اللِّحَاءِ (٥) ١٤١
حتى بدتْ كالحيّةِ الصَّفراءِ … ترنُو إلى الطّائِر فى السَّماءِ
بمُقلْة سريعةِ الإقذاءِ (٦) … ليست بكحلاءَ ولا زرقاءِ

وقال الآخر :

قد أغتدى مَلْثَ الظَّلامِ بفِتيةٍ … للرَّمْي قد حَسرُوا له عن أذرعَ (٧)
متنكِّبينَ خرائطاً لبنادقٍ … ما بين مضفورٍ وبينَ مرسَّعِ (٨)
بأكفّهم قُضبان بَرْوَضَ ، قد غَدَوا … للطَّير قبل نُهُوضها للمرتَعِ (٩)

= والبخلاء ١٩١ . ويبدو أنه هجاء دعابة ؛ فقد كان الفضل من خلطاء أبى نواس وندماه . أخبار أبى نواس لابن منظور ١٢٨ – ١٣٣ . وفى هجو أبى نواس للرقاشيين نعتَ قدورهم بالنظافة والبياض والصغر ، حتى ضرب بها المثل فقيل « قدر الرقاشى » . ثمار القلوب ٤٩١ والوساطة ٣١٧ .

(١) الاعتيام : الاختيار . وكذلك الانتصاء . يقال انتصى فلان من القوم ، بالبناء للمفعول ، أى اختير من نواصيهم وأشرافهم .

(٢) المجلوزة : التى شد عليها الجلائز ، وهى عقبات تلوى على القوس .

(٣) الأبن : العقد . والسيساء ، أصله منتظم فقار الظهر .

(٤) المسحل ، كمنبر : المبرد . والبراء : الذى يبرى القوس ونحوها .

(٥) الطوائف : الجوانب . واللحاء : القشر .

(٦) المعروف فى المعاجم « الاقتذاء » ، واقتذاء الطير : فتحها عيونها ، وتغميضها ، كأنها تجلى بذلك قذاها ؛ ليكون أبصر لها . قال حميد بن ثور فى صفة البرق :

خفى كاقتذاء الطير والليل واضع … بأرواقه والصبح قد كاد يلمع

(٧) ملث الظلام : حين يختلط الضوء بالظلمة ، عند العشاء وعند طلوع الفجر .

(٨) تنكب الشىء : علّقه على منكبه . والخريطة : شبه الكيس تكون من الخرق والأدم ؛ تشرج على ما فيها . والبنادق : جمع بندقة ، وهو تلك التى يرمى بها . والمرسع من الترسيع ، وهو أن يخرق الشىء ثم يدخل فيه سيراً ، كما تسوى سيور المصاحف . ل فقط : « مرصع » .

(٩) أراد بالقضبان القسى المتخذة منها . وبروض ، سبق الكلام عليها فى ٩٣ . ما عدا ل : « بروص » .

تُقذى مَنِيّاتُ الطُّيور عيونَها   يوماً إذا رَمدت بأيدى النُّزَّعِ [١]
صُفْر البطونِ كأنَّ لِيطَ متونها   سَرَقُ الحرير نواضرٌ لم تَسْلَع [٢]

* * *

وكانت العَنَزة التى تُحمَل بين يدىْ رسول الله ﷺ – وربَّما جعلوها قبلةً – أشهَرَ وأذكَر من أن يُحتاج فى تثبيتها إلى ذكر الإسناد .

* * *

وكانت سِيما أهلِ الحرمِ إذا خرجُوا إلى الحِلّ فى غير الأشهر الحُرُم ، أنْ يتقلدوا القلائدَ ، ويعلِّقوا عليهم العلائق [٣] . وإذا أُوْذَمَ أحدُهم الحجّ [٤] تزيَّا بِزىّ الحاجّ ، وإذا ساقَ بَدَنة أشعَرَها [٥] . وخالَفوا بين سِمات الإبل والغنم ، وأعلموا البَحِيرة بغير عَلَم السَّائبة [٦] ، وأعلموا الحامىَ بغير علم سائِر الفحول [٧] . وكذلك الفَرَع والوصِيلة والرَّجَبيّة والعَتيرة من الغنم [٨] وكذلك سائرُ الأغنام السَّائمة .

---

(١) النزع : جمع نازع ، وهو الرامى . أى كلما أوغلت هذه القسى فى الضرب زادها ذلك طيشا فجعلت تضرب فى غير هدى .

(٢) صفر : جمع أصفر وصفراء . والليط ، بالكسر : القشر . والسرق ، بالتحريك : أجودِ الحرير . تسلع : تتشقق . ما عدا ل : « لم تشبع » تحريف . والبيت فى صفة القسى .

(٣) العلائق : جمع علاقة ؛ بالكسر ، وهو ما يعلق به الشئ .

(٤) أوذم الشئ : أوجبه على نفسه .

(٥) البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة . وأشعرها : أعلمها .

(٦) البحيرة : الناقة إذا نتجت خمسة أبطن والخامس أنثى بحروا أذنها أى شقوها ، فكانت الناقة بذلك حراما على الناس لحمها ولبنها وركوبها . وإذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، وتركوها مسيبة وسموها السائبة . وقد اختلف اللغويون وكذلك الفقهاء فى تفسير هذه الأسماء اختلافا بيناً .

(٧) كلمة « سائر » من ل فقط . والحامى : الفحل من الإبل يضرب عشرة أبطن ، فإذا بلغ ذلك قالوا : هذا حام ، أى حمى ظهره ، فيترك فلا ينتفع منه بشئ ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى .

(٨) الفرع ، بالتحريك : أول نتاج الإبل والغنم . وكان أهل الجاهلية يذبحونه لآلهتهم يتبرعون به والوصيلة : هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين ، فإن ولدت فى الثامنة جديا وعناقا قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها ، ولا يشرب لبنها النساء ؛ وكانت للرجال وجرت مجرى السائبة . والرجبية : ذبيحة كانوا يذبحونها فى رجب . والعتيرة : ذبيحة كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها .

وإذا كانت الإبل من حِباء ملكٍ غرَزُوا فى أسنمتها الرِّيش والخِرق (١) .

ولذلك قال الشاعر :

يهَبُ الهجان بريشها ورُِعائها كاللَّيل قبلَ صباحِه المتبلِّجِ (٢)

وإذا بلغت الإبل ألفاً فقئوا عين الفحل ، فإن زادت فقئوا العينَ الأخرى فذلك المفقَّأ والمعمّى . وقال شاعرهم : ١٤٢

فقأتُ لها عَين الفَحِيل تعيُّفا وفيهن رعلاءُ المسامع والحامى (٣)

وقال آخر :

وهبتَها وأنت ذو امتنانِ يُفقأ فيها أعينُ البُعرانِ

قال الآخر :

فكان شكرُ القومِ عند المننِ كىَّ الصحيحات وفَقْءَ الأعيُنِ

وإذا كان الفحل من الإبل كريماً قالوا فَحِيل ، وإذا كان الفحل من النَّخل كريماً قالوا فُحّال . قال الرّاعى :

كانت نَجائبَ منذرٍ ومحرِّق أمّاتُهنَّ وطرقُهنَّ فَحِيلا (٤)

* * *

وكان الكاهنُ لا يلبس المصبَّغ ، والعَرَّاف لا يدَعُ تذييلَ قميصه وسَحب ردائه ، والحَكَمُ لا يفارق الوَبَر . وكان لحرائر النِّساء زِىٌّ ، ولكلِّ مملوكٍ زِىٌّ ،

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤١٧ - ٤١٨) .

(٢) الهجان : الإبل البيض ، والخيار من كل شئ . وفى الحيوان : « الجلاد » . والرعاء ، بالكسر والضم : جمع راع . جعلها كالليل لما فوق أسنمتها من الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام .

(٣) الفحيل : فحل الإبل إذا كان منجبا كريما . وأنشد البيت فى الحيوان (١ : ١٧) وقال : « الرعلاء : التى تشق أذنها وتترك مدلاة لكرمها » .

(٤) البيت من قصيدة له فى جمهرة أشعار العرب ١٧٢ - ١٧٦ والخزانة (١ : ٥٠٢) . وأنشده فى اللسان (طرق) مسبوقا بقوله : « يقال للضارب طَرْق بالمصدر ، والمعنى أنه ذو طرق » . والطرق : الضراب .

ولذواتِ الرَّايات زىّ (١) ، وللإماءِ زىّ .

وكان الزِّبرقان (٢) يَصبغ عمامتَه بصُفْرة . وذكره الشاعر فقال (٣) :

وأشهَدَ من عَوفٍ حُلولاً كثيرة ... يَحُجُّون سِبَّ الزِّبرقانِ المزعفرا (٤)

وكان أبو أُحيحة سعيد بن العاص (٥) إذا اعتمّ لم يعتمّ معه أحد ، هكذا فى الشّعر . ولعلّ ذلك أن يكون مقصوراً فى بنى عبد شمس . وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة قد علمتمْ ... بمكةَ غيرَ مهتضَمٍ ذميمِ
إذا شَدَّ العصابةَ ذاتَ يومٍ ... وقامَ إلى المجالس والخصومِ
فقد حَرُمت على مَن كان يمشى ... بمكة غير مُدَّخَلٍ سقيـمِ (٦) ١٤٣
وكان البَخْترىُّ غداةَ جَمْعٍ ... يدافعُهم بلقمانَ الحكيمِ
بأزهـرَ من سَراة بنـى لُؤَىٍّ ... كبدر الليل راقَ على النُّجومِ (٧)

---

(١) كانت البغايا فى الجاهلية يجعلن على بيوتهن رايات ليعرفن بها . انظر تفسير الطبرى (١٨ : ٥٧) . وكذلك كان يفعل أصحاب الحانات . اللسان (غيا) . وكذلك البياطرة . الطبرى وثمار القلوب ١٩٣ .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٣) .

(٣) هو المخبل السعدى ، كما فى إصلاح المنطق ٤١١ واللسان (سبب ، حجج) .

(٤) عوف : قبيلة . والحلول : الأحياء المجتمعة ، جمع حالّ ، كشاهد وشهود : يحجون : يقصدون . وأشهد ، بالنصب كما حقق ابن برى . وقبل البيت :

ألم تعلمى يا أم عمرة أننى ... تخاطأنى ريب الزمان لأكبرا

(٥) سعيد بن العاص ، هذا هو جد سعيد بن العاص بن سعيد المترجم فى (١ : ٣١٤) . وقد أخطأ كثير من المؤلفين فى الخلط بينهما . وهذا سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكنيته أبو أحيحة . كان من وجوه قريش ولم يدرك الإسلام . وكان قد قدم الشام فى تجارة فحبسه عمرو بن جفنة ، حبسه مع هشام بن سعيد العامرى ، فقال فى ذلك :

قومى وقومك يا هشام قدَ اجمعوا ... تركى وتركَكَ آخرَ الأعصار

فى أبيات . فاجتمع رأى بنى عبد شمس على أن يفتدوا سعيد بن العاص ، فجمعوا مالا كثيرا فافتدوه به . الإصابة ٣٧٥٩ .

(٦) المدخل ، أراد به الدعى الذى يدخل فى القوم .

(٧) راق عليه : زاد عليه فضلا .

هو البيت الذى بُنيت عليه قريشُ السِّرِّ فى الزمن القديمِ (١)
وسَطْتَ ذوائبَ الفَرعَينِ منهم فأنت لبابُ سِرِّهم الصَّميمِ

وقال غَيلان بن خَرَشة (٢) للأحنف : يا أبا بحرٍ ، ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلّدوا السُّيوف ، وشدُّوا العمائم واستجادوا النِّعال ، ولم تأخذهم حَمِيّة الأوغاد . قال : وماحَمِيَّةُ الأوغاد ؟ قال : أن يعدُّوا التّواهُبَ ذُلاًّ (٣) .

وقال الأحنف : استجيدوا النِّعال ؛ فإنَّها خلاخيل الرّجال (٤) .

والعرب تسمى السُّيوف بحمائِلها أردِيَة .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قولاً أحسن من هذا ، قال : « تمام جمال المرأة فى خُفِّها ، وتمام جمال الرجل فى كُمَّتِه (٥) » .

ومما يؤكد ذلك قول مجنونِ بنى عامر (٦) :

أأعقِر من جَرَّا كريمةَ ناقتــى ووصلىَ مفروشٌ لوصل مُنــازِلِ (٧)
إذا جاء قَعقعنَ الحُلىَّ ولم أكنْ إذا جئتُ أرجو صوتَ تلك الصَّلاصِلِ (٨)

---

(١) السر : المحض والأفضل والأوسط .
(٢) غيلان بن خرشة ترجم فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) .
(٣) سبق الخبر فى (٢ : ٨٨) .
(٤) مضى هذا القول فى (٢ : ٨٨) .
(٥) الكمة ، بالضم : القلنسوة . وقد سبق فى رواية إحدى النسخ فى (٢ : ٨٨) : « فى عمته » .
(٦) كان من قصة الشعر التالى أن المجنون مر بامرأة من بنى عقيل يقال لها « كريمة » ومعها نسوة صواحب ، فعرفْنَه ودعونه إلى النزول والحديث ، فظل يحدثهن وينشدهن وهن أعجب شئ به فيما يُرَى ، وعقر لهن ناقته فجعلن يشتوين ويأكلن إلى أن أمسى ، فأقبل شاب حسن الوجه فجلسن إليه وأقبلن عليه بوجههن يقلن : كيف ظللت اليوم يا « منازل » ؟ فلما رأى ذلك من فعلهن غضب وقام وقال هذا الشعر . انظر الأغانى (١ : ١٦٥ ، ١٧١) .
(٧) مفروش : مبسوط مهيأ . ومنازل ، هذا : غريمه .
(٨) فى الأغانى : « أرضى » بدل : « أرجو » . وفى الأغانى وما عدا ل : « تلك الخلاخل » .

ولم تُغْنِ سِيجان العِراقَين نَقْرةً ورُقْشُ القَلَنْسِى بالرِّجال الأطاوِلِ (١)

والعصابة والعمامة سواء . وإذا قالوا سيِّد معمَّم فإنّما يريدون أنَّ كلَّ جناية يجنيها الجانى من تلك العشيرة فهى معصوبةٌ برأسه .

وقال دريدُ بن الصِّمَّة :

أبلغْ نُعَيماً وعوفاً إنْ لقيتَهما إن لم يكن كان فى سمعيهما صممُ (٢)

فلا يزال شهابٌ يستضاءُ به يَهدِى المقانب ما لم تهلك الصِّمَمُ

١٤٤ عارِى الأشاجع معصوبٌ بِلمتَّه أمرُ الزَّعامة فى عرنينه شَمَم

وقال الكِنانىّ :

تنخَّبْتُها للنَّسل وهى غريبةٌ فجاءت به كالبدر خِرْقاً معمَّما (٣)

فلو شاتَمَ الفتيانَ فى الحىِّ ظالماً لما وجدوا غير التكذُّب مَشتَما (٤)

ولذلك قيل لسعيد بن العاصى (٥) : « ذو العصابة » . وقد قال القائل :

كَعابٌ أبوها ذُو العصابة وابنُه وعثمانُ ما أكفاؤها بكثيرِ (٦)

---

(١) ل : « سيحان » هـ : « سبحان » ، التيمورية « سحان » صوابها فى ب ، حـ . والسيجان : الطيالسة السود ، واحدها ساج ، انظر اللسان (سوج) . لم تغن نقرة ، بفتح النون ، أى شيئا . ولا تستعمل إلا مع النفى . والرقش : جمع أرقش ورقشاء ، وهو ما فيه نقط من بياض وسواد . حـ : « درفش » ب والتيمورية : « ورفش » صوابهما فى ل ، هـ . والقلنسى ، بكسر السين وفتحها أيضا : جمع قلنسوة .

(٢) سبق الكلام على الشعر وتخريجه وتفسيره فى (١ : ٢٣١) .

(٣) الخرق ، بالكسر : الظريف فى سماحة ونجدة . وأشير فى هـ إلى رواية : « تنجبتها » .

(٤) مَشتَما ، أى شتما . يقول : ليس فيه ما يعاب . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٦٧) .

(٥) سعيد بن العاص هذا هو المترجم فى (١ : ٣١٤) وهو حفيد سعيد بن العاص المترجم آنفا فى ٩٧ . وقد أخطأ الثعالبى فى ثمار القلوب ٢٣١ حيث جعله الجد ، وذكر مع هذا أن خالد بن يزيد بن معاوية طلق ابنته آمنة بنت سعيد بن العاص فتزوجها الوليد بن عبد الملك فقال خالد فيها هذا الشعر . فكيف يكون ذلك ، وقد مات سعيد الجد قبل الإسلام وكانت حياة الوليد ما بين سنتى ٥٣ ، ٩٦ . وكيف تكون « كعابا » حديثة السن فى هذا التاريخ . الكعاب : التى كعب ثديها ، أى نهد .

(٦) فى ثمار القلوب : « وابنه أخوها » .

يقولها خالدُ بن يزيد (١) .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « العمائم تيجان العرب (٢) » .

وقال : وقيل لأعرابيّ (٣) : إنك لتُكثر لُبْس العمامة ؟ قال : إنّ شيئاً فيه السّمعُ والبَصر لجدير أن يُوقَى من الحرّ والقُرّ .

وذكروا العمامة عند أبى الأسود الدؤلىّ فقال : « جُنّة فى الحرب ، ومَكَنّةٌ من الحرّ ، ومَدفأة من القُرّ ، ووَقار فى النّدِىّ (٤) ، وواقيةٌ من الأحداث ، وزيادةٌ فى القامة ، وهى بعدُ عادةٌ من عادات العرب » .

وقال عمرو بن امرىء القيس (٥) :

يامالِ والسّيّدُ المعمَّم قد ... يُبطره بعدَ رأيِهِ السَّرفُ
نحنُ بما عندنا وأنت بما عنـ ... ـدكَ راضٍ والرأىُ مختلف (٦)

وكان من عادة فُرسان العرب فى المواسم والجموع ، وفى أسواق العرب ، كأيّام عكاظَ وذى المَجاز وما أشبهَ ذلك ، التقنُّعُ ، إلاّ ما كان من أبى سَليط

---

(١) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، كان يكنى أبا هاشم ، وكان من أعلم قريش بفنون العلم ، وكان يقول الشعر . وهو الذى قالوا إنه شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى فى ذلك عمره . المعارف ١٥٣ – ١٥٤ والأغانى (١٦ : ٨٤ – ٨٨) . ويقال إنه أصاب عمل الكيمياء . الطبرى (٧ : ١٦) .

(٢) انظر ما سبق فى (٢ : ٨٨ س ٩) .

(٣) الخبر فى (٢ : ٨٨) برواية أخرى . وانظر عيون الأخبار (١ : ٣٠٠) .

(٤) الندى : مجلس القوم ومتحدثهم .

(٥) هو عمرو بن امرىء القيس ، من بنى الحارث بن الخزرج ، جاهلى . يقول الشعر التالى فى مالك بن العجلان النجّارى . معجم المرزبانى ٢٣٣ . وأورد له أبو الفرج فى الأغانى (٢ : ٤٠) خبراً مع علقمة بن عدى ، وعدى بن زيد . وكان أحد حكامهم فى الجاهلية ، حكم فى حرب سمير بين الأوس والخزرج . الأغانى (٢ : ١٧٠) وكان ذلك الحكم سبباً لغضب مالك بن العجلان ورد قضائه .

(٦) فى معجم المرزبانى : « والأمر يختلف » . وقصيدة عمرو بن امرىء القيس رويت فى جمهرة أشعار العرب ١٢٧ – ١٢٨ . على أن هذه القصيدة تختلط أبياتها بأبيات قصيدة لقيس بن الخطيم فى ديوانه ١٦ – ٢٠ وأخرى لمالك بن العجلان فى الجمهرة ١٢٢ . وانظر شاهد هذا الخلط ، فى معاهد التنصيص ، فى شواهد ترك المسند .

طَريف بن تميم (١) ، أحد بنى عمرو بن جُنْدب ؛ فإنه كان لا يتقنّع ولا يبالى أن تُثْبت عينَه جميعُ فرسان العرب ، وكانوا يكرهون أن يُعرَفوا فلا يكونَ لفُرسان عدوِّهم همٌّ غيرَهم .

ولما أقبل حَمَصِيصة الشَّيبانىُّ يتأمَّل طَريفاً قال طَريف :

١٤٥ أو كلَّما وردت عكاظَ قبيلةٌ   بعثُوا إلىّ عريفَهم يتوسَّمُ
فتوسَّمونى إنّنى أنا ذاكُمُ   شاكٍ سلاحى فى الحوادث مُعلَمُ
تحتى الأغَرُّ وفوق جِلدى نثرةٌ   زَغْف تردُّ السَّيفَ وهو مُثَلَّمُ (٢)
ولكلِّ بكرىٍّ إلىّ عداوةٌ   وأبو ربيعةَ شانئ ومُحَلَّمُ

فكان هذا من شأنهم . وربما مع ذلك أعْلَم نفسَه الفارسُ منهم بسِيما . كان حمزة يوم بدرٍ مُعْلما بريشةِ نَعامةٍ حمراء . وكان الزُّبير مُعلِما بعمامةٍ صفراء . ولذلك قال دِرهم بن زيد (٣) :

إنك لاقٍ غداً غُواة بنى المَلْـ   ـكاءِ فانظرْ ما أنتُ مُزدهِف (٤)
يمشون فى البِيض والدُّروع كما   تمشى جِمالٌ مَصاعبٌ قُطُف (٥)

---

(١) كان طريف بن تميم بن نامية ، من بنى عدى بن جندب بن العنبر – وكان يسمى ملقى القناع – قد قتل شراحيل الشيبانى ، أخا حمصيصة ، وكان حَمَصِيصَةُ قد وافى عكاظ ، فعرف طريفا وتوعده . فقال طريف الشعر التالى . والأبيات فى الأصمعيات ٦٧ ليبسك ومعاهد التنصيص (١ : ٧١) والعقد وكامل ابن الأثير والخيل لابن الأعرابى ٦٣ . ثم قتله حمصيصة بعد ذلك فى يوم (مُبَايِض) . انظره فى معجم البلدان والعقد والكامل والميدانى (٣ : ٣٦٣) .

(٢) الأغر : فرس طريف . والأغر أيضا : فرس عنترة بن عمرو بن معاوية ، وآخر لضبيعة بن الحارث . الخيل لابن الأعرابى ٦٩ ، ٧١ . والنثرة : الدرع الواسعة . والزغف : اللينة .

(٣) درهم بن زيد بن ضبيعة ، وهو أخو سمير ، من بنى عوف . وكان سمير قد قتل جاراً لمالك بن العجلان ، فأبى مالك إلا أن يقتله به . فقال درهم هذا الشعر محاماة لأخيه سمير ، مخاطبا بذلك مالك بن العجلان . الأغانى (٢ : ١٦١ – ١٦٢) .

(٤) ل : « بنى مالك » ، التيمورية : « ابنى ملكاء » هـ : « بنى ملكاء » . وأثبت ما فى ب ، حـ . وفى الأغانى (٢ : ١٦٢) : « بنى عمى » . والازدهاف : التقحم فى الشر .

(٥) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل الذى يودع من الركوب والعمل . والقطف : جمع قطوف ، وهو الذى يقارب الخطو فى سرعة .

فأبدِ سيماك يعرِفوك كما ... يُبدون سيماهم فتُعتَرفُ (١)

وكان المقنّع الكندىّ الشاعر ، واسمه محمد بن عميرٍ (٢) ، كان الدّهرَ مقنّعا .

والقِناع من سِيما الرُّؤساء . والدّليل على ذلك والشاهد الصادق ، والحجة القاطعة ، أنّ رسول الله ﷺ كان لا يكاد يُرى إلا مقنّعا . وجاء فى الحديث : « حتى كأنّ الموضع الذى يصيب رأسَه من ثوبه ثوبُ دَهّان (٣) » .

وكان المقنَّع الذى خرج بخراسان (٤) يدَّعى الرُّبوبية ، لا يَدَع القِناع فى حالٍ من الحالات . وجهِل بادِّعاءِ الربوبية من طريق المناسَخة (٥) ، فادَّعاها من الوجه الذى لا يختلف فيه الأحمرُ والأسود ، والمؤمِنُ والكافر ، أنّ باطَله مكشوفٌ

---

(١) روى هذا البيت فى معجم المرزبانى ٣٣٤ منسوبا إلى عمرو بن امرىء القيس . وفى الأغانى : « معنى قوله : فأبد سيماك ، أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد » .

(٢) اسمه محمد بن ظفر بن عمير . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . وكان له محل كبير وشرف ومروءة وسودد فى عشيرته . ويزعم المؤرخون أن العلة فى لزومه القناع ما كان يخاف على نفسه من العين ، فقد كان أحسن الناس وجها ، وأمدهم قامة ، وأكملهم خلقا ، فكان إذا سفر أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت . الأغانى (١٥ : ١٥١) . ما عدا هـ : « محمد بن عميرة » وقد كتب فوق « عمير » فى هـ : « عميرة » .

(٣) فى هامش هـ : « وفى رواية : ثوب زيات لأن رسول الله (ﷺ) كانت له لمة » .

(٤) خرج المقنع على المهدى بخراسان سنة ١٦١ . وكان أعور قصارا من قرية يقال لها كازه كيمردان ، وكان قد عرف شيئا من الهندسة والحيل والنيرنجات ، فادعى لنفسه الإلهية عن طريق التناسخ ، واحتجب عن الناس ببرقع من حرير ، ودامت فتنته على المسلمين أربع عشرة سنة أباح لهم فيها كثيرا من المحرمات ، فوجه إليه المهدى عدة من قواده ، وجعل المقنع يجمع الطعام عدة للحصار فى قلعته بكشّ . وقد تمكن سعيد الحرشى من تشديد الحصار عليه ، فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساءه وأهله فماتوا جميعا . ودخل المسلمون قلعته سنة ١٦٣ واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدى . الطبرى سنة ١٦١ — ١٦٣ والفرق بين الفرق ٢٤٣ — ٢٤٥ والآثار الباقية للبيرونى ٢١١ وشروح سقط الزند ١٥٤٥ .

(٥) فى الأصول : « وجهل ادعاء الربوبية » . وكان المقنع قد زعم أنه الإله ، وأنه قد كان قد تصور فى صورة آدم ثم نوح ، ثم إبراهيم ثم سائر الأنبياء إلى محمد ، ثم فى صورة على وأولاده ، ثم فى صورة أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس ، ثم فى صورته هو . الفرق بين الفرق .

كالنَّهار . ولا يعرف فى شيءٍ من الملل والنِّحَل القولُ بالتناسخ إلاّ فى هذه الفرقة من الغالية . وهذا المقنَّع كان قصّاراً من أهل مرو ، وكان أعورَ ألكَن . فما أدرى أيُّهما أعجب (١) ، أدَعْواهُ بأنَّه ربٌّ ، أو إيمان مَن آمن به وقاتل دُونَه ؟! وكان
١٤٦ اسمُه عَطاء (٢) .

وقال الآخر :

إذا المرءُ أثـرى ثم قال لقومِـه   أنا السَّيِّد المُفضَى إليه المعمَّمُ (٣)
ولم يعطهم شيئاً أبوا أن يَسودَهم   وهان عليهم رُغْمُه وهو ألْوَمُ (٤)

وقال الآخر :

إذا كشف اليومُ العَمَاسُ عن استِهِ   فلا يَرتْدِى مثلى ولا يَتعمَّـمُ (٥)

قال : وكان مُصعَب بن الزُّبير يعتمّ القَفْدَاء (٦) ، وهو أن يعقِد العمامة فى القفا . وكان محمد بن سعدِ بن أبى وقّاص (٧) ، الذى قتله الحجّاج ، يعتمّ المَيْلاء .

وقال الفرزدق :

ولو شهد الخيلَ ابنُ سعدٍ لقنّعوا   عِمامته الميلاءَ عضباً مهنَّدا (٨)

---

(١) ل : « أيما أعجب » .

(٢) فى الفرق بين الفرق أن اسمه « هشام بن حكيم » .

(٣) البيتان للمغيرة بن حبناء فى المجتنى ٨٢ وأمالى الزجاجى ٢٦ . وهما فى الحيوان (٣ : ٨٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٤٨) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ بدون نسبة . وفى عيون الأخبار والحماسة : « المعظم » .

(٤) فى الحماسة : « فقده » ، وفى الحماسة والعيون : « وهو أظلم » . والرغم : الذل .

(٥) العماس ، بالفتح : الشديد . وقد روى البيت ثعلب فى مجالسه ٢٥٤ وضبط فيها خطأ . وهو فى اللسان (عمس) .

(٦) القفداء ، بفتح القاف وسكون الفاء . ويقال أيضا « القفد » بالتحريك . ما عدا ل : « العقداء » تحريف ، صوابه فى اللسان (قفد) حيث أورد هذا الخبر وتاليه . وفى هـ : « يتعمم » .

(٧) محمد بن سعد بن أبى وقاص القرشى الزهرى ، كان قد خرج مع ابن الأشعث وشهد وقعة دير الجماجم ، ووقعة مسكن بعدها، فأتى به الحجاج فقتله سنة ٨٣ . انظر خبر مصرعه فى الطبرى (٨ : ٣٤) . وكان يلقب « ظل الشيطان » لشدة كبره . الحيوان (٦ : ١٧٨) وثمار القلوب ٥٩ . أو لقصره ، كما فى تقريب التهذيب . وانظر مخاطبة الحجاج له بهذا اللقب فى الطبرى والحيوان وثمار القلوب . وترجم له فى تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٧ والخلاصة ٢٨٨ .

(٨) البيت مما لم يرو فى ديوان الفرزدق .

وقال شَمْعَلة بن أخضرٍ الضبّىّ [١] :

جلبنا الخيلَ مِن أكناف فَلْج   ترى فيها من الغَزو اقورارا [٢]
بكلِّ طِمِرّةٍ وبكلِّ طِرفٍ   يَزين سَوَادُ مقلته العِذَارا [٣]
حَوالَىْ عاصبٍ بالتاج مِنّا   جبينَ أغرَّ يستلب الدُّوَارا [٤]
رئـيسٌ ما ينازعــه رئـيسٌ   سوى ضَرْبِ القِداح إذا استشارا [٥]

وأنشد :

إذا لبِسوا عمائمهم لوَوْها   على كرَمٍ وإن سَفَرُوا أناروا
يَبيع ويَشترِى لهمُ سِواهُمْ   ولكن بالطِّعان همُ تِجارُ
إذا ما كنتَ جارَ بنى تميم [٦]   فأنت لِأكرم الثَّقَلينِ جارُ

وأنشد :

وداهيــةٍ جَرَّهــا جارمٌ   جعلتَ رداءَكَ فيها خِمارا

ولِذِكْر العمائم مواضع . قال زَيد بن كَثْوة العنبرىّ [٧] : ١٤٧

---

(١) شمعلة بن الأخضر بن هبيرة الضبى ، شاعر فارس جاهلى . يقول الشعر التالى فى مصرع بسطام ابن قيس الشيبانى فى يوم شقيقة الحسَنين ، وكان لبنى ضبة على بنى شيبان . المؤتلف ١٤١ . والعقد (٥ : ٢٠٤ لجنة التأليف) .

(٢) فلج : واد بين البصرة وحمى ضرية . والاقورار : الضمور .

(٣) الطمرة : الفرس الوثابة . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين : الأبوين .

(٤) عاصب جبين أغر ، أى عاصب جبين نفسه ، وهذا مايسمونه التجريد . والأغر : الأبيض الوجه . والدوار كالدوران يأخذ فى الرأس . يقول : إنه يشفى رءوس أعدائه بضربها بالسيف . ومثله قول القائل فى المخصص (٦ : ١٨) :

ومأثور من الهندى يشفى   به رأس الكمى من الصداع

قال ابن سيده : « أى يشفى به جهله . وهو مثل » .

(٥) كانوا يضربون بالقداح يستشيرونها فيما يصنعون ، يسمون بعضها الآمر وبعضها الناهى ، وكتب على الأول : أمرَنى ربى ، وعلى الثانى : نَهَانِى ربى . اللسان (قسم) والميسر والأزلام ٦٤ – ٦٨ . سوى ضرب ، أى سوى صاحب الضرب الموكل به .

(٦) هـ : « بنى لؤى » .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٦٣) .

مَنعتُ من العُهَّار أطهارَ أمِّه ... وبعضُ الرِّجال المدَّعَيْنَ زِناءُ (١)
فجاءت به عَبْلَ القَوام كأنَّما ... عمامتُه فَوق الرِّجال لواءُ (٢)

لأنّ العمامةَ ربَّما جعلوها لواءً . ألَا ترى أنّ الأحنف بن قيس ، يوم مسعود ابن عمرو (٣) ، حين عقد لعَبْس بن طَلْق (٤) اللِّواء ، إنّما نزع عمامتَه من رأسه فعقدَها له .

وربَّما شدُّوا بالعمائم أوساطَهم عند المَجْهَدَةِ ، وإذا طالت العُقْبة (٥) . ولذلك قال شاعرهم (٦) :

فسِيروا فقد جَنَّ الظَّلامُ عليكُمُ ... فباستِ امرئٍ يرجو القِرى عند عاصِمِ (٧)
دَفعنا إليه وهو كالذِّيخ خاظياً ... نَشُدُّ على أكبادنا بالعمائمِ (٨)

---

(١) الطهر : الأيام بين الحيضتين . والزناء ، ممدود : الزنى . وإذا قرئت بفتح الزاى كانت بمعنى القصير . قال أبو ذؤيب :

وتولج فى الظل الزناءِ رءوسها ... وتحسبها هيما وهن صحائح

(٢) العبل : الضخم . وفى اللسان (سبط) : « فجاءت به سبط العظام » .

(٣) سبقت ترجمة مسعود بن عمرو فى (٢ : ٦٨) . وكان الشر قد هاج بين بنى تميم بزعامة الأحنف ، وبين الأزد بزَعامة مسعود بن عمرو . وقد أراد الأحنف فى أول الأمر أن يعقد القيادة لعباد بن حصين ، فلما لم يجده عقدها لعبس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحكم بن ظالم بن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد . قال الطبرى فى (٧ : ٢٧) : « فانتزع مِعْجراً فى رأسه ثم جثا على ركبتيه فعقده فى رمح ثم دفعه إليه فقال : سر » . وكان الأزد وحلفاؤهم من ربيعة قد أخذوا بأفواه السكك سكك البصرة ، ثم أجلوا عنها وقاموا على باب المسجد ، ودلفت التميمية إليهم فدخلوا المسجد ومسعود يخطب على المنبر ويحضض ، فاستنزلوه وقتلوه فى شوال سنة ٦٤ .

(٤) انظر التنبيه السابق .

(٥) العقبة ، بالضم : قدر مايسيره الرجل .

(٦) هو مصعب بن عمير الليثى ، كما فى البخلاء ١٨٥ .

(٧) جن عليه الليل ، بفتح الجيم ، أى أظلم . ومعنى جن : ستر . فى اللسان (سته) : « يقال للقوم إذا استذِلُّوا واستخف بهم : باست بنى فلان . وهو شتم للعرب .

(٨) فى اللسان : « دفع إلى المكان ودُفع ، كلاهما انتمى » . والذيخ ، بالكسر : الذكر من الضباع . والخاظى : الغليظ الصلب .

وقال الفرزدق :

بنى عاصمٍ إن تُلجِئوها فإنّكم ملاجِىءُ للسَّوءات دُسمُ العمائمِ (١)

وقال الآخر :

خليليّ شُدَّا لى بفضل عمامتِى على كبدٍ لم يبق إلا صميمُها

* * *

العرب تَلْهَجُ بذكر النّعال ، والفُرس تلهج بذكر الخِفاف .. وفى الحديث المأثور : « أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ينهَوْن نساءَهم عن لُبْس الخفاف الحُمر والصُّفر ، ويقولون : هو من زينة نساء آل فِرعون » .

وأما قولُ شاعرهم :

إذا اخضرّت نعالُ بنى غُراب بغَوا ووجدتَهم أُشَرَى لئاما (٢)

فلم يرد صفةَ النّعل ، وإنّما أراد أنّهم إذا اخضرّت الأرضُ وأخصَبوا طغَوا وبغَوا . كما قال الآخَر (٣) :

وأطوَلُ فى دار الحفاظ إقامةً وأوزَن أحلاما إذا البقلُ أجْهَلا (٤) ١٤٨

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « إن تلحبوها » . والبيت مما لم يرو فى ديوان الفرزدق . دسم : جمع أدسم ، وهو الدِنس .

(٢) النعال : جمع نعل ، وهو ما غلظ من الأرض . وفى الحديث : « إذا ابتلت النعال ، فالصلاة فى الرحال » . قال البكرى فى التنبيه ١٩ : « وإذا أخصبت النعال فما ظنك بالدماث » . وأنشد :

قوم إذا اخضرت نعالهم يتناهقون تناهق الحُمْر

وأشرى : جمع أشِر ، كما يقال زمن وزمنى ؛ أو جمع أشران ، كما يقال سكران وسكرى فى جمعه ، موافقا لفظه لفظ إحدى مؤنثات سكران ، وهى سكرانة وسكرى وسكرة . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧٨) والقاموس (أشر ، سكر) ، والأشر : المرح والنشاط .

(٣) هو خراشة بن عمرو العبسى : من قصيدة فى المفضليات (٢ : ٢٠٤) .

(٤) دار الحفاظ : التى يقيمون فيها صبرا عليها لعزهم . وفى المفضليات : « وأربط أحلاما » . أجهلهم ، أى حملهم على أن يجهلوا . وذلك إنه إذا كان الربيع وأمكنت المياه والبقل ، تذكروا الذحول وطلبوا الأوتار . هـ : « إذا البقل أخضلا » .

ومثل قوله :

يا ابن هشام أهلَكَ الناسَ اللّبَنْ فكلهم يسعَى بسيفٍ وقَرَنْ (١)

وأما قول الآخر :

وكيف أرجِّى أن أسود عشيرتى وأمِّىَ من سلمى أبوها وخالُها

رأيتكم سُودا جِعاداً ، ومالكٌ مخصَّرةٌ بيضٌ سِباطٌ نعالُها (٢)

فلم يذهب إلى مديح النِّعال فى أنفسها ، وإنما ذهب إلى سَبَاطة أرجلهم وأقدامهم ، ونفْى الجعودة والقِصَر عنهم .

وقال النَّابغة :

رِقاقُ النعال طيِّبٌ حُجُزَاتهمْ يُحيَّون بالرَّيحان يوم السَّباسبِ (٣)

يصونُون أجساداً قديما نعيمُها بخالصةِ الأردانِ خُضْرِ المناكِب (٤)

قال : وبنو الحارث بن سَدوس لم ترتبط حِماراً قطُّ ، ولم تلبَس نعلاً قطّ إذا نَقِبت . وقد قال قائلُهم :

ونُلِقى النّعال إذا نُقِّبت ولا نستعينُ بأخلاقها (٥)

ونحن الذُّؤابةُ من وائلٍ إلينا تمدّ بأعناقها

---

(١) الرجز فى الصحاح واللسان والتاج (قرن) ، وتنبيه البكرى ١٩ . والقرن ، بالتحريك : الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تخرز . وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد .

(٢) النعل المخصرة : التى لها خصران مستدقان .

(٣) ديوان النابغة ٩ . رقاق النعال ، أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم ، وإنما يخصف من يمشى . والحجزة ، بالضم : الوسط . يقول : هم أعفاء . والسباسب : يوم السعانين ، وهو من أعياد النصارى ، وكان الممدوح — وهو عمرو بن الحارث الأعرج — نصرانيا .

(٤) الردن ، بالضم : مقدم كم القميص . وفى اللسان (خلص) : « الأصمعى هو لباس يلبسه أهل الشام ، وهو ثوب مخمل أخضر المنكبين وسائره أبيض . والأردان أكامه . ويقال لكل شئ أبيض : خالص » . وفى شرح الديوان : « قال خالد بن كلثوم خضر المناكب من أثر السلاح » .

(٥) نقبت : خرقت . والأخلاق : جمع خلق ، وهو البالى . ويروى « أنقبت » كما فى هامش هـ .

وهم رهط خالد بن المعمَّر (١) ، الذى يقول فيه شاعرهم :

مُعَاوِىَ أَمِّرْ خالدَ بن معمَّرٍ فإنَّك لولا خالدٌ لم تؤمَّرِ

وقائلُهم الذى يقول :

أغاضبةٌ عمرو بنُ شيبانَ أن رأت عديدَينِ من جُرثومةٍ ودَخيسٍ (٢) ١٤٩
فلو شاء ربِّى كان أيرُ أبيكم طويلاً كأير الحارثِ بن سَدوس (٣)

وكان عمر جعل رياسة بكرٍ لمجزأة بن ثَور (٤) ، فلما استُشهِد مجزأةُ جعلها أبو موسى لخالد بن المعمَّر ، ثم ردَّها عثمانُ إلى شَقيق بنِ مجزأةَ بن ثور ، فلمَّا خرج أهلُ البصرة إلى صِفِّينَ تنازع شقيقٌ وخالدٌ الرِّياسة ، فصيرَّها عند ذلك علىٌّ إلى حُضَين بن المنذر (٥) ، فرضِىَ كلٌّ واحدٍ منهما وكان يخاف أن يصيرِّها إلى خَصْمه ، فسكنَتْ بكرٌ وعرف النّاسُ صحّةَ تدبير علىٍّ فى ذلك .

وأمّا قول الآخر (٦) :

---

(١) هو خالد بن المعمر بن سليمان بن الحارث بن شجاع بن الحارث بن سدوس السدوسى . وكان رئيس بكر بن وائل فى عهد عمر . وذكر ابن ماكولا أن معاوية أمره على أرمينية فوصل إلى نصيبين فمات بها . الإصابة ٢٣١٧ ، ووقعة صفين فى مواضع كثيرة . وقد أنشد له نصر بن مزاحم شعراً .

(٢) الجرثومة : أصل كل شئ ومجتمعه . والدخيس : العدد الكثير المجتمع .

(٣) ل : « ولوداً » . قال ابن قتيبة فى المعارف ٤٥ : « وكان له واحد وعشرون ذكراً » .

(٤) هو مجزأة بن ثور بن عفير بن زهير بن عمرو بن كعب بن سدوس السدوسى . له ذكر فى الفتوح . الإصابة ٧٧٢٤ . وأنشد له فى وقعة صفين ٣٤٤ :

أضربهم ولا أرى معاويه الأبرج العين العظيم الحاويه
هوت به فى النار أم هاويه جاوره فيها كلاب عاويه
أغوى طغاماً لا هدته هاديه

(٥) سبقت ترجمته وتحقيق اسمه فى (٢ : ١٦٩) .

(٦) هو أبو المقدام ، واسمه جساس بن قطب ، كما فى اللسان (وقع) . وانظر الحيوان (٦ : ٤٤٦) والبخلاء ١٥٧ ، وأمالى القالى (١ : ١١٥) ، وجمهرة الأمثال ٢٢٠ والميدانى (٢ : ٧٤) والعقد (١ : ٨٠ ، ٢٨٠) .

يا ليت لى نعلَين من جلد الضَّبُع وشُرُكاً من استها لا تنقطِعْ [١]

* كُلَّ الحذاء يحتذِى الحافى الوَقِعْ *

فهذا كلامُ محتاجٍ ، والمحتاجُ يتجوَّز .

وأما قول النَّجاشىِّ لهند بن عاصم :

إذا الله حيَّا صالحاً من عباده كريماً فحيَّا الله هندَ بنَ عاصمِ
وكلُّ سلولىٍّ إذا ما لقيته سريعٌ إلى داعى النَّدى والمكارمِ
ولا يأكلُ الكلبُ السَّروقُ نعالَهمْ ولا تَنْتَقِى المخَّ الذى فى الجماجمِ [٢]

وقال يونس : كانوا لا يأكلون الأدمغة ، ولا ينتعلون إلا بالسِّبت .

وقال كثيِّر :

إذا نُبذت لم تطَّبِ الكلبَ ريحُها وإن وُضعت فى مجلس القوم شُمَّتِ [٣]

وقال عُتَيبة بن مرداس ، وهو ابن فَسوة [٤] :

إلى معشر لا يَخصِفون نعالَهم ولا يلبسون السِّبتَ ما لم يخصَّرِ [٥]

---

(١) الشرك ، بضمتين : جمع شراك ، بالكسر ، وهو سير النعل .

(٢) أنشده فى الخزانة (٤ : ١٤٧) وقال : « إنما يأكل الكلب الفطير من النعال ، وأما السبت فلا » . الفطير : الذى لم يدبغ . والسبت ، بالكسر : المدبوغ بالقرظ .

(٣) البيت فى الحيوان (١ : ٢٦٦) وصدره فى الخزانة (٤ : ١٤٧) . أى هى طيبة الريح ليست بفطير ؛ لأن النعل إذا كانت غير مدبوغة وظفر بها الكلب أكلها .

(٤) فى الأصول : « عتيبة بن الحارث » تحريف . وقد قوى التحريف فى ل إذ جعلت « عتيبة بن الحارث بن شهاب » ، والصواب ما أثبت . وعتيبة هذا هو أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ، شاعر مقل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . وكان هجاء خبيث اللسان . ووفد على ابن عباس بالبصرة فلم يصله بل أخرجه عنها ، فوفد إلى المدينة بعد مقتل على ، فلقى الحسن وعبد الله بن جعفر فسألاه عن خبَرِه مع ابن عباس فأخبرهما ، فوصلاه بما أرضاه ، فصنع قصيدة طويلة يمدحهما فيها ويلوم ابن عباس ، روى كثيرا من أبياتها أبو الفرج فى الأغانى (١٩ : ١٤٤) وابن قتيبة فى الشعراء ٨٢ . وقبل البيت التالى :

فليت قلوصى عريت أو رحلتها إلى حسن فى داره وابن جعفر
إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى وللدين يدعو والكتابِ المطهر

وانظر تعليل لقبه بابن فسوة فى الأغانى والشعراء .

(٥) البيت فى الحيوان (٣ : ١١٢) . وتخصير النعل : أن يجعل لها خصران دقيقان .

وإذا مدح الشاعرُ النعل بالجودة فقد بدأ بمَدح لابِسها قبل أن يمدحَها .

قال الله تبارك وتعالى لموسى [١] : ﴿ اخلَعْ نعلَيْك إنّك بالوادِ المقدّسِ ١٥٠
طُوًى ﴾ . وقال بعض المفسّرين : كانت من جلد غير ذكيّ . وقال الزُّبيرىّ : ليس كما قال ، بل أعْلَمَه حقَّ المقام الشريف ، والمدخل الكريم . ألا ترى أنّ الناس إذا دخلوا إلى الملوك ينزِعون نعالهم خارجاً .

قال : وحدثنا سلّام بن مِسكين [٢] قال : ما رأيت الحسنَ إلاّ وفى رجليه النَّعل . رأيتُه على فراشه وهى فى رجليه ، وفى مسجده وهو يصلّى وهى فى رجليه .

وكان بَكر بن عبد الله [٣] تكون نعلُه بين يديه فإذا نهض إلى الصَّلاة لَبِسها .

ورُوِى ذلك عن عَمرو بن عُبيد ، وهاشم الأوقص [٤] ، وحوشَب [٥] ، وكِلاب [٦] ، وعن جماعةٍ من أصحاب الحسَن .

وكان الحسن يقول : « ما أعجَبَ قوماً يروُون أنّ رسول الله ﷺ صلّى فى نعليه فلمّا انفتل من الصلاة علم أنّه قد كان وطِئَ على كذا وكذا ، وأشباهاً لهذا الحديث ، ثم لا ترى أحداً منهم يصلى منتعلاً » .

---

(١) بدل هذه الكلمة فى ل : « يا موسى » وهو خطأ فى التلاوة . والآية هى الثانية عشرة من سورة طه ، وتلاوتها هى وما قبلها : (فلما أتاها نودى يا موسى . إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) .

(٢) هو سلّام بن مسكين بن ربيعة الأزدى النمرى البصرى . قال أبو داود : سلام لقب ، واسمه سليمان . وكان ثقة من أعبد أهل زمانه . توفى سنة ١٦٧ . تهذيب التهذيب (٤ : ٢٨٦) والخلاصة ١٣٦ .

(٣) بكر بن عبد الله المزنى . ترجم فى (١ : ١٠٠) .

(٤) ل : « وهشام الأوقص » . وقد سبق ذكر هاشم فى أسماء الصوفية فى (١ : ٣٦٦) .

(٥) هو حوشب بن عقيل الجرمى البصرى . روى عن الحسن ، وقتادة ، وبكر بن عبد الله . وكان من الثقات . تهذيب التهذيب .

(٦) كلاب بن جرى ، سبق ذكره وترجمته فى (١ : ٣٦٦) .

وأما قوله [(١)] :

وقـــامَ بنـــاتى بالنِّعـــال حواسرا ... وألصقنَ وقْعَ السِّبت تحت القلائدِ [(٢)]

فإنَّ النساء ذواتِ المصائب إذا قمن فى المناحات كنّ يضربن صدورَهن بالنِّعال .

وقال محمَد بن يسير [(٣)] :

كم أرى مِن مستعجبٍ من نعالى ... ورِضائى منها بلُبْسِ البَوالى
كلّ جرداءَ قد تحيَّفَها الخَصـ ... ـفُ بأقطارها ، بسرد النِّقال [(٤)]
لا تُدانى وليس تُشبِه فى الخِلْـ ... ـقِة إنْ أُبرزَتْ نعالَ الموالى
لا ولا عن تقادمِ العهد منها ... بَليتْ ، لا ، ولا لكرِّ الليالى
ولقد قلتُ حِين أُوثِر ذا الو ... دِّ عليها بثروتى وبمالى
من يُغالى من الرِّجال بنعل ... فَسَوَائى إذاً بهِـــنَّ يُغَالِـــى [(٥)]
أو بَغاهُنَّ للجمالِ فإنِّى ... فى سواهنّ زينتى وجمالى
١٥١ فى إخائى وفى وفائى ورائى ... وعفـافى ومنطقـى وفعـــالى [(٦)]
ما وقانى الحَفَى وبلَّغنى الحا ... جةَ منها ، فإنَّنى لا أبالى [(٧)]

وقال خلفٌ الأحمر :

سقى حُجَّاجَنا نَوءُ الثريَّا ... على ما كان من مَطْلٍ وبُخْلِ [(٨)]

---

(١) هو أبو ذؤيب الهذلى . ديوانه ١٢٢ واللسان (حسر) .

(٢) حواسرا : قد حسرن عن وجوهن وصدورهن وأيديهن . وفى اللسان : « ضرب السبت » . والسبت : النعال المدبوغة بالقرظ .

(٣) ترجم فى (١ : ٦٥) ، وبعض أبياته التالية فى الأغانى (١٢ : ١٣٣).

(٤) تحيف الشيء : أخذ من جوانبه ونقصه . والخصف : مطارقة النعل لإصلاحها . والسرد : خرز الأديم بالمسرد : والنقال : جمع نقل ، بالفتح والكسر والتحريك ، وهى النعل الخلق . ما عدا ل ، هـ : « بسرو النعال » ، وفى الأغانى : « بسود النعال » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) سَواؤه ، بفتح السين ، أى غيره .

(٦) الراء : الرأى . وفى هـ والأغانى : « ورأيى » .

(٧) أى ما وقانى الحفا منها فإننى لا أبالى بغيره .

(٨) الأبيات أنشدها فى الحيوان (٥ : ٢٨٤) والشعراء ٧٦٤ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وعيون الأخبار (٣ : ٣٨) . وفى العيون : « من بخل ومطل » . والنوء : المطر الذى ينزل موافقا لسقوط نجم فى =

هُمُ جمعوا النِّعال فأحرَزوها ... وسدُّوا دونَها باباً بقِفِل
إذا أهديتُ فاكهةً وشاةً ... وعشرَ دجائجٍ بعثوا بنعلِ (١)
ومِسواكين طولُهمـــــا ذراعٌ ... وعشرٍ من رَدِىِّ المُقْل خَشْلِ (٢)
فإن أهديتُ ذاك ليحملونى ... على نعلٍ فدقَّ الله رِجلى (٣)

وقال كثيِّر :

كأنَّ ابنَ ليلى حين يبدو فيَنْجلى ... سُجوفُ الخباء عن مَهيب مشمَّتِ (٤)
مقاربُ خَطو لا يغيِّر نعلَه ... رهيف الشِّراك سَهْلَةُ المتسمَّتِ (٥)
إذا طُرِحت لمْ تطَّبِ الكلبَ ريحُها ... وإن وُضعت فى مجلس القوم شُمَّتِ

وقال بشّار :

إذَا وُضعت فى مجلس القوم نعلُها ... تَضَوَّع مسكاً ما أصابت وعنبرا

ولما قال علىٌّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه لصعصة بن صُوحان فى المنذر ابن الجارود ما قال ، قال صعصعة « لئن قلتَ ذاكَ يا أمير المؤمنين إنّه لَنَظّارٌ فى عِطْفيه ، تَفّالٌ فى شِراكَيه ، تُعجبه حُمرة بُرديه (٦) » .

= مغربه عند الفجر . والثريّا غزيرة النوء . وفى اللسان : « والثريا من الكواكب ، سميت لغزارة نوئها » .

(١) فى عيون الأخبار : « فإن أهديت فاكهة وجديا » .

(٢) ردى : مسهل ردىء . والمقل : تمر الدوم . والخشل : السخيف اليابس الخفيف .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « لتحملونى » . والدق : الكسر والرض .

(٤) ابن ليلى ، هو عبد العزيز بن مروان . وفى الأغانى (١ : ١٣١) : « حدث ابن كناسة قال : ليلى أم عبد العزيز كلبية . وبلغنى أنه قال : لا أعطى شاعراً شيئاً حتى يذكرها فى مدحى ، لشرفها . والمشمت : المدعو له بالخير .

(٥) لا يغير نعله ، أى لا يتعهدها بخصف أو صبغ ، وذلك لكثرة نعاله . رهيف الشراك ، أى شراكها رهيف ، فذكّر الوصف لمراعاة المضاف إليه ، كما يقولون : رجل حسنة العين . والمتسمت : القصد .

(٦) مضى الخبر فى (١ : ٩٩) .

وذمَّ رجلٌ ابنَ التّوأم (١) فقال : « رأيته مشحَّم النَّعل ، دَرِنَ الجَورب ، مُغَضَّنَ الخُفِّ ، دقيق الجُرُبَّان (٢) » .

وقال الهيثم : يمينٌ لا يحلف بها الأعرابىُّ أبداً : أن يقول لا أوردَ لك الله
صادرا ولا أصدر لك وارداً ، ولا حَطَطتَ رَحلَك ، ولا خَلعت نعلَك . ١٥٢

وقال آخر :

عَلِق الفؤادُ بِرَيِّق الجهلِ　　وأبَرَّ واستعصى على الأهلِ (٣)
وصَبا وقد شابت مفارقُه　　سفَهاً وكيف صبابةُ الكهلِ
أدركت مُعْتَصَرى وأدركنى　　حِلمى ويَسَّرَ قائدى نعلى (٤)

رجع الكلام إلى القول فى العصا (٥)

قال ابن عبّاس رحمه الله فى تعظيم شأن عصا موسى عليه السلام : « الدّابَّةُ ينشقّ عنها الصَّفا (٦) ، معها عصا موسى ، وخاتَم سليمان ، تمسَح المؤمن بالعصا وتختِم الكافر بالخاتَم » .

وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آدابِ النبى عليه السلام فى السِّواك ، وحضَّ عليه ﷺ . والمِسواك لا يكون إلا عصًا .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٥) . وفى عيون الأخبار (١ : ٢٩٩) أن ابن التوأم هو الذى ذم الرجل .

(٢) الجربان بكسرتين وبضمتين مع تشديد الباء فيهما : جيب القميص ، معرب من الفارسية « گريبان » . اللسان والقاموس (جرب) ومعجم استينجاس ١٠٨٦ .

(٣) ريّق الشيء : أوله وأفضله .

(٤) المعتصر : العمر والهرم . وقيل معناه أن ماكان فى الشباب من اللهو أدركته ولهوت به ؛ من الاعتصار ، وهو الإصابة للشيء والأخذ منه . اللسان (عصر ٢٥٦ – ٢٥٧) .

(٥) ما عدا ل : « ثم رجع الكلام إلى القول فى العصا » .

(٦) هى الدابة الواردة فى قوله تعالى : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » . وهى الآية ٨٢ من سورة النمل .

وقال أبو الوجيه (١) : قُضبان المساويك البَشَام ، والضَّرْو (٢) ، والعَتَم (٣) ، والأراك ، والعُرجون ، والجريد ، والإسحِل .

وقد يلبَس النّاس الخِفاف والقَلانِسَ فى الصَّيف كما يلبسونها فى الشّتاء ، إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء ، وعلى السّادة والعظماء ؛ لأنّ ذلك أشبه بالاحتفال ، وبالتعظيم والإجلال ، وأبعَدُ من التبذُّل والاسترسال ، وأجدَرُ أن يفصلوا بين مواضع أُنْسِهم فى منازلهم ومواضع انقباضهم .

وللخلفاء عِمَّةٌ ، وللفقهاء عِمَّةٌ ، وللبقَّالين عِمَّة (٤) ، وللأعراب عِمَّةٌ ، ولِلّصوص عِمَّة ، وللأبناء عِمَّة (٥) ، وللرُّوم والنصارى عِمَّة ، ولأصحاب التَّشاجِى عِمَّة (٦) .

ولكلِّ قوم زِىّ : فللقُضاة زىّ ، ولأصحاب القضاة زِىّ ، وللشُّرَط زىّ ، وللكتّاب زِىّ ، ولكُتّاب الجُنْدِ زِىّ ، ومن زِيّهم أن يركبوا الحمير وإن كانت الهماليج لهم مُعْرِضة (٧) .

وأصحاب السلطان ومَن دخَل الدار على مراتب : فمنهم من يلبس المبطَّنة ،

---

(١) هو أبو الوجيه العكلى ، أحد فصحاء الأعراب . كان معاصراً للجاحظ وأبى عبيدة ، وروى له الجاحظ أخباراً فى الحيوان (١ : ٣٠٠ / ٤ : ٢٩٤ / ٦ : ٥٩) .

(٢) الضرو ، بالفتح والكسر . شجر طيب الريح ، يستاك به ويجعل ورقة فى العطر .

(٣) العِتم ، بضمة ، وبضمتين ، وبفتحتين : شجر الزيتون البرى . ل « العتم » ما عدا ل : « الغتم » صوابهما ما أثبت من هـ . انظر الحيوان (٥ : ٤٥٣ – ٤٥٤) .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « وللبغالين » .

(٥) الأبناء ، هم أبناء قوم من فارس أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة فنصروه وملكوا اليمن وتديَّروها ، وتزوجوا فى العرب ، فقيل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم . اللسان (بنو) . وفى التنبيه والإشراف ٢٢٦ أنهم الذين ساروا مع خرزاذ بن نرسى بن جاماسب أخى قباد بن فيروز . وفى ص ٢٤١ : أنهم الذين شخصوا مع وهرز إلى اليمن . ويبدو أن جميع الذين اجتذبتهم الحروب من الفرس إلى جزيرة العرب كان العرب يسمونهم الأبناء .

(٦) التشاجى : التمنع والتحازن ؛ من الشجى ، وهو الحزن . تشاجت : تمنعت وتحازنت . اللسان (١٩ : ١٥٢) وفيه : « قال عمرو بن بحر : قلت لابن دبوقاء : أى شىء أول التشاجى ؟ قال : التباهر والقرمطة فى المشى » .

(٧) الهملاج : البرذون الحسن السير فى سرعة وبخترة .

ومنهم من يلبس الدُّرَّاعة (١) ومنهم من يلبس القَبَاء ، ومنهم من يلبس البازبكند (٢) ويعُلّق الخِنجر ، ويأخذ الجُرْز (٣) ، ويتَّخذ الجُمَّة (٤).

١٥٣ وزىُّ مجالسِ الخلفاء فى الشِّتاء والصَّيف (٥) فُرُش الصُّوف . وترى أنَّ ذلك أكملُ وأجزلُ وأفخم وأنبل . ولذلك وضعت ملوكُ العجم على رءوسها التِّيجان ، وجلست على الأسِرّة ، وظاهَرَت بين الفُرُش . وهل يملأُ عيونَ الأعداء ويُرعِب قلوبَ المخالفين ، ويَحشُو صدورَ العوامِّ إفراطَ التعظيم إلّا تعظيمُ شأن السُّلطان ، والزِّيادة فى الأقدار ، وإلا الآلات . وهل دواؤُهم إلا فى التَّهويل عليهم ؟ وهل تُصلحهم إلّا إخافتُك إيّاهم ؟ وهل ينقادون لما فيه الحظُّ لهم ويُسْلِسون بالطاعةِ التى فيها صلاحُ أمورهم إلا بتدبير يجمع المهابة والمحَبَّة (٦) .

وكانت الشعراء تلبس الوشْىَ والمقطَّعاتِ (٧) والأرديةَ السُّودَ ، وكلَّ ثوب مُشَهَّر . وقد كان عندنا منذ نحو خمسين سنة شاعرٌ يتزيَّا بزىِّ الماضين ، وكان له بُرْدٌ أسود يلبَسه فى الصَّيف والشتاء ، فهجاه بعض الطِّيَاب من الشعراء (٨) فقال فى قصيدةٍ له :

---

(١) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

(٢) يبدو أنه كساء يلقى على الكتف . و « باز » بالفارسية بمعنى الكتف .

(٣) الجرز ، بضمة وبضمتين : ضرب من السلاح ، وهو عمود من حديد ، كما فى اللسان.وفى حواشى هـ والتيمورية : « آلة للضرب كالمقرع من حديد » .

(٤) الجمة من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين .

(٥) ما عدا ل : « فى الصيف والشتاء » .

(٦) ما عدا ل : « المحبة والمهابة » .

(٧) المقطعات من الثياب : شبه الجباب ونحوها من الخز ، وقيل كل ما يفصل ويخاط ، من قميص وجباب وسراويلات .

(٨) الطياب ، بالكسر : جمع طيب ، وهو الفكه المزاح . انظر الحيوان (٣ : ٢٧ / ٦ : ٤٣٩) . وجاء فى سيبويه (٢ : ٢١١ س ٤ – ٥) : « وقالوا طيب وطياب ، وجيد وجياد ، كما قالوا جياع وتجار » . وأنشد فى اللسان (طيب) قول جندل بن المثنى :

* هزت براعيم طِيابِ البسرِ *

ثم قال : « إنما جمع طِيبا ، أو طيِّبا » .

بِعْ بُرْدَك الأسْوَدَ قبل البَرْدِ   فى قُرَّةٍ تأتيك صَمًّا صَرْدِ (١)

وكان لجُرُبَّان (٢) قميصِ بشّارٍ الأعمى وجُبَّته لَبِنَتَان ، فكان إذا أراد نَزْع شئ منها أطلق الأزرار فسقطت الثِّياب على الأرض ، ولم ينزِع قميصَه من جهة رأسه قطّ .

وقَدُّوَيْه (٣) العَدَوىّ الشَّحَّاجىُّ (٤) ، لم يلبس قَطُّ قميصا ، وهو اليومَ حىٌّ ، وهو شيخُهم ، وهو شيخٌ كبير (٥) .

وسَعيد بن العاصى الجوادُ الخطيب (٦) ، لم ينزع قميصه قطّ . فقَدُّوَيْه الشّحّاجىُّ ضدُّ سعيد بن العاصى الأموىّ . وقال الحطيئة :

سَعيدٌ فلا يغررك قِلَّةُ لحمِه   تَخَدَّد عنه اللّحمُ فهو صليبُ (٧)

وكان شديدَ السَّواد نحيفاً .

ومن شأن المتكلمين أن يُشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم . فإذا أشاروا بالعصِىّ فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيدياً أُخَر . ويدلُّ على ذلك قولُ الأنصارىّ (٨) حيث يقول : ١٥٤

وسارت لنا سيّارةٌ ذاتُ سُودُدٍ   بِكُومِ المطايا والخُيولِ الجماهرِ (٩)

---

(١) الصماء : الشديدة . والصرد : البرد والبارد . قال رؤبة :

* بمطر ليس بثلج صرد *

(٢) الجربان : جيب القميص ، كما سبق فى ص ١١٣ . واللبنة : رقعة تعمل موضع جيب القميص .

(٣) كذا ورد ضبطه فى هـ ، وضبط فى ل بفتح القاف وسكون الدال .

(٤) الشحاجى : نسبة إلى بنى شحاج ، وهم بطنان فى الأزد ، كما فى القاموس .

(٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) ترجم فى (٢ : ٢٩٥) .

(٧) ديوان الحطيئة ٤٢ . وقد سبق البيت فى (١ : ٣١٥) .

(٨) هو صفوان الأنصارى . انظر القصيدة فى (١ : ٢٥ — ٢٦) . وقد سبقت الأبيات فى (١ : ٣٧١) .

(٩) الكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العالية السنام . والجماهر : جمع جمهرة ، وهى المجتمع الكثير . وفى (١ : ٣٧١) : « ذات سورة » .

يؤمّون مُلْكَ الشامِ حتى تمكّنوا ملوكاً بأرض الشام فوق المنابرِ
يُصيبُون فصلَ القولِ فى كلِّ خطبة إذا وصلُوا أيمانَهم بالمخاصرِ

وقال الكميت بن زيد :

ونزُور مَسْلَمة المهـ ـذَّبَ بالمؤَبَّدَةِ السوائرْ (١)
بالمُذْهَبات المعْجِبا تِ لمُفْحَمٍ منَّا وشاعِرْ
أهلُ التّجاوُبِ فى المحا فل والمقاوِلُ بالمخاصرْ

وأيضاً إنّ حَمْل العصا والمخصرة دليلٌ على التأهُّب للخطبة ، والتهيُّؤ للإطناب والإطالة ، وذلك شيءٌ خاصٌّ فى خطباء العرب ، ومقصورٌ عليهم ، ومنسوبٌ إليهم . حتى إنَّهم ليذهبون فى حوائجهم والمخاصر بأيديهم ، إلفاً لها ، وتوقُّعاً لبعض ما يوجِب حملها ، والإشارةَ بها .

وعلى ذلك المعنَى أشار النِّساء بالمآلِى (٢) وهُنَّ قيامٌ فى المناحات ، وعلى ذلك المثالِ ضَرَبْن الصُّدورَ بالنّعال .

وإنما يكون العجزُ والذّلّة فى دخول الخَلَل والنقصِ على الجوارح ، وأما الزِّيادة فيها فالصوابُ فيه . وهل ذلك إلاَّ كتعظيم كَور العمامة (٣) ، واتّخاذ القُضاةِ القَلانسَ العِظامَ فى حَمارَّة القَيْظ (٤) ، واتّخاذِ الخلفاء العمائمَ على القلانس ، فإن كانت القلانسُ مكشوفةً زادوا فى طولها وحِدَّة رءُوسها ، حتى تكونَ فوقَ قلانس جميع الأمّة .

---

(١) سبق إنشاد الأبيات فى (١ : ٣٧١) .
(٢) المآلى : جمع مئلاة ، وهى خرقة تمسكها المرأة عند النوح .
(٣) كور العمامة ، بفتح الكاف : كل دارة من داراتها .
(٤) حمارة القيظ ، بتخفيف الميم وتشديد الراء : شدته .

وكذلك القِناع ، لأنه أَهْيَبُ . وعلى ذلك المعنى كان يتقنَّعُ العباس بن محمد (١) وعبدُ الملك بن صالح (٢) ، والعبّاس بن موسى (٣) وأشباههم . وسليمانُ ابن أبي جعفر (٤) ، وعيسى بن جعفر (٥) ، وإسحاق بن عيسى (٦) ، ومحمد بن ١٥٥
سليمان (٧) ، ثم الفَضْل بن الرَّبيع ، والسِّندى بن شاهَك وأشباهُهما من الموالى . لأن ذلك أهيَبُ فى الصدور ، وأجلُّ فى العيون .

والمتقنِّع (٨) أروَعُ من الحاسر ، لأنه إذا لم يفارِقْ الحجاب وإنْ كان ظاهراً فى الطُّرق (٩) كان أشبَهَ بمباينة العوامّ وسياسة الرّعيّة .

وطرح القِناع مُلابَسَة وابتذال ، ومؤانسة ومقاربة . والدليل على صواب هذا العمل من بنى هاشم ، ومن صنائعهم ورجال دعوتهم ، وأنّهم قد علِموا حاجة الناس إلى أن يهابوهم ، وأنّ ذلك هو صَلاح شأنهم – أنّ رسول الله ﷺ كان أكثرَ الناس قِناَعاً .

---

(١) هو العباس بن محمد بن عبد الله بن عباس ، وهو أخو أبى العباس السفاح . ولى الجزيرة لأبى جعفر ثم للرشيد ، وكان الرشيد يجله إجلالا عظيما . وكان عالى الهمة ، قال رجل له : إنى أتيتك فى حاجة صغيرة . قال : فاطلب لها رجلا صغيرا . توفى سنة ١٨٦ . المعارف ١٦٤ وتاريخ بغداد ٦٥٨٠ . وفيه يقول القائل :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل : لا وأنت مخلد ، ما قالها

(٢) ترجم فى (١ : ٣٣٤) .

(٣) هو العباس بن موسى الهادى ، ذكره الطبرى فى أولاد موسى الهادى (١٠ : ٣٨) .

(٤) هو سليمان بن أبى جعفر المنصور ، ذكره الطبرى فى أولاد المنصور (٩ : ٣١٨) . وأمه فاطمة بنت محمد ، من ولد طلحة بن عبد الله .

(٥) هو عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، ولى البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند . ومات بدير بين بغداد وحلوان سنة ١٨١ . المعارف ١٦٣ – ١٦٤ وتاريخ بغداد ٥٨٤٦ . وقد ورد الاسم محرفا فى الأخير ؛ إذ ليس لأبى جعفر ولد يدعى « عيسى » بل ولد عيسى هو جعفر بن أبى جعفر .

(٦) يبدو أنه ولد عيسى بن جعفر . انظر الحيوان (٣ : ٣١ / ٤ : ٤٢٣) .

(٧) ترجم فى (١ : ٢٩٥) .

(٨) ل : « والمقنع » .

(٩) ل : « فى الطريق » .

والدَّليلُ على أنَّ ذلك قد كان شائعاً فى الأسلاف المتبوعين ، أنَّا نَجِد رؤساءَ جميع أهل المِلَل ، وأربابِ النِّحل ، على ذلك . ولذلك اتَّخذوا فى الحروب الرَّاياتِ والأعلام ، وإنّما ذلك كلُّه خِرَق سُود وحُمر وصُفر وبِيض . وجَعلوا اللِّواءَ علَامةً للعَقْد (١) والعَلَم فى الحرب مرجعاً لصاحب الجولة . وقد علموا أنَّها وإن كانت خِرقاً على عصىّ أنّ ذلك أهيَبُ فى القلوب وأهوَلُ فى الصُّدور ، وأعظَمُ فى العيون . ولذلك أجمعت الأمم رجالُها ونساؤُها على إطالة الشُّعور ؛ لأنَّ ذا الجُمّة أضخمُ هامةً وأطول قامة ، وأنَّ الكاسىَ أفخم من العارى . ولولا أنَّ حلْق الرَّأس طاعةٌ وعبادة ، وتواضعٌ وخضوع ، وكذلك السّعْى ورمْىُ الجمار ، لَمَا فعلوا ذلك .

وفى الحديث أنّه لا يفتح عَمُّوريَّة (٢) إلّا رجالٌ ثيابُهم ثيابُ الرُّهْبان ، وشُعورهم شعورُ النِّساء .

وكلُّ ما زادوه فى الأبدان ، ووصَلوه بالجوارح ، فهو زيادةٌ فى تعظيم تلك الأبدان .

والعصىُّ والمخاصر مع الذى عددناه ، ومع ذلك الذى ذكرناه ونُريد ذكره (٣) من خصال منافعها ، كلُّه باب واحد .

والمُغَنِّى قد يوقِّع بالقضيب على أوزان الأغانى ، والمتكلِّم قد يشير برأسه ويِدِه على أقسام كلامه وتقطيعه . ففرَّقوا ضروبَ الحركات على ضروبِ الألفاظ
وضروبِ المعانى . ولو قُبضت يدُه ومُنِعَ حركةَ رأسه ، لذهب ثلثا كلامه . ١٥٦

وقال عبد الملك بن مرْوان : لو ألقيت الخيزُرانةَ من يدى لذهب شَطر كلامى .

---

(١) لعله يعنى عقد العدد . انظر مامضى فى (١ : ٧٦) .

(٢) عمورية من بلاد الروم ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « ونزيد ذكره » .

وأراد معاويةُ سحبانَ وائلٍ على الكلام ، وكان قد اقتضبه اقتضابا (١) فلم ينطِقْ حتَّى أتوه بمخصرة ، فرطَلها بيده (٢) فلم تعجبْه حتَّى أتوه بمخصرةٍ (٣) من بيته .

والمثل المضروب بعصا الأعرج ، يقولون : « أقرب من عصا الأعرج » ويضربون المثل بعصا النَّهدىّ . قال علقمة بن عَبَدة فى صفة فرسٍ أنثى :

سُلّاءة كعصا النَّهدِىِّ غُلَّ لها منظَّمٌ من نَوى قُرّانَ معجومُ (٤)

ويضربون المثل برُميح أبى سعد . وكان أبو سعدٍ أعرج ، وفَد فى وفْد عاد (٥) . قال ذو الإصبع العَدْوانىّ :

إن تكن شِكّتى رُمَيحَ أبى سعـ ـدٍ فقد أحملُ السِّلاحَ مَعا (٦)

---

(١) اقتضب الكلام : ارتجله وتكلم به من غير تهيئة .

(٢) رطل الشئ : رازه ووزنه ليعلم كم وزنه .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « بمخصرته » .

(٤) البيت فى ديوانه ١٣١ والحيوان (٢ : ٢٣٦) والمفضليات (٢ : ٢٠٤) واللسان (سلأ ، غلل ، فيأ ، قرر ، عجم) . السلاءة : شوكة النخل ، شبه فرسه بها لإرهاف صدرها وتمام عجزها . النهدى ، أراد شيخا من نهد قد كبر وطال عمره واملاست عصاه . غل : أدخل . أراد أدخل لها فى باطن الحافر فى موضع النسور . وشبه النسور بنوى قران لأنها صلاب . أو عنى أنه أدخل جوفها نوى من نوى نخيل قران حتى اشتد لحمها . وقران : قرية باليمامة . معجوم : معضوض مَلُوك لم يطبخ فيلين . ورواية « منظم » واردة فى اللسان (غلل) . وفى الديوان والمفضليات : « ذو فيئةٍ » .

(٥) كان القحط قد توالى ثلاث سنين على عاد ، وكان القوم إذا جهدهم القحط فزعوا إلى البيت الحرام يستسقون الغيث ؛ فخرجت عاد إلى البيت يستسقون ، فاختاروا سبعين رجلا على رأسهم أربعة منهم ، وهم : قيل بن عتر ، ولقمان بن عاد صاحب النسور ، وأبو سعد مرثد بن سعد وهو خيرهم وأعظمهم إيمانا ، وجلهمة بن الخيبرى . وقال جلهمة فى أبى سعد :

أبا سعد كأنك من قبيل سوى عاد وأمك من ثمود

انظر أخبار عبيد بن شرية ٣٢٧ – ٣٣٤ .

(٦) البيت من قصيدة فى المفضليات (١ : ١٥١ – ١٥٣) . وقيل أبو سعد هو لقمان الحكيم ، كبر حتى مشى على عصا . وقيل لقيم بن لقمان . وقيل أبو سعد كنية الكبر . شرح المفضليات واللسان (رمح) .

وقال عبّاس بن مِرداس :

جَزَى الله خيراً خيرَنا لصديقه وزوّده زَاداً كزادِ أبى سعدِ
وزوّده صِدقا وبِراً ونائلا وما كان فى تلك الوِفادة من حمدِ

وقال الآخر :

فآبَ بجدوَى زاملٍ وابنِ زاملٍ عدوُّك ، أو جَدْوى كليبِ بن وائلِ

ويقولون : « لو كان فى العصا سَير » . ويقولون : « ما هو إلّا أُبنْة عصاً ، وعُقدة رشاء (١) » . ويقولون : أخرج عودَه كعصا البَقّار (٢) ، وأخرج أيضاً عُودَه كعصا الحادِى .

وكان أبو العتاهية أهدَى إلى أمير المؤمنين المأمونِ عصا نَبْعٍ ، وعصا شِريان ، وعصا آبنَوس (٣) ، وعصاً أخرى كريمةَ العيدان ، شريفةَ الأغصان ، وأردية قَطَرِيّة (٤) ، ورِكاءً يمانيّة (٥) ، ونعالًا سِبْتيّة (٦) ، فقبِل من ذلك عصاً واحدة وردَّ الباقى .

١٥٧ وبعث إليه مرّةً أخرى بنعلٍ وكتب إليه فى ذلك :

نعلٌ بعثتُ بها لتلبسَها تسعَى بها قدم إلى المجدِ (٧)

---

(١) انظر ما سبق فى ٥١ – ٥٢ .
(٢) انظر ما سبق فى ١٢ س ٥ و ٥١ س ١٤ .
(٣) انظر ما سبق فى حواشى ص ٩٢ .
(٤) الثياب القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة . وفى معجم البلدان : « قال أبو منصور : فى أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر ، وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها » .
(٥) الركاء : جمع ركوة ، وهو بتثليث الراء : زق صغير . ويقال يمان ويمانى بتشديد الياء .
(٦) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ بالقرظ .
(٧) الشعر والشعراء ٧٦٧ – ٨٦٨ .

لو كنتُ أقدِرُ أن أشرِّكها   خدِّى جعلتُ شراكها خدِّى (١)

فقبِلها (٢) .

الكلبىُّ عن أبى صالح (٣) ، عن ابن عبّاس ، أنّ الشجرة التى نُودِىَ منها موسى عليه السلام عَوسج ، وأنّه نُودِىَ من جوف العوسج ، وأنّ عصاه كانت من آسِ الجنَّة ، وأنها كانت من العُود الذى فى وسط الورقة ، وكان طولُها طولَ موسى عليه السلام . وقالوا : من العُلَّيق .

وقال الآخر :

صفراء من نَبْع كلوْن الورسِ   أبدؤها بالدُّهْنِ قبل نفسى

وأنشد الأصمعىُّ عن بعض الأعراب :

ألا قالت الخنساءُ يوم لقيتُها :   كبِرتَ ولم تجزَعْ من الشَّيب مَجزَعا
رأت ذا عصاً يمشى عليها وشَيْبةٍ   تقنَّع منها رأسُه ما تقنَّعا
فقلت لها : لا تهزئِى بى فقلَّما   يسُودُ الفتى حتّى يشيب ويصلَعا
ولَلْقارحُ اليعبوبُ خيرٌ عُلالةً   من الجذَع المُجْرَى وأبعدُ مَنْزعا (٤)

وقال إسحاق بن سُوَيد (٥) :

---

(١) شرك النعل : جعل لها شراكا ، وهو أحد سيور النعل التى تكون على وجهها . وتعدية هذا الفعل إلى اثنين ليست مروية . على أن رواية الأغانى لا شوب فيها ، وهى : « لو كان يصلح أن أشركها خدى » ، أى لو كان يصلح خدى لتشريكها .

(٢) الخبر برواية أخرى فى الأغانى (٣ : ١٦٠) حيث ذكر أن هدية النعل كانت إلى الفضل بن الربيع .

(٣) أبو صالح ذكوان السمان ، سبقت ترجمته فى (١ : ٤٠٣) .

(٤) القارح : الفرس فى سنته الخامسة . واليعبوب : الطويل السريع . والعلالة بالضم : الجرى الثانى ، ويقال للجرى الأول بداهة . والجذَع من الخيل : ماستتم سنتين ودخل فى الثالثة .

(٥) هو إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوى التميمى البصرى . كان ثقة فاضلا يقول الشعر . توفى فى الطاعون فى أول خلافة أبى العباس سنة ١٣١ . تهذيب التهذيب .

في رداء النبيِّ أقوى دليلٍ ثم في القَعْب والعصا والقضيبِ (١)

وقال أبو الشِّيص الأعمى (٢) في هارون الرّشيد :

يا بني هاشمٍ أفيقوا فإنّ الـ ـمُلك منكمْ حيث العصا والرِّداءُ
ما لهارونَ في قريشٍ كفِيٌّ وقريش ليست لهم أكفاءُ

١٥٨ وقال آخر (٣) :

على خشباتِ الملك منه مهابة وفي الحرب عبلُ الساعدين قَرُوعُ
يشقُّ الوغَى عن رأسه فَضْلُ نجدةٍ وأبيضُ من ماء الحديدِ وقيعُ (٤)

ومما يجوز في العصا قول أبي الشِّيص :

أنعَى فتى الجُود إلى الجُودِ ما مثلُ مَن أنعَى بموجودِ
أنعَى فتًى مَصَّ الثَّرَى بعده بقيَّـــةَ الماء مِن العُـــودِ (٥)

ومن هذا الباب قول عبد الله بن جُدْعان :

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « في العقب » تحريف . والقعب : قدح إلى الصغر يروى الرجل .

(٢) هو محمد بن رزين . وفي نكت الهميان وتاريخ بغداد : محمد بن عبد الله بن رزين . وأبو الشيص لقب غلب عليه ، والشيص : ردئ التمر . وهو عم دعبل بن على بن رزين الخزاعي ، أو ابن عمه ، على الخلاف السابق . وقد صحح الخطيب أنه ابن عمه . وعمِيَ أبو الشيص في آخر عمره ، وله مراث في عينيه قبل ذهابهما وبعده . وكان أحد شعراء الرشيد ، معاصراً لأبي نواس ومسلم بن الوليد ، فأخملا ذكره . الأغاني (١٥ : ١٠٤ – ١٠٨) والشعر والشعراء ، ونكت الهميان ٢٥٧ ومعاهد التنصيص (٢ : ١٤٢) وتاريخ بغداد ٢٩١٨ . والبيتان التاليان في الشعر والشعراء .

(٣) هو بشار بن برد . المختار من شعر بشار ٢٧ .

(٤) أي إن سيفه في الحرب يكشف عن نجدته . الأبيض : السيف . من ماء الحديد ، وصف الأبيض ، كما في الخزانة (٣ : ٤٨٥) وأمالي المرتضى (١ : ٦٤) والإنصاف ٩٨ . ومثله قول الآخر :

وأبيض من ماء الحديد كأنه شِهابٌ بدا والليل داج عساكره

الخزانة (٣ : ٤٨٥) . وقول زيد الخيل :

ولما دعاني الخيرى أجبته بأبيض من ماء الحديد صقيل

حماسة البحتري ٥٨ . وقول أبي الأبيض العبسي :

ومالي مال غير درع ومغفر وأبيض من ماء الحديد صقيل

بلوغ الأرب (١ : ١١٣) . والوقيع : المشحوذ المحدد .

(٥) في الشعر والشعراء ٥٦٣ – ٥٦٤ أن الشعر لأشجع السلمي في رثاء محمد بن زياد . وقد روى منه سبعة أبيات .

فلم أرَ مثلهم حيَّين أبقى على الْحَدَثان إن طرقَتْ طُرُوقاَ (١)
وأضربَ عند ضَنْكِ الأمر منهم وأسلَكهم لأحْزَنِه طريقا (٢)
شريتُ صلاحَهم بتِلادِ مالى فعاد الغصنُ مُعتَدِلًا وريقا (٣)

ويقولون للرّجُل إذا أثرى وأفادَ وكثُرت نعمتُه : « ضَعْ عصاك » ، و « قد وضع عصاه » .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل (٤) :
ونَجُرُّ الأذيالَ فى نِعمةٍ زَوْ لٍ تقولان ضعْ عصاك لدَهْرِ (٥)

ويقولون للمستوطِن فى البلد والمستطيب للمكان : « قد ألقى عصاه » .

وقال زُهير بن أبى سُلْمى :
فلمّا وردْنَ الماءَ زُرقاً جِمَامُه وضَعْن عصىَّ الحاضِرِ المتخيِّم (٦)

انقضى الكلام فى العصا (٧)

* * *

(١) الحدثان ، بالتحريك : نوب الدهر وحوادثه ، ولفظه مذكر . قال الأزهرى : وربما أنث العرب الحدثان ، يذهبون به إلى الحوادث . وقال الفراء : تقول العرب : أهلكتنا الحدثان . وأخطأ صاحب القاموس فى ضبطه بالكسر . طروقا ، أى بليل ؛ يقول أتانا فلان طروقا ، إذا جاء بليل .

(٢) أحزنُه ، أى أشده حزونة وخشونة .

(٣) التلاد والتليد : القديم الذى ولد عندك .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٣٥) .

(٥) الزول : العجب . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٣٥) مع تخريج مقطوعته .

(٦) البيت من معلقته المشهورة . والجمام : جمع جم ، وهو معظم الماء . والحاضر : المقيم على الماء .

(٧) هذه العبارة فى ل فقط .

كتاب الزُّهـد

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ على اسم اللهِ وعونِه (١) بشيءٍ من كلام النُّسَّاك فى الزُّهد ، وبشيءٍ من ذِكر أخلاقهم ومواعظهم .

عوفٌ (٢) ، عن الحسن قال : « لا تزول قَدَمَا ابنِ آدمَ حتى يُسأل عن ثلاث : شَبابِه فيما (٣) أبلاه ، وعُمرِه فيما أفناه ، ومالِه من أين كَسَبه ، وفيما أنفقه » .

قالوا : وقال يونس بن عبيد (٤) : سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهنّ . قول حَسَّان بن أبى سِنان (٥) : ما شيءٌ أهونَ من ورَع ، إذا رابك شيءٌ فدعْه . وقول ابن سِيرين : ما حسدت أحداً على شيءٍ قطُّ . وقول مُوَرِّق العِجْلىّ (٦) : لقد سألتُ الله حاجةً منذ أربعين سنةً ، ما قضاها ولا يئستُ منها . فقيل لمُوَرِّق : ما هى ؟ قال : تَرْكُ ما لا يَعنينى (٧) .

---

(١) ما عدا ل : « نبدأ باسم الله وعونه » .

(٢) هو عوف بن أبى جميلة البصرى المترجم فى (٢ : ٣٧) .

(٣) ما عدا ل : « فيم » فى المواضع الثلاثة . وهى اللغة الغالبة . وبغيرها قرأ عكرمة وعيسى : (عما يتساءلون) . وقال حسان :

على ما قام يشتمنى لئيم كخنزير تمرغَ فى رماد

المغنى والخزانة (٢ : ٥٣٧) .

(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٢٠) .

(٥) هو حسان بن أبى سنان البصرى ، كان صدوقا عابدا ، ترجم له فى تهذيب التهذيب . وانظر صفة الصفوة (٣ : ٢٥٤ – ٢٥٧) . والخبر فى تهذيب التهذيب ومجالس ثعلب ٣١٢ ، ٤٧٨ وصفة الصفوة (٣ : ١٧٤) . على أن هذا القول روى فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٤) منسوبا إلى ابن سيرين .

(٦) ترجم فى (١ : ٣٥٣) .

(٧) فى صفة الصفوة : « أمر أنا فى طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست بتارك طلبه أبدا . قالوا : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعنينى » .

وقال أبو حازمٍ الأعرج (١) : إن عوفينا من شرّ ما أُعطينا لم يَضِرْنا ما زُوِيَ عنا (٢) .

وقال أبو عبد الحميد (٣) : لم أسمع أعجبَ من قول عمر : « لو أنّ الصبر والشكر بَعِيرانِ ما باليتُ أيَّهما أركب (٤) » .

وقال ابن ضُبَارة : إنا نظرْنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهونَ من الصَّبر على عذاب الله .

وقال زياد (٥) عبدُ [عبدِ الله بن (٦)] عَيَّاش بن أبى ربيعة : أنا مِن أُمنَع الدُّعاء أخْوف من أن أُمنعَ الإجابة (٧) .

وقال له عمر بن عبد العزيز : يازياد ، إنِّى أخاف الله مما دخلتُ فيه . قال : لستُ أخاف عليك أن تخاف ، وإنَّما أخاف عليك ألّا تخاف .

وقال بعض النسّاك : كفى موعظةً أنّك لا تموت إلّا بحياة ، ولا تحيا إلّا بموت .

وهو الذى قال : اصحبْ مَن ينسى معروفَه عندك .

---

(١) ترجم فى (١ : ٣٦٤) .

(٢) صفة الصفوة (٢ : ٨٩) . « إن وقينا شر ما أعطينا لم نبال ما فاتنا » .

(٣) يبدو أنه أحد القصاص الزهاد . وقد أورد له فى الحيوان (٦ : ٥٠٨) خبرا فى أثناء أخبار بعض الزهاد . قال : « وكان أبو عبد الحميد المكفوف يتمثل فى قصصه بقوله :

يا راقد الليل مسروراً بأوله   إن الحوادث قد يطرقن أسحارا »

(٤) ما عدا ل : « أيهما ركبت » .

(٥) هو زياد بن أبى زياد ميسرة المخزومى المدنى ، مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة . كان من العباد الزهاد ، ويقال إنه كان من الأبدال – والأبدال فيما يزعمون : سبعون رجلا ، أربعون بالشام ، وثلاثون بغيرها ، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس ، كما فى القاموس (بدل) – وكان عمر بن عبد العزيز يجله ويكرمه . وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه ، فأبى وأعتقه . توفى سنة ١٣٥ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٩) .

(٦) التكملة من المرجعين السابقين .

(٧) روى هذا القول فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨٦) منسوبا إلى أبى حازم .

وهو الذى قال : « لا تجعلْ بينك وبين الله مُنعماً ، وعُدَّ النِّعَمَ منه عليك مَغْرما » .

ودخل سالم بن عبد الله (١) ، مع هشام بن عبد الملك البيتَ ، فقال له هشام : سلنى حاجتَك . فقال : أكره أن أسأل فى بيتِ الله غيرَ الله .

وقيل لرابعة القيسيّة (٢) : لو كلّمتِ (٣) رجالَ عشيرتِك فاشتَرَوْا لكِ خادماً تكفيك مهنةَ بيتِك (٤) ؟ قالت : « والله إنى لأستحى أن أسأل الدُّنيا مَن
١٦٠ يملك الدنيا فكيف أسألها من لا يملكُها ؟! » .

وقال بعضُ النسّاك : ديارُكم أمامكم ، وحياتُكم بعد موتكم .

وقال السَّموأل بن عاديا اليهودىّ :

مَيْتاً خُلِقْت ولم أكن مِن قَبلِها   شيئاً يموت فمتُّ حين حَيِيتُ

وقال أبو الدَّرداء : « كان الناس وَرَقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورقَ فيه (٥) » .

الحسن بن دينار قال : رأى الحسنُ رَجُلَا يَكيد بنفْسه (٦) ، فقال : « إنّ امرأً هذا آخرُه لجدير أن يُزهَد فى أوّله ، وأنّ أمرأً هذا أوّله لجديرٌ أن يُخاف آخرُه » .

قال أبو حازم (٧) : الدنيا غرَّت أقواماً فعمِلوا فيها بغير الحقّ ، فلمّا جاءَهم الموت خلّفوا مالهم (٨) لمن لا يحمدُهم ، وصاروا إلى من لا يعذِرهم . وقد خَلَفْنا

---

(١) سالم بن عبد الله بن عمر ، ترجم فى (٢ : ٢٩١) .

(٢) رابعة القيسية العدوية ، ترجمت فى (١ : ٣٦٤) .

(٣) ما عدا ل : « لو كلمنا » .

(٤) المهنة ، بالفتح والكسر والتحريك وككلمة : العمل والحذق به .

(٥) نسب فى (٢ : ١٩٧) إلى أبى ذر الغفارى . ومثله ما روى عنه فى عيون الأخبار (٢ : ١) : « وجدت الناس اخبر تقله » .

(٦) يكيد بنفسه . يجود بها عند الاحتضار .

(٧) أبو حازم الأعرج ، سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٤) .

(٨) ما عدا ل : « ففاجأهم الموت فخلفوا مالهم » .

بَعدهم ، فينبغى لنا أن ننظرَ إلى الذى كرِهناه منهم فنجتنبَه [١] ، وإلى الذى غَبَطناهم به فنستعمله [٢] .

موسى بن داود [٣] ، رفع الحديث قال : « النَّظر إلى خمسةٍ عبادة : النَّظر إلى الوالدَين ، والنظر إلى البَحر ، والنظر إلى المصحَف ، والنظر إلى الصَّخرة [٤] ، والنظر إلى البيت » .

عبد الله بن شدّاد [٥] ، قال : « أربعٌ مَن كُنَّ فيه فقد بَرِئ من الكِبْر : مَن اعتقل البعير [٦] ، وركب الحمارَ ، ولبس الصوفَ ، وأجاب دعوةَ الرجُل الدُّون » .

وذُكر عند أنسٍ الصومُ فقال : « ثلاث من أطاقهنَّ فقد ضبط أمرَه : مَن تسحَّر ، ومن قال [٧] ، ومن أكَلَ قبل أن يشرب » .

---

(١) ل : « أن نجتنبه » .

(٢) ل : « أن نستعمله » .

(٣) هو موسى بن داود الضبى ، كان ثقة صاحب حديث ، ولى قضاء المصيصة ثم طرسوس ، ومات بها سنة ٢١٧ . ذكر الجاحظ أنه كان فصيحاً خطيباً فاضلا . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٦٩٩٠ .

(٤) هى صخرة بيت المقدس ، بها أثر قدم النبى ﷺ . معجم البلدان (المقدس) .

(٥) ترجم فى (٢ : ١١٣) .

(٦) البعير : الجمل البازل ، وهو الذى استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة ، وقيل هو الجذع ، وهو الذى استكمل الرابعة ودخل فى الخامسة . قال الجوهرى : « يقال للجمل بعير وللناقة بعير » ، والمراد هنا الناقة . وفى حديث عمر : « من اعتقل الشاة وحلبها وأكل مع أهله فقد برئ من الكبر » . اعتقل شاته : وضع رجلها بين ساقه وفخذه فحلبها . وهذا غير متصور فى الناقة . فالمراد بالاعتقال هنا اعتقال الرحْل ، وهو أن يثنى الراكب رجله فيضعها على المورك . وفى هامش التيمورية إشارة إلى أنها فى نسخة : « اكتفل » . اكتفل البعير ، إذا أدار على سنامه ، أو على موضع من ظهره ، كساء وركب عليه .

(٧) قال من القيلولة ، وهى النوم فى القائلة ، أى الظهيرة . والمراد إطاقة هذه الأمور مع حال الصوم .

وقال أبو سعيد ، عبدُ الكريم العُقَابيُّ (١) : من أخَّر السُّحور وقدَّم الفَطور ، وأكل قبل أن يشرب ، وشرب ثم لم يأكل ، فقد ضبط أمره (٢) .

وقال الجمَّاز (٣) : ليس يقوى على الصَّوم إلا مَن كبَّر لقمهُ ، وأطاب أُدْمَهُ (٤) .

مجالد بن سعيد (٥) ، عن الشعبىّ ، قال : حدّثنى مُرَّةُ الهمدانى (٦) — قال مجالد : وقد رأيته — وحدّثنا إسماعيل بن أبى خالد (٧) أنّه لم يرَ مثل مُرَّةَ قطّ : كان يصلى فى اليوم والليلة خمسَمائةِ ركعة .

١٦١ وكان مُرّة يقول : لمّا قُتل عثمان رحمه الله : حمِدتُ الله ألاّ أكونَ دخلتُ فى شيءٍ مِن قَتلِه ، فصلَّيت مائة ركعة . فلمَّا وقع الجمل وصِفِّينَ حمدتُ الله ألاّ أكون دخلتُ فى شيءٍ من تلك الحروب ، وزدت مائة ركعة . فلمَّا كانت وقعةُ النَّهروان (٨)

---

(١) العقابى : نسبة إلى عقابة ، بالضم ، وهم بطن من حضرموت . السمعانى ٣٩٤ . وفى هـ ، والتيمورية : « الغفارى » . وهذا الإسناد وما بعده من الكلام إلى « يشرب » ساقط من ب ، حـ .

(٢) فى التيمورية : « ضبط أمره نفسه » بدون حرف نسق .

(٣) الجماز ، لقب له ، ومعناه الوثاب . واسمه محمد بن عمرو بن عطاء بن ريسان . شاعر أديب بصرى ، وكان ماجناً خبيث اللسان ذا نادرة ، وكان أكبر سناً من أبى نواس . دخل بغداد فى أيام الرشيد والمتوكل ، وقد أعجب به المتوكل يوما فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر فمات فرحا بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(٤) ما عدا ل : « كثر لقمه » . واللقم ، بالفتح : سرعة الأكل ، وبضم ففتح : جمع لقمة . والأدم ، بالضم : الإدام ، وهو ما يؤكل بالخبز .

(٥) ترجم فى (١ : ٢٤٢) .

(٦) هو مرة بن شراحيل الهمدانى السَّكسَكى ، المعروف بمرة الخير ، ومرة الطيب ، لقب بذلك لعبادته . روى عن أبى بكر وعمر وعلى ، وتوفى سنة ٧٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧) .

(٧) هو إسماعيل بن أبى خالد البجلى الأحمسى ، كوفى عابد ثقة . وكان يسمى « الميزان » ، وكان طحاناً . توفى سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب والخلاصة ٢٨ .

(٨) النهروان ، بفتح النون . قال ياقوت : وأكثر مايجرى على الألسنة بكسر النون .

حمِدتُ الله إذْ لم أشهدْها ، وزدت مائة ركعة . فلمّا كانت فتنةُ ابن الزّبير حمِدت الله إذْ لم أشهدْها ، وزدت مائة ركعة .

وأنا أسأل الله أن يغفر لمُرةّ . على أنّا لا نعرف لبعضِ ما قالَ وجْهاً ؛ لأنّك لا تعرِف فقيهاً من أهل الجماعة لا يستحلُّ قتال الخوارج ، كما أنّا لا نعرف أحداً منهم لا يستحلُّ قتال اللُّصوص . وهذا ابن عُمَر (١) ، وهو رئيس الحِلْسيّة (٢) بزعمهم ، قد لَبِس السلاح لقتال نَجدة (٣) .

وقيل لشُرَيح : الحمد الله الذى سلّمك من القتال فى شىءٍ من هذه الفتن . قال : فكيف أصنع بقلبى وهوایَ .

وقال الحسن : قَتَل النّاقةَ رجلٌ واحد ، ولكنَّ الله عمّ القومَ بالعذاب ، لأنّهم عَمُّوه بالرِّضا (٤) .

وسئل عمرُ بن عبد العزيز عن قَتَلة عثمان وخاذِليه وناصرِيه فقال : تِلك دماءٌ كفَّ الله يدى عنها ، فأنا لا أحبُّ أن أغمِسَ لسانى فيها .

---

(١) هو عبد الله بن عمر . انظر أيضا تهديده لمصعب بن الزبير فى الطبرى (٧ : ١٥٨) .

(٢) الحلسية ، من قولهم : فلان حِلس بيته ، أى لا يبرحه . وهؤلاء هم القاعدون الذين لا ينفرون إلى القتال . ل : « الجلسية » تحريف . وفى حواشى هـ والتيمورية : « فى بعض الكتب يقال فلان حلس بيته ، أى ملازم له » .

(٣) هو نجدة بن عامر – وقيل عاصم – الحنفى ، كان ممن خرج مع ابن الزبير ، ثم فارقه هو ونافع ابن الأزرق من الخوارج ، فصار نافع إلى البصرة ونجدة إلى اليمامة ، وذلك فى سنة ٦٤ . الملل والنحل (١ : ١٦٥) والطبرى (٧ : ٥٦ – ٥٧) . ثم صار إلى الطائف فوجد ابنة لعمرو بن عثمان بن عفان قد وقعت فى السبى فاشتراها من ماله بمائة ألف درهم ، وبعث بها إلى عبد الملك ، ثم سار إلى البحرين ووجه إليه مصعب بن الزبير بخيل بعد خيل فهزمهم . وقد ظل خمس سنوات هو وعماله بالبحرين واليمامة وعمان وهجر والعرض ، فلما نقمت عليه الخوارج خلعوه – وكان يسمى أمير المؤمنين – وأقاموا أبا فديك المترجم فى (٢ : ٢٠٤) وذاك سنة ٧٢ . الطبرى (٧ : ١٩٤) . فغلب أبو فديك على البحرين وقتل نجدة فى تلك السنة . وإليه تنسب فرقة النجدات . انظر آراءَهم فى الملل ، والفرق بين الفرق ٦٧ والمواقف ٦٢٩ .

(٤) أى بالرضا عن قتل الناقة وعدم استنكارهم لذلك .

ودخل أبو الدَّرداء على (١) رجل يعوده ، فقال له : كيف تجدُك ؟ فقال : أفرَقُ من الموت . قال : فممّن أصبتَ الخيرَ كلَّه ؟ قال : من الله . قال : فلِمَ تفرَقُ ممّن لم تصب الخير كلَّه إلا منه ؟!

ولما قُذِف إبراهيم عليه السّلامُ فى النّار قال له جبريل عليه السلام : أَلَك حاجةٌ يا خليل الله ؟ قال : أمَّا إليك فلا .

قال : ورأى بعضُ النُّسَّاك صديقاً له من النُّسَّاك مهموماً ، فسأله عن حاله ذلك ، فقال : كان عندى يتيمٌ أحتسِبُ فيه الأجر ، فمات . قال : فاطلبْ يتيماً غيره فإنّ ذلك لا يُعدِمُك إنْ شاء الله (٢) . قال : أخاف أن لا أصيبَ يتيماً فى سوء خُلقه . فقال : أما إنى لو كنت مكانَك لم أذكُرْ سوءَ خلقِه .

قال : ودخل بعضُ النسَّاك على صاحبٍ له وهو يَكِيد بنفْسه ، فقال له : طِبْ نفساً فإنَّك تلقى ربّاً رحيما . قال : أمَّا ذنوبى فإنى أرجو أن يغفرها الله لى ، وليس اغتمامِى إلاّ لمن أَدَعُ من بناتى . قال له صاحبه : الذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجُه لحفظِ بناتِك . ١٦٢

قال : وكان مالك بن دينار يقول : لو كانت الصُّحف من عندنا لأقللنا الكلام .

وقال يونُس بن عُبيد : لوْ أُمِرنا بالجَزَع لصبَرنا (٣) .

وكان يقول : كَسَبت فى هذه السوق ستِّين ألفَ دِرهم ، ما منها درهم (٤) إلاّ وأنا أخاف أن أُسأَل عنه .

قال : وسمع عمرو بن عُبيدٍ ، عبد الرحيم بن صُدَيقة (٥) يقول : قال الحُطيئة :

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة « وكان إذا قرئ » فى ص ١٣٤ ، ساقط من التيمورية .

(٢) يقال : أعدمنى الشئ ، إذا لم أجده .

(٣) وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ٢) . وفى الحيوان (١ : ١٦٧) : « لو أخذنا » .

(٤) ما عدا ل : « ما فيها درهم » .

(٥) هـ ، ب ، جـ : « عبد الرحمن بن حذيفة » . وفى هـ أيضاً : « خ : حذيفة » .

إنما أنا حَسَبٌ موضوع ! فقال عَمرو : كَذبَ تَرَّحه الله (١) ، ذلك التَّقوى .

وقال أبو الدَّرداء : نعم صومعةُ المؤمن منزلٌ يَكُفُّ فيه نفسَه وبصرَه وفرجَه . وإيّاكم والجلوسَ فى هذه الأسواق ، فإنها تُلغِى وتُلْهِى (٢) .

* * *

وقال الحسن (٣) : يا ابن آدم ، بعْ دنياك بآخرتك تربَحْهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسَرَهما جميعاً . يا ابن آدم ، إذا رأيت النّاس فى الخير فنافِسْهم فيه ، وإذا رأيتهم فى الشّرّ فلا تغبطهم به . الثَّواءُ ها هنا قليل ، والبقاء هناك طويل . أُمّتُكم آخر الأمَم وأنتم آخِرُ أمّتكم ، وقد أُسرِع بخياركم فماذا تنتظرون ؟ آلمعايَنةَ ؟ فكأن قَدْ . هَيْهَات هيهات ، ذهبت الدّنيا بحالَيها (٤) ، وبقيت الأعمال قلائدَ فى أعناق بنى آدم ، فيالها موعظةً لو وافقتْ من القلوب حياةً ! أمَا إنّه والله لا أمّةَ بعد أمّتكم ، ولا نبىَّ بعد نبيِّكم ، ولا كتابَ بعد كتابكم . أنتم تسوقون النّاسَ والسّاعةُ تسوقكم ، وإنّما يُنْتَظر بأوّلكم أن يلحقَ آخرَكم . مَنْ رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً رائحاً (٥) ، لم يضع لَبِنةً على لَبِنة ، ولا قَصَبةً على قصبة . رُفِع له عَلَمٌ فشمَّر إليه . فالوَحاءَ الوَحاء ، والنَّجاءَ النجاء . علام تعرّجون . أُتيتم وربِّ الكعبة . قد أُسرِع بخياركم وأنتم كلَّ يوم تَرذُلون (٦) ، فماذا تنتظرون . إنَّ الله تعالى بعثَ محمّداً عليه السلام على علمٍ منه ،

---

(١) ترحه : أحزنه . والترح : نقيض الفرح .

(٢) أراد بالإلغاء أنها تحمل المرء على اللغو ، وهو مالا يعتد به من الكلام وغيره .

(٣) الخطبة فى عيون الأخبار (٢ : ٣٤٤) وابن أبى الحديد (١ : ٤٦٩) .

(٤) أى حالى الخير والشر . وهذا ما ورد فى ابن أبى الحديد حيث صرح بنقله عن البيان والتبيين . وفى الأصول : « بحال يالها » ولا وجه له . وفى عيون الأخبار : « بحال بما لها » بإهمال الكلمة الأولى . وفى حاشية هـ أنها فى نسخة « بحذافيرها » .

(٥) أى فى كسب الضرورى من العيش .

(٦) رذل يرذل : صار رذلا ، وهو الردىء من كل شىء .

اختاره لنفسه ، وبعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابَه ، وكان صفوتَه من خلقه ، ورسولَه إلى عباده ، ثمَّ وضعَه من الدُّنيا موضعاً ينظر إليه أهلُ الأرض ،
١٦٣ وآتاه منها قُوتاً وبُلْغة ، ثم قال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسوةٌ حسَنَةٌ ﴾ ، فرغِب أقوامٌ عن عيشه ، وسخِطوا ما رضِىَ له ربُّه ، فأبعْدَهم اللهُ وأسحَقَهم . يا ابنَ آدم ، طأ الأرضَ بقدمِك فإنَّها عما قليل قبرُك ، واعلم أنَّك لم تَزَلْ فى هدم عُمرك مذ سقطتَ من بطن أمِّك . فرحِمَ اللهُ رجلاً نَظَرَ فتفكَّر ، وتفكَّر فاعتبر ، واعتبَرَ فأبصر ، وأبصَرَ فصبَر . فقد أبصر أقوامٌ فلم يصبروا فذهب الجزَع بقلوبهم ولم يدرِكوا ما طلبوا ، ولم يرجِعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ، اذكُرْ قوله : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِه ونُخْرِجُ له يومَ القِيَامَةِ كِتاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً . اقْرَأْ كتابَكَ كَفَى بنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا ﴾ . عَدَلَ واللهِ عليك مَن جَعَلك حسيبَ نفسك . خذُوا صفاءَ الدُّنيا وذروا كدَرَها ؛ فليسَ الصَّفْو ما عاد كدَرا ، ولا الكدرُ ما عاد صفواً . دَعوا ما يَرِيبكم إلى ما لا يُرِيبكم[1] . ظهر الجفاء وقلَّت العلماء ، وعَفَت السُّنَّة وشاعت البدعة . لقد صحبتُ أقواماً ما كانت صحبتُهم إلّا قُرَّةَ العين ، وجِلاءَ الصدر . ولقد رأيتُ أقواماً كانوا من حسناتهم[2] أشفَقَ من أن تُرَدّ عليهم ، منكم من سيئاتكم أن تُعذَّبوا عليها ، وكانوا فيما أحلَّ اللهُ لهم من الدُّنيا أزهدَ منكم فيما حرّم عليكم منها . مالى[3] أسمع حَسِيساً ولا أرى أنيساً . ذهب الناس وبقى النِّسْناس[4] . لو تكاشفتم

---

(١) يقال رابه الأمر ، إذا علم منه الريبة ، وأرابه ، إذا أوهمه الريبة . وباللغتين روى الحديث : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ، يروى بفتح الياء وضمها .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « لحسناتهم » . وانظر ما سيأتى فى ص ١٥٥ س ٨ – ٩ .

(٣) هذه الكلمة من هـ ، ب ، جـ وابن أبى الحديد . وبدلها فى عيون الأخبار : « إنى » .

(٤) النسناس ، بفتح النون وكسرها : خلق على صورة الإنسان . وقد عنى به الذين يتشبهون بالناس .

ما تدافَنْتم (١) . تهاديتم الأطباقَ ولم تَتهادَوا النَّصائح . قال ابن الخطَّاب : رحم الله امرأً أهدى إلينا مساوِيَنا . أعِدُّوا الجوابَ فإنّكم مسئولون . المؤمن لم يأخذْ دِينَه عن رأيِه ولكن أخذه من قِبَل ربِّه . إنَّ هذا الحقَّ قد جَهَد أهلَه وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصبِر عليه إلّا مَن عَرف فضلَه ، ورجَا عاقبتَه . فمَنْ حمِد الدُّنيا ذمَّ الآخِرة ، وليس يكره لِقاءَ الله إلّا مقيم على سخطه . يا ابن آدم ، ليس الإيمانُ بالتحَلِّى ولا بالتمنّى (٢) ، ولكنه ما وَقَر فى القُلوب ، وصدَّقته الأعمال .

* * *

وكان إذا قرِئ (٣) : ﴿ أَلهاكُمُ التَّكاثُر ﴾ قال : عَمَّ ألهاكم ؟! ألهاكم عن دار الخُلود ، وجنّة لا تَبيد . هذا والله فَضَح القوم ، وهتَك السِّتْر وأبْدَى العَوار (٤) . ١٦٤
تنفق مِثل دِيَتِك فى شهواتك سرفاً ، وتمنع فى حقِّ اللهِ درهماً . ستعلم يالُكَع (٥) . الناس ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق . فأمّا المؤمن فقد ألجمه الخوفُ ، ووقَمه ذكر العَرْض (٦) . وأمّا الكافر فقد قمعه السَّيف ، وشرّده الخوف ، فأذعن بالجِزْية ، وأسمحَ بالضَّريبة . وأمّا المنافق ففى الحجرات والطُّرقات ، يُسرُّون غيرَ ما يعلنون ، ويُضمِرون غيرَ ما يظهرون . فاعتبِروا إنكارهم ربَّهم بأعمالهم الخبيثة . ويلك ! قتلت وليَّه ثم تتمنىَّ عليه جنّته !

وكان يقول : رحِم اللهُ رجلاً خلا بكتابِ الله فعَرَض عليه نفسَه ، فإن وافقه

---

(١) رواه فى اللسان (دفن) . وقال : « أى لو تكشف عيب بعضكم لبعض » . وذكر قبله : « التدافن : التكاتم » . ورواه فى (كشف) وقال : « ابن الأثير : أى لو علم بعضكم بسريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه » . وقد سبق الحديث فى (٢ : ٢٣) وذكر الجاحظ أنه مما روى لأقوام شتى .

(٢) عند ابن أبى الحديد : « بالتمنى ولا بالتشهى » . وانظر ما سيأتى فى ص ١٤٤ .

(٣) مما عدا ل : « قرأ » . وإلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ١٣١ س ١ .

(٤) العوار ، بتثليث العين : العيب .

(٥) اللكع : اللئيم ، والأحمق .

(٦) وقمه : ردة أشد الرد . ما عدا ل ، هـ : « وقومه » تحريف .

حمِدَ ربَّه وسأَله الزِّيادةَ من فضله ، وإن خالَفه اعتتب وأناب [(١)] ، ورجَع من قريب . رحم الله رجلا وعظَ أخاه وأهله فقال : يا أهلى ، صلاتَكم صلاتَكم ، زكاتَكم زكاتَكم ، جيرانَكم جيرانَكم ، إخوانَكم إخوانَكم ، مساكنَكم مساكنَكم ، لعلّ الله يرحمُكم . فإنّ الله تبارك وتعالى أثنى على عبدٍ من عباده [(٢)] فقال : ﴿ وكانَ يأمُرُ أهْلَهُ بالصَّلاةِ والزَّكاة وكانَ عِنْدَ ربِّهِ مَرْضِياً ﴾ . يا ابن آدم : كيف تكون مسلماً ولم يَسلَمْ منك جارُك ، وكيف تكون مؤمناً ولم يأمَنْك الناس .

وكان يقول : لا يستحقُّ أحدٌ حقيقةَ الإيمان حتّى لا يعيبَ النّاس بعيبٍ هو فيه ، ولا يأمر بإصلاحِ عيوبهم حتّى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه ؛ فإنّه إذا فعل ذلك لم يُصلحْ عيباً إلّا وجد فى نفسه عيباً آخرَ ينبغى له أن يُصلِحَه . فإذا فَعَل ذلك شُغِل بخاصَّةِ نفسِه عن عيب غيره . وإنّك ناظرٌ إلى عملك يُوزَن خيرُه وشرُّه [(٣)] ، فلا تحقِرَنَّ شيئاً من الخير وإن صَغُرَ ؛ فإنّك إذا رأيته سرّك مكانُه . ولا تحقِرنَّ شيئاً من الشرّ وإن صغُر ؛ فإنّك إذا رأيته ساءك مكانُه .

وكان يقول : رحم الله امرأً كَسَب طيِّباً وأنفق قَصْداً ، وقدّمَ فضلا . وجِّهوا
هذه الفضولَ حيث وجَّهها الله ، وضَعوها حيثُ أمر الله ؛ فإنَّ مَنْ كان قبلكم ١٦٥
كانوا يأخذون من الدُّنيا بَلاغَهم ويُؤْثرون بالفَضْل . ألَا إنَّ هذا الموت قد أضرَّ
بالدنيا فَفَضَحها ، فلا والله ما وَجَد ذُو لبٍّ فيها فَرَحاً . فإيّاكم وهذه السُّبُلَ

(١) اعتتب ، أى رجع من أمر كان فيه إلى غيره وانصرف عنه . ما عدا ل : « أعتب » ، أى عمل بطاعة الله . والوجه « اعتتب » .

(٢) هو إسماعيل عليه السلام . وقبل الآية التالية ، وهى ٥٥ من سورة مريم : (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) .

(٣) ناظر ، أى ستنظر يوم الحساب ، ما عدا ل ، هـ : « بوزن » موضع : « يوزن » — تحريف .

المتفرِّقة ، التى جِماعها الضَّلالة وميعادُها النَّار . أدركْتُ مِن صدر هذه الأمّة قوماً كانوا إذا أجَنَّهُم اللّيلُ فقيامٌ على أطرافهم ، يفترشون وجُوهَهم ، تجرى دموعُهم على خدودهم ، يناجُون مولاهم فى فِكاك رقابِهم (١) . إذا عملوا الحسنةَ سرّتْهم وسألوا الله أن يتقبّلها منهم ، وإذا عمِلوا سيّئةً ساءتهم وسألوا الله أن يغفرَها لهم . يا ابن آدم ، إنْ كان لا يُغْنيك مايَكفيك فليس ها هنا شئٌ يُغنيك ، وإنْ كان يُغنيك ما يكفيك فالقليلُ من الدُّنيا يغنيك . يا ابن آدم ، لا تعمَلْ شيئاً من الحقّ رياء ، ولا تتركْه حياء .

وكان يقول : إنّ العلماء كانوا قد استغنَوْا بعلمهم من أهل الدنيا ، وكانوا يقضُون بعلمهم على أهل الدُّنيا ما لا يقضِى أهلُ الدُّنيا بدنياهم فيها ، وكان أهلُ الدُّنيا يبذُلون دنياهم لأهل العِلم رغبةً فى علمهم ، فأصبح أهلُ العلم اليوم يبذلون علمَهم لأهل الدُّنيا رغبةً فى دنياهم ، فرَغِب أهلُ الدُّنيا بدنياهم عنهم ، وزهِدوا فى علمهم لِمَا رأوْا من سُوء موضعه عندهم .

وكان يقول : لا أذهب إلى من يُوارى عنّى غناه ويُبدى لى فقرَه ، ويُغلق دونى بابَه ويمنعُنى ما عندَه ، وأَدَع مَن يفتح لى بابَه ويُبدى لى غناه ويدْعُونى إلى ما عنده .

وكان يقول : يا ابن آدم ، لا غنى بك عن نصيبِك من الدُّنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر .

مؤمن مُتَّهم (٢) ، وعِلجٌ أغتمُ (٣) ، وأعرابىٌّ لا فِقْهَ له ، ومنافقٌ مكذِّب ،

---

(١) الفكاك ، بفتح الفاء وكسرها . وفك الرقبة : تخليصها من إسار الرق . أى تخليصهم من إسار الدنيا وشهواتها ، أو مما يرتقبهم من جزاء لا يرضونه .

(٢) ما عدا ل : « مهتم » . ومثل هذا الأسلوب ما ورد فى خطبة على فى (٦ : ٥٠ س ٦) حين عدد أنواع الناس ولم يذكر ما يشعر بذلك .

(٣) العلج : الرجل من كفار العجم . والأغتم : الذى لا يفصح شيئاً . والغتمة : عجمة فى المنطق .

ودنياويٌّ مُترفٌ (١) ، نعق بهم ناعقٌ فاتَّبعوه ، فَرَاشُ نارٍ (٢) وذِبّان طمَعٍ . والذى نفسُ الحسَن بيدِه ماأصبَحَ فى هذه القريةِ مؤمنٌ إلاّ وقد أصبح مهموماً حزيناً (٣) ، وليس لمؤمنٍ راحةٌ دونَ لقاءِ اللهِ . والناسُ ماداموا فى عافيةٍ مستورون ، فإذا نزَلَ بهم
١٦٦ بلاءٌ صاروا إلى حقائقهم ، فصار المؤمن إلى إيمانه ، والمنافقُ إلى نِفاقه . أىْ قَوْمُ ، إنّ نعمةَ الله عليكم أفضلُ مِن أعمالكم ، فسارِعوا إلى ربِّكم ، فإنه ليس لمؤمنٍ راحةٌ دونَ الجنة ، ولا يزال العبدُ بخير ما كان له واعظٌ من نفسه ، وكانت المحاسبةُ من هَمِّه .

وقال الحَسن فى يوم فِطر (٤) ، وقد رأى الناسَ وهيئاتِهم : إنّ الله تبارك وتعالى جعل رمضانَ مِضماراً لخلْقِه (٥) يستبِقُون فيه بطاعته إلى مَرضاته ، فسبَقَ أقوامٌ ففازوا ، وتخلَّف آخرون فخابوا . فالعجَبُ من الضّاحك اللاعب فى اليومِ الذى يَفوزُ فيه المحسِنون ، ويَخْسَرُ فيه المُبْطِلون . أمَا والله أنْ لو كُشِف الغطاءُ لشُغِل مُحْسنٌ بإحسانه ، ومسيءٌ بإساءته ، عن ترجيلِ شَعْر (٦) ، وتجديد ثَوب .

* * *

وحَدَّث عن عمر بنِ الخطاب رحمه الله أنّه قال :

---

(١) يقال فى النسبة إلى الدنيا : دنياوى ، ودنيوى ، ودنيى .

(٢) أى كالفراش الذى يتهافت على النار ، يعجبه حسنها ولألاؤها وفيها حتفه .

(٣) انظر قوله هذا فى زهر الآداب (٢ : ٢٥٩) . وفى الكامل ٥٧ : « ونظر الحسن إلى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد » .

(٤) ل فقط : « وهيئتهم » ، وأثبت ما فى سائر النسخ وزهر الآداب .

(٥) المضمار : الأيام التى تضمر فيها الخيل للسباق ، وقدرها أربعون يوماً . وتضمير الخيل : أن يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن ، ثم لا تعلف إلا القوت ، وهو قدر ما يمسك الرمق .

(٦) ترجيل الشعر : تسريحه وتنظيفه . وفى الكامل واللسان (رطل) : « ترطيل » . والترطيل : تليين الشعر بالدهن وما أشبهه .

الناس طالِبان : فطالبٌ يطلب الدُّنيا فارفضوها فى نَحْره ، فإنّه ربَّما أدرك الذى طلب منها فهلَك بما أصاب منها ، وربَّما فاته الذى طلب منها فهلك بما فاته منها . وطالبٌ يطلب الآخرة ، فإذا رأيتم طالب الآخرة فنافِسُوه .

* * *

وحَدّث عن عمرَ بنِ الخطاب رحمه الله أنه قال (١) :

يأيُّها الناس ، إنه أتى علىّ حينٌ وأنا أحسب أنه مَن قرأ القرآن إنه إنّما يريد به الله وما عندَه . ألاَ وقد خُيِّل إلىّ أن أقواما يقرءُون القرآن يريدون به ما عندَ الناس . ألاَ فأريدُوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فإنّما كُنّا نعرفُكم إذِ الوحىُ ينزِل ، وإذِ النبىُّ ﷺ بين أظْهُرنا (٢) ؛ فقد رُفِع الوحىُ وذهَبَ النبىٌّ عليه السلام ، فإنّما أعرفُكم بما أقول لكم (٣) . ألَا فمن أظهر لنا خيراً ظَنَنَّا به خيراً وأثنينا عليه ، ومَن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه . اقْدَعُوا هذه النُّفوس عن شهواتها (٤) ، فإنها طُلَعَةٌ (٥) ، وإنّكم إلاّ تقدَعوها تَنزِعْ بكم إلى شر غاية . إنّ هذا الحقَّ ثقيل مرىء ، وإن الباطل خفيف وبِىء (٦) ، وتركَ الخطيئة خيرٌ من معالجة التَّوبة . ورُبَّ نظرةٍ زَرعت شهوة ، وشهوةِ ساعةٍ أورثَتْ حُزْناً طويلا .

* * *

وكتَبَ الحسن إلى عمرَ بنِ عبد العزيز (٧) أمّا بعد فكأنَّكَ بالدُّنيا لم تكُنْ ١٦٧

---

(١) الخطبة فى صبح الأعشى (١ : ٢١٤) والعقد (٤ : ٦٣ – ٦٤) .
(٢) بعده فى العقد : « ينبئنا عن أخباركم » .
(٣) فى العقد : « بالقول » .
(٤) القدع : الكف والمنع . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٩٧) من نسبته إلى الحسن .
(٥) الطلعة : الكثير التطلع إلى الشىء ، الكثيرة الميل إلى هواها .
(٦) أى إن الحق عاقبته حميدة والباطل وخيم العاقبة . وكلمة « مرىء » ساقطة من ل .
(٧) فى الشعراء ٥٥٣ ليبسك أن الكتاب لعمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله .

وكأنَّك بالآخرة لم تَزَل [١] .

وقال أبو حازمٍ الأعرج [٢] : وجدت الدنيا شيئين : شيئاً هو لى لن أعجِّله دون أجلِه ولو طلبتُه بقوّة السَّموات والأرض ، وشيئاً هو لغيرى لم أنَلْه فيما مضى ولا أناله فيما بقى . يُمنَع الذى لى من غيرى [٣] ، كما مُنِعَ الذى لغيرى مِنِّى . ففى أىِّ هذين أُفنِى عمرى ، وأُهلِكُ نفسى .

ودخل على بعض الملوك من بنى مروان فقال : أبا حازم ، ما المخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ما عندك فلا تَضَعْه إلاّ فى حقه ، وما ليس عندك فلا تأخذْهُ إلاّ بحقِّه . قال : ومَن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فمِنْ أجْل ذلك مُلِئت جهنَّمُ من الجِنّة والناس أجمعين . قال : ما مالُكَ ؟ قال : مالانِ . قال : ما هما ؟ قال : الثِّقة بما عند الله ، واليأسُ مما فى أيدى الناس . قال : ارفَعْ حوائجَك إلينا . قال : هيهاتَ هيهات ، قد رفعتُها إلى من لا تُختَزَل الحوائجُ دُونه [٤] ، فإنْ أعطانى منها شيئاً قبِلت ، وإن زَوَى عنِّى منها شيئاً رضيت .

* * *

وقال الفُضَيل بن عِياض [٥] : يا ابنَ آدَم ، إنّما يفضِّلك الغِنَى بيومِك [٦] أمسِ قد خلا ، وغدٌ لم يأت ، فإنْ صَبَرت يومَك أحمدتَ أمرَك ، وقويتَ على غَدِك . وإنْ عَجَزْتَ يومَك أذْممتَ أمرَك ، وضعُفت عن غدِك . وإنَّ الصَّبر يورث البُرْء ، وإنّ الجَزع يورِث السُّقم ، وبالسُّقم يكون الموت ، وبالبُرْء تكون الحياة .

* * *

---

(١) وذكر ابن قتيبة أن على بن جبلة أخذ معنى ما فى الكتاب فقال :

شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٤) .

(٣) كلمة « من غيرى » ساقطة مما عدا ل ، هـ ، وإسقاطها يضعف المعنى .

(٤) تختزل : تقتطع .

(٥) ترجم فى (١ : ٢٥٨) .

(٦) أى أن تكون غنيا بيومك ، عاملا فيه ما يسعدك .

وقال الحسن : أيا فلانُ ، أترضى هذه الحال التى أنت عليها للموتِ إذا نزل بك ؟ قال : لا . قال : أفتحدّث نفسَك بالانتقال عنها إلى حال ترضاها للموت إذا نزلَ بك ؟ قال : حديثاً بغير حقيقة . قال : أفبعدَ الموتِ دارٌ فيها مُستعتَب [١] ؟ قال : لا . قال : فهل رأيتَ عاقلاً رَضِىَ لنفسه بمثل الذى رضيتَ به لنفسك ؟!

* * *

قال عيسى بن مريم عليه السلام : « ألاَ إنّ أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . الذين نظروا إلى باطن الدُّنيا حين نظَرَ الناسُ إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدُّنيا حين نظرَ الناسُ إلى عاجلها ، فأماتوا منها ماخَشُوا أن يُميت قلوبَهم ، وتركوا ١٦٨
منها ما علموا أنْ سيتركهم » .

ورأوه يخرُج من بيتِ مومسة ، فقيل له : يا رُوحَ الله ما تصنع عند هذه ؟ قال : « إنّما يأتى الطَّبيبُ المَرْضَى [٢] » .

وقال حين مَرَّ ببعض الخلْق فشتموه ، ثم مرَّ بآخرين فشتموه ، فكلما قالوا شراً قال خيراً ، فقال له رجلٌ من الحَوَاريِّين : كلما زادُوكَ شراً زدْتَهم خيراً حتى كأنّك إنّما تُغْريهم بنفسك ، وتحثُّهم على شتمك ! قال : «كلُّ إنسانٍ يعطى مِمَّا عندَه [٣]» .

وقال : « ويلكم يا عبيدَ الدُّنيا ، كيف تخالفُ فروعُكم أُصولَكم ، وعقولُكم أهواءَكم . قولُكم شفاءٌ يبرىء الدّاء ، وعملُكم داءٌ لايقبل الدّواء . لستُمْ كالكرْمة التى حسُنَ ورقُها ؛ وطاب ثمرُها ، وسهلُ مرتقاها ، بل أنتم كالسَّمُرة التى قلَّ ورقُها وكثُر شوكُها ، وصعُب مرتقاها . ويلكم يا عبيدَ الدنيا ، جعلتم العملَ تحتَ

---

(١) مستعتب : استرضاء . وذلك لأن الأعمال تبطل عنده وينقضى زمانها ، ويبدأ زمان الجزاء .

(٢) مثله ما ورد فى إنجيل مرقس (٢ : ١٧) حين رآه الكتبة والفريسيون يأكل مع العشارين والخطاة فقالوا : ما باله يأكل معهم ؟ فقال : « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى » . اقرن هذا بما ورد فى لوقا (١٥ : ١) . وانظر قول المسيح عليه السلام فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) . وقد سبق فى ٢ : ١٧٧ .

أقدامِكم ، مَن شاء أخذه ، وجعلتم الدنيا فوقَ رءُوسكم لا يُستطاع تناولُها ، لا عبيدٌ أتقياء ، ولا أحرارٌ كرام . ويلَكم أُجَراءَ السَّوْء ، الأجرَ تأخذون ، والعملَ تُفسِدون . سوف تَلقَون ما تحذرون . يوشِك ربُّ العمل أن ينظُرَ فى عمله الذى أفسدتم ، وفى أجره الذى أخذتم . ويلكم غُرماءَ السَّوْء تَبدءُون بالهدِّية قبل قضاء الدَّيْن ، بالنَّوافل تَطَّوَعون ، وما أُمرتم به لا تؤدُّون . إنّ رَبَّ الدَّيْن لا يقبل الهديَّة حتى يُقضَى دَيْنه » .

* * *

وكان أبو الدّرداء يقول : « أقربُ ما يكون العبدُ من غضب الله إذا غضب ، واحذَرْ أن تظلم مَن لا ناصرَ له إلاّ الله » .

وقال وَزَرٌ العَبد :

لعمرُ أبى المملوك ماعاش إنّه ... وإن أعجبَتْه نفسُه لذليلُ
يُرَى الناسَ أنصاراً عليه وماله ... من الناس إلاّ ناصرون قليلُ

شيخٌ من أهل البادية قال [١] : المُعَرِّض بالناس [٢] أتّقى صاحبَه ولم يتّق ربّه .

١٦٩ وكان بكرُ بن عبد الله [٣] يقول : « اطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم » . وقال : « مَن كان له من نفسه واعظٌ عارضَهُ ساعةَ الغفلة ، وحين الحميَّة » .

وقال علىٌّ للأشتر : « انظُرْ فى وجهى » ، حين جرى بينه وبين الأشعث ابن قيس ما جرى .

وكانت العجم تقول : « إذا غضِبَ الرَّجل فليستلقِ ، وإذا أعيا فليرفع رِجْلَيْهِ » .

وقال أبو الحسن : كان لرجُل من النّسّاك شاة ، وكان مُعجباً بها ، فجاء يوما

---

(١) ما عدا ل : « وقال شيخ من أهل البادية » . هـ : « وقال شيخ من أهل المدينة » .
(٢) يقال عرض له وعرض به ، إذا عابه ولم يصرح .
(٣) بكر بن عبد الله المزنى ترجم فى (١ : ١٠٠) .

فوجدها على ثلاثِ قوائمَ فقال : مَن صنَع هذا بالشاة ؟ قال غلامه : أنا . قال : ولِمَ ؟ قال : أردت أن أغمَّك . قال : لا جرمَ لأُغُمَّنّ الذى أمرك بغمِّى ، اذهب فأنت حُرٌّ .

سعيد بن عامر (١) ، عن محمد بن عمرو بن علقمة (٢) ، قال سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو يقول : ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فانتزعها منه فعاضَهُ من ذلك الصَّبرَ إلاّ كان ما عاضه الله أفضَلَ مما انتزع منه . ثم قرأ ﴿ إنّما يُوَفَّى الصابرُونَ أجْرَهُم بغيْرِ حِساب ﴾ .

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد (٣) عن أصحابه قالوا : حضرتُ عَمرو بنَ عُبيدٍ الوفاةُ فقال لعَديله : نزل بى الموت ولم أتأهَّبْ له . اللهمَّ إنَّك تعلمُ أنه لم يسنَحْ لى أمرانِ لك فى أحدهما رضاً ولى فى الآخر هَوًى إلاّ اخترت (٤) رضاك على هواى ، فاغفِرْ لى .

ولما خبّر أبو حازم (٥) سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمُذْنبين ، قال سليمان: فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريبٌ من المحسِنِين .

قال : وخرج عثمان بن عفانَ رحمه الله من داره فرأى فى دِهليزه أعرابيا فى بَتٍّ ، أشغى (٦) ، غائر العينين ، مشرِفَ الحاجبين ، فقال يا أعرابىّ : أين ربُّك ؟

---

(١) هو أبو محمد سعيد بن عامر الضبعى البصرى ، ثقة من أئمة محدثى البصرة روى عن خاله جويرية بن أسماء ، وشعبة ، وابن أبى عَروبة ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، وأبان بن أبى عياش وغيرهم . وكان مولده سنة ١٢٢ ووفاته ٢٠٨ . وذكر الخزرجى فى خلاصة التذهيب ١١٩ أن وفاته سنة « ثمان وثمانين » صوابها « ثمان ومائتين » .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى المدنى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وروى عنه مالك فى الموطأ . توفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب . والخلاصة ٢٩٣ .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى ، المترجم فى (٢ : ١٨٠) .

(٤) ما عدا ل : « آثرت » .

(٥) أبو حازم الأعرج سبقت ترجمته (١ : ٣٦٤) . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٦) الأشغى : الذى تختلف نِبتة أسنانه بالكبر والصغر ، والدخول والخروج . وفى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) : « رأى شيخا ثطا » .

قال : بالمِرْصاد . وكان الأعرابىُّ عامر بن عبد قيس [١] ، وكان ابنُ عامرٍ [٢] سَيَّره إليه .

قال : وغدا أعرابىٌّ من طيّىءٍ مع امرأةٍ له ، فاحتلبا لبناً ثم قعدا يتمجَّعان [٣] ، فقالت امرأتُه : أنَحْن أنعم عيشاً أم بنو مروان ؟ قال : هم أطيب طعاما منَّا ، ونحن أردأُ كُسْوةً منهم ؛ وهم أنعَمُ منّا نهاراً ، ونحن أظهَرُ منهم ليلا .

قال : وعَظ عُمرُ بن الخطّاب رجلا فقال : لا يُلهِك الناسُ عن نفسك ؛ فإنَّ الأمرَ يصير إليك دونهم ! ولا تَقطع النهارَ سادراً [٤] فإنه محفوظٌ عليك
١٧٠ ما عملت . وإذا إسأتَ فَأَحْسِنْ ؛ فإنِّى لم أر شيئاً أشدَّ طلباً ولا أسرعَ دَرَكاً من حسنةٍ حديثةٍ لذنْب قديم .

قال : كان هلالُ بن مسعودٍ يقول : زاهدُ كَم راغب ، ومجتهدُ كَم مقصِّر ، وعالمُكم جاهل ، وجاهلكم مغْتَرّ .

مسلمة بن محارب قال : قال عامر بن عبد قيس : الدنيا والدةٌ للموت ، ناقضة للمُبْرَم ، مرتجِعة للعطيّة ، وكلٌّ من فيها يجرى إلى ما لا يدرى ، وكلٌّ مستقِرّ فيها غيرُ راضٍ بها ، وذلك شهيدٌ على أنها ليست بدارِ قرار .

قال الحسَن : مَن أيقَنَ بالخَلَف جادَ بالعطيْة .

وقال أسماء بن خارجة [٥] : إذا قَدُمت المودّةُ سَمُجَ الثّناء .

وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب [٦] القرظىّ : عِظْنى . قال : لا أرضَى نفسى لك ، إنى لأُصَلِّى بين الفقير والغنىّ فأميل على الفقير وأوسِّع للغنّى

---

(١) ترجم فى (١ : ٨٣) . وانظر ما سيأتى فى ص ١٧٤ .

(٢) عبد الله بن عامر ، ترجم فى (١ : ٣١٨) . وكان من ولاة عثمان .

(٣) التمجع : أن يأكل التمر ويشرب عليه اللبن .

(٤) السادر : الذى لا يهتم لشئ ولا يبالى ما صنع .

(٥) أسماء بن خارجة ، ترجم فى (٢ : ٨٢) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٥٦) .

(٦) ترجم فى (٢ : ٣٤ ، ٣٠٠) . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

قال : وقال الحسن : ما أطال عبدٌ الأمَلَ إلا أساءَ العمل .

قال : كان أبو بكر رحمه الله إذا قيل له : مات فلان ، قال « لا إله إلا الله » . وكان عثمان يقول : « فلا إله إلا الله (١) » .

وركب سليمان بن عبد الملك يوما فى زِيّ عجيب ، فنظرَت إليه جاريةٌ له فقالت : إنك لمعنىٌّ ببيتَيِ الشاعر . قال : وما هما ؟ فأنشدتْه :

أنتَ نِعمَ المتاعُ لو كنت تبقَى ‍ ‍ ‍ غير أن لا بقاءَ للإنسانِ
ليس فيما بدا لنا منكَ عيبٌ ‍ ‍ ‍ كان فى الناس غير أنّك فانِ

قال : ويلكِ نعيتِ إلىَّ نفسى .

قال : صام رجلٌ سبعين سنة ، ثم دعا إلى الله بحاجة فلم يستجبْ له ، فرجع لنفسه فقال : « منكِ أُتيتُ » . فكان اعترافُه أفضلَ من صومه .

وقال : مَن تذكّر قُدرة الله لم يستعمل قدرتَه فى ظلم عبادِ الله .

وقال الحسن : إذا سرّك أن تنظر إلى الدُّنيا بعدَك فانظر إليها بعدَ غيرِك .

وكان الحسن يقول : ليس الإيمانُ بالتحَلِّى ولا التمنِّى ، ولكن ما وَقَر فى القلوب ، وصدّقته الأعمال (٢) .

قال : مات ذرُّ بن أبى ذرٍّ الهَمْدانى ، من بنى مُرهِبة (٣) ، وهو ذَرّ بن
عُمَر بن ذر (٤) فوقف أبوه على قبره فقال : يا ذَرّ ، والله ما بِنا إليك من فاقةٍ ، ١٧١
وما بنا إلى أحد سوى الله من حاجة . يا ذَرُّ ، شغَلَنى الحزنُ لك عن الحزن

---

(١) زيد بعد هذا فيما عدا ل ، هـ : « وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيرا ما ينشد :

لا تزال تنعى ميتا حتى تكونه ‍ ‍ ‍ وقد يرجو الفتى الرجا فيموت دونه »

وهذا النص مقحم على الكتاب ، والشعر فيه مختل . وانظر الخزانة ٤ : ٤٧ - ٤٨ .

(٢) ما عدا ل : « وصدقه العمل » . وانظر ما سبق فى ص ١٣٤ .

(٣) بنو مرهبة بن عامر بن مالك بن معاوية . الاشتقاق ٢٥٦ ونهاية الأرب (٢ : ٣٢٠) .

(٤) ل فقط : « ذر بن عمرو بن ذر » ، وأثبت ما فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ٣١٣) حيث ورد الخبر .

عليك . ثم قال : اللهمّ إنك وعدْتنى بالصبر على ذرٍّ صلواتِك ورحمتَك . اللهمّ وقد وهبتُ ما جعلتَ لى من أجرٍ على ذرٍّ لذرّ فلا تُعَرِّفْهُ قبيحاً من عمله . اللهمّ وقد وهبتُ له إساءتَه إلىّ فهبْ لى إساءته إلى نفسه ؛ فإنّك أجْوَد وأكرم .

فلمّا انصرف عنه التفت إلى قبره وقال : يا ذرُّ ، قد انصرفْنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك !

سُحيم بن حفص قال : قال هانئ بن قَبيصة ، لحُرْقَة بنتِ النُّعمان ، ورآها تبكى : مالكِ تبكين ؟ قالت : رأيت لأهلكَ غَضَارة (١) ، ولم تمتلئْ دارٌ قطُّ فرحاً إلاّ امتلأتْ حَزَناً .

قال : ونظرت امرأةٌ أعرابيّة إلى امرأةٍ حولَها عشرةٌ من بنيها كأنَّهم الصُّقور ، فقالت : لقد وَلَدَت أُمُّكم حُزناً طويلا (٢) .

وقال النبى ﷺ لأزواجه : « أسرعكنَّ بى لَحاقاً أطولُكنَّ يداً (٣) » . فكانت عائشة تقول : أنا تلك ، أنا أطولُكنَّ يداً . فكانت زينبَ بنت جحشٍ (٤) ، وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصَّدَقة ، وكانت صَناعاً تصنع بيديها وتَبيعه وتتصدَّق به . قال الشّاعر (٥) :

وما إن كان أكثرَهُم سَواماً ولكن كانَ أطولَهم ذراعا

قال : كان الحسن يقول : ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً إلاّ وعليه فيها تَبِعة ، إلاّ ما كان مِن نعمته على سليمان ﷺ ؛ فإن الله عزّ وجلّ قال عند ذكره : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

---

(١) الغضارة : النعمة وسعة العيش . ل : « لأهلى غضارة » . وسيأتى فى ص ١٦١ . « غضارة فى أهلكم » .

(٢) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٣) ما عدا ل : « أسرعكن لحاقا بى » .

(٤) أى فكانت أسرعهن لحاقا به زينب . وانظر شروح سقط الزند ١٠٧ ص ١ .

(٥) هو أبو زياد الأعرابى الكلابى ، كما فى الحماسة (٢ : ٢٦٨) .

قال : باع عبدُ الله بن عُتبة بن مسعودٍ أرضاً بثمانين ألفا ، فقيل له : لو اتَّخذتَ لولدك من هذا المال ذُخرا . قال : « إنّما أجعلُ هذا المالَ ذُخراً لى عند الله ، وأجعل الله ذُخراً لولدى » . وقسَمَ المال .

وقال رجلٌ : صحبت الرَّبيع بن خُثَيم (١) سنتَين فما كلمنى إلاّ كلمتين ، قال لى مَرّة : أمُّك حَيَّةٌ ؟ وقال لى مَرّةً أخرى : كم فى بنى تميم من مسجِد ؟

١٧٢ وقال أبو فَروة : كان طارقٌ صاحبُ شُرَطِ خالد بن عبد الله القَسْرىّ مرّ بابن شُبرُمة (٢) ، وطارقٌ فى مَوكِبه ، فقال ابن شُبرُمة :

فإن كانت الدُّنيا تُحَبُّ فإنّها ... سَحابةُ صيفٍ عن قليل تَقَشَّعُ (٣)

اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فاستُعمل ابنُ شبرمة بعد ذلك على القضاء فقال ابنُه : أتذكرُ قولك يوم مَرّ طارقٌ فى موكِبه ؟ فقال : يا بنى ، إنّهم يجدون مثل أبيك ، ولا يجدُ أبوك مثلهم . يا بُنَىّ ، إنّ أباك أُكل من حَلْوائهم وحَطَّ فى أهوائهم .

قال الحسن : مَن خاف الله أخاف الله منه كلَّ شىء ، ومَن خاف النّاس أخافه الله من كل شىء .

وقال الحسن : ما أُعطِىَ رجلٌ من الدُّنيا شيئاً إلاّ قيل له خُذْه ومثلَه من الحِرص .

قال : مرّ مرْوانُ بن الحكم فى العام الذى بُويع فيه بزُرارة بن جُزَىّ (٤) الكِلابىّ ، وهم على ماءٍ لهم (٥) ، فقال : كيف أنتم آلَ جُزَيّ ؟ قالوا : بخير

---

(١) التيمورية « حثيم » ، وما عداها « خيثم » ، لكن صوابه بتقديم الثاء على الياء كما أثبت . وقد ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٢) عبد الله بن شبرمة ، ترجم فى (١ : ٩٨) .

(٣) هذه رواية ل . وفى سائر النسخ وكذا فى عيون الأخبار (١ : ٥٦) :

أراها وإن كانت تحب كأنها ... سحابة صيف عن قريب تقشع

(٤) يقال جزى ، وجزء أيضاً ، كما فى الإصابة ٢٧٨٨ . وقد مضت ترجمة زرارة فى (١ : ١٤٧) .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « على ما لهم » ، وهى صحيحة إن قرئت بالرسم القديم .

زرَعَنا الله فأحسَنَ زرْعَنا ، وحصَدَنا فأحسَنَ حَصادَنا .

وقال الحسن : يا ابن آدمَ ، إنّما أنت عددٌ ، فإذا مضى يومٌ فقد مضى بعضُك .

وقال الحسن [1] : يا ابنَ آدَم ، إن كان يُغْنيك من الدُّنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك ، وإن كان لا يغنيك منها ما يكفيك فليس فيها شيءٌ يُغنيك .

قال : نَزل الموتُ بفتًى وكان فيه رَمَق ، فرفع رأسَه فإذا أبواه يبكيان عند رأسه ، فقال : مالكما تبكيان ؟ قالا : تخوُّفاً عليك من الذى كان من إسرافك على نفْسك . فقال : لا تبكيا ، فوالله ما يسرُّنى أنَّ الذى بيد الله بأيديكما .

أبو الحسن ، عن علىّ بن عبد الله القرشىّ [2] قال : قال قَتادة : يُعطِى الله العبدَ على نِيّة الآخرة ما شاء من الدُّنيا والآخرة [3] ، ولا يُعطى على نيّة الدُّنيا إلا الدنيا .

عَوَانة قال : قال الحسن : قدم علينا بِشرُ بنُ مروان أخو الخليفة وأمير المِصرَين ، وأشبُّ النّاس ، فأقام عندنا أربعين يوماً ثم طُعِن فى قَدَميه [4] فمات ، فأخرجْناه إلى قبره ، فلمّا صِرنا إلى الجَبَّان [5] إذا نحنُ بأربعةٍ سُودانٍ يحملون صاحباً لهم إلى قبره ، فوضعنا السريرَ فصلَّينا عليه ، ووضعوا صاحبَهم فصلَّوْا ١٧٣
عليه ، ثم حَملْنا بِشراً إلى قبره وحملوا صاحبَهم إلى قبره ، ودفنّا بشراً ودفنوا صاحبَهم ، ثم انصرفوا وانصرفنا ، ثم التفتُّ التفاتةً فلم أعرِفْ قبرَ بشرٍ من قبر الحبشىّ . فلم أر شيئاً قطُّ كانَ أعجبَ منه .

---

(١) ما عدا ل : « مسلمة : قال الحسن » .

(٢) هو على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى المدنى . ولد ليلة قتل على فى رمضان سنة ٤٠ . وكان يدعى « السّجّاد » لكثرة صلاته : كان يصلى كل يوم ألف ركعة فيما زعموا . وكانت وفاته بالبلقاء من أرض الشام سنة ١١٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٩) والخلاصة ٢٣٣ .

(٣) هذه الكلمة من ل ، هـ فقط .

(٤) ما عدا ل : « فى قدمه » .

(٥) الجبان والجبانة : الصحراء ، وتسمى بهما المقابر لأنها تكون فى الصحراء ، تسمية للشىء باسم موضعه . ما عدا ل ، هـ : « الجبانة » . وكتب فوقها فى هـ « الجبان » .

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى (١) :

والعَطِيَّاتُ خِساسٌ بَيْننا وسواءٌ قبر مُثْرٍ ومُقِلّْ (٢)

وتقول الحكماء : ثلاثة أشياءَ يستوى فيها الملوك والسُّوقة ، والعِلْيَة والسِّفْلةُ : الموت ، والطَّلْق ، والنَّزْع .

وقال الهيثم بن عَدِىّ ، عن رجاله : بينا حُذَيفةُ بن اليمانِ وسَلْمانُ الفارسىُّ (٣) يتذاكران أعاجيبَ الزّمان ، وتغيُّرَ الأيام ، وهما فى عَرْصَةِ إيوان كِسرى ، وكان أعرابىٌّ من غامِدٍ يرعى شوَيهاتٍ له نهارا ، فإذا كان الليل صيّرهنّ إلى داخل العَرصة ، وفى العرصة سريرُ رَخام كان كسرى ربَّما جلس عليه ، فصعِدَت غُنَيْماتُ (٤) الغامدىِّ على سرير كسرى ، فقال سَلْمان : ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدىّ على سرير كسرى .

قال : لما انصرف علىٌّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه من صِفِّينَ مرَّ بمقابرَ فقال :

السَّلام عليكم أهلَ الدِّيار المُوحِشة ، والمحالِّ المُقْفِرَة ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات . أنتم لنا سَلَفٌ فارط ، ونحن لكن تَبَع ، وبكم عمَّا قليلٍ لاحقون . اللهمّ اغفرْ لنا ولهم ، وتجاوَزْ بعفوك عنّا وعنهم . الحمدُ لله الذى جعَلَ الأرض كِفاتاً (٥) ، أحياءً وأمواتاً . والحمدُ لله الذى خَلَقَكم وعليها يحشُرُكم ، ومنها يبعثُكم ، وطوبى لمن ذكَر المَعادَ ، وأعَدَّ للحساب ، وقَنِع بالكَفاف .

---

(١) ترجم فى (١ : ١٠٨) .

(٢) انظر القصيدة فى السيرة ٦١٦ جوتنجن . وبعض أبياتها فى الحيوان (٥ : ٥٦٤) . وقد أنشد هذا البيت ابن فارس فى المقاييس (خس) ، وقال : « ويقال هذه الأمور خساس بينهم ، أى دول » . وضبطها صاحب القاموس ، ككتاب . ولم تذكر هذه الكلمة فى اللسان .

(٣) ترجم حذيفة فى (٢ : ١٤٠) وسلمان فى (٢ : ١٠٢) . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧١) .

(٤) بعد هذه الكلمة سقط فى التيمورية ينتهى فى السطر السادس من ص ١٥٧ .

(٥) أى تكفت الناس ، تحفظهم أحياء على ظهرها فى دورهم ، وأمواتاً فى بطنها .

وقال عمر رحمه الله « استَغْزِرُوا الدُّموعَ بالتذكُّر (١) » .

وقال الشاعر (٢) :

سَمِعْن بهَيْجَا أوجفَتْ فذكرنَهُ ... ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكُّرِ (٣)

وقال أعرابىّ :

لا تُشْرِفَنَّ يَفاعاً إنّه طَرَبٌ ... ولا تُغنّ إذا ما كنت مشتاقا (٤)

* * *

قال ابنُ الأعرابىّ : سمعتُ شيخاً أعرابيا يقول : إنِّى لأُسَرّ بالموت ، لا دَيْن ولا بنات .

١٧٤ علىّ بن الحسن قال : قال صالحٌ المرّىّ (٥) دخلت دار المُورِيَانىّ (٦) ، فاستفتحتُ ثلاثَ آياتٍ من كتاب الله ، استخرجُتها حين ذكرتُ الحال ، فيها قولُه عزّ وجلّ : ﴿ فتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إلاّ قَلِيلاً ﴾ ؛ وقوله : ﴿ ولقَدْ تركْنَاهَا آيَةً فهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ ؛ وقوله : ﴿ فتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاويةً بما ظَلَمُوا ﴾ . قال : فخرج إلىَّ أسوَدُ من ناحية الدَّار فقال : يا أبا بِشْر ، هذه سَخْطة المخلوق ، فكيف سخطة الخالق (٧) !

---

(١) ومثله فى عيون الأخبار (٢ : ٢٩٨) . وفى البيان (١ : ٢٩٧) : « لا تستغزروا الدموع إلا بالتذكر » .

(٢) هو ليلى الأخيلية ترثى توبة بن الحمير ، من قصيدة فى الأغانى (١٠ : ٧٢ — ٧٣) وقد سبق البيت فى (١ : ٢٩٨) .

(٣) اقتصر فى ل على إنشاد عجزه .

(٤) فى اللسان : « يقال أشرفت الشىء : علوته » .

(٥) هو صالح بن بشير المرى ، المترجم فى (١ : ١١٢) .

(٦) هو سليمان بن مخلد ، المكنى بأبى أيوب . ونسبته إلى « موريان » قرية من قرى الأهواز . وكان وزير المنصور العباسى بعد خالد بن برمك جد البرامكة . وكان فى أول أمره مقرباً لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله . وتوفى سنة ١٥٧ . وفيات الأعيان (١ : ٢١٥ — ٢١٦) .

(٧) ما عدا ل ، هـ : « هذا سخط الخلق فكيف سخط الخالق » .

قال : وأصاب ناساً مطرٌ شديد وظُلْمة وريح (١) ، ورعدٌ وبرق ، فقال رجلٌ من النُسَّاك : اللهم إنك قد أَرَيْتَنا قدرتك فأرِنا رحمتَك .

عَوانة قال : قال عبد الله بن عمر : فازَ عمر بن أبى ربيعة بالدُّنيا والآخرة : غَزَا فى البحر فأحرقوا سفينتَه فاحترق .

قال : وطلَّق أبو الخندق امرأتَه أمَّ الخندق ، فقالت : أتطلِّقنى بعد طول الصُّحبة ؟ فقال : ما دهاكِ عندى غيرُه .

وكان أبو إسحاق (٢) يقول : ما أَلْأَمَها من كلمة .

قال : مرّ عمر بن الخطاب رحمه الله بقوم يتمنَّوْنَ ، فلما رأوه سكَتُوا ، قال : فيم كنتم ؟ قالوا : كنّا نتمنَّى . قال : فتمنَّوْا وأنا أتمنَّى معكم (٣) . قالوا : فتمنَّ . قال : أتمنَّى رجالاً ملءَ هذا البيتِ مثل أبى عبيدة بن الجرَّاح (٤) ، وسالمٍ مولى أبى حذيفة (٥) . إنّ سالماً كان شديد الحُبِّ لله ، لو لم يخف الله ما عصاه (٦) . وقال رسول الله ﷺ : « لكل أمّةٍ أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمَّة أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح » .

---

(١) ما عدا ل : « وريح وظلمة » .

(٢) يعنى إبراهيم بن سيار النظام .

(٣) ل : « وأنا معكم » .

(٤) أبو عبيدة بن الجراح الفهرى ، أحد العشرة السابقين ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، اشتهر بكنيته والنسبة إلى جده . وقد ضرب المثل العالى فى قيادته للمسلمين فى فتح الشام . وتوفى فى طاعون عَمَواس سنة ١٨ . الإصابة ٤٣٩٣ وصفة الصفوة (١ : ١٤٢) .

(٥) هو سالم مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أحد السابقين الأولين ترجم له فى الإصابة ٣٠٣٦ .

(٦) لو ، فى مثل هذا الأسلوب ، هى التى يذكر النحاة أنها لتقرير الجواب وجد الشرط أو فقد ، ولكنها مع فقده أولى . أى إن عدم عصيانه يتحقق إذا لم يكن منه خوف الله ، فما بالك إذا كان منه الخوف . وقد روى ابن هشام فى المغنى (فى باب لو) ، أن عمر قال : « نعم العبد (صهيب) لو لم يخف الله لم يعصه » .

شُعبة ، عن عمرو بن مرَّة (١) قال : قدِم وفدٌ من أهل اليمن على أبى بكرٍ رحمه الله ، فقرأ عليهم القرآن فبكَوْا ، فقال أبو بكر : هكذا كُنّا ، حتَّى قَسَت القلوب .

وقال أبو بكر : « طوبى لمن مات فى نأْنأة الإسلام (٢) » .

قال سَعد بن مالك (٣) ، أو مُعاذ (٤) : « ما دخلت فى صلاةٍ فعرَفْتُ مَن عن يمينى ولا مَن عن شمالى ، وما شيَّعت جَنازة قطُّ إلاّ حدَّثتُ نفسى بما يُقال له وما يقول (٥) ، وما سمعت رسول الله ﷺ قال شيئاً قطُّ إلاّ علمت أنّه كما قال » .

قال أبو الدَّرداء : أضحكنى ثلاثٌ وأبكانى ثلاث : أضحكنى مؤمِّل
١٧٥ الدُّنيا والموتُ يطلبه ، وغافلٌ ولا يُغفَل عنه ، وضاحكٌ مِلءَ فيه ولا يدرى أساخطٌ ربُّه أم راضٍ . وأبكانى هولُ المطَّلَع (٦) ، وانقطاعُ العَمَل ، وموقفى بين يدَيِ الله لا يُدْرَى (٧) أيأمُرُ بى إلى الجَّنة أم إلى النار .

سُحَيم بن حفص ، قال : رأى إياسُ بن قَتادة العبشميُّ (٨) شَيبةً فى

(١) هو عمرو بن مرة عبد الله بن طارق الجملى المرادى ، روى عنه شعبه والثورى والأعمش وغيرهم . وفيه يقول شعبة : « ما رأيت عمرو بن مرة فى صلاة قط إلا ظننت أنه لا ينتقل حتى يستجاب له » . توفى سنة ١١٦ تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٥٩) .

(٢) النأنأة : العجز والضعف . يعنى أول الإسلام قبل أن يقوى ويكثر أهله وناصروه والداخلون فيه ، فهو عند الناس ضعيف .

(٣) سعد بن مالك بن أهيب ترجم فى (١ : ٢٦١) .

(٤) هو الصحابى الجليل معاذ بن جبل ، ترجم فى (١ : ٢٤) .

(٥) الجنازة ، بالفتح : الميت نفسه . وبالكسر : السرير الذى يحمل عليه . وهو يشير بالقول هنا إلى سؤال الملكين .

(٦) المطلع : ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٥٩) .

(٧) هـ : « لا أدرى » .

(٨) إياس بن قتادة التميمى ، ابن أخت الأحنف بن قيس . وكذا جاءت نسبته فى البيان « العبشمى » . والصواب أنه مجاشعى تميمى . انظر الكامل ٨٢ ليبسك وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) حيث ترجم له ابن الجوزى . ومجاشع ، هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

لحيته (١) ، فقال : « أرى الموتَ يطلبُنى ، وأرانى لا أفوته . أعوذ بك من فُجاءات الأمور (٢) وبَغَتات الحوادث . يا بَنى سعد ، إنى قد وهبْت لكم شبابى فهبوا لى شَيبَتى » . ولزِمَ بيته ، فقال له أهله : تَموت هُزْلاً (٣) ! قال : « لَأَنْ أموتَ مؤمناً مهزولا أحَبُّ إلىَّ مِن أن أموت منافقاً سميناً » .

وذكر قومٌ إبليس فلعنوه وتغيَّظوا عليه ، فقال أبو حازم الأعرج : وما إبليس ؟! لقد عُصِىَ فما ضَرّ ، وأُطيعَ فما نَفَع .

قال : وقال بكر بن عبد الله المُزنىّ : الدنيا ما مَضَى منها فحُلْم ، وما بقِىَ منها فأمانىّ .

قال : ودخل أبو حازمٍ مسجدَ دِمشق ، فوسْوس إليه الشيطانُ ، إنّك قد أحدَثْتَ بعد وضوئك . قال : أوَ قَدْ بلَغ هذا من نصيحتك !

قال بعض الطِّيَاب (٤) :

عجبت من إبليس فى كِبرِهِ ... وخُبْثِ ما أبداه من نِيَّتهْ
تاهَ على آدمَ فى سجدةٍ ... وصارَ قوَّاداً لذُرِّيَّتِـه

قال : فأنشدتها (٥) مِسمعَ بن عاصم فقال : وأبيك لقد ذَهَب مَذْهباً .

الفضل بن مُسلم قال : قال مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير (٦) : لا تنظروا

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « شيبة لحيته » . والخبر فى صفة الصفوة بتفصيل ، وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٤) مع خلاف فى الرواية فيهما .

(٢) ل : « أعوذ من فجأة الأمور » . وفى عيون الأخبار : « أعوذ بك يارب من فجاءات الأمور » .

(٣) الهزل ، بفتح الهاء وضمها : الهزال ، نقيض السمن .

(٤) الطياب ، بالكسر : جمع طيب ، مثل جيد وجياد . انظر الحيوان (٣ : ٢٦) وسيبويه (٢ : ٢١١) ، وما سبق فى ص ١١٥ .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « فأنشدتهما » .

(٦) ترجم فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

إلى خَفْض عيشِهم ، ولِينِ لباسِهم ، ولكن انظروا إلى سرعة ظَعنهم وسُوء مُنْقَلَبِهم .

قال أبو ذَرّ : لقد أصبحت وإنّ الفقر أَحَبُّ إلىّ من الغِنَى ، والسُّقْمَ أحبُّ إلىّ من الصِّحَّة ، والموتَ أَحَبُّ إلىّ من الحياة . قال دَهْثَم (١) : « لكنّى لا أقول ذلك . قال : قال داود ﷺ : اللهمَّ لا صِحَّةً تُطغِينى ، ولا مرضاً يُضْنِينى ، ولكن بين ذَيْنِك » .

قال الحسن : إنّ قوماً جعلوا تواضُعَهم فى ثيابهم ، وكِبْرَهم فى صُدورهم ،
١٧٦ حتّى لَصاحِبُ المِدْرعة بمِدْرعته (٢) ، أشدُّ فرحاً من صاحب المُطْرَف بمطرفه (٣) .

قال : وقال داودُ النبىُّ عليه السلام : « إنّ للهِ سَطَوات ونَقَمات » . فإذا رأيتُموها فداوُوا قُرُوحَكم بالدُّعاء (٤) ، فإنّ الله تبارك وتعالى يقول : « لولا رجالٌ خُشَّعٌ ، وصِبْيانٌ رُضَّعٌ ، وبَهائمُ رُتَّعٌ ، لصببْتُ عليكم العذاب صَبّا » .

قال : اشترى صَفوان بن مُحرز (٥) بدَنةً بتسعة دنانير (٦) ، فقيل له : أتشترى بدنةً بتسعة دنانيرَ وليس عندك غيرُها ؟ قال : سمعتُ الله تبارَك وتعالى يقول : ﴿ لكُمْ فيها خَيْر ﴾ .

وقيل لمحمد بن سُوقة (٧) : تحجُّ وعليك دَين ؟ قال : هو أَقْضَى للدَّين .

---

(١) هو دهثم بن قُرّان العكلى . روى عن أبيه ويحيى بن أبى كثير ، وعنه أبو بكر بن عياش ، ومروان ابن معاوية الفزارى . تهذيب التهذيب . ما عدا ل : « وهشم » تحريف .

(٢) المدرعة ، بالكسر : ثوب من الصوف .

(٣) المطرف ، كمكرم ومنبر : رداء من خز مربع ، له أعلام . والخبر برواية أخرى فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٢) .

(٤) ما عدا ل : « قرحكم » . والحديث التالى سبق فى (٢ : ٢٤) .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) . ما عدا ل : « محرز بن صفوان » تحريف .

(٦) البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها فتبدن .

(٧) هو أبو بكر محمد بن سوقة الغنوى الكوفى العابد ، من خيار أهل الكوفة وثقاتهم ، روى عن أنس ونافع جماعة ، وروى عنه الثورى وابن المبارك وعطاء وغيرهم . قال سفيان : « كان محمد بن سوقة لا يحسِنُ أن يعصىَ الله » . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٥) .

قال : ولقى ناسكٌ ناسكاً ومعه خُفٌّ فقال : ما تصنع بهذا ؟ قال:عُدَّة للشِّتاء . قال : كانوا يستحيُون مِن هذا .

قال أبو ذَرّ : تَخْضَمون ونَقْضَم [١] ، والموعِدُ الله .

قال الزُّبير : يكفينا من خَضْمكم القَضْم [٢] ومن نَصِّكم العَنَق [٣] .

وقال أيمن بن خُرَيم [٤] :

رَجَوْا بالشِّقاق الأكلَ خضماً فقد رَضُوا
أخيراً مِنَ أكلِ الخَضْم أن يأكلوا قَضْما [٥]

وقال عمرو لمعاوية : مَن أصبَرُ الناس ؟ قال : مَن كان رأيُه رادًّا لهواه .

وتواصَفُوا حالَ الزَّاهد بحضرة الزُّهرى ، فقال الزُّهريّ : « الزَّاهد من لم يغلب الحرامُ صبرَه ، ولا الحلالُ شُكرَه [٦] » .

قال : وذُكر عندَ أعرابىّ رجلٌ بشدّة الاجتهاد ، وكثرة الصَّوم ، وطُولِ الصلاة ، فقال : هذا رجُل سَوْءٍ ، أوَ ما يظنُّ هذا أنّ الله يرحمُه حتَّى يعذِّبَ نفسَه هذا التعذيب .

قال أبو بكر [٧] : ما ظَنُّك بخالق الكرامة لمن يريد كرامته وهو عليه قادر ؟ وما ظَنُّك بخالق الهوان لمن يريد هوانَه وهو عليه قادر ؟

---

(١) الخضم : الأكل بجميع الفم ، والقضم بأطراف الأسنان . وفى اللسان (خضم) : وفى حديث أبى هريرة أنه مر بمروان وهو يبنى بنياناً له ، فقال : ابنوا شديدا ، وأملوا بعيداً ، واخضموا فسنقضم » .

(٢) من خضمكم ، أى بدل خضمكم .

(٣) النص : أن تستخرج من الدابة أقصى سيرها . والعنق : ضرب من السير .

(٤) هو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك ، من شعراء الدولة الأموية ، ولأبيه صحبة برسول الله ورواية عنه . وقد جعله أبو الفرج فى الأغانى (٢١ : ٥) شيعياً ، ولكن المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٥٣ عدة عثمانياً . وبذلك يكون قد اضطرب بين التيارين .

(٥) ما عدا ل : « القضما » .

(٦) سبق هذا الخبر والذى قبله فى (٢ : ١٨٨) .

(٧) لعله أبو بكر الهذلى الخطيب القاص . انظر ترجمته فى (١ : ٣٥٧) .

وزعم أبو عَمرو الزَّعفرانىّ ، قال : كان عمرو بن عُبيد عند حَفْص بن سالم ، فلم يسألْهُ أحدٌ من أهله وحَشَمه حاجةً إلاَّ قال : لا . فقال عمرو : أَقِلَّ من قولِ لا ، فإنه ليس فى الجنَّةِ لا (١) .

قال : وقال عَمْرو : كان رسول الله ﷺ إذا سئل ما يَجدُ أعطى ، وإذا سئل ما لا يجد قال : يصنع الله (٢) .

١٧٧ قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أكثِرُوا لهُنَّ من قول لا ، فإنّ نعَمْ يُضَرِّيهنَّ عَلَى المسألة » . قال : وإنما يخصُّ بذلك عُمر النِّساء (٣) .

قال الحسن : أدركتُ أقواماً كانوا من حسناتهم أشفَقَ من أن تُرَدَّ عليهم ، منكم من سيِّئاتكم أن تعذَّبوا عليها (٤) .

قال أبو الدَّرداء : من يشترى منىِّ عاداً وأموالَها بدرهم (٥) .

ودخل علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه المقابرَ فقال : « أمَّا المنازل فقد سُكِنَتْ ، وأمَّا الأموالُ فقد قُسِمَتْ ، وأمَّا الأزواج فقد نُكِحَتْ . هذا خَبَر ما عندنا فما خَبَرُ ما عندكم ؟ ثم قال : « والذى نفسى بيده لو أُذِن لهم فى الكلام لأخبَرُوا أنّ خيرَ الزّاد التَّقوَى » .

قال أبو سعيدٍ الزَّاهد : عَيَّرت اليهودُ عيسى بن مريم ﷺ الفقْرَ فقال : « مِن الغِنى أُتيتُم » .

وقال آخر : لو لم يُعْرَفْ من شرف الفقر إلا أنّك لا ترى أحداً يعصِى الله ليفتقر (٦) . وهذا الكلام بعينه مدخول .

---

(١) فى عيون الأخبار (٣ : ١٣٧) : « فإن لا ليست فى الجنة » .

(٢) كلمة طيبة يرد بها السائل . والصنع : الرزق . اللسان (صنع ٨٠) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ١٣٧) وما سبق فى (٢ : ١٩٠) . وعمرو هذا هو عمرو بن عبيد .

(٣) مضى الخبر فى (٢ : ١٩٠) .

(٤) سبق هذا القول فى ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٥) انظر النصَّ بكماله وصحته فى خطبته فى عيون الأخبار (٢ : ٣٣١) .

(٦) كذا ورد القول فى جميع النسخ . أى لكفاه ذلك شرفا .

قال : سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف ، كيف تركتَه ؟ فقال : تركتُه بَضًّا عظيما سمينا . قال : لستُ عن هذا أسألُك : قال تركتُه ظَلوماً غَشوما . قال : أوَ ما علمت أنّه أخى ؟ قال : أتُراه بكَ أعزَّ منِّى بالله !

وقال بعضُهم : نجد فى زَبُور داود : « من بَلغَ السَّبعين اشتكى من غير عِلّة [١] » .

جعفر بن سليمان قال : قالَ محمد بن حَسّان النبطىّ : لا تسأل نفسَكَ العامَ ما أعطتْك فى العام الماضى [٢] .

أبو إسحاق بن المبارك قال : قيل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقربُ شىء ؟ قال : الأجل . قيل : فما أبعَدُ شىءٍ ؟ قال : الأمل . قيل : فما أوْحَشُ شىء ؟ قال : الميِّت . قيل : فما آنَسُ شىءٍ ؟ قال : الصَّاحبُ المواتِى .

وقال آخر : نَسِىَ عامرُ بن عبد الله بن الزُّبير عطاءَه فى المسجد ، فقيل له : قد أُخذ . فقال : سُبحانَ الله ، وهل يأخذ أحدٌ ما ليسَ له [٣] .

جرير بن عبد الحميد [٤]، عن عطاء بن السَّائب ، عن عَبْدة الثقفى [٥] قال : لا يشهَد علىَّ اللَّيلُ بنومٍ أبداً ، ولا يشهد علىَّ النَّهارُ بأكل أبدا [٦] . فبلغ ذلك عُمرَ بنَ الخطاب فعزم عليه ، فكان يُفطِر فى العيدين وأيام التشريق .

وقال الحسَنُ بن أبى الحسن : يكون الرَّجُل عالماً ولا يكون عابدا ، ويكون

---

(١) عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٢) عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٣) ل : « أيأخذ أحد » . وقد سبق الخبر فى (٢ : ٣٤٩) .

(٤) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبى الرازى القاضى ، وكان من الثقات العباد أصحاب الليل . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٦٨) .

(٥) عبدة بن هلال الثقفى ، ذكره فى صفة الصفوة (٣ : ٣٠) ، وروى له الخبر التالى .

(٦) فى صفة الصفوة : « لله على أن لا يشهد على ليل بنوم ، ولا شمس بِأكل » .

١٧٨ عابداً ولا يكون عاقلا . وكان مسلم بن يَسارٍ [١] عالما عابداً عاقلا [٢] .

وقال عُبادة بن الصامت : مِن الناس مَن أوتىَ عِلماً ولم يُؤْتَ حِلما . وشَدَّاد بن أوسٍ [٣] أُوتِىَ علماً وحلما .

قال إبراهيم : كان عمرُو بن عُبيدٍ عالماً عاقلا عابداً ، وكان ذا بيان ، وصاحبَ قرآن .

إبراهيم بن سعد ، عن [٤] أبى عبد الله القَيسىّ قال : قال أبو الدَّرداء : لا يُحرِز المؤمنَ من شِرار الناس إلاّ قبرُه .

وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه : « الدُّنيا لإبليس مزرعة ، وأهلُها له حَرَّاثُون » .

عبد الملك بن عمير [٥] ، عن قَبيصه بن جابر [٦] قال : « ما الدنيا فى الآخرة إلاَّ كنفجة أرنب [٧] » .

قال عمر رحمه الله : « لولا أنْ أَسيِر فى سبيل الله ، وأضَعَ جبهتى لله ، وأجالِسَ

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٢) . ما عدا ل : « مسلم بن بدر » تحريف .

(٢) مضى الخبر فى (١ : ٢٣٢) .

(٣) سبقت ترجمته وخبر له مع عبادة بن الصامت فى (١ : ١٩١) .

(٤) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ١٤٨ س ٩ .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٦) . وفى النسخ « عبد الله بن عمير » تحريف صوابه فى الحيوان (٦ : ٣٥٢) حيث الخبر .

(٦) هو قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة الأسدى ، روى عن جماعة من الصحابة . وعنه : الشعبى ، وعبد الملك بن عمير ، والعريان بن الهيثم وغيرهم . وفى تهذيب التهذيب : « قال عبد الملك بن عمير : عن قبيصة بن جابر ، ألا أخبركم بمن صحبت ؟ صحبت عمرو بن العاص فما رأيت أتم ظرفا منه ، وصحبت معاوية فما رأيت أكثر حلما منه ، وصحبت زياداً فلم أر أكرم جليسا منه ، وصحبت المغيرة فلو أن مدينة لها أبواب لا يخرج من كل باب منها إلا بالمكر لخرج من أبوابها كلها » .

(٧) فيما عدا ل : « الأرنب » . وفى اللسان : « نفج الأرنب ، إذا ثار » . وقد روى هذا الحديث فيه بلفظ « عند الآخرة » . وعقب عليه بقوله : « أى كوثبته من مجثمه يريد تقليل مدتهم » .

أقواماً ينتقون أحسنَ الحديث كما يُنتقَى أطايبُ التَّمْر ، لم أُبالِ أن أكون قد مِتُّ [(١)] » .

قال عامرُ بنُ عبدِ قيس [(٢)] : ما آسَى من العراق إلا على ثلاث : ظمإ الهواجر ، وتجاوُب المؤذّنين ، وإخوانٍ لى منهم الأسود بن كلثوم [(٣)] .

قال مُورِّق العِجلى [(٤)] : ضاحكٌ معترفٌ بذنْبِه خيرٌ من باكٍ مُدِلٍّ على ربِّه

وقال : خيرٌ من العُجْب بالطاعة ، أن لا تأتى بطاعة .

قالوا : كان الربيع بن خُثَيم [(٥)] يقول : لا تطعِمْ إلاَّ صحيحاً ، ولا تَكسُ إلاَّ جديداً ، ولا تُعتِقْ إلاّ سوياً .

قال بعض الملوك لبعض العلماء : ذمَّ لى الدُّنيا . فقال : أيُّها الملك ، الآخذةُ لما تعطى ، المُورِثَةُ بعد ذلك النّدم ، السّالبةُ ما تكسو ، المُعْقبةُ بعد ذلك الفُضوحَ ، تَسدُّ بالأرَاذِل مكانَ الأفاضل ، وبالعَجَزة مكانَ الحَزَمة . تجد فى كلٍّ من كُلٍّ خَلَفاً ، وترضى من كلٍّ بكلٍّ بَدَلا . تُسكِن دارَ كلٍّ قَرنٍ قَرنا ، وتطعم سُؤرَ كلٍّ قومٍ قوما .

وكان سعيد بن أبى عَروبة [(٦)] يُطعم المساكينَ السُّكَّر [(٧)] ، ويتأوَّل قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ .

قال . وكان محمد بن عليٍّ [(٨)] إذا رأى مبتلًى أخفى الاستعاذة . وكان

---

(١) الخبر فى عيون الأخبار : (١ : ٣٠٨) .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٣) . والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) .

(٣) مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) كما سبق الخبر فى (٢ : ١٩٦) .

(٤) ترجم فى (١ : ٣٥٣) ومضى قول مورق (فى ٢ : ١٩٨) .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٦٣) . وفى الأصل : « خيثم » ، وصواب اسمه « خثيم » .

(٦) سعيد بن أبى عروبة ، ترجم فى (١ : ٣٦٩) .

(٧) مثله ما روى عن الربيع بن خثيم ، أنه كان إذا أتاه سائل قال : أطعموه سكرا فإنى أحب السكر صفة الصفوة (٣ : ٣٥) .

(٨) محمد بن على بن الحسين بن على أبو جعفر الباقر ، ترجم فى (٢ : ٢٦٢) ، والخبر فى عيون الأخبار : (٢ : ٢٠٨) .

لا يُسَمع من داره : يا سائلُ (١) بُورِكَ فيك ، ولا ياسائلُ خُذْ هذا . وكان يقول : سمُّوهم بأحسنِ أسمائهم (٢) .

قال : وتمنَّى قومٌ عند يزيدَ الرَّقاشيِّ (٣) ، فقال يزيد : سأتمنَّى كما تمنَّيتم .
١٧٩ قالوا : تَمَنَّ . قال : ليتنا لم نُخْلَق ، وليتنا إذْ خُلقنا لم نمت ، وليتنا إذْ مُتْنَا لم نُبْعَث ،
وليتنا إذْ بُعثنا لم نُحاسَب ، وليتَنا إذْ حُوسِبْنا لم نُعَذَّبْ ، وليتنا إذ عُذِّبنا لم نُخَلَّدْ .

قال : وقال رجُلٌ لأمِّ الدَّرداء (٤) : إنى أجد فى قلبى داءً لا أجد له دواءً ، وأجدُ قسوةً شديدة ، وأملاً بعيداً . قالت : اطَّلِع القُبورَ ، واشهد الموتَى .

ابن عَون قال : قلت للشَّعبىّ : أين كان علقمةُ (٥) من الأسود (٦) ؟ قال : كان الأسود صَوَّاماً قوّاماً ، وكان علقمة مع البطىء وهو يسبق السريع (٧) .

قال : وقيل لغالب بن عبد الله الجَهْضَمى : إنَّا نَخافُ على عينيك العمى من طُول البكاء . قال : هو لهما شهادة (٨) .

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « للسائل » .

(٢) فى عيون الأخبار : « ويقول : سموهم بالحسن الجميل عباد الله . فتقولون يا عبد الله بورك فيك » .

(٣) يزيد بن أبان الرقاشى ، المترجم فى (١ : ٢٠٤) .

(٤) سبقت ترجمتها فى (١ : ٣٦٥) .

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى الكوفى ، ولد فى حياة الرسول ، وكان ناس من الصحابة يسألونه ويستفتونه . ويروى أنه قرأ القرآن فى ليلة . وقد شهد صفين وغزا خراسان وأقام بخوارزم سنتين ، ودخل مرو فأقام بها مدة . وهو عم الأسود وعبد الرحمن ابنى يزيد بن قيس ، وكانا أسن منه . توفى سنة ٦٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٣ - ١٤) والإصابة ٦٤٤٨ .

(٦) الأسود بن يزيد بن قيس ، وهو ابن أخى علقمة ، كما سبق القول . وكان من العباد ، يروَى أنه كان يصوم الدهر ، وذهبت إحدى عينيه من الصوم . توفى سنة ٧٤ . الإصابة ٤٥٧ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١١) .

(٧) انظر مفاضلة أخرى بينهما فى تهذيب التهذيب (٧ : ٢٧٧) .

(٨) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٩٦) .

محمد بن طلحة بن مُصرِّف [١] ، عن محمد بن جُحَادة [٢] ، قال : لمَّا قُتل الحسين رضى الله عنه أتى قومٌ الربيع بن خُثَيم فقالوا : لنستخرجنَّ اليومَ منه كلاماً . فقالوا : قُتِلَ الحُسَين . قال : الله يحكُم بينهم يومَ القيامة فيما كانوا فيه يَخْتَلِفُون .

وأتته بُنيّةٌ له فقالت : يا أَبَهْ ، أذهَبُ ألعب ؟ قال : اذهبى فقولى خَيراً وافعلى خيراً .

وقال أبو عُبيدة : استقبل عامرَ بنَ عبدِ قيسٍ رجلٌ فى يوم حَلْبةٍ ، فقال : مَن سبَقَ يا شيخ ؟ قال : المقرَّبُون [٣] .

علىُّ بن سُلَيم ، قال : قيل للربيع بن خُثَيم [٤] : لو أَرَحْتَ نفسَك ؟ قال : راحتَها أريد ، إنّ عمرَ كان كيِّساً [٥] .

وقال أبو حازم : ليتَّق اللهَ أحدُكم على دينه ، كما يتَّقى على نَعله .

جعفر بن سُليمان الضُّبَعىّ [٦] ، قال : أتى مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، فجلس مجلسَ مالك بن دينار وقد قام ، فقال أصحابُه : لو تكلَّمتَ ؟ قال : هذا ظاهرٌ حسن ، فإنْ تكونُوا صالحينَ فإنّه كان لِلأوَّابينَ غَفُوراً .

---

(١) ما عدا ل : « بن مضرب » تحريف . وهو محمد بن طلحة بن مصرف اليامى الكوفى ، روى عن الأعمش وحميد الطويل . توفى سنة ١٧٦ . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التذهيب ٢٨٢ والسمعانى ٥٩٧ .

(٢) محمد بن جحادة الإيامى الكوفى ، روى عن أنس وعطاء ونافع ، وكان زاهداً يلبس الخلقان يغسلها ، وكان يغلو فى التشيع . توفى سنة ١٣١ . تهذيب التهذيب وخلاصة التذهيب ٢٨١ والسمعانى ٥٤ . والإيامى نسبة إلى إيام : وهو بطن من همدان ، ويقال لهم أيضاً « يام » كما نص السمعانى . وإيام ، ضبط فى القاموس ككذاب ، أى بكسر الهمزة وتشديد الياء .

(٣) وكذا نسب الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) إلى عامر بن عبد قيس ، لكن سبقت نسبته فى (٢ : ٢٨٢) إلى بلال مولى أبى بكر .

(٤) ماعدا هـ : « خيثم » وكذا خلاصة التذهيب . والصواب « خثيم » . قال ابن دريد فى الاشتقاق ١١٢ : « وخثيم تصغير أخثم – يريد تصغير ترخيم – والأخثم : العريض الأنف . ومنه اشتقاق خيثمة » . وقد ضبطه كذلك ابن حجر فى تقريب التهذيب .

(٥) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧١) .

(٦) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٧٣) .

وقال رجلٌ لآخَرَ وباع ضيعةً له :أَمَا واللهِ لقد أخذتَها ثقيلةَ المَئُونة قليلة المُعونة . فقال الآخر : وأنت واللهِ لقد أخذتَها بطيئةَ الاجتماع ، سريعة التفرُّق .

واشترى رجلٌ من رجلٍ داراً فقال لصاحبه : لو صبرتَ لاشتريتُ منك الذِّراعَ بعشرة دنانير . قال : وأنت لو صبرتَ لبعتك الذِّراعَ بدرهم .

ورأى ناسكٌ ناسكاً فى المنام فقال له : كيف وجدتَ الأمرَ يا أخى ؟
١٨٠ قال : وجَدْنا ما قدَّمْنا ، ورَبِحنْا ما أنفقْنا ، وخسرنا ما خَلَّفنا .

وقال بكرُ بن عبد الله المُزَنىّ : اجتهدوا فى العَمَل ، فإنْ قصَّرَ بكم ضعفٌ فكفُّوا عن المعاصى .

قال : وقال أعرابىّ : إنه ليقتُل الْحُبارَى جُوعاً ظُلْمُ الناسِ بعضِهم لبعض (١) .

قال : قيل لمحمَّد بن علىّ (٢) : مَن أشدُّ الناس زُهداً ؟ قال : مَن لا يُبالى الدُّنيا فى يَدِ مَن كانت .

وقيل له : مَن أخسرُ الناسِ صَفْقَةً ؟ قال : مَن باعَ الباقىَ بالفانى .

وقيل له : مَن أعظم النّاس قدراً ؟ قال : مَن لا يرى الدُّنيا لنفسه قدْراً .

الأصمعىّ ، عن شيخٍ من بكر بن وائل ، أنّ هانئَ بنَ قَبيصة (٣) ، أتى حُرقةَ بنتَ النُّعمان وهى باكية ، فقال لها : لعلّ أحداً آذاك ؟ قالت : لا ، ولكنِّى رأيتُ غَضارةً فى أهلكم (٤) ، وقلَّما امتلأت دارٌ سروراً إلاّ امتلأت حزنا .

وقالوا : يَهرَم ابنُ آدمَ وتشِبُّ لهُ خَصلتان (٥) : الحِرْص والأَمل .

---

(١) فى الحيوان (٥ : ٤٤٤) : « هزلا » بدل « جوعا » . وقد فسر الجاحظ الخبر بقوله : « يقول : إذا كثرت الخطايا منع الله عز وجل در السحاب . وإنما تصيب الطير من الحب ومن الثمر على قدر المطر » .

(٢) هو محمد بن على بن الحسين بن على ، أبو جعفر الباقر ، المترجم فى (٢ : ٢٦٢) .

(٣) هانئ بن قبيصة الشيبانى ، كان شريفاً عظيم القدر ، وكان نصرانياً ، وأدرك الاسلام فلم يسلم ، ومات بالكوفة . الاشتقاق ٢١٦ .

(٤) الغضارة : النعمة والسعة فى العيش . وقد سبق الخبر فى ١٤٥ ، برواية : « رأيت لأهلك غضارة » .

(٥) هـ : « خلتان » .

الأصمعى ، قال : قال محمد بن واسع (١) : ماآسَى من الدُّنيا إلاّ على ثلاث : بُلْغةٍ من عيشٍ ليس لأحد فيها علَىَّ مِنّة ولا لله فيها علىَّ تبعة ، وصلاةٍ فى جَمْعٍ (٢) أُكفَى سَهوهَا ويُدَّخر لى أجرُها ، وأخٍ فى الله إذا ما اعوجَجْتُ قوَّمَنى .

وقال آخر : ماآسى من العراق إلا على ثلاث : ليل الحَزِيز (٣) ، ورُطب السُّكَّر ، وحديث ابنِ أبى بكرة (٤) .

وقال آخر : إذا سمعتَ حديث أبى نَضْرَةَ (٥) ، وكلامَ ابن أبى بكرة ، فكأنك مع ابن لسانِ الحُمَّرَة (٦) .

وقال أبو يعقوب الخريمىّ الأعور (٧) : تَلقَّانى مع طُلوع الشّمس سعيدُ

---

(١) محمد بن واسع الأزدى ، ترجم فى (١ : ٣٥٣) .

(٢) يعنى صلاة الجماعة . وفى صفة الصفوة ٣ : ١٩٤ : « وصلاة فى جماعة يحمل عنى سهوها ، وأفوز بفضلها » .

(٣) ما عدا ل : « الحريق » تحريف . وفى هامش هـ ، ب والتيمورية : « حكى الجاحظ فى كتاب الأمثال : بالبصرة موضع يقال له الحريق (صوابه الحزيز) لم ير الناس قط هواء أعدل ، ولا نسيما أرق ، ولا سماء أطيب من ذلك الموضع » .

(٤) سبق الخبر فى (٢ : ١٩٦) . وقد أورده ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) . وابن أبى بكرة هذا ، هو عبيد الله ، المترجم فى (١ : ١٧٣) حيث قال الجاحظ عند الكلام على ابن الزبير : « وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان من أحسن الناس حديثاً ، وأن أبا نضرة وعبيد الله بن أبى بكرة إنما كانا يحكيانه » .

(٥) أبو نضرة ، سبقت ترجمته فى (١ : ١٧٣) .

(٦) ابن لسان الحمرة ، اسمه عبيد الله بن الحصين ، أو ورقاء بن الأشعر ، كما فى القاموس والمعارف ٢٣٣ . وفى الفهرست ١٣٢ : « وقاء » وهو تحريف . وكان يكنى أبا كلاب ، كما فى الحيوان (٢ : ٢٠٠) . وهو أعرابى من بنى تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه . قال ابن قتيبة : « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصراً » . دخل الكوفة وعليها المغيرة بن شعبة ، فسأله المغيرة عن طبائع قبائل من العرب ، وعن خلق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، سردها أبو الفرج فى الأغانى (١٤ : ١٣٨) . وسأله معاوية يوماً فقال له : بم نِلتَ العلم ؟ قال : بلسان سئول ، وقلب عقول . انظر حياة الحيوان للدميرى فى ترجمته « الحمرة » . والحمرة : طائر يشبه العصفور .

(٧) ترجم أبو يعقوب الخريمى فى (١ : ١١ ، ١١٥) . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ١٢٨) .

ابن وهب ، فقلت : أين تريد ؟ قال : أدور على المجالس فلعلّى أسمع حديثاً حسنا . ثمَّ لمْ أجاوزْ بعيداً حتّى تلقّانى أنس بن أبى شيخ (١) ، فقلت له : أين تريد ؟ قال : عندى حديثٌ حَسن فأنا أُطلُب له إنساناً حسنَ الفهم ، حسنَ الاستماع . قال : قلت : حدِّثنى فأنا كذاك (٢) . قال : أنت حسن الفهم ردىء الاستماع ، وما أرى لهذا الحديث إلاّ إسماعيل بن غزوان (٣) .

١٨١ هشام ، قال : أخبرنى رجلٌ من أهل البصرة قال : وُلد للحسن بن أبى الحسن غلامٌ ، فقال له بعض جُلَسائه : بارك الله لك فى هِبَته ، وزادك فى أحسَنِ نعمته . فقال الحسن : الحمد لله على كلِّ حَسنة ، وأسأل اللهَ الزيادةَ فى كلِّ نِعمة ، ولا مرحباً بمن إن كنت عائلاً أنصبَنى (٤) ، وإن كنت غنيًّا أذهلَنى ، لا أرضَى بسعيى له سَعْيا ، ولا بكدِّى له فى الحياة كَدًّا ، حتَّى أُشفقُ عليه من الفاقة بعد وفاتى ، وأنا فى حالٍ لا يصل إلىَّ من همِّه حَزَنٌ ، ولا من فرحه سرور .

قال الحسن للمغيرة بن مُخارِش التميمى : إنَّ مَن خوّفك حتَّى تلقَى الأمنَ ، خيرٌ لك ممَّن أمّنك حتَّى تلقَى الخوف .

وقال عَون بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود : ماأحسَنَ الحسنةَ فى إثر الحسنة ، وأقبَحَ السيِّئة فى إثر السيِّئة .

الحسن قال : ما رأيتُ يقيناً لا شكَّ فيه أشبَهَ بشكٍّ لا يقينَ فيه من أمرٍ نحن فيه .

---

(١) ترجم فى (٢ : ٢٥٢) .

(٢) ل : « كذلك » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا ممن ردد الجاحظ ذكرهم فى كتابه « البخلاء » وكثيراً مايقرنه بسهل ابن هارون . وكان ممسكا شديد البخل . انظر البخلاء ١٣٠ .

(٤) العائل : الفقير . والعيلة : الحاجة والفقر . ل : « أتعبنى » . أنصبه : أتعبه .

قال : وكان الحسن إذا ذكر الحَجَّاج قال : يتلو كتاب الله على لَخمٍ وجُذام ، ويعِظ عِظةَ الأزارقة ، ويبطِش بطشَ الجبَّارين .

وكان يقول : اتَّقوا الله ؛ فإنَّ عند الله حَجَّاجينَ كثيراً .

وقال سِنان بن سلمة بن قيس [١] : اتقّوا الله ؛ فإن عند الله أياماً مثل شَوَّال [٢] .

وقال خالدُ بن صَفْوان : بتُّ ليلتى كلَّها أتمنَّى ، فكبَسْتُ [٣] البحرَ الأخضرَ بالذَّهب الأحمر ، فإذا الذى يكفينى من ذلك رَغِيفان ، وكوزانِ ، وطِمْران [٤] .

وكان الحسن يقول : إنَّكم لا تنالون ماتحبُّون إلاّ بترْك ماتشتهون ، ولا تدركون ما تؤمِّلون إلاّ بالصَّبر على ما تكرهون .

ودخل قومٌ على عوف بن أبى جَمِيلة [٥] فى مرضه ، فأقبلوا يُثنون عليه ، فقال : دعُونا من الثَّناء ، وأمِدّونا بالدُّعاء .

وقال أبو حازم : نحن لا نريدُ أنْ نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتَّى نموت .

وكان الحسن يقول : يا ابنَ آدم ، نهارُك ضيفُك فأحسِنْ إليه ؛ فإنَّك إنْ أحسنت إليه ارتَحَل بِحمدك ، وإن أنت أسأتَ إليه ارتَحَل بذمِّك . وكذلك ليلُك .

وقيل لبعض العلماء : مَن أسوأ النّاسِ حالا ؟ قال : عبد الله بن عبد الأعلى ١٨٢

---

(١) ما عدا ل : « وكان سنان بن سلمة بن قيس يقول » .

(٢) إشارة خاصة إلى الطاعون الجارف الذى حصل بالعراق فى شوال سنة تسع وستين . النجوم الزاهرة ١ : ١٨٢ – ١٨٣ والمعارف ٢٥٩ – ٢٦٠ . وجاء فى كتاب التعازى والمراثى للمبرد بعد أن تكلم على الطاعون الجارف فى شوال سنة ٦٩ : ثم خف الطاعون وخليفة مصعب بن الزبير على البصرة سنان بن سلمة الهمدانى ، فخطب الناس فقال : اتقوا الله أيها الناس فإن عند الله أياماً مثل شوال » .

(٣) هـ : « فكبست » وفى سائر النسخ ماعدا ل : « فكسيت » تحريف ، وفى هامش التيمورية : « فملأت . نسخة ، فكسوت . نسخة » .

(٤) الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق .

(٥) ترجم فى (٢ : ٣٧) .

الشَّيْبانىّ ، القائلُ عند موته : دخلتُها جاهلاً ، وأقمتُ فيها حائراً ، وأُخرِجت مِنْها كارهاً – يعنى الدنيا .

وقيل لآخر : مَن أسوأُ النّاسِ حالاً ؟ قال : مَنْ قويت شهوته وبعُدت همته ، واتّسعت معرفتُه وضاقت مقدرته .

وقيل لآخر : مَن شرُّ الناس ؟ قال : مَن لا يبالى أن يراه النّاس مسيئاً .

وقيل لآخر : مَن شرُّ الناس ؟ قال : القاسى . فقيل : أيُّما شرٌّ ، الوَقَاحُ (١) أمِ الجاهل ، أم القاسى ؟ قال : القاسى .

وذَكَر أبو صفوانَ ، عن البَطَّال أبى العلاء ، من بنى عمرو بن تميم قال : قيل له قبلَ موته : كيف تَجِدُك ياأبا العلاء ؟ قال : أجِدُنى مغفوراً لِى . قالوا : قلْ إنْ شاء الله . قال : قد شاء الله . ثمّ قال :

أوصيكُمْ بالجِلَّة التلادِ (٢) فإنَّما حَولكُمُ الأعادِى

قال ابن الأعرابىّ : كان العبّاس بن زفر (٣) لا يكلِّم أحداً حتَّى تنبسط الشمس ، فإذا انفتل عَن مُصلّاه ضَرَبَ الأعناق ، وقطَّعَ الأيدىَ والأرجُل . وكان جريرُ بن الخَطَفَى لا يتكلَّم حتَّى تطلُعَ الشَّمس ، فإذا طلعَتْ قذَف المحصَنات . قال : ومرّت به جِنازةٌ فبكى وقال : أحرقَتْنى هذه الجنائز (٤) ! قيل : فلم تَقذِف المحصَنات ؟ قال : يبدو لى ولا أصبرِ .

وكان يقول : أنا لا أبتدى ولكن أعتدِى (٥) .

---

(١) الوقاح ، كسحاب : القليل الحياء .

(٢) الجلة : المسان من الإبل . والتلاد : كل مال قديم يورث عن الآباء .

(٣) كان للعباس بن زفر صلة بالمأمون قبل الخلافة . انظر الأغانى (١٢ : ٢٠ – ٢١) .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « الجنازة » بالإفراد .

(٥) فى الحيوان (٣ : ٩٩) . « ولكنى أعتدى » . والنص فى الحيوان مسبوق بقوله : « وقيل لجرير : إلى كم تهجو الناس ؟ » . والاعتداء هنا بمعنى المجازاة ، مثله فى قوله الله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . وفى العقد ٥ : ٢٩٦ : « لست بمبتدئ » ولكنى معتد . يريد أنه يسرف فى القصاص » . وفى التمثيل والمحاضرة ١٨٤ : « ولكن أقتدى » .

الحسن بن الرَّبيع الكِندى بإسنادٍ له ، قال : قال رجلٌ للنبى ﷺ وسلم : دُلَّنى على عملٍ إذا أنا عمِلتُه أحبَّنى الله وأحبَّنى النّاس . قال : « ازهَدْ فى الدُّنيا يُحبَّك الله ، وازهَدْ فيما فى أيدِى الناس يحبَّك النّاس » .

قال : وبلغنى عن القاسم بن مُخَيمِرَةَ الهمْدَانى (١) ، أنه قال : إنى لأُغلق بابى فما يُجاوِزُه همٌّ (٢) .

وقال أبو الحسن : وُجد فى حجرٍ مكتوبٍ : يا ابن آدم ، لو أنَّك رأيتَ يسيرَ ما بقى مِن أجَلك لزهِدْتَ فى طول ما ترجو من أمَلك ، ولرغِبْتَ فى الزِّيادة فى عملك ، ولَقصرْت من حرصك وحِيَلك . وإنّما يلقاك غداً ندمُك ١٨٣ لوقد زلَّتْ بك قدمك ، وأسلَمكَ أهلُك وحَشَمُك ، وتبرَّأ منك القريب ، وانصرَف عنك الحبيب ، فلا أنتَ إلى أهلك بعائدٍ ، ولا فى عملك بزائد .

وقال عيسى بنُ مريم صلوات الله عليه : « تعملون للدُّنيا وأنتم تُرزقون فيها بغير العمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل » .

قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلى الدُّنيا : من خَدَمنى فاخدُميه ، ومن خَدمك فاستخدميه (٣) .

وقال : مِن هوان الدُّنيا على الله أنه لا يُعَصى إلاّ فيها ، ولا يُنال ما عنده إلا بتركها .

---

(١) مخيمرة ، ضبطه فى الخلاصة بضم الميم الأولى وفتح الثانية . لكن قواعد التصغير تقتضى كسر ما بعد الياء فى مثله . وهو بالخاء المعجمة . وفيما عدا ل : « محيمرة » بالمهملة ، تحريف . وهو أبو عروة القاسم بن مخيمرة الهمدانى الكوفى ، كان معلماً بالكوفة ثم سكن الشام . روى عن عبيد الله بن عمرو بن العاص ، وأبى سعيد الخدرى ، وشريح بن هانىء وغيرهم . وتوفى سنة مائة . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التذهيب ٢٦٧ وصفة الصفوة (٣ : ٥٢) .

(٢) فى صفة الصفوة : « قال القاسم بن مخيمرة : ما اجتمع على مائدتى لونان من طعام واحد ، ولا أغلقت بابى ولى خلفه هم » .

(٣) انظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢٩) .

قال : مرَّ عيسى بن مريم عليه السلام بقوم يبكون ، فقال : ما بالهم يبكون ؟ فقالوا : على ذنوبهم . قال : « اتركوها يُغفَرْ لكم [١] » .

قال : وقال زياد بن أبى زياد ، مولى [عبد الله بن] عَيّاش بن أبى ربيعة [٢] : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما رآنى تَزَحَّل عن مجلسه [٣] وقال : إذا دخل عليك رجلٌ لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخُذْ عليه شرفَ المجلس .

وقال الحسن : « إنّ أهل الدنيا وإنّ دقدقت بهم الهماليج [٤] ، ووطىءَ الناسُ أعقابَهم ، فإنَّ ذُلَّ المعصية فى قلوبهم » .

قالوا : وكان الحجّاج يقول إذا خطب : « إنّا والله ما خُلقنا للفَناء ، وإنّما خُلقنا للبقاء ، وإنّما ننقل من دارٍ إلى دار » . وهذا من كلام الحسن .

ولما ضَرب عبد الله بن علىّ [٥] تلك الأعناقَ قال له قائل : هذا والله جَهْدُ

---

(١) ما عدا ل : « تغفر لكم » .

(٢) التكملة مما سبق من التحقيق فى ص ١٢٦ . وفيما عدا ل ، هـ : « بن ربيعة » تحريف والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٧) .

(٣) تزحل عن مجلسه : تنحى وتباعد . ل : « ترجل » وفى التيمورية « ترخل » صوابهما ما أثبت من هـ ، ب ، حـ . وفى عيون الأخبار : « رحل » .

(٤) الدقدقة : حكاية أصوات حوافر الدواب فى سرعة ترددها . والهماليج : جمع هملاج ، وهو البرذون الحسن السير فى سرعة وبخترة .

(٥) هو عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس ، عم أبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور . ولاه أبو العباس حرب مروان بن محمد ، فسار إليه حتى قتله واستولى على بلاد الشام . ولم يزل أميراً عليها مدة خلافة السفاح ، فلما ولى المنصور خالف عليه ودعا إلى نفسه ، فوجه إليه المنصور أبا مسلم صاحب الدولة فحاربه بنصيبين ، فانهزم عبد الله بن على واختفى وصار إلى البصرة ، فأشخصه سليمان بن على والى البصرة إلى بغداد ، فحبسه جعفر ، ولم يزل فى حبسه ببغداد حتى وقع عليه البيت الذى حبس فيه فقتله ، وذلك سنة ١٤٧ . تاريخ بغداد ٥١١٨ والمعارف ١٦٣ - ١٦٤ . وذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٨٥ أن عبد الله بن على قتل من الأمويين على نهر أبى فطرس بفلسطين نحواً من ثمانين رجلا مُثْلةً ، واحتذى أخوه داود ابن على بالحجاز فعله ، فقتل نحواً من هذا العدد بأنواع المُثَل .

البَلاء ؟ فقال عبدُ الله : ما هذا وشَرْطَةُ الحَجَّام إلاّ سَواءٌ : وإنّما جَهدُ البلاءِ فقرٌ مُدقِع بعد غِنىً مُوسَع .

وقال آخر : أشدُّ من الخوف الشيء الذى من أجله يَشتدُّ الخوف .

وقال آخر : أشدُّ من الموت ما يُتمنَّى له الموت ، وخيرٌ من الحياة ما إذا فقدتَه أبغضتَ له الحياة .

وقال أهل النار : ﴿ يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ، فلمّا لم يُجابُوا إلى الموت قالوا : ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الماءِ ﴾ .

وقالوا : ليس فى النار عذابٌ أشدُّ على أهله من علمهم بأنّه ليس لكربهم تَنْفيس ، ولا لِضِيقهم ترفيه ، ولا لعَذابهم غاية . ولا فى الجنة نعيمٌ أبلغُ من علمهم أنّ ذلك المُلْكَ لا يزُول .

قالوا : قارف الزُّهريُّ ذنباً ، فاستوحش من الناس وهام على وجهه ، فقال ١٨٤
له زَيد بن علىّ : يا زُهرىُّ ، لَقُنُوطُكَ من رحمة الله التى وسِعَتْ كلَّ شىءٍ أشدُّ عليك من ذَنْبك ! فقال الزهرىّ : ﴿ اللهُ أعلمُ حيثُ يَجْعَل رِسالاته [1] ﴾ . فرجع إلى ماله وأهله وأصحابه .

قال ابن المبارك : أفضَلُ الزهد أخفاه .

الأوزَاعىّ ، عن مكحول قال : إنْ كان فى الجماعة الفضيلةُ فإنّ فى العُزلة السَّلامةَ .

إسماعيل بن عَيَّاش ، عن عبد الله بن دينار [2] ، قال : قال النبى ﷺ : « إنّ الله كرِهَ لكُمُ العبث فى الصلاة ، والرَّفَث فى الصيام ، والضَّحِكَ فى المقابر » .

---

(١) من الآية ١٢٤ فى الأنعام . وهذه قراءة جمهور القراء . وقرأ ابن كثير وحفص وابن محيصن : (رسالته) بالإفراد . إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ .

(٢) سبقت ترجمته وترجمة إسماعيل فى (٢ : ٢٣) حيث سلف الخبر .

وقال أَرْدَشِير خُرَّهْ (١) : احْذَروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيمِ إذا شَبِـعَ .

قال واصل بن عطاء : المؤمن إذا جاع صَبَر ، وإذا شبع شَكَر .

وقيل لعامر بن عبد قيس : ما تقول فى الإنسان ؟ قال : ما عسى أن أقولَ فيمن إذا جاع ضَرَع ، وإذا شبِـع طغى .

قال : ونظر أعرابىٌّ فى سَفَره إلى شيخٍ قد صحِبَه ، فرآه يصلِّى فسكَنَ إليه ، فلما قال : أنا صائم ، ارتابَ به ، وأنشأ يقول :

صلَّى فأَعجبنى وصامَ فرَابَنِى   نَحِّ القَلوصَ عن المصلِّى الصائمِ (٢)

وهو الذى يقول :

لم يخلقِ اللهُ مسجوناً تُسَائِلُه   ما بالُ سجنِك إلاَّ قال : مظلومُ (٣)

* * *

الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت (٤) ، عن يحيى بن جَعْدة (٥) ، قال : كان يقال : اعمَلْ وأنت مُشفِق ، ودَعِ العمَلَ وأنت تحبُّه .

---

(١) كذا . والمعروف أن « أرد شير خُرَّه » اسم كورة من كور فارس ، ومعناه بهاء أردشير . معجم البلدان ، واستينجاس ٣٥ . فلعل كلمة « خره » مقحمة ، أو محرفة عن كلمة « مَرّة » . وأردشير بن بابك معروف بالحكمة ، وقد اختار ابن قتيبة طائفة من أقواله فى عيون الأخبار .

(٢) القلوص : الفتية من الإبل . ما عدا ل : « عدّ القلوص » . وانظر الأشربة لابن قتيبة ٧٧ .

(٣) وكذا فى الحيوان (٢ : ١٠٦) . وفى عيون الأخبار (١ : ٧٩ / ٢ : ١١٦) .

ما يدخل السجن إنسان فتسأله   ما بال سجنك إلا قال مظلوم

(٤) هو حبيب بن أبى ثابت قيس بن دينار الأسدى الكوفى . روى عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأنس وغيرهم ، وروى عنه : الأعمش ، والثورى ، وشعبة وغيرهم . توفى سنة ١١٩ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٥٩) .

(٥) يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشى المخزومى . روى عن أبى الدرداء ، وابن مسعود ، وأبى هريرة وغيرهم .

قال : وقيل لرابعة القيسية (١) : هل عملتِ عملاً قطُّ تَرَيْنَ أنّه يُقْبَلُ منك ؟ قالت : إنْ كان شيءٌ فخوفى من أن يُرَدَّ علىَّ .

وقال محمد بن كعبٍ القُرَظىّ (٢) ، لعُمر بن عبد العزيز : ياأمير المؤمنين لا تنظرَنّ إلى سِلعةٍ قد بارت على مَن كان قَبْلك تريد أن تَجُوزَ عنك (٣) .

الحسن قال : كان مَن كان قبلكم أرقَّ منكم قلوباً وأصفَقَ ثياباً ، وأنتم أرقُّ ١٨٥
منهم ثياباً وأصفقُ منهم قلوباً (٤) .

عبد الله بن المبارك قال : كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمىّ :

« إن استطعتَ أن تدَعَ مما أحلَّ الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين ما حرَّم الله عليك فافعَلْ ؛ فإنه مَن استوعب الحلالَ كلَّه تاقت نفسه إلى الحرام » .

وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لخالد بن الوليد حينَ وجَّهه : « احرِصْ على الموت تُوهَب لك الحياة » .

وقال رجل : أنا أحبُّ الشهادة . فقال رجل من النُّسّاك : أحببْها إن وقعَتْ عليك ، ولا تحبَّها حُبَّ مَن يريدُ أن يقَعَ عليها .

وقال رجلٌ (٥) لداوُدَ بنِ نُصيرٍ الطائىّ العابد (٦) : أوْصنى . قال : اجعل

---

(١) مضت ترجمتها فى (١ : ٣٦٤) .

(٢) ترجم فى (٢ : ٣٤ ، ٣٠٠) .

(٣) فى عيون الأخبار (٢ : ٣٤٣) : « ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك » .

(٤) ما عدا ل : « وأصفق قلوبا » .

(٥) هو عبد الله بن إدريس ، كما فى صفة الصفوة (٣ : ٧٥) .

(٦) داود بن نصير الطائى الكوفى الفقيه الزاهد . ومما يروى من أخباره أنه دفن كتبه . توفى سنة ١٦٥ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة .

الدنيا كيومٍ صُمتَه ، واجعل فِطرَكَ الموت ، فكأنْ قَدْ ، والسلام . قال : زِدْنى . قال : لا يَرَكَ الله عند ما نهاك عنه ، ولا يَفْقِدْكَ عند ما أمرَكَ به . قال : زدْنى . قال : ارضَ باليسير مع سلامة دينك ، كما رضَى قومٌ بالكثير مع هلاك دينِهم .

قال رجل ليونُس بن عبيد (١) : أتعلم أحداً يعمل بعمَل الحسن ؟ قال : والله ما أعرفُ أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بمثلِ عمله ؟! قال : صِفْه لنا . قال : كان إذا أقبل فكأنه أقبَلَ مِن دفْن حميمِه ، وكان إذا جلس فكأنه أسِير قد أُمِر بضرب عُنقه ، وكان إذا ذُكرَت النار عندَه فكأنّها لم تُخلق إلاّ له .

وُهَيْب بن الورد (٢) قال : بينا أنا أدُور فى السُّوق إذ أخَذَ آخِذٌ بقفاىَ فقال لى : يا وُهَيب ، اتَّقِ الله فى قُدرته عليك ، واستَحيِ اللهَ فى قُربه منك (٣) .

وقال عبد الواحد بن زيدٍ (٤) لأصحابه : ألا تستحيُون مِن طول مالا تستحيُون !

الهيثم قال : كان شيخٌ من أعرابِ طيِّىء كثيرَ الدّعاء بالمغفرة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : والله إنّ دعائى بالمغفرة مع قُبْح إصرارى لَلُؤْم ، وإنّ ترْكِى الدعاء مع قوّة طمعى لَعجز .

قال أبو بِشر صالحٌ المُرّىّ (٥) : إنْ تكن مصيبتُك فى أخيك أحدثتْ لك

---

(١) ترجم فى (٢ : ٢٢٠) . وكان من أثبت الناس فى الحسن . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٥٥ - ٣٥٦) .

(٢) وهيب لقب له ، واسمه عبد الوهاب بن الورد بن أبى الورد القرشى . كان من العباد المتجردين لترك الدنيا . توفى سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ١٢٣ - ١٢٨) .

(٣) فى صفة الصفوة : « قال : بينا أنا واقف فى بطن الوادى إذا أنا برجل قد أخذ بمنكبى فقال : يا وهيب ، خفِ الله لقدرته عليك ، واستحى منه لقربه منك . قال : فالتفت فلم أر أحداً » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٤) .

(٥) ترجم فى (١ : ١١٣) . ما عدا ل ، هـ : « أبو بشير » تحريف .

خشيةً فنعم المصيبةُ مصيبتُك ، وإن تكن مصيبتُك بأخيك أحدثَتْ لك جزَعاً فبئس المصيبةُ مصيبتُك [(١)] . ١٨٦

وقال عمرو بن عبيدٍ لرجلٍ يعزِّيه : كان أبوك أصلَك ، وابنُك فرعَك ، فما بقاء شيءٍ ذهب أصلُه ولم يبق فرعُهُ .

وقال الحسن : إنّ امرأً ليس بينه وبين آدم إلا أبٌ ميّت [(٢)] لَمُعْرَقٌ فى الموت [(٣)] .

وقالوا : أعظمُ من الذَّنب اليَأسُ من الرَّحمة ، وأشدُّ من الذنب المماطَلة بالتوبة .

ابن لَهِيعة [(٤)] ، عن سَيَّار بن عبد الرحمن [(٥)] ، قال : قال لى بُكَيرُ بن الأشَجّ [(٦)] : ما فعَلَ خالُكَ ؟ قلت : لزِم بيتَه . فقال : أمَا لئِنْ فَعل لقد لزِمَ قومٌ من أهل بدرٍ بيوتَهم بعد مقتل عثمان رحمه الله ، فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم .

وقال الحسن : إنّ لله ترائكَ فى خَلْقه ، لولا ذلك لم ينتفع النبيُّون وأهلُ الانقطاع إلى الله بشيءٍ من أمر الدنّيا : وهى الأمَل ، والأجَل ، والنِّسْيان .

وقال مُطرِّف بن عبد الله [(٧)] لابنه : يا بنىّ لا يلهِيَنّك النَّاسُ عن نفسك ؛ فإنّ الأمرَ خالصٌ إليكَ دونَهم . إنّك لم تر شيئاً هو أشدّ طلباً ولا أسرعُ دَرَكاً مِن توبةٍ حديثة لذنْب قديم .

وفى الحديث أنّ أبا هريرة مرَّ بمروانَ [(٨)] وهو يبنى دارَه ، فقال:

---

(١) الخبر برواية أخرى فى عيون الأخبار (٣ : ٥٣) .

(٢) ما عدا ل : « إلا أب قد مات » .

(٣) فى اللسان (عرق ١١٢) : « لمعرق له فى الموت ، أى إن له فيه عرقا ، وإنه أصيل فى الموت » .

(٤) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة ، المترجم فى (١ : ٣٦٢) .

(٥) سيار بن عبد الرحمن الصدفى المصرى . روى عن عكرمة ، وحنش ، وبكير وغيرهم . وروى عنه الليث ، وابن لهيعة ، وحيوة بن شريح . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التذهيب ١٣٦ .

(٦) هو بكير بن عبد الله بن الأشج القرشى مولاهم ، نزل مصر . قالوا : لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ، ويحيى بن سعيد ، وبكير بن عبد الله بن الأشج . خرج قديماً إلى مصر فنزل بها . وتوفى سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب وخلاصة تذهيب الكمال ٤٤ .

(٧) مطرف بن عبد الله بن الشخير ، ترجم فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

(٨) هو مروان بن الحكم ، المترجم فى (١ : ٣٧٧) .

يا أبا عبد القُدُّوس [١] ، ابنِ شديداً وأمِّلْ بعيداً ، وعِشْ قليلا وكُلْ خَضْماً ، والموعدُ الله [٢] .

قال : كان عمرو بن خَوْلَة ، أبو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص – وأمه خَوْلة من المَسامعة [٣] – وكان ناسكاً يجتمع إليه القُرّاء والعلماء يومَ الخميس، وقال الشاعر فيه :

وأصبح زَورُك زَورُ الخميس إليك كمَرْعِيَّةٍ وأرده

وقال الآخر فى ابن سِيرين :

فأنت بالَّليل ذئبٌ لا حريمَ له وبالنَّهار على سمتِ ابن سيرين [٤]

وقال ابنُ الأعرابىّ : قال بعضُ الحكماء : لا يغلِبَنَّ جهلُ غَيرِكَ بك عِلمَك بنَفْسك .

قال : وصلَّى محمَّد بن المنكدِر [٥] ، على عِمران بقرةَ [٦] ، فقيل له فى
١٨٧ ذلك ، فقال : إنِّى لأستحِى من الله أنْ أُرى أنّ رحمته تعجِز عن عِمران بقرة .

---

(١) لم يعرف من أولاد مروان من يدعى « عبد القدوس » . انظر المعارف لابن قتيبة ومروج الذهب (٣ : ٩٨) . وقد ذكر فيهما أنه كان له من الولد أحد عشر ذكراً وثلاث بنات ، ليس من بينهم عبد القدوس .

(٢) الخضم : الأكل بجميع الفم . انظر ما سبق فى ص ١٥٤ . وقد روى هذا الخبر فى اللسان (خضم) برواية : « فقال ابنُوا شديدا ، وأملوا بعيدا ، واخضموا فسنقضم » .

(٣) المسامعة ، أبوهم مسمع بن شهاب بن عمرو بن عباد بن ربيعة بن جحدر بن ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . وقيل فيهم مسامعة ، كما قيل فى المهلبيين مهالبة . وللمسامعة محلة بالبصرة . انظر معجم البلدان .

(٤) أنشده الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٤٩١) والثعالبى فى ثمار القلوب ٧٠ والسمت : الطريق وهيئة أهل الخير . قال الثعالبى : « لما لم يستقم له أن يقول : على ورع ابن سيرين ، أقام السمت مقامه وأحسن » .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى التيمى ، من جلة التابعين ، وكان من سادات القراء والمحدثين . توفى سنة ١٣٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٧٩) .

(٦) فى هامش هـ والتيمورية : « عمران بقرة : لقب لرجل كان مسرفاً على نفسه » .

وقال محمد بن يَسير :

كأنّه قد قيل فى مجلسٍ	قد كنت آتِيهِ وأغْشَاهُ
محمد صار إلى ربِّه	يرحمُنا الله وإيّاه

وقال الآخر :

لَقَلَّ عاراً إذا ضَيْفٌ تضيَّفَنى	ما كان عندى إذا أعطيتُ مجهودِى (١)
فَضْلُ المُقِلِّ إذا أعطاه مصطبِراً	ومُكثِرٍ فى الغنى سيّانِ فى الجودِ (٢)
لا يَعدَم السائلون الخيرَ أفعلُه	إما نَوالِي وامّا حُسنَ مرودِى

وكان الرَّبيع بن خُثَيم ، إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا يزيد ؟ قال : أصبحنا ضعفاءَ مذنِبين ، نأكل أرزاقَنا ، وننتظر آجالَنا .

وقال ابن المقفّع : الجود بالمجهود مُنتهَى الجود .

قال مطرِّف بن عبد الله : كان يُقال : لم يلتق مؤمنانِ إلّا كان أفضلُهما أشدَّهما حباً لصاحبه . وكنتُ أرى إنّى أشدُّ حباً لمذعور بن طُفَيْل (٣) منه لى ، فلما سُيِّر لقيَنى ليلاً فحدَّثَنى فقلت : ذهب اللّيلُ ! قال : ساعةً . ثم قلت : ذهبَ اللّيل ! فقال : ساعةً . فعلمتُ أنّه أشدُّ حُبًّا لى منِّى . فلما أصبح سَيَّره ابنُ عامرٍ مع عامر (٤) .

---

(١) فى عيون الأخبار (٣ : ١٧٩) : « وما أبالى إذا ضيف تضيفنى » .

(٢) فى عيون الأخبار : « جهد المقل » . والشعر لابن يسير كما سيأتى فى ص ٣٣٣ .

(٣) ذكره ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٣ : ١٧٦) ولم يذكر والده ، ولكنه مع ذلك روى خبره مع مطرف بن عبد الله .

(٤) ابن عامر ، هو عبد الله بن عامر المترجم فى (١ : ٣١٨) . وعامر ، هو عامر بن عبد قيس المترجم فى (١ : ٨٣) . وقد سير مذعور من العراق إلى الشام كما فى صفة الصفوة . وسير عامر بن عبد قيس أيضاً إليها حين وشى به إلى عثمان ، فأمر أن ينفى إلى الشام على قتب ، فأنزله معاوية الخضراء فرأى منه خيراً ، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدنيه . الإصابة ٦٢٨٠ . وقد سبق فى ١٤٣ خبر تسيير ابن عامر لعامر بن عبد قيس إلى عثمان بن عفان .

قال : وقالوا لعيسى بن مريم : من نُجَالس ؟ قال : مَن يُذكّرِكم الله رؤيتُه ، ويزيد فى علمكم منطقُه ، ويرغّبكم فى الآخرة عمله .

إسحاق بن إبراهيم قال : دخلنا على كَهْمس العابد (١) ، فجاءنا بإحدى عشرة بسرةً حمراء . فقال : هذا الجُهد من أخيكم ، والله المستعان .

الأصمعى ، عن السَّكَن الحَرَشىّ (٢) قال : اشتريتُ من أبى المنهال سيّار ابن سلامة ، شاةً بستّين درهماً ، فقلت : تكون عندَك حتّى آتيَك بالثَّمَن . قال : ألستَ مُسلماً ؟ قلت : بَلَى . قال : فخذْها . فأخذتُها ثم انطلَقت بها ، ثم أتيتُه
بالستّين ، فأخرج منها خمسةَ دراهم وقال لى : اعلِفْها بهذه . ١٨٨

وقال مساورٌ الورّاق لابنه (٣) :

شمِّر قميصَك واستعِدَّ لقائـلٍ واحكُكْ جبينَكَ للقَضاءِ بثُومِ (٤)
واجعَلْ صِحابَك كلَّ حَبرٍ ناسكٍ حَسَنِ التعهُّد للصَّلاة صَؤُوم (٥)

---

(١) هو أبو عبد الله كهمس بن الحسن التميمى البصرى ، أحد الثقات الزهاد . توفى سنة ١٤٩ بمكة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣٢٤) . والخبر فى صفة الصفوة .

(٢) ل : « الحريشى » .

(٣) وكذا جاءت النسبة فى العقد (٣ : ٢١٦ ، ٦ : ٣٦٦ لجنة التأليف) والأغانى (١٦ : ١٦٢) . ونسب فى شرح الشريشى لمقامات الحريرى (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق يقوله لابن أخيه . وورد فى الحيوان (٣ : ٤٦٧) بدون نسبة . ومساور هذا ، هو مساور بن سوار بن عبد الحميد ، من آل قيس بن مضر ، ويقال إنه مولى جديلة من عدوان ، كوفى قليل الشعر ، من أصحاب الحديث ورواته . وقد روى عن صدر من التابعين ، وروى عنه وجوه أصحاب الحديث . وهو القائل فى أبى حنيفة وأصحابه :

كنا من الدين قبل اليوم فى سعة حتى بلينا بأصحاب المقاييس
قوم إذا اجتمعوا ضجوا كأنهم ثعالب ضبحت بين النواويس

وله أخبار أخرى مع أبى حنيفة . الأغانى وتهذيب التهذيب .

(٤) لقائل ، أى لمن يمدحك أو يذمك . وفى الأغانى . « للعهود » بدل « للقضاء » . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغرار أن صاحبها عريق فى التقوى ، كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالتقوى يفعلون ذلك فى عصرنا .

(٥) الصحاب ، بالكسر : جمع صاحب . والحبر ، بكسر الحاء وفتحها : العالم ، أو الصالح . صؤوم : كثير الصوم .

مِن ضَرْبِ حمّادٍ هناك ومِسْعرٍ وسِماكٍ العبسىّ ، وابن حَكيم (١)
وعليك بالغَنَوىّ فاجلسْ عنده حتى تصيبَ وديعةً ليتيمِ

وقال : بينا سليمانُ بنُ عبدِ الملك يتوضأ ، ليس عنده غيرُ خالِه والغلامِ يصبُّ عليه الماء ، إذ خَرّ الغلامُ مَيّتاً ، فقال سليمان :

قرِّبْ وَضُوءَكَ يا حصينُ فإنّما هذِى الحياةُ تَعِلّة ومَتاعُ (٢)

ونظر سليمانُ فى مِرآةٍ فقال : أنا الملك الشاب ! فقالت جارية له :

أنتَ نعِم المتاعُ لو كنت تبقَى غير أنْ لا بقاءَ للإنسانِ (٣) !

قال : قيل لسعيد بن المسيَّب : إنّ محمد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، سقَطَ عليه حائطٌ فقتله . فقال : إنْ كان لَوَصولاً لرَحِمِه ، فكيف يموتُ ميتةَ سَوْء !

وقال أسماءُ بن خارجة :

عَيَّرتِنِى خَلَقاً أبليتُ جِدَّتَه وهل رأيتِ جديداً لم يعُدْ خَلقَا

قال : وتمثَّل عبدُ الملك بن مروان :

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيـمَ إلى بِلًـى وكلُّ امرئٍ يوماً يصير إلى كانْ (٤)

وقال آخر :

فاعَملْ على مهَلٍ فإنّكَ ميِّتٌ واكدَحْ لنفسك أيها الإنسانْ
فكأنّ ما قد كان لم يك إذْ مضَى وكأنّ ما هو كائـنٌ قد كانْ

قال : وكان عثمانُ بنُ عفّانَ رحمه الله يقول : « إنى لأكرهُ أن يأتى عَلَىَّ يومٌ ١٨٩
لا أنظر فيه إلى عَهْد الله » ، يعنى المُصْحف .

---

(١) الضرب : المثل والنظير . ومسعر ، هو مسعر بن كدام ، المترجم فى (١ : ٤٠٠) وفيه يقول ابن المبارك :

من كان ملتمساً جليساً صالحاً فليأت حلقة مسعر بن كدام

ما عدا ل : « ومسمع » تحريف وأشير فى هـ إلى رواية « مسعر » . و « العبسى » هى فى الأغانى « العتكى » .

(٢) التعلة : ما يتعلل به ويتلهى .

(٣) بعده فى الأغانى (٩ : ٩٤) : « فأعرض بوجهه ، فلم تدُرْ عليه الجمعة إلا وهو فى قبره » .

(٤) ل : « وكل فتى يوما يصير إلى كانا » . وانظر الطبرى ٧ : ١٩١ .

قال : وكان عثمانُ حافظاً ، وكان حِجرُه لا يكادُ يفارِق المصحَف ، فقيل له فى ذلك فقال : « إنّه مُبارَك جاء به مبارك ! » .

ولما مات الحجّاج خرجَتْ عجوزٌ من داره وهى تقول :

اليوم يرحَمُنَا مَن كان يَغْبِطنا والبومَ نَتبعُ مَن كانوا لنا تَبَعا [١]

حدّثنى بكرُ بن المعتمرِ [٢] ، عن بعض أصحابه قال أبو عثمان النَّهدىُّ [٣] : أتت علىّ ثلاثون ومائةُ سنة ، ما منّى شىءٌ إلاّ وقد أنكرتُه ، إلاّ أمَلى فإنّه يزيد [٤] .

قال مِسْوَر بن مَخْرَمة [٥] لجلسائه : لقد وارت الأرضُ أقواماً لو رأَوْنى معكم لاستحييت منهم .

وأنشدنى أعرابىّ :

ما منع الناسُ شيئاً جئتُ أطلبُه إلاّ أرى اللهَ يكفى فَقْدَ ما منَعُوا

قال : جَزِع بكرُ بن عبدِ الله [٦] على امرأته ، فوعَظَهُ الحسَنُ ، فجعل يصِف فَضْلها ، فقال الحسن : عند الله خيرٌ منها ، فتزوَّجْ أُختهَا ! فلقيَه بعد ذلك فقال : هى يا أبا سعيدٍ خيرٌ منها ! وأنشده :

---

(١) انظر رسائل الجاحظ (١ : ٣٧٢) . وفيها : « من كان يحسُدنا » .

(٢) بكر بن المعتمر : أحد كتاب الأمين ، كتب له كتابا إلى المأمون سنة ١٩٣ . انظر تاريخ الطبرى .

(٣) هو أبو عثمان عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدى النهدى ، عاش فى الجاهلية ستين سنة ، وسكن الكوفة ، ولما قتل الحسين تحول إلى البصرة وقال : لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله . وقد أسلم على عهد الرسول ولم يلقه ، وحج ستين ما بين حج وعمرة . وروى عنه أنه قال : « كنا فى الجاهلية إذا تحملنا حملنا حجراً على بعير ، فإذا رأينا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا سقط عن البعير قلنا : سقط إلهكم فالتمسوا غيره » . توفى أبو عثمان سنة ١٠٠ . ومل ، بفتح الميم ويجوز ضمها وكسرها ، ولامه مشددة . الإصابة ٦٣٧٥ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٢٥) .

(٤) الخبر فى تهذيب التهذيب وصفوة الصفوة ، وصدره فى الإصابة .

(٥) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى . كان مولده بعد الهجرة بسنتين ، وقتل فى حصار ابن الزبير الأول من الجيش الذى أرسله يزيد بن معاوية سنة ٦٥ . الإصابة ٧٩٨٧ وتهذيب التهذيب .

(٦) بكر بن عبد الله المزنى ، ترجم فى (١ : ١٠٠) .

يُؤمِّلُ أن يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ　　وأمرُ الله يحدُثُ كلَّ ليلَهْ (١)

* * *

عوف (٢) ، عن الحسَن قال : قال ﷺ : « للمسلم على أخيه ستُّ خصالٍ : يسلِّمُ عليه إذا لقِيَه ، وينصحُ له إذا غاب ، ويعُودُه إذا مرِض ، ويشيِّع جِنازته إذا مات ، ويجيبه إذا دعاه ، ويشمِّته إذا عَطَس » .

وقال أعرابيّ :

تُبَصِّرنى بالعيش عِرسى كأنما　　تُبَصِّرنى الأمرَ الذى أنا جاهلُه

يعيش الفتى بالفقر يوماً وبالغِنَى　　وكُلاًّ كأنْ لم يلقَ حين يُزَايِلُه

وأنشد أبو صالح (٣) :

ومشيِّدٍ داراً ليسكُن دارَه　　سكَنَ القبورَ ، ودارُهُ لم يسكُنِ

وكان صالح المرّىّ أبو بشر (٤) ينشد فى قَصَصه : ١٩٠

وباتَ يرَوِّى أُصولَ الفَسِيلِ　　فعاشَ الفَسيلُ وماتَ الرَّجُلْ (٥)

وقال الآخر :

إذا أبقَت الدُّنيا على المرء دينَهُ　　فما فاته منها فليس بضائرِ

---

(١) البيت مع سابق له فى الحيوان (٣ : ١١٣) وعيون الأخبار (١ : ٢١١ ، ٣١٤) والأغانى (١٨ : ٢٠٦) . وهو :

ألم تر حوشباً أضحى يبنِّى　　قصوراً نفعها لبنى بقيله

ل : « تؤمل أن نعمر » ، والوجه ما فى سائر النسخ . ما عدا ل : « يطرق كل ليلة » وسائر المصادر على الرواية المثبتة .

(٢) هو عوف بن أبى جميلة ، المترجم فى (٢ : ٣٧) .

(٣) هو أبو صالح مسعود بن قند الفزارى . روى عنه الجاحظ فى الحيوان (٥ : ١٥٧) .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١١٣) .

(٥) أنشده فى الحيوان (٦ : ٥٠٨) . والفسيل : جمع فسيلة ، وهى الصغيرة من النخل . وفى الحيوان وما عدا ل : « فبات يروى » بالفاء .

فلن تَعدِلَ الدُّنيا جَناحَ بعوضةٍ ولا وَزْنَ زِفٍّ من جَناحٍ لطائرِ (١)
فما رضِىَ الدُّنيا ثواباً لمؤمن ولا رضِىَ الدُّنيا عقاباً لكافرِ (٢)

وقال الآخر (٣) :

أَبَعْدَ بشرٍ أسِيْراً فى بيوتِهمُ يرجُو الخَفارَةَ منّى آلُ ظَلَّامِ (٤)
فلن أُصالحَهُم مادمتُ ذا فرسٍ واشتدَّ قبضاً على السِّيلانِ إبهامى (٥)
فإنّما النّاس ، يالله أُمُّهُمُ أكائل الطَّير أو حشوٌ لآرام (٦)
هم يَهلِكون ويَبْقى بعدُ ما صَنعوا كأنّ آثارَهم خُطّت بأقلامِ

وأنشد لمحمد بن يسير :

عَجَباً لى ومِن رضاىَ بحالٍ أنا منها على شَفَا تغريرِ
عالماً لا أشكُّ أنى إلى عَدْ نٍ إذا مُتُّ أو عذابِ السَّعير (٧)
كلّما مُرَّ بى على أهل نادٍ كنتُ حيناً بهم كثيرَ المرورِ
قيل : مَن ذا على سرير المنايا قيل : هذا محمَّدُ بن يَسيرِ

وأنشد :

لكلِّ أناس مَقْبَرٌ بِفِنائهم فهم ينقُصون والقبورُ تَزيدُ (٨)

---

(١) الزف ، بالكسر : الصغير من الريش .

(٢) أى ما رضى الله ذاك .

(٣) هو الزبرقان بن بدر السعدى ، كما فى حماسة البحترى ٣٦ . والبيت الثانى من هذه المقطوعة أنشده صاحب اللسان فى (سيل) منسوبا إليه .

(٤) الخفارة ، بتثليث الخاء : الأمان .

(٥) السيلان ، بالكسر : ما يدخل من السيف والسكين فى النصاب .

(٦) أكائل : جمع أكيلة ، وهى الفريسة . والآرام : جمع إرَم ، مثل ضلع وأضلاع ، وهى حجارة تنصب علما فى المفازة ، عنى بها رجام القبر . ويروى : « أريام » كما فى حواشى هـ ، جمع ريم ، وهو القبر .

(٧) ما عدا ل : « أنى إذا مت إلى عدن » .

(٨) المقبر : موضع القبر ، وهو الدفن . والشعر لعبد الله بن ثعلبة الحنفى ، كما فى اللسان (قبر) والحماسة (١ : ٣٦٨) . وأنشده فى عيون الأخبار (٣ : ٦٦) بدون نسبة =

هُمُ جيرة الأحياء أمَّا محَلُّهم   فدانٍ ولكنّ اللقاءَ بعيدُ (١) ١٩١

وقال أبو العتاهية :

سُبْحان ذى المَلَكوتِ أيَّةُ ليلَةٍ   مَخضَتْ بوَجْه صَباح يوْمِ المَوْقِف (٢)
لو أنَّ عيناً وهَّمتها نفسُها   ما فى الفِرَاقِ مُصوَّرًا لم تَطرِفِ (٣)

وقال أبو العَتَاهية أيضاً :

يا خاطبَ الدُّنيا إلى نَفسِها   تَنحّ عن خِطْبتها تَسْلَمِ (٤)
إنّ التى تَخْطُبُ غَرَّارةٌ   قريبَةُ العُرسِ من المأتمِ (٥)

وقال الآخر :

ناداهما بفِراقِ بيـ   ـنِهما الزّمان فأسْرَعا (٦)
وكذاك لم يزَل الزَّما   نُ مُفرِّقاً ما جَمَّعا

وقال آخر :

يا ويحَ هذِى الأرْض ما تَصْنَعُ   أكُلَّ حَيٍّ فوقَها تَصرعُ

= وقبل هذا البيت فى اللسان :

أزور وأعتاد القبور ولا أرى   سوى رمس أحجار عليه ركود

وبين هذا البيت وتاليه فى الحماسة وعيون الأخبار :

وما إن يزال رسم دار قد اخلقت   وبيت لميت بالفناء جديد

(١) ل فقط : « وهم جيرة الأحياء » . وفى الحماسة وعيون الأخبار : « وأما الملتقى فبعيد » .

(٢) أراد موقف القيامة . وفى الديوان ١٦٥ :

لله در أبيك أية ليلة   مخضت صبيحتها بيوم الموقف

(٣) أراد بالتوهيم التخييل وتوجيه الوهم . وفى الديوان :

لو أن عينا شاهدت من نفسها   يوم الحساب تمثلا لم تطرف

(٤) البيتان لم يرويا فى ديوان أبى العتاهية .

(٥) ما عدا ل : « سريعة العرس » تحريف .

(٦) ل : « فأشرعا » . والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

تَزْرعُهم حتَّى إذا ما استَوَوْا   عادت لهُمْ تحصِدُ ما تزرعُ [١]

وقال الآخر [٢] :

ذكرتُ أبَا أروَى فبتُّ كأنَّنى   بِرَدِّ الأُمورِ الماضياتِ وكيلُ
لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فُرقَةٌ   وكلُّ الذى قبل الفراقِ قليلُ [٣]
وإنَّ افتقادِى واحداً بعد واحدٍ   دليلٌ على أنْ لا يدُوم خَليلُ

وقال محمد بن المنتشر [٤] : « إذا أُيسَرَ الرَّجل ابتُلِىَ به أربعة : مَولاهُ
١٩٢ القديمُ يَنتَفِى منه ، وامرأتُه يتسرَّى عليها ، ودارُه يهدِمُها ويبنِى غيرَها ، ودابَّته يَستبدِلُ بها » . وقال الآخر :

يجدِّدُ أحزاناً لنا كلُّ هالكٍ   ونُسرِعُ نِسْياناً ولَمْ يأْتِنا أَمْنُ
فإنَّا ، ولا كُفـران للهِ ربِّنـا   لكالبُدْن ما تَدْرى متَى يومُها البُدْنُ

الأوزاعىُّ [٥] ، عن مكحول [٦] قال : « إن كان فى الجماعة فضلٌ فإنّ فى العُزلة سلامةً » .

---

(١) ما عدا ل : « حتى إذا ما أتوا » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية « إذا أينعوا » .

(٢) فى هامش هـ ، والتيمورية : « ذكر ابن الأنبارى أن هذه الأبيات لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ، حين دفن فاطمة رضى الله عنهما . وقال ابن الأعرابى : إنها لشقران السلامانى » . وفى الكامل ٧٢٤ ليبسك أن الشعر تمثل به على بن أبى طالب عند قبر فاطمة . وقد روى البحترى فى حماسته ٢٣٣ البيتين الأخيرين .

(٣) ما عدا ل : « دون الممات » . وفى الكامل : « وإن الذى دون الفراق » . وفى حماسة البحترى : « وكل الذى دون الفراق » .

(٤) هو محمد بن المنتشر بن الأجدع بن مالك الهمدانى الكوفى ، روى عن عمه مسروق وابن عمر وعائشة ، وكان من ثقات المحدثين . تهذيب التهذيب .

(٥) الأوزاعى : نسبة إلى الأوزاع ، وهم بنو مرثد بن زيد ، من همدان . وقيل الأوزاع قرية بدمشق ، أو موضع مشهور بدمشق سكنه فى صدر الإسلام بقايا من قبائل شتى . وهو عبد الرحمن بن عمرو بن أبى عمرو الشامى الفقيه . ولد سنة ٨٨ . وكان من فقهاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم ، ونزل بيروت فى آخر عمره فمات بها مرابطا . وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأى الأوزاعى إلى زمن الحكم بن هشام المتوفى سنة ٢٥٦ . وكان فصيحا ذا رسائل مأثورة . توفى سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٢٢٨) .

(٦) مكحول الشامى سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٦) .

أبو جَنَاب الكلبىّ (١) ، عن أبى المجّل (٢) ، عن ابن مسعود قال : « ثلاثٌ من كنّ فيه دَخَل الجنةَ : مَن إذا عرَفَ حقَّ الله عليه لم يؤخِّره ، وكان عملُه الصّالحُ فى العلانيَة على قِوامٍ من السَّريرة (٣) ، وكان قد جَمع ما قد عمِلَ صلاحَ ما يؤمِّل » .

وقال : « كفى موعظةً أنّك لا تحيا إلّا بموت ، ولا تَموتُ إلّا بحياةٍ ».

وقال أبو نُوَاس :

شاع فىَّ الفناءُ سُفلاً وعُلْوَا   وأرانى أموتُ عُضْواً فعُضْوا
ذهبَتْ جِدَّتى بطاعةِ نفسِى   وتذكَّرتُ طاعةَ الله نِضْوا (٤)

وقال الآخر :

وكم من أَكلةٍ منعتْ أخاها   بلذَّةِ ساعةٍ أكلاتِ دَهر
وكم من طالبٍ يَسْعَى لشئٍ   وفيه هلاكُه لو كان يدرى

وقال الآخر :

كلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ فى أَهلِهِ (٥)   والموتُ أدنَى من شِراكِ نَعْلِهِ

وقال الآخر :

استيقِنى فى ظُلَم البيوتِ   أنّك إن لم تقتَلى تموتى

---

(١) هو أبو جناب يحيى بن أبى حية الكلبى الكوفى ، روى عن أبيه والضحاك ابن مزاحم والحسن البصرى وجماعة ، وعنه السفيانان ، والحسن بن صالح ، ووكيع وغيرهم توفى سنة ١٤٧ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما لدى .

(٣) قوام الأمر بالكسر : نظامه .

(٤) النضو ، بالكسر : البعير المهزول من كثرة السير ، شبه نفسه به .

(٥) مصبح : مأتى بالموت صباحا . وقد أنشده فى اللسان (صبح) مسبوقا بقوله : « وفى حديث أبى بكر » .

وقال عنترة بن شدّاد :

بَكَرت تُخَوِّفنى الحتُوفَ كأنَّنى أصبحتُ عن غَرَضِ الحتُوف بمَعزِلِ
فأجَبْتُها إنَّ المنيَّة مَنْهـلٌ لابدّ أن أُسْقَى بكَأْسِ المَنْهَلِ
فاقْنَىْ حياءَكَ لا أبالَكِ واعلَمِى أنّى امرؤ سأموتُ إن لم أُقْتَلِ (١) ١٩٣
إنّ المنيَّةَ لو تُصَوَّرُ صُوِّرَت مِثْلى ، إذا نزلُوا بضَنكِ المنزلِ

وقال أبو العتاهية (٢) :

أُذْنَ حَيٍّ تسمَّعى واسمعى ثمّ عِى وَعى
عِشتُ تِسعينَ حِجَّةً ثم وافيتُ مَضجَعِى (٣)
أنا رهْنٌ بمَصرعى فاحذرِى مثلَ مصرعِى
ليس زادٌ سِوَى التُّقى فخُذِى منه أو دَعِى (٤)

وقال الخليل بن أحمد :

عِشْ ما بدا لك قَصْرُك الموت لا مَهرَبٌ منه ولا فَوتُ (٥)
بَيْنا غِنَى بيتٍ وبهجتُه زال الغِنَى وتقوّضَ البيتُ (٦)

وقال أبو العتاهية :

اسَمعْ فقد أسمَعَكَ الصَّوتُ إن لم تبادِرْ فهُو الفَوتُ
نِلْ كُلّ ما شِيتَ وعش ناعماً آخِرُ هذا كُلِّـهِ الموتُ

---

(١) قنى الحياء ، بكسر النون ، يقناه قنياناً بضم القاف : لزمه وحفظه . والأبيات فى ديوان عنترة ١٨٠ .

(٢) الأبيات التالية أمر أبو العتاهية أن تكتب على قبره . انظر الأغانى (٣ : ١٧٥) والعقد (٣ : ٢٤٨) .

(٣) فى الأغانى : « اسلمتنى لمضجعى » .

(٤) قبل هذا البيت فى الأغانى :

كم ترى الحى ثابتا فى ديار التّزعْزُع

(٥) البيتان فى اللسان (قصر) بدون نسبة . والقصر ، بالفتح : الغاية .

(٦) ما عدا ل : « آل الغنى » .

وقال الوزيرىُّ :

وأعلَمُ أنّنى سأصيرُ مَيْتا ... إذا سار النَّواجعُ لا أسيرُ (١)
وقال السَّائلون مَن المُسَجَّى ... فقال المُخبِرُون لهم : وزيرُ (٢)

وقال أبو العتاهية :

الحقُّ أوسع من مُعَا ... لَجة الهَوى ومَضِيقهِ
لا تعرِضنَّ لكُلّ أمْـ ... ـرٍ أنت غَيرُ مُطيقهِ
والعيشُ يصلُح إن مَزَ ... جْتَ غليظَه برقيقـه
لا يَخدعنّك زُخرف الـ ... ـدُّنيـا بِحُسْنِ بريقِـه
وإذا رأيتَ الرأى مضـ ... ـطرِبـاً فخُـذ بوَثيقِـه
ولرُبّما غَصَّ البخيـ ... ـلُ إذا استُنيل بريقِه (٣)

وقال أيضاً :

مَن أجَابَ الهَوَى إلى كلِّ ما يد ... عُوه ممَّا يَضِلُّ ضَلَّ وتاها
مَن رأى عِبرةً ففكَّر فيها ... آذنته بالبَيْن حين يراها (٤)
ربَّما استغلقَتْ أمور عَلى مَن ... كان يأتى الأمورَ مِن مأتاها
وسيأوى إلى يدٍ كلُّ ما تأْ ... تِى وتأوى إلى يَدٍ حُسنَاها (٥)
قد تكون النّجاة تكرهها النَّفْـ ... ـسُ وتأتى ما كان فيه أذاها (٦)

---

(١) النواجع : جمع ناجع ، فهو من إخوان الفوارس . يقال نجع الراعى الأرض : طلب كلأها ومساقط الغيث فيها .

(٢) المسجى : الميت يسجى عليه الثوب ، أى يمد .

(٣) استيل : طلب نواله . له : « إذا استبل » .

(٤) ل : « آذنته بالشئ » .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « وهيادى إلى يد كل ما » ، تحريف .

(٦) ما عدا ل : « وفيه رداها » .

وقال أيضا :

لو أنَّ عبداً له خزائنُ ما　　　فى الأرض ماعاشَ خَوفَ إملَاقِ
يا عجبا كلنا يَحِيدُ عن الحَيْـ　　　ـن وكلٌّ لِحَينِـــهِ لاقِـــى
كأنَّ حَيًّا قد قام نادبُه　　　والتفَّت السَّاقُ مِنْهُ بالسَّاقِ (١)
واستلَّ منه حياتَه ملَكُ المو　　　ت خفياً وقيل : مَن رَاقِ (٢)

وقال السَّموأل بن عادياءَ اليهوديّ :

١٩٥ تُعَيِّرُنا أنَّا قَليلٌ عَديدُنا　　　فقلتُ لها : إنَّ الكرامَ قليلُ (٣)
وما قلَّ مَن كانت بقاياه مثلَنَا　　　شبابٌ تَسامَى للعُلَى وكُهول
وما ضَرَّنا أنَّا قليلٌ وجارُنَا　　　عزيزٌ وجارُ الأكثرِينَ ذَليلُ (٤)
فنحنُ كماء المُزن مافى نِصابنا　　　كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بخيلُ (٥)
وأسيافُنا فى كلِّ شرقٍ ومغربٍ　　　بها من قِراع الدّارِعِين فُلُولُ (٦)

---

(١) اقتباس من الآية ٢٩ من سورة القيامة . وهو كناية عن شدة كرب الدنيا فى آخر يوم منها ، وشدة كرب الآخرة فى أول يومٍ منها . وقال ابن المسيب والحسن : هى حقيقة ، والمراد ساقا الميت عند مالفا فى الكفن . وقال الشعبى وقتادة : التفافهما لشدة المرض لأنه يقبض ويبسط ، ويركب هذه على هذه . تفسير أن حيان (٨ : ٣٩٠) .

(٢) اقتباس من الآية ٢٧ من سورة القيامة . وذلك إذا مرض الرجل طلبوا له من يرق ويطب ويشفى ، وهو استفهام حقيقة ، أو استفهام إبعاد وإنكار ، وذلك حين اليأس من حياته . ومن المحتمل أن يكون القائل الملائكة ، أى من يرق بروحه إلى السماء ، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب . وقد وقف حفص على « من » سكتا لطيفا ، كما وقف فى « بل ران » ولم يدر وجه قراءاته إلا أن يكون أراد أن يشعر أنهما كلمتان .

(٣) الأبيات فى ديوان الحماسة (١ : ٢٧) ، والأغانى (٦ : ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠) ، وأمالى القالى (١ : ٢٦٩ — ٢٧٠) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ١٧٣) حيث نسب بيتين من القصيدة إلى دكين الراجز .

(٤) الأكثرون : الذين كثر عددهم .

(٥) النصاب : الأصل ، وقد أراد به العدد ، ولم تصرح المعاجم بهذا المعنى . وإنما ذكرت نصاب الزكاة ، وهو استعمال إسلامى . والنصاب : القدر الذى تجب فيه الزكاة . والكهام ، كسحاب : البطىء عن النصرة والحرب .

(٦) الدارِع : لابس الدرع . والفلول : جمع فل ، وهو الثلم .

معوَّدةٌ ألاّ تُسلَّ نصالُها   فتُغمَدَ حتّى يستباحَ قَتيلُ
سلي ، إنْ جَهلتِ ، النّاسَ عنّا وعنهمُ   وليسَ سواءً عالِـمٌ وجَهُـولُ

وقال الرّبيعُ بن أبى الحُقَيق [(١)] :

ومن يكُ غافلاً لم يَلقَ بُوساً   يُنِخْ يوماً بساحتِهِ القضاءُ [(٢)]
تَعاوَرُه بناتُ الدّهرِ حتّى   تُثلِّمَـه كما ثُلِـمَ الإنـاءُ
وكُلُّ شديدةٍ نزلت بحيٍّ   سيأتى بعد شِدّتها رَخاءُ
وبعض خلائق الأقوام داءٌ   كداء الشَّيخِ ليس له شِفَاءُ [(٣)]

وأنشد :

قد حالَ من دونِ ليلى معشرٌ قَزَمٌ   وهم على ذاكَ من دونى مَوَاليها [(٤)]
واللهُ يعلـمُ أنّـى إن نأَتْ حِجَجـا   أو حِيلَ من دُونِها أنْ لست ناسيها [(٥)]

وأنشد :

وليلٍ يقولُ الناس من ظُلمَاتِه   سواءٌ بصيراتُ العُيونِ وعُورُها [(٦)]
كأنّ لنا منه بيوتاً حصينةً   مُسُوحٌ أعاليها وسَاجٌ كُسورُها [(٧)]

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٢١٣) . والبيت الأخير فى الحيوان (٣ : ٦٨) .

(٢) فى الأصول : « ومن يك عاقلا » .

(٣) فى حواشى هـ : « كداء البطن » فى نسخة . وبعده فى الحيوان :

وبعض القول ليس له عناج   كمخض الماء وليس له إتاء

(٤) القزم ، بفتحتين ، وصف يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث ، ومصدره القزم أيضا ، وهو فى الناس : صغر الأخلاق ، وفى المال : صغر الجسم . مواليها ، أى عصباتها وأنصارها .

(٥) ب ، جـ : « أتت حجج » مع أثر تصحيح فى ب لكلمة « حجج » . وفى التيمورية « أتت حججا » وهذه الأخيرة محرفة .

(٦) البيتان لمضرس بن ربعى الأسدى ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢١٠ .

(٧) ما عدا ل : « مسوحا أعاليها وساجا » ، ويه رواية صحيحة نص عليها فى اللسان (سوج) عند إنشاد البيتين ، قال : « إنما نعت بالاسمين لأنه صيرهما فى معنى الصفة ، كأنه قال : مسودة أعاليها مخضرة كسورها . كما قالوا : مررت بسرج خز ، نعت بالخز وإن كان جوهرا لما كان فى معنى لين » . والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو كساء من شعر. والساج : الطيلسان الأخضر . والكسور : جمع كسر ، بكسر الكاف ، وهو جانب البيت .

وقالوا : أتى سعيدُ بنُ عبد الرحمن بن حسان ، أبا بكر بن محمد بن عمرو ابن حَزْم [١] ، وهو عامل سليمانَ بنِ عبد الملك ، فسأله أن يكلّم سليمان فى حاجَةٍ له فوعده أن يقضِيَها ولم يفعَلْ ، وأتى عمرَ بنَ عبد العزيز فكلَّمه فقضى حاجتَه ، فقال سعيد :

١٩٦ ذُمِمتَ ولمْ تُحمَد وأدركتُ حاجتى ... تولَّى سِواكُم شُكرَها واصطناعَها [٢]
أَبى لَكَ فعلَ الخيرِ رأىٌ مُقصِّرٌ ... ونَفْسٌ أضاقَ اللهُ بالخير باعَها
إذا هى حَثَّتْهُ على الخيرِ مرّةً ... عَصَاها وإن هَمّت بشرٍّ أطَاعَها
ستكفيكَ ما ضَيّعْت منه ، وإنّما ... يُضيعُ الأمورَ سادراً من أضاعَها [٣]
وِلايةُ مَن ولَّاك سُوءَ بلائِها ... ووَلّى سواك أجرَها واصْطِنَاعَها

وأنشد :

إذا ما أطعتَ النفسَ مال بها الهوَى ... إلى كلِّ ما فيه عليك مقَالُ [٤]

وأنشد :

حسْب الفتى من عيشه ... زادٌ يبلّغُــهُ المحلاّ
خُبـز ومـــاءٌ باردٌ ... والظلُّ حين يريد ظِلاّ

---

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى الخزرجى القاضى ، وكان واليا لعمر بن عبد العزيز من قبل ، وكان عظيم المروءة ، كثير العبادة كثير الحديث . توفى سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٧٥) . ل : « بن عمر بن حزم » ، تحريف صوابه فى المصادر السابقة وتاريخ الطبرى (٨ : ١٠٢) والأغانى (٧ : ١٥٨) حيث ورد الخبر فى الأخير .

(٢) فى الأغانى :

سئلت فلم تفعل وأدركت حاجتى ... تولى سواكم حمدَها واصطناعها

(٣) ما عدا ل : « سيكفيك ما ضيعت منها » .

(٤) ما عدا ل : « مال بك الهوى » .

وأنشد :

وما العيش إلا شَبعةٌ وتشرُّقٌ وتَمر كأخفاف الرِّباع وماءُ (١)

* * *

قالوا : استبطأ عبدُ الملك بن مروان ، ابنَه مَسلمةَ فى مسيره إلى الرُّوم ، وكتب إليه :

لِمَن الظعَّائنُ سَيْرُهُـنَّ تزحُّـفُ سَيرَ السَّفين إذا تقاعسَ يُجْذَفُ (٢)

فلما قرأ الكتاب مسلمةُ (٣) كتب إليه :

ومستعجبٍ مما يَرى من أناتِنا ولو زَبنتهَ الحَرْبُ لم يترَمْرَمِ (٤)

ومَسْلَمةُ هو القائل عندما دُلِّىَ بعضُهم فى قبره (٥) ، فتمثَّل بعضُ مَن حَضَر فقال :

فما كان قيسٌ هلكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ ولكِنّهُ بنيـانُ قَومٍ تَهدَّمَـا (٦)

---

(١) سبق هذا البيت والبيتان اللذان قبله فى (٢ : ١٨٩) .

(٢) التزحف : السير فى بطء وكلال . تقاعس : تأخر ورجع إلى خلف . ويقال جذف الملاح السفينة : حركها بالمجذاف . ماعدا ل : « يجدف » بالمهملة ، وكلاهما صحيح .

(٣) ما عدا ل : « فما قرأ مسلمة الكتاب » .

(٤) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ٢٨ واللسان (رمم) ومقاييس اللغة (٣ : ٣٨٠) . زبنته الحرب : صدمته ، ومنه حرب زبون . ل : « زنقته » تحريف . لم يترمرم : لم يحرك فاه بالكلام .

(٥) هو عبد الملك بن مروان ، والخبر برواية أخرى فى الأغانى (١٢ : ١٤٨) قال : « لما مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله ، فبكى هشام حتى اختلفت أضلاعه ثم قال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ، فأنت والله كما قال عبدة بن الطبيب :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

قال له الوليد : كذبت يا أحول يا مشئوم ، لسنا كذلك ، ولكنا كما قال الآخر :

إذا مقرم منا ذرا حد نابه تخمط منا ناب آخر مقرم »

(٦) البيت لعبدة بن الطبيب ، المترجم فى (١ : ١٢٢) من أبيات يرثى بها قيس بن عاصم المترجم فى (١ : ٢١٨) . انظر الحماسة (١ : ٣٢٨) والأغانى (٩ : ٩٣ / ١٢ : ١٤٨) وعيون الأخبار (١ : ٢٨٧) : وممن تمثل بهذا الشعر أحمد بن أبى دُوَاد ، تمثل به فى حضرة المأمون ، حين توفى أخوه أبو عيسى صالح بن الرشيد . الأغانى (٩ : ٩٣) .

فقال مَسلمة : لقد تكلّمتَ بكلمةِ شيطانٍ ، هَلَّا قلت (١) :

إذا مُقَرّمٌ منَّا ذَرَا حَدُّ نابِه   تخَمّط فينَا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ (٢)

وكان مَسلمةُ شجاعاً خطيباً ، وبارعَ اللسان جَواداً ، ولم يكن فى ولد عبد الملك مثلُه ومثلَ هِشامٍ بَعده (٣) .

* * *

وقال بعضُ الأعراب يهجو قوماً :

تَصبّر للبلاءِ الحتمِ صَبراً   إذا جاورْتَ حَيَّ بنى أَبَانِ (٤)
أقاموا الدَّيْدَبانَ على يَفَاعٍ   وقالوا : يا آحتَرِسْ ، للدّيْدَبانِ (٥)

---

(١) ل : « لم لا قلت » .

(٢) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ٢٧ واللسان (قرم ، ذرا ، خمط) ومقاييس اللغة (ذرو) . والمقرم : السيد الرئيس من الرجال ، شبه بالمقرم من الإبل ، وهو المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل . ذرا حد نابه : انكسر أو وقع . والتخمط ، أصله للفحل ، وهو أن يهدر ويثور ويشتد غضبه . جعل التخمط للأنياب .

(٣) ترجم مسلمة بن عبد الملك فى (١ : ٢٩٢) . وأما هشام بن عبد الملك فقد ولى الخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ ، وكان أحول شديد انقلاب العين ، جامعا للأموال قليل البذل للنوال ، متيقظا فى سلطانه ، سائسا لرعيته . وفى أيامه ظهر زيد بن على بن الحسين بن على بالكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ يوسف بن عمر الثقفى ، فلقيه يوسف فى جموع عظيمة ، وكان القتال شديدا قتل فيه زيد ومن معه ، ثم صلب بالكناسة . وذلك سنة ١٢٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٩ والطبرى سنة ١٢٢ .

(٤) هم بنو أبان بن عدى بن سنبس . نهاية الأرب (٢ : ٣٠٠) . والأبيات الثلاثة بعده فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤١) .

(٥) فى عيون الأخبار : « وقالوا لا تنم للديدبان » . وفى الأصول هنا : « وقالوا لى احترس بالديدبان » وفى هـ : « احترس للديدبان » ، تحريف . والديدبان بفتح الدالين : الربيئة يربأ للقوم ، وهو فارسى معرب . قال ابن دريد : « ولا أحسب العرب تكلمت به » . المعرب ١٤١ والجمهرة (٣ : ٤١٣ ، ٥٠٠) . وهو بالفارسية : « ديده بان » . مكون من « ديده » بمعنى العين ، أو النظر . و « بان » وهى من اللواحق الفارسية التى تفيد المحافظة والولاية والحراسة ، مثل مرزبان ، وشتربان ، ودربان . اللسان (درب) ومعجم استينجاس ٥٥٢ . واليفاع ، كسحاب : ما أشرف من الأرض وارتفع .

فإن أبصرْتَ شخصاً مِن بَعيدٍ فصَفِّقْ بالبَنَانِ على البَنانِ ١٩٧
تراهُم خشيةَ الأضيافِ خُرساً يقيمون الصلاة بلا أذانِ

وقال بعض الأعراب يمدح قوماً :

وسَارٍ تَعنَّاهُ المَبيتُ فلم يَدَع له حابِسُ الظلماءِ واللّيلِ مَذْهَبا
رأى نارَ زيدٍ من بعيدٍ فخالَها وقد كذَبتهُ النفسُ والظنُّ كوكبا
رَفَعتُ لهُ بالكفِّ نَاراً تشبُّها شآمِيَةٌ نكباءُ أو عارضٌ صَبَا (١)
وقلت:ارفعُوها بالصَّعيد كفَى بها مُشيراً لسارٍ ليلةٍ إن تأوّبا (٢)
فلما أتانا والسماءُ تَبُلُّـهُ نقولُ له: أهلًا وسهلًا ومَرْحَبا
وقمتُ إلى البَرْكِ الهواجِدِ فاتَّقت بكَوماءَ لم يترُكْ لها النِّيُّ مهربا (٣)
فرحَّبتُ أعلى الجَنبِ منها بطعنةٍ
دَعَت مُستَكنَّ الجوْفِ حتَّى تصبّبا (٤)

وقال الآخر :

واستَيقنى فى ظُلَم البُيُوتِ أنَّك إنْ لم تُقتَلى تَموتى

وقال أبو سعيد الزّاهد : « من عمِلَ بالعافية فيمن دُونَه رُزِقَ العافيةَ ممن فوقَه (٥) » .

---

(١) شآمية : ريح تهب من قبل الشام . والنكباء : الريح بين ريحين . والصبا : ريح تهب من مطلع الشمس .

(٢) الصعيد : المرتفع من الأرض . بها ، بالنار . ما عدا ل : « بنا » تحريف . وتأوب : رجع .

(٣) البرك ، بالفتح : الإبل البوارك ، الواحد بارك والواحدة باركة . والهواجد : النوائم . والكوماء : الناقة العالية السنام . والنى بفتح النون وكسرها : الشحم . يقول : قد أغراه بها كثرة الشحم فنحرها ، فوقت بذلك سائر البرك .

(٤) أراد بالترحيب التوسيع . وقد نصت المعاجم على الإرحاب فحسب ، ومنه قول الحجاج حين قتل ابن القرية : « أرحِب يا غُلام جرحه » .

(٥) ما عدا ل : « أعطى العافية ممن فوقه » . والعافية : صرف الأذى .

قال : وقال عيسى بن مريم عليه السلام : « فى المال ثلاثُ خصال ، أو بعضُها » . قالوا : وما هى يا رُوح الله ؟ قال : « يكسبُهُ من غَيْرِ حِلّه » . قالوا : فإن كسَبه من حِلّه ؟ قال : « يمنعه مِن حَقّه » . قالوا : فإن وضعَهُ فى حَقّه ؟ قال : « يشْغلُه إصلاحُه عن عبادَةِ ربّه » .

قال : قيل لرجل مريضٍ : كيف تجدُكَ ؟ قال : أجدُنى لم أرضَ حياتى لموتى .

سعيد بن بشير [١] ، عن أبيه ، أنَّ عبد الملك قال حين ثَقُل ورأى غَسّالاً يلوى ثوباً بيده : « ودِدْتُ أنْ كنتُ غَسَّالاً [٢] لا أعيش إلّا مما أكتَسِبُ يوماً
١٩٨ بيومٍ [٣] » . فذُكِرَ ذلك لأبى حازم [٤] فقال : الحمد الله الذى جعلَهم عند الموت يتمنَّوْن ما نحنُ فيه ، ولا نتمنَّى عند الموت ما هُم فيه .

الهيثم قال : أخبرنى موسى بن عُبيدة الرَّبَذِىّ [٥] عن عبد الله بن خِدَاش الغِفارِىّ قال : قال أبو ذَرّ : فارقت رسول الله ﷺ وقُوتى من الجمعة إلى الجمعة مُدٌّ [٦] ، ولا والله لا أزداد عليه حتَّى ألقاه » .

قال : وكان يقول : إنّما مالُكَ لك ، أو للجائحة ، أو للوارث . فاغْنَ ولا تكنْ أعجزَ الثّلاثة .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن سعيد بن بشير الأزدى البصرى ، روى عن قتادة والزهرى والأعمش ، وعنه : وكيع وهشيم وبقية وغيرهم . وكان أبوه بشير قد أقدمه البصرة ، فبقى يطلب الحديث مع سعيد ابن أبى عَروبة . توفى سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) ما عدا ل : « أنى كنت غسالا » .

(٣) ما عدا ل : « يوماً فيوما » .

(٤) أبو حازم الأعرج ، ترجم فى (١ : ٣٦٤) .

(٥) ما عدال ، هـ : « الزبدى » تحريف . والربذى : نسبة إلى الربذة ، بفتح الراء والباء ، وهى من قرى المدينة على ثلاثة أميال ، وبها قبر أبى ذر الغفارى . وموسى بن عبيدة بن نشيط بن عمرو بن الحارث الربذى ، قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وضعفه آخرون . توفى سنة ١٥٢ . تهذيب التهذيب . ومعجم البلدان (الربذة) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر مخطوط التيمورية .

(٦) المد ، بضم الميم ، ضرب من المكاييل ، وهو ربع صاع .

فُضَيْل بن عياضٍ ، عن المُطَّرِح بن يزيد (١) ، عن عُبيد الله بن زَحْرٍ (٢) ، عن علي بن يزيدَ (٣) عن القاسم (٤) مولى يزيد بن معاوية ، عن أبي أُسامة الباهلي (٥) قال : قال عمر رحمه الله :

« أدِّبوا الخيل ، وتسوَّكوا ، واقعُدوا في الشمس ، ولا تُجَاوِرَنَّكم الخنازير ، ولا يُرفَعنَّ فيكم صَليب ، ولا تأكلوا على مائدة يُشْرَبُ عليها خمر (٦) ، وإيَّاكم وأخلاقَ العجمَ ، ولا يحلُّ لمؤمنٍ أن يدخُل الحمَّامَ إلا بمئزر ، ولا لامرأةٍ إلّا مِن سُقْمٍ ؛ فإنَّ عائشة حدّثتني قالت : حدَّثَني خليلي عَلَى مِفْرَشي هذا (٧) : إذا وضَعَتِ المرأة خمارَها في غير بيت زوجها هَتكَت مابينها وبين الله فلم يَتناهَ دون العَرْش » .

---

(١) المطرح ، بضم الميم وتشديد الطاء المفتوحة وكسر الراء . وهو المطرح بن يزيد الأسدي الكناني الكوفي ، روى عن عبيد الله بن زَحْر ، وبشر بن نمير ، وأبي طاهر وجماعة . وروى عنه عاصم بن أبي النجود ومات قبله ، والأعمش ، والحسن بن صالح وغيرهم . وذكروا أنه كان ضعيف الحديث . تهذيب التهذيب ، والتقريب .

(٢) هو عبيد الله بن زَحْر الضمري مولاهم الإفريقي . ولد بإفريقية ودخل العراق في طلب العلم ، فكان من شيوخه علي بن يزيد الألهاني ، وخالد بن أبي عمران ، والأعمش . قال ابن حبان : إذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات . وزحر ، بفتح الزاي وسكون الحاء . تهذيب التهذيب ، والخلاصة .

(٣) هو علي بن يزيد بن أبي هلال الألهاني الدمشقي . والألهاني : نسبة إلى ألهان بن مالك ، وهو أخو همدان بن مالك . وكان علي فاضلا ، أدرك أربعين من المهاجرين والأنصار ، وقد تكلم فيه علماء الرجال وضعفوه . توفي في العشر الثاني بعد المائة . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٤) هو أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي ، مولى آل أبي سفيان بن حرب ، وقيل كان مولى لجويرية بنت أبي سفيان فورث بنو يزيد بن معاوية ولاءه ، فلذلك يقال : مولى بني يزيد بن معاوية . وكان ممن رحل إلى القسطنطينية . قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : ما رأيت أحداً أفضل من القاسم ، كنا بالقسطنطينية فكان الناس يُرزَقون رغيفين رغفين في كل يوم ، فكان يتصدق برغيف ، ويصوم ويفطر على رغيف . توفي سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب .

(٥) هو الصحابي الجليل أبو أمامة صُدَيّ بن عجلان بن وهب الباهلي . وصدى بهيئة التصغير . وكان أبو أمامة ممن بايع تحت الشجرة ، وشهد أحدا وصفين مع علي . وكان آخر صحابي مات بالشام . توفي سنة ٨٦ . الإصابة ٤٠٥٤ وتهذيب التهذيب .

(٦) ما عدا ل : « الخمر » .

(٧) المفرش ، بكسر الميم . وفي اللسان : « المفرش شيء كالشاذكونة » . والشاذكونة بالفارسية كل ما يتكأ عليه . استينجاس ٧٢٢ . وفي اللسان أيضاً : « والمفرشة : شيء يكون على الرحْل يقعد عليها الرجُل ، وهي أصغر من المفرش » .

ومن نساك البصرة وزهادهم

عامر بن عبد قيس ، وبَجَالة بن عَبَدَة العنبرِيَّان [١] ، وعثمان بن الأدهم والأسود بن كلثوم [٢] ، وصِلَةُ بن أشيم [٣] ، ومذعور بن الطُّفيل [٤] .

ومن بنى مِنقَر : جعفر [٥] وحرب ابنا جِرْفاس . وكان الحسن يقول : إنى لا أرى كالجعفرَيْنِ جعفراً . يعنى جعفر بن جرفاسٍ ، وجعفرَ بن زيدٍ العبدِى .

ومن النساء . مُعاذةُ العَدويّةُ ، امرأة صِلَةَ بنِ أشيم ، ورابعة القيسيَّة [٦] .

زهـاد الكـوفة

عمرو بن عُتْبَة [٧] ، وهَمَّام بن الحارث [٨] ، والرَّبيع بن خُثَيم [٩] ، وأُوَيْس القَرَنىُّ [١٠] .

---

(١) عامر بن عبد قيس ترجم فى (١ : ٨٣) . وأما بجالة فهو بجالة بن عَبَدة التميمى العنبرى البصرى ، كاتب جزء بن معاوية فى خلافة عمر ، وقد أدرك النبى ﷺ ولم يره . وبجالة كسحابة ، وعبدة بالتحريك . الإصابة ٧٥٧ وتهذيب التهذيب .

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٣) ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١٧٤ من هذا الجزء .

(٥) ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ١٥٤ . وقال : « كان من عباد أهل البصرة المعدودين » ، ثم ساق خبر الحسن التالى . والجرفاس ، بكسر الجيم ، معناه الأسد . وأما حرب فلم أجد له ترجمة .

(٦) ترجمت معاذة ورابعة فى (١ : ٣٦٤) .

(٧) عمرو بن عتبة بن فرقد ، ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٨) هو همام بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن حارثة النخعى الكوفى العابد . قالوا : كان لا ينام إلا قاعداً ، وكان يدعو ويقول : « اللهم اكفنى من النوم باليسير ، وارزقنى سهراً فى طاعتك » . توفى فى إمارة عبد الله بن يزيد الخطمى على الكوفة سنة ٦٥ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٨) .

(٩) ترجم فى (١ : ٣٦٣) . ما عدا ل ، هـ : « خيثم » ، والأوفق ما أثبت .

(١٠) هو أويس بن عامر القرنى ، بفتح القاف والراء ، نسبة إلى قَرَن بن رَدْمان ، وهم حى من مراد بن مذحج . أدرك أويس حياة الرسول ، وشهد صفين مع على ، وفيها قتل . الإصابة ٤٩٧ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٣) .

قال الراجز :

من عاشَ دهراً فسيأتيه الأجَلْ والمرءُ تَوّاقٌ إلى ما لم يَنَلْ ١٩٩

المَوْت يتلُوهُ ويُلْهِيه الأمَلْ

وقال الآخر (١) :

كلُّنا يأمُلُ مدًّا فى الأجَلْ والمنايا هى آفاتُ الأمَلْ

وقال الآخر :

لا يغُرَّنْكَ مَسَاءٌ ساكنٌ قد يُوَافِى بالمنيَّات السَّحَرْ (٢)

وقال الآخر :

أنت وهَبتَ الفتية السَّلَاهِبْ (٣) وهَجمةً يَحارُ فيها الحالِبْ (٤)

وغَنماً مثل الجَرَادِ السارب (٥) مَتاعَ أيّامٍ ، وكُلٌّ ذاهِبْ

وقال المسعودىّ :

إن الكـرامَ مُناهِبُـو ك المجدَ كلُّهم فناهِبْ

أخلِفْ وأتلِف ، كلُّ شى ءٍ زعزعتهُ الرِّيح ذاهِبْ (٦)

---

(١) هو أبو النجم العجلى ، كما فى الحيوان (٦ : ٥٠٨ - ٥٠٩) .

(٢) ما عدا ل : « عشاء ساكن » و « بالمنيات الأجل » . ونحو هذا فى المعنى قول القائل فى ص ٢٠٢ وقد سبق فى الحيوان (٦ : ٥٠٨) :

يا راقد الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

(٣) الفتية ، كذا وردت فى جميع النسخ والحيوان (٣ : ٧٥) . وظنى أنها القنية ، وهى بالكسر : كل ما اكتسب . والسلاهب : جمع سلهب ، وهو من الخيل الطويل على وجه الأرض .

(٤) الهجمة ، بالفتح : عدد عظيم من الإبل .

(٥) السارب : الذاهب على وجهه فى الأرض .

(٦) البيت فى الحيوان (٣ : ٧٦) . وسيعيد إنشاد البيتين فى ص ٢٥٢ و ٤ : ٦٩ .

وقال التَّيميُّ (١) :

إذا كانت السّبعونُ سنَّك لم يكن ... لدائك إلّا أن تموتَ طبيبُ
وإنَّ امرأً قد سار سبعين حِجّةً ... إلى منهَلٍ من وردِهِ لقَرِيبُ (٢)
إذا ما مَضَى القرنُ الذى كنتَ فيهم ... وخُلِّفْتَ فى قَرْنٍ فأنتَ غَريب (٣)
إذا ما خلوتَ الدّهرَ يوماً فلا تَقُل ... خلوتُ ولكن قُلْ : عَلَىَّ رقيبُ

وقال غَسّانُ خالُ الغَدَّار :

ابيضّ منِّى الرأسُ بعد سَوَادِ ... ودعا المَشيبُ حليلتِى لبِعادِ (٤)
واستحصَدَ القرنُ الذى أنا منهمُ ... وكفَى بذاكَ عَلَامةً لحَصَادِى (٥)

* * *

قال : كان علىّ بن عيسى بن ماهان (٦) ، كثيراً ما يقول : ﴿ رَبَّنَا أَفرِغ علينا صَبْراً وتوفَّنا مُسلمين ﴾ (٧) .

٢٠٠ وكان كثيراً ما يقول : ويلٌ للظالمين من الله !

---

(١) جعله ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) « الحجاج بن يوسف التيمى » . وأراه تحريف ناسخ .

(٢) فى أمالى القالى (٢ : ١) : « خمسين حجة » . قال : « كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة ابن مسلم : إنى نظرت فى عمرى فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة ، وأنت نحوى فى السن ، وإن امرأ قد سار إلى منهل خمسين عاما لقَمِنٌ أن يكون دنا منه . فسمع التيمى منه هذا فقال :

وإن امرأ قد سار خمسين حجة ... إلى منهل من ورده لقريب »

وقد رويت القصة والأبيات الأربعة فى عيون الأخبار ، برواية : « سبعين حجة » .

(٣) القرن بالفتح : مثلك فى السن . وبالكسر : نظيرك فى الشجاعة والشدة .

(٤) الحليلة : الزوجة. ما عدا ل : « ببعاد » .

(٥) استحصد النبت : حان حصاده ، مثل أحصد .

(٦) كان على بن عيسى بن ماهان هو والفضل بن الربيع من رجال الأمين ، وكان على بن عيسى صاحب أمره كله . وعقد له فى سنة ١٩٥ على كور الجبل كلها : نهاوند وهمذان وقم وأصفهان ، حربها وخراجها . وقد شخص فى هذه السنة إلى حرب المأمون حتى بلغ الرى ، فلقيه طاهر بن الحسين ، واستمر القتال بينهما إلى أن قتل علىٌّ سنة ١٩٥ . تاريخ الطبرى (١٠ : ١٣٨ — ١٤١) .

(٧) من الآية ١٢٦ فى سورة الأعراف .

وقال محمد بن واسع (١) الإبقاء على العمل أشدُّ من العمل (٢) .

وكان أبو وائلٍ النهشليّ يقول فى أوّل كلامه : إنّ الدّهرَ لا يذوقُ طعمَ ألم الفراق ولا يُذيقُهُ أهْلَه ، وإنما يَغْتَمِسُون فى ليلٍ (٣) ، ويطفُون فى نهار ، فيُوشكُ شاهدُ الدنيا أن يغيب ، وغائبُ الآخرة أن يَشهَد .

قال : وسأل رجُل رَجُلًا ، فقال المسئول : اذهب بسلام ! فقال السائل : قد أنصفَنَا مَن رَدَّنا إلى الله .

الحِزاميُّ (٤) ، عن سفيان بن حمزة (٥) عن كَثير بن الصَّلت (٦) أن حَكيم ابن حزامٍ (٧) باعَ دارَه من معاوية بستِّينَ ألفَ درهم ، فقيل له : غَبَنَك والله معاوية ! فقال : والله ما أخذتها فى الجاهلية إلا بزقٍّ من خمرٍ ، أُشهِدكم أنّها فى سبيل الله ، فانظرُوا أيُّنا المغبون ؟! (٨).

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٣) .

(٢) فى الأصول : « الاتقاء » تحريف . ومثل هذا التحريف ما ورد فى عيون الأخبار (٢ : ٣٦١) من قول أبى حازم : « إنى لأرضى أن يتقى أحدكم على دينه . كما يتقى على فعله » .

(٣) ما عدا ل : « ينغمسون » وفى هـ : « تنغمسون » و « تطفون » وكله صحيح ، يقال غمسه فانغمس واغتمس .

(٤) ب ، جـ . « الخزامى » .

(٥) هو سفيان بن حمزة بن سفيان بن فروة الأسلمى ، روى أيضاً عن كثير بن زيد الأسلمى ، وعروة بن سفيان ، وكان صالح الحديث . تهذيب التهذيب .

(٦) كثير بن الصلت بن معديكرب بن وليعة شرحبيل بن معاوية الكندى قيل : له إدراك ، روى عن جمع من كبار الصحابة ، وذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة ، وقيل كان اسمه قليلا فسماه عمر كثيرا . وكان له شرف وحال جميلة ، وإليه اختصم الشماخ وزوجه وكان عثمان قد أقعده للنظر بين الناس . الإصابة ٧٤٧٣ وتهذيب التهذيب .

(٧) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى الأسدى ، وهو ابن أخى خديجة بنت خويلد زوج رسول الله . ولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة . وفيه ورد الحديث : « من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » . وكان من المؤلفة قلوبهم ، وشهد حنينا وأعطى من غنائمها مائة بعير ، ثم حسن إسلامه . الإصابة ١٦٩٥ .

(٨) الخبر روى بوجه آخر فى الإصابة . قال : « وكانت دار الندوة بيده ، فباعها بعد من معاوية بمائة ألف درهم ، فلامه ابن الزبير فقال له : يا ابن أخى ، اشتريت بها داراً فى الجنة ! فتصدق بالدراهم » . ما عدا هـ : « فانظر » .

قال سُفيان الثَّورى : ليس مِن ضَلالةٍ إلّا عليها زِينة ، فلا تعرضنَّ دِينَك لمن يُبغّضه إليك .

وقال عمر بن عبد العزيز : مَن جعل دينه غَرَضاً للخُصومات أكثر التنقُّل .

وأتى مسلماً نصرانىٌّ يُعزّيه ، فقال له : مِثلى لا يُعزّى مِثلَك ، ولكن انظر إلى ما زَهِدَ فيه الجاهل فارغَبْ فيه .

وكان الحسنُ بن زيدِ بن على بن الحسين بن علىّ يُلَقّب ذا الدّمعة [1] ، فإذا عُوتِب فى كثرة البُكاء قال : وهل تركتِ النارُ والسَّهمانِ لى مَضْحَكاً ! يُرِيد قتل زيد بن على ، ويحيى بنِ زيد [2] .

وقيل لشيخٍ من الأعراب : قُمْتَ مَقاماً خِفْنا عليك منه ! قال : آلموتَ أخاف ، شيخ كبيرٌ وربٌّ غفورٌ ، ولا دَيْنَ ولا بنات .

وقال أبو العتاهية :

وكما تبلَى وجوهٌ فى الثَّرَى　　　فكذا يَبلَى عليهنّ الحَزَنْ

وقال بَشّار :

كيف يَبكى لمَحْبِس فى طُلُولٍ　　　من سَيُفضِى لحبس يومٍ طويلِ [3]
إنّ فى البَعْثِ والحساب لَشُغلًا　　　عن وُقوفٍ برَسم دارٍ مُحِيلِ

وقال محمود الورّاق [4] : ٢٠١

أليس عجيباً بأنّ الفتى　　　يُصَاب ببعض الذى فى يديهِ

---

(١) ل : « الحسن بن زيد بن على بن الحسين بن على كان يلقب ذا الدمعة » .

(٢) زيد بعدها فيما عدا ل : « أخاه » والوجه « أخيه » .

(٣) المحبس ، بكسر الباء : اسم لموضع الحبس ، ويكون أيضاً المصدر كقوله تعالى : (إلى الله مرجعكم) أى رجوعكم ؛ وقوله : (ويسئلونك عن المحيض) ، أى الحيض .

(٤) ل : « محمود الوراق النحاس » .

فمن بين باكٍ له مُوجَعٍ   وبين مُعزٍّ مُغِذٍّ إليه (١)
ويسلبُهُ الشَيبُ شرخَ الشبابِ   فليس يعزِّيه خلقٌ عليه (٢)

وقال أيضاً :

بكيتُ لقُرْبِ الأجَلْ   وبُعْد فوات الأمَلْ (٣)
ووافِدِ شيبٍ طَرَا   بعَقْب شبابٍ رَحَلْ
شبابٌ كأَنْ لم يَكُنْ   وشيبٌ كأَنْ لم يَزَلْ
طَوَاك بَشيرُ البقاءِ   وحَلَّ بشيرُ الأجَلْ
طَوَى صاحبٌ صَاحباً   كذاك اختلافُ الدُّوَلْ

وقال (٤) :

رأيتُ صلاحَ المرءِ يُصْلِحُ أهْلَهُ   ويَعْديهمُ داءُ الفسادِ إذا فَسَدْ
يُعَظَّمُ فى الدنيا بفضل صلاحه   ويُحفَظُ بعد الموت فى الأهل والوَلَدْ

وقال الحسن بن هانىء :

أَيَّةَ نارٍ قَدَح القادِحُ   وأىَّ جِدٍّ بلَغَ المازِحُ
للهِ دَرُّ الشَّيبِ من واعِظٍ   وناصحٍ لو حَظِىَ الناصِح
يأبَى الفتَى إلّا اتّباعَ الهَوَى   ومَنهجُ الحقِّ له واضحُ
فَاسمُ بعينَيك إلى نسوَةٍ   مُهورُهُنّ العَمَلُ الصّالحُ
لا يجتلى الحسناءَ من خدرِها   إلّا امرؤٌ ميزانُه راجِحُ (٥)

---

(١) المغذ : المسرع . والإغذاذ : الإسراع فى السير .
(٢) شرخ الشباب : أوله ونضارته وقوته .
(٣) فى الشعراء ٨٤٣ أن الشعر لعلى بن جبلة وانظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢٦) .
(٤) ما عدا ل : « وقال محمود أيضاً » .
(٥) هـ : « العذراء » . الديوان ١٩٢ . « الحوراء » . ل : « لن يجتلى الحسناء » .

مَن اتَّقى اللهَ فذاك الذى ... سيق إليه المَتْجَرُ الرّابحُ

٢٠٢ وقال أيضاً :

خَلِّ جنبيك لرامِ ... وامضِ عنهُ بسَلَامِ
مُتْ بداءِ الصّمت خيرٌ ... لك من داءِ الكلام
إنّما السالّم مَن ألْـ ... ـجَمَ فاهُ بلجَامِ
رُبّما استفتَحتَ بالقو ... ل مَغاليقَ الْحمام (١)
رُبَّ لَفظٍ سَاقَ آجا ... لَ فِئام وفِئامِ (٢)
فالبَس الناس على الصِّـ ... ـحَّةِ منهم والسَّقامِ (٣)
والمنايـــا آكـــلاتٌ ... شاربـــاتٌ لِلأَنام
شبتَ ياهٰذَا وما تَتْـ ... ـرُكُ أخلاقَ الغلامِ

وقال أيضاً :

كُنْ من الله يكُنْ لك ... واتَّـقِ اللهَ لعـلَّكْ
لا تكُنْ إلّا مُعِدًّا ... للمنايـــا فكـــأنَّكْ
إنّ للمَوْتِ لسَهْماً ... واقعاً دُونك أوْ بكْ
نحنُ نجرِى فى أفَا ... نينِ سُكونٍ وتحرُّكْ
فعلى اللهِ تَوَكّـلْ ... وبِتقـــواهُ تمسَّكْ

وله أيضاً :

يا نُوَاسىُّ تفكَّرْ ... وتَعَزَّ وتصبّرْ (٤)

---

(١) ما عدا ل : « بالمزح » . والمغاليق : جمع مغلاق ، وهو المرتاج ، وهو ما يغلق به الباب .

(٢) حـ : « لفئام » وبذلك غيرت فى ب . والفئام : الجماعة الكثيرة من الناس .

(٣) بدله فيما عدا ل :

« فالزم الصمت فإن الـ ... ـصمتَ أبقى للجمام »

(٤) فى الديوان ١٩٦ : « يا نواسى توقر » .

ساءَكَ الدّهرُ بشيءٍ　　ولَمَا سرّك أكثرْ
يا كبيرَ الذَّنب عفوُ　　اللهِ من ذنبك أكبَرْ
أكبر الأشياءِ فى أصـ　　ـغرِ عفوِ اللهِ يصغرْ (١)

وقال سعدُ (٢) بن ربيعةَ بن مالِك بن سعد بن زَيد مَناةِ بن تميم :

أَلَا إنّمَا هذا المُلالُ الذى تَرَى　　وإدْبَارُ جسمى مِن رَدَى العَثَراتِ (٣)
وكَم من خليلٍ قد تجلَّدْتُ بعدَهُ　　تَقطّعُ نفسى دونَهُ حَسَراتِ (٤) ٢٠٣

وهذا من قديم الشِّعْر :

وقال الطِّرِمّاحُ بن حَكيم (٥) ، فى هذا المعنى :

وشَيّبنى أن لا أزالُ مُناهِضاً　　بغيرِ قُوَى أنْزو بِهَا وأَبُوعُ (٦)
وإنّ رجالَ المالِ أضْحَوْا ومالُهم　　لَهم عند أبواب الملُوك شفيعُ
أمُخترِمِى رَيْبُ المَنونِ ولم أنل　　من المالِ ما أعصِى به وأطِعُ (٧)

ومن قديم الشعرِ قول الحارث بن يزيد ، وهو جَدُّ الأُحَيمِرِ اللِّصّ السعدىّ : (٨)

لا لَا أعُقّ ولا أحُو　　بُ ولا أُغِيرُ على مُضَرْ (٩)

---

(١) البيت من ل ، هـ فقط ، وأثبت فى هامش التيمورية ، وفى الديوان : « عن أصغر عفو الله أصغر » ، صواب هذا « من أصغر » .
(٢) ما عدا ل هـ : « سعيد » .
(٣) فى حواشى هـ : « مأخود من الملة يعنى الحرارة وهى الحمى » .
(٤) ما عدا ل : « بعده حسرات » .
(٥) « بن حكيم » من ل فقط . وسبقت ترجمته فى (١ : ٤٦) .
(٦) باع يبوع : بسط باعه فى المشى . والباع : قدر مد اليدين ، أصله فى الدابة .
(٧) اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته من بينهم .
(٨) الأحيمر السعدى ، شاعر من لصوص العرب ، مثل عبيد بن أيوب العنبرى ، ترجم له ابن قتيبة فى الشعر والشعراء . وقال : « وهو متأخر ، وقد رآه شيوخنا » . وهو القائل :
عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى　　وصوت إنسان فكدت أطـير
(٩) أحوب ، من الحوب ، وهو الإثم . المصدر بفتح الحاء ، والاسم بضمها .

لَكِنَّما غَزْوِى إذا ضَجَّ المَطىُّ من الدَّبَرْ (١)

وقال آدمُ بن عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز (٢) :

وإن قالت رجالٌ قد تولَّى زمانكُمْ وذا زَمن جَدِيدُ
فما ذَهَبَ الزّمانُ لنا بمجدٍ ولا حَسَبٍ إذا ذُكِرَ الجُدُودُ
وما كُنَّا لنخلُدَ إذْ مَلَكنا وأىُّ النّاس دام له الخلودُ

وقيل لأخيه بعد أن رأوه حمّالًا : لقد حطَّكَ الزّمان ، وعضَّك الحَدَثان ، فقال : ما فَقدْنا مِن عيشِنَا إلّا الفُضول !

وقال عُروةُ بنُ أذينة الكنانىُّ :

نُرَاعُ إذا الجنائزُ قابلتنا وَيَحْزُننا بكاءُ الباكياتِ (٣)
كرَوعَةِ ثَلَّةٍ لمُغارِ ذِئبٍ فلَمَّا غاب عادت راتعاتِ (٤)

وقالت خَنساءُ بنتُ عمرٍو :

تَرتعُ ما غَفلَت حتى إذا ادّكَرَت فإنّما هى إقبالٌ وإدبارُ (٥)

---

(١) أنشد الجاحظ البيتين فى الحيوان (١ : ١٣٣) ، وعقب بقوله : « إنما فخر بالغزو فى ذلك الزمان » . وأنشدهما كذلك فى (٣ : ٥/٧٧ : ٢٣) المطى : جمع مطية . ضج : صاح ، والمراد اشتد ألمه . والدبر ، بالتحريك : جمع دبرة ، وهى قرحة الدابة .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « آدم بن عبد العزيز بن عبد العزيز » ، تحريف . وهو حفيد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . وهو أحد من منّ عليه أبو العباس السفاح من بنى أمية . وكان فى أول أمره خليعاً ماجناً منهمكا فى الشراب ، ثم نسك بعد ما عمِّر ، ومات على توبة ومذهب جميل ، وكان المهدى يقربه ويصطفيه . الأغانى (١٤ : ٥٨ - ٦٠) . وانظر تاريخ بغداد (٧ : ٢٧) .

(٣) البيتان فى الحيوان (٦ : ٥٠٧) وعيون الأخبار (٣ : ٦٢) . وفى عيون الأخبار : « ونلهو حين تخفى ذاهبات » .

(٤) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمغار : مصدر ميمى من أغار . الحيوان : « لمغار سبع » .

(٥) من مرثية لها فى أخيها صخر . والبيت فى صفة ناقة ثكلت ولدها . وقبله :

فمـا عجـول على بو تطيـف بـه قد ساعدتها على التحنـان أظـآر

ما غفلت ، أى عن ذكر ولدها . جعلتها لكثرة ماتقبل وتدبر كأنها تجسّمت من الإقبال والإدبار . انظر الحيوان (٦ : ٥٠٧) والخزانة (١ : ٢٠٨) .

٢٠٤

وقال أبو النجم :

فلو ترى التُّيوسَ مُضْجَعاتِ   عَرَفتَ أن لَسْنَ بسالماتِ
أقول إذ جئن مُذبَّحاتِ   ألم تكن من قبلُ راتعاتِ (١)
ما أقربَ الموتَ من الحياة

وقال سليمان بنُ الوليد (٢) :

رُب مَغْرُوسٍ يُعاش به   عَدِمتَهُ كفُّ مغترِسِهْ (٣)
وكذاك الدَّهرُ مأتَمهُ   أقربُ الأشياءِ من عُرُسِه

وقال آخر :

يا راقِدَ اللَّيلِ مَسرُوراً بأوَّلِه   إنَّ الحوادِثَ قد يطرُقنَ أسحَارا (٤)

وقالت امرأةٌ فى بعض الملوك (٥) :

أبكيكَ لا للنَّعيم والأُنسِ   بل للمعالى والرُّمحِ والفَرسِ
أبكى على فارسٍ فُجِعتُ بِهِ   أرملَنى قبل لَيلَةِ العُرُسِ

---

(١) ما عدا ل : « رابعات » . وفى سائر النسخ : « واقعات » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٢) هو سليمان بن الوليد الأعمى ، أخو مسلم بن الوليد الأنصارى . قال الجاحظ فى الحيوان (٤ : ١٩٥) حيث أنشد الشعر : « وكانوا لايشكون بأن سليمان هذا الأعمى كان من مستجيبى بشار الأعمى ، وأنه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدين » . وقد جعله ياقوت فى إرشاد الأديب (١١ : ٢٥٥) والصفدى فى نكت الهميان ١٦٠ ابناً لمسلم . قال ياقوت : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى ، الشاعر المعروف . كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهماً بدينه . مات سنة ١٧٩ » . والشعر فى المرجعين المتقدمين وعيون الأخبار (٣ : ٦١) وفيها أنه « سليمان الأعجمى » . و « الأعجمى » تحريف « الأعمى » .

(٣) ل فقط : « عدمته عين مفترسه » .

(٤) ل : « مسروراً برقدته » ، وأثبت مافى سائر النسخ والحيوان (٦ : ٥٠٨) . والبيت لأبى العتاهية فى ديوانه ١٢٠ ، وقد نسب مع قرين له فى تفسير القرطبى إلى ابن الرومى . وذلك فى سورة الطارق .

(٥) المرأة ، هى بيت عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، وكانت مملكة ، أى معقوداً عليها ، للأمين بن هارون الرشيد ، فقالت الشعر التالى ترثيه به حين قتل . الحيوان (٣ : ٨٩) والطبرى (١٠ : ٢١٠) . وفى العقد (٣ : ٢٧٧) أنها لبابة بنت على بن ريطة . ترثى زوجها المأمون ، وكان قتل عنها ولم يبن بها . وفى الطبرى أيضاً (١٠ : ٢١٠) أنها لبابة بنت على بن المهدى .

أخلاط من شعر ونوادر وأحاديث

قال هُبَيرةُ بنُ أبى وَهبٍ المخزومى (١) :

وإنَّ مقال المرءِ فى غير كُنهِه لكالنَّبلِ تَهْوِى ليسَ فيها نصالُهَا (٢)

وقال الرّاجز :

والقولُ لا تَملكُهُ إذَا نما كالسَّهم لا يَرجِعُهُ رامٍ رَمى

وإلى هذا ذهبَ عامِرٌ الشَّعبىُّ حيث يَقُول : « وإنّك على إيقاعِ ما لم تُوقع أقدَرُ مِنكَ عَلَى رَدِّ ما قد أوقَعت » .

وأنشد :

فداويتُهُ بالحِلم والمرءُ قادِرٌ عَلَى سَهمِه مادامَ فى كفِّهِ السَّهمُ (٣)

وقال الأنصارىّ (٤) :

وبَعضُ القولِ ليسَ له حَصَاةٌ كمَحْضِ الماءِ ليس له إتاءُ (٥)

وبعضُ خلائق الأقوام داءٌ كداء الشيخ ليس له دَواءُ (٦)

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١٩) .

(٢) فى غير كنهه ، أى فى غير وجهه . وقد سبق البيت فى (٢ : ٢٩١) .

(٣) البيت لمعن بن أوس المزنى فى ديوانه ٦ ليبسك ، وحماسة البحترى ٣٨٢ ، برواية : « فبادرت منه النأى » .

(٤) هو قيس بن الخطيم الأنصارى . ديوانه ٢٧ – ٢٨ ، والبيان (٢ : ٢٧٩) . وانظر ماسبق فى ص ١٨٦ من نسبة بعض الشعر إلى الربيع بن أبى الحقيق . والبيتان فى الحيوان (٣ : ٦٨) مع نسبتهما إلى بعض الأنصار .

(٥) الحصاة ، ها هنا : العقل . قال كعب بن سعد الغنوى :

وإن لسان المرء ما لم يكن له حصاة ، على عوراته لدليل

والإتاء ، بالكسر : الزبد .

(٦) فى ١٨٦ : « ليس له شفاء » . وفى هامش هـ : « كداء البطن » .

وقال الآخر : ٢٠٥

ومَوْلًى كداءِ البطن أمّا لقاؤهُ فحِلمٌ وأما غيبُهُ فظَنونُ [١]

وقال الآخرُ :

تَقَسَّمَ أولادُ المُلِمَّةِ مغنَمِي جِهاراً ، ولم يَغلبكَ مثل مُغلَّبِ [٢]

وقال الثُّلْبُ اليمانيُّ :

* وهُنَّ شَرُّ غالبٍ لمن غُلِبْ *

وقال النبى ﷺ : « إذا كتب أحدُكم فَليُتَرِّبْ كتابَه ، فإنّ التُّرابَ مبارَك ، وهو أنجح للحاجَةِ » .

وذكر الله آدَمَ الذى هو أصلُ البَشر فقال : ﴿ إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . ولذلك كَنَّى النبى عليه السلام عليًّا أبَا تُرَاب . قالوا : وكانت أحَبَّ الكُنَى إليه .

وقال الآخَر :

وإن جئت الأميرَ فقُلْ سلامٌ عليك ورحمةُ اللهِ الرحيمِ
وأمّا بعدَ ذاكَ فلِي غَريمٌ من الأعرابِ قُبِّحَ من غريمِ
له ألفٌ عليّ ونصفُ ألفٍ ونِصفُ النصفِ فى صَكٍّ قديمِ
دراهِمُ ما انتفَعتُ بها ولكن وصَلْتُ بها شُيوخَ بنى تميمِ

وقال الكميت [٣] :

---

(١) الظنون : المتهم ومن لا يوثق به .

(٢) الملمة ، من الإلمام ، أى التى تلم بالرجال تزورهم وتحرص عليهم . والمغلب : المغلوب . انظر مامضى فى ص ١١ من هذا الجزء .

(٣) كان من قصة الشعر ما رواه أبو الفرج قال : « خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله القسرى وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم ، فخرجوا فى التبابين ينادون : لبيك جعفر ، لبيك جعفر ! وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر ، فدهش فلم يعلم ما يقول فزعا ، فقال : أطعمونى ماء ! ثم خرج الناس إليهم فأخذوا ، فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويؤخذ طن قصب ، =

حَلفتُ بربِّ الناسِ : ما أُمُّ خالدٍ بأُمِّكَ إذْ أصواتُنا الهَلُ والهَبُ (١)
ولا خالدٌ يستَطِعِمُ الماءَ قائماً بعِدْلِكَ والدَّاعى إلى الموت ينعَبُ (٢)

وقال ابن نَوْفلٍ (٣) :

تقُولُ لِمَا أصابكَ أطعمونى شَرَاباً ثمّ بُلْتَ على السَرِيرِ
لأعْلَاجٍ ثمانيةٍ وشيـخٍ كبيرِ السِّنِّ ذى بصَرٍ ضريرِ (٤)

وقال ابنُ هَرْمَةَ (٥) :

تراهُ إذا ما أبصَرَ الضَّيفَ كلبُهُ يكلِّمُهُ من حُبِّهِ وهو أعجَمُ (٦)

قال : وقال المهلَّبُ : « عجبت لمن يشترى المماليك بمالِهِ ولا يشترى الأحرارَ بمعروفه » .

= فيطلى بالنفط ويقال للرجل : احتضنه . ويضرب حتى يفعل ثم يحرق ، فحرقهم جميعاً ، فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن على ، فأنشده قوله فيه :

خرجتَ لهم تمشى البراح ولم تكن كمن حِصنُهُ فيه الرتاج المضبَّبُ
وما خالد يستطعم الماء فاغرا بعدلك والداعى إلى الموت ينعب

قال : والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتعصبوا لخالد فوضعوا ذباب سيوفهم فى بطن الكميت فوجئوه بها وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره . فلم يزل ينزفه الدم حتى مات » . الأغانى (١٥ : ١١٦) .

(١) خالد ، هو ابن عبد الله القسرى كما سبق فى الخبر . والأم بفتح الهمزة وكسرها : الشكل والأمر والقصد . انظر اللسان (١٤ : ٢٨٩) ومجالس ثعلب ٤٦٦ والمزهر (١ : ٥١٣) . يقول : ليس يكون خالد مثلك فى الثبات والشجاعة حين تشتد الغارة ويصاح فيها بالخيل : هَلاً ، وهَبِى .

(٢) العدل ، بالكسر : المثل والنظير . ما عدا ل : هـ : « بعذلك » تحريف . ينعب : يصيح . ل : « يسغب » صوابه فى سائر النسخ والأغانى . وانظر لاستطعام خالد الماء ما سبق من الخبر فى الحواشى .

(٣) هو يحيى بن نوفل المترجم فى (٢ : ٢٦٦) .

(٤) سبق الكلام على البيتين فى (٢ : ٢٦٧) .

(٥) هو إبراهيم بن هرمة ، المترجم فى (١ : ١١١) .

(٦) البيت من أبيات سبقت بدون نسبة فى الحيوان (١ : ٣٧٧ – ٣٧٨) . وهى كذلك عارية من النسبة فى الحماسة (١ : ٢٦٠ – ٢٦١) . وفيهما : « يكاد إذا ما أبصر الضيف » .

وقال الشاعر :

رُزِقتُ لُبًّا ولم أُرزَقْ مُروُءَتَه   وما المُرُوءَة إلّا كثرةُ المالِ (١)
إذا أردتُ مُسَاماةً تَقَعَّدنى   عمَّا يُنَوِّهُ باسمى رقّةُ الحالِ (٢)

وقال الأحنف : ٢٠٦

فلَوْ مُدَّ سَروْى بمالٍ كثير   لَجُدْتُ وكنْتُ لَهُ باذِلا (٣)
فإنّ المروّةَ لا تُستَطاع   إذا لم يكُنْ مالُها فاضِلا

وقال جريرُ بن يزيدَ (٤) :

خيرٌ من البُخْلِ للفتى عَدَمُهْ   ومن بَنِين أعِقَّةٍ عَقَمُه (٥)

قال : ومشَى رجال من تميمٍ إلى عَتّاب بن ورقاءَ ، ومحمد بن عُمَير (٦) ، فى عَشْرِ دياتٍ فقال محمد بن عُمَير : عَلَىَّ ديَةٌ . فقال عتَّابٌ : علىَّ الباقيَة . فقال محمد : نِعم العَوْنُ على المروءةِ المال (٧) .

وقال الآخر :

ولا خيرَ فى وصلٍ إذا لم يكنْ له   على طول مرّ الحادثَاتِ بقاءُ

وقال الآخر :

شفاءُ الحُبّ تقبيلٌ وضَمٌّ   وجَرٌّ بالبُطُونِ على البُطُونِ (٨)

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) .

(٢) فى اللسان (قعد) : « ابن السكيت : يقال : ما تقعَّدنى عن ذلك الأمر إلا شغل ، أى ما حبسنى » . ما عدا ل : « تقاعدنى » تحريف .

(٣) سبق البيتان فى (٢ : ٢٩٢) .

(٤) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٧ : ٨٤) .

(٥) يقال بضم العين وفتحها وبالتحريك .

(٦) عتاب بن ورقاء الرياحى ، ترجم فى (٢ : ٢٣٥) . ومحمد بن عمير بن عطارد ترجم فى (٢ : ٢٩٢) ، حيث سبق الخبر .

(٧) فى (٢ : ٢٩٢) : « اليسار » بدل « المال » .

(٨) ما عدا ل : « وشم وضم بالبطون » .

وأنشد (١) :

واللهِ لا أرْضى بطُول ضَمٍّ   ولَا بتقْبيلٍ ولَا بِشَمٍّ
إلّا بهَزهازٍ يُسَلّى همِّى   يسقطُ منه فَتَخِى فى كُمِّى
لِمثلِ هذا ولدتنى أُمِّى

وأنشد :

لا ينفَعُ الجاريَةَ الخِضَابُ   ولا الوشاحانِ ولَا الجِلبابُ
مِن دُونِ أن تَصْطَفِقَ الأرْكابُ (٢)   وتلتَقِى الأسبابُ والأسبابُ
ويَخرجَ الزُّبُّ له لعابُ

وقال الآخر :

ولقد بَدَا لى أنَّ قلبَكَ ذاهِلُ   عنِّى وقلبى لو بدا لك أذهَلُ (٣)
كلٌّ يُجامِلُ وهو يُخفى بُغضَهُ   إنَّ الكريمَ على القِلَى يَتجمَّلُ

وقال الآخر :

وحظُّكَ زورة فى كُلِّ عامٍ   موافقةً على ظَهر الطَّريقِ (٤)
سَلاماً خالياً من كُلِّ شئٍ   يعود به الصَّديق على الصَّديقِ

وقال الآخر :

وزعمتَ أنّى قد كذبتُكَ مَرَّة   بعضَ الحديثِ فما صدقتُكَ أكثرُ (٥)

---

(١) الرجز للدهناء بنت مسحل زوج العجاج . انظر حواشى (٢ : ٣٥١) . والفتخ : جمع فتخة ، بالتحريك ، وهى حلقة تلبس فى الإصبع كالخاتم لا فص فيها ، فإذا كان فيها فص فهى الخاتم ، وحقيقتها أن تلبس فى أصابع الرجلين ، وتلبس أيضاً فى أصابع اليدين .

(٢) الأركاب : جمع ركب ، بالتحريك ، وهو منبت العانة والرجز فى اللسان والمقاييس (ركب) .

(٣) البيتان لمعن بن أوس ، كما سبق فى (٢ : ٣٥٤) . وليسا فى ديوانه .

(٤) سبق البيتان فى (٢ : ٣٦٢) .

(٥) ل : « بعد الحديث » ، تحريف .

وقال الآخر :

أهينُوا مَطاياكُم فإنّى وجدتُه
يهُونُ علَى البرذَون موتُ الفتى النَّدْبِ (١)

وقال الآخر :

لا يَحفِلُ البُردُ من يُبلِى حواشيَهُ   ولا تُبالى عَلَى مَن راحت الإبِلُ

وقال الآخر :

ألا لَا يُبالى البُردُ مَن جَرَّ فَضْلَهُ   كما لاتُبالى مُهْرَةٌ مَنْ يقُودُها

وقال الآخر (٢) : ٢٠٧

وإنّى لأرثِي للكريم إذا غدَا   على حاجةٍ عند اللَّئيم يُطالِبُهْ
وأرثِي له من مَجلسٍ عند بابه   كمَرْثِيَتِى للطِّرف والعِلجُ راكبُه (٣)

وقال الفرزدق :

أترجو رُبَيعٌ أن تجئَ صغارُها   بخيرٍ وقد أعيا رُبَيْعاً كبارُها (٤)

وقال الشاعر :

ألم تَر أنّ سيْرَ الخير رَيثٌ   وأنّ الشّر راكبهُ يَطيرُ (٥)

---

(١) الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب .

(٢) هو عبيد الله بن عكراش ، كما فى عيون الأخبار (١ : ٨٩) .

(٣) مجلس ، أى جلوس . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين ، أى الأبوين . والعلج : الرجل من كفار العجم . وانظر لهذا الشعر وماقبله رسائل الجاحظ (٢ : ٢٥٢ - ٢٥٣) .

(٤) ربيع بالتصغير ، من بنى الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الاشتقاق ١٥١ والقاموس (ربع) . والبيت لم يرو فى ديوانه ، لكنه منسوب إليه فى الأغانى (١٩ : ١٥) وابن سلام ١٣٧ . قال ابن سلام : « وكان الفرزدق أكثَرَهمْ بيتاً مقلداً . والمقلد : البيت المستغنى بنفسه ، المشهور ، الذى يضرب به المثل » . وللفرزدق فى هذا المعنى قوله فى الديوان ٣٨٤ :

ترجى أن تزيد بنو فقيم   صغارهم وقد أعيوا كبارا

(٥) الريث : البطء . يطير : يسرع .

وقال ابن يَسيرٍ [١] :

تأتى المكارِهُ حينَ تأتى جُمْلةً   وترى السُّرورَ يَجى مع الفلَتاتِ [٢]

قيل لبِلَالِ بن أبى بُرْدَة : لم لا تُوَلّى أبا العَجُوزِ بن أبى شَيخ العَرّاف [٣] – وكان بِلَالٌ مسترضَعاً فيهم ، وهو مِن بَلْهُجَيْم [٤] – قال : لأنى رأيتُ منه ثلاثاً : رأيتُه يحتَجمُ فى بُيوتِ إخوانه ، ورأيتُ عليه مِظلّةً وهو فى الظِّلّ ، ورأيتُه يُبادِرُ بَيضَ البُقَيْلة [٥] .

وكان عندى شيخٌ عظيمُ البدَنِ جَهير الصّوتِ ، يستَقصِى الإعراب ، وقد ولَدَه رجلٌ من أهل الشُّورَى ، وكان بقُرْبِى عبد أسوَدُ دقيق العَظم دَميم الوجهِ [٦] ، ورآنى أُكبِرُهُ ، فقال لى حينَ نَهضَ ورأى عَظْماً : يا أبا عُثمان ، لا واللهِ إنْ يُسَاوِى ذلك العَظْمَ البالى ، بصُرَتْ عينى به فى الحمامِ وتَناوَلَ قطعةً

(١) محمد بن يسير الرياشى المترجم فى (١ : ٦٥) . ما عدا ل : « بشير » تحريف .

(٢) ما عدا ل : « يجىء فى الفلتات » .

(٣) هذا ما فى هـ . وفى ل « الغراف » . وفى سائر النسخ : « العرف » بالعين المهملة .

(٤) بلهجيم ، أى بنو الهجيم ، وهو الهجيم بن عمرو بن تميم بن مر . المعارف ٣٥ والاشتقاق ١٢٤ . ونظيره قولهم فى بنى الحارث وبنى القين : بلحارث ، وبلقين . وفى اللسان (حرث) : « وقولهم بلحارث لبنى الحارث بن كعب من شواذ الإدغام ، لأن النون واللام قريبا المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفوا النون كما قالوا : مَسْت وظَلْت . وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعنبر وبلهجيم ، فإذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك » .

(٥) بيضة البقيلة ، قال الثعالبى فى ثمار القلوب ٣٩٣ : « تذكر فى عيون الأطعمة : ولا يستحسن المبادرة إليها » ، ولم يفسرها بأكثر من هذا . ثم نقل عن الجاحظ فى البخلاء قوله ، « فإن كان لابد من المؤاكلة ولابد من المشاركة ، فمع من لا يستأثر علىَّ بالمخ ، ولا ينتهز بيض البقيلة ، ولا يلتهم كبد الدجاجة ، ولا يبادر إلى دماغ رأس السلاءة ، ولا يختطف كلية الجدى ، ولا يزدرد قانصة الكركى » . فيفهم من سوقها مع هذه النظائر أنها قطعة من متخير اللحم ، تشبه البيض .

(٦) الدميم : القبيح . ما عدا ل ، هـ : « ذميم » تحريف .

من فَخّارٍ فأعطاها رجُلًا وقالَ له : حُكَّ بها ظَهرى ! أفتظنُّ هذا يا أبا عُثمانَ يُفلح أبداً .

قال أبو الحسن : سأل الحجّاجُ غُلاماً فقال له : غُلامُ مَن أنت ؟ قال : غلامُ سيِّدِ قيس . قال : ومَن ذاك ؟ قال : زُرارةُ بنُ أوفَى [١] . قال : وكيف يكون سيِّد قيس وفى دارِهِ التى ينزِلُ فيها [٢] سُكّان ؟

قال : وقال رجل لابنه : إذا أردتَ أن تَعرِفَ عيبَك فخاصِمْ شيخاً من قُدماءِ جيرانِك . قال : يا أبَتِ لو كنتُ إذا خاصَمتُ جارى لم يَعرِفْ عيبِى ٢٠٨
غيرى كانَ ذلك رأياً ، ولكن جارى لا يُعرِّفُنى عيبى حتى يُعرِّفه عدوِّى .

وقد أخطأ الذى وَضَع هذا الحديث لأنّ أباه نهاه ولم يأمُرْه .

وقال الآخر :

اصْطَنِعنى وأَقِلْنى عثرَتى ... إنّها قد وقَعَت منى بقُرّ [٣]
واعْلَمَنْ أن ليس ألفا دِرْهَمٍ ... لمديحى وهجائى بخَطَر [٤]
يذهَبُ المالُ ويبقى مَنطِقٌ ... شائعٌ يأثُرُهُ أهلُ الخَبَرْ
ثمّ أرميكُمْ بوجهٍ بارزٍ ... لست أمشى لعَدُوِّى بخَمَرْ [٥]

---

(١) هو أبو حاجب زرارة بن أوفى العامرى الحرشى القاضى ، كان فقيهاً محدثاً من التابعين ، وكان من العباد ، توفى سنة ٩٣ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٥٢) . وكان الفرزدق يشبب ببنته ملاءة ، وببنتها عاتكة ، وببنت بنتها نائلة . قال أبو الفرج فى (١٢ : ٧٤) عن ابن سلام : « لا أعلم أن امرأة شُبِّبَ بها وبأمها وجدتها غير نائلة » .

(٢) ما عدا ل : « بنزلها » .

(٣) أقاله عثرته : عفا عنه . وقعت بقر ، أى صارت الشدة إلى قرارها .

(٤) الخطر ، هنا : مثل الشئ وعَدلُه ومساويه .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من الشجر والجبال ونحوها . والمعروف فى مثل هذا المعنى : « مشى له الخمر » بنزع الباء ، يقال ذلك الرجل إذا ختل صاحبه .

وقال أشهَبُ بن رُمَيْلةَ (١) يومَ صِفِّين : إلى أينَ يا بَنى تميم ؟ قالوا : قد ذهب الناسُ . قال : تَفِرُّونَ وتعتذرُون ؟!

قال : ونهض الحارث بن حَوطٍ اللَّيثىّ إلى علىّ بن أبى طالب ، وهو على المنبر ، فقال : أتظن أنّا نظُنُّ أنّ طلحة والزُّبير كانا على ضَلال ؟ قال : « يا حَارِ ، إنه ملبوسٌ عليكَ ، إنّ الحقَّ لا يُعرفَ بالرِّجال . فاعرف الحقَّ تَعرِفْ أهله ! » .

وقال عمر بنُ الخطّابِ رحمهُ الله : « لا أدركتُ أنا ولا أنتَ زماناً يتغايرُ الناس فيه (٢) على العِلم كما يتغايرونَ على الأزواج » .

قال : وبَعثَ قَسامةُ بن زُهَير العنبَرىُّ إلى أهله بثلاثينَ شاةً ونِحْيٍ صغير فيه سمنٌ ، فسرَقَ الرّسول شاةً ، وأخذ من رأسِ النِّحْى شيئاً من السمنِ ، فقال لهمُ الرسولُ : ألكُم إليه حاجةٌ أُخبِرهُ بها ؟ قالت له امرأتُه : أخبِرْه أنّ الشهرَ محاقٌ ، وأنّ جَدْيَنا الذى كان يُطالِعنا وجدناهُ مرثوماً (٣) . فاستَرْجَعَ منه الشاةَ والسَّمن .

قال علىّ بن سليمان لرؤبَةَ : ما بقِىَ من باهِلكَ يا أبا الجحّاف ؟ قال : يمتَدُّ ولا يَشتَدُّ ، وأستعينُ بيَدى ثم لا أُورد ، وأُطيلُ الظِّمْءَ ثم أُقصِّرُ . قال : ذاك الكِبَر (٤) . قال : لا ، ولكنَّه طُولُ الرِّغاث (٥) .

---

(١) الأشهب بن رميلة : شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم تعرف له صحبة . الإصابة ٤٦٤ . ورميلة أمه ، فهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء ، ولم يذكره ابن حبيب فى كتابه . وأبوه ثور بن أبى حارثة ينتهى نسبه إلى تميم . وكان الأشهب ممن هاجى الفرزدق . انظر الحيوان (١ : ٣١٥) والخزانة (٤ : ٥١٠) .

(٢) ما عدا ل : « يتغايرون فيه » .

(٣) المرثوم : المكسور .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « الكبير » تحريف .

(٥) فى هامش هـ : « الرغاث ، الرضاع ، يقال رغثها ، إذا رضعها . ورغث الرجل بالرمح ، إذا طعنه . وكنى بطول الرغاث هنا عن كثرة الجماع » . ولم أجد الرغاث ولا راغث فى معجم .

وقيل لأعرابىّ : أىُّ الدّوابِ آكَلُ ؟ قال : بِرْذَوْنَةٌ رَغُوث [1] .

وقيل لغيره : لِمَ صارَتِ اللَّبُؤَةُ أنْزَقَ ، وعلى اللحم أحْرصَ ؟ قال : هى الرَّغُوث .

قال : وقال عُبَيدُ الله بنُ عمر : اتَّقُوا مَن تبغضُه قلوبكُمْ . ٢٠٩

وقال إسماعيل بن غَزوانَ : لا تُنفِقْ درهما حتّى تراه [2] ، ولا تَثِق بِشُكر من تُعطيهِ حتّى تمنَعه ، فالصابرُ هو الذى يشكُر ، والجازِعُ هو الذى يكفرُ .

عامرِ بنُ يحيى بنُ أبى كثيرٍ [3] قال : لا تشهَدْ لمن لا تَعرف ، ولا تشهَدْ على مَن لا تَعرِف ، ولا تشْهَدْ بما لا تَعرِف .

أبو عبد الرحمن الضرير ، عن على بن زَيد بن جُدعان [4] ، عن سعيد بن المُسَيَّبِ قال : قال النبى ﷺ : « رأسُ العقل بعد الإيمانِ بالله التَّودّد إلى الناس » .

وقالت عائشة : لا سمَرَ إلّا لثلاثة : مسافرٍ ، ومُصَلٍّ ، وعَرُوس .

قال : وقال معاوية يوماً : مَن أفصَحُ الناس ؟ فقال قائل : قَوْم ارتفعوا عن لَخْلخانيَّةِ الفُراتِ [5] ، وتَيامَنُوا عن عَنعَنةِ تميمٍ [6] وتَياسَرُوا عن كسكَسةِ

---

(١) رغوث : مرضعة . انظر الخبر فى الحيوان (١ : ١١٢) والبغال (٢ : ٣٤٠) .

(٢) ل وحواشى هـ : « حتى ترده » ، تحريف .

(٣) لم أجد لعامر ترجمة ، وأما يحيى بن أبى كثير الطائى ، فهو ممن روى عن أنس وعكرمة وعطاء . وكان أعلم الناس بحديث أهل المدينة . وتوفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٤) هو على بن زيد بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمى البصرى . روى عن أنس و[illegible] وسعيد بن المسيب . ولد أعمى ، وكان كثير الحديث غالياً فى التشيُّع . توفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب والخلاصة ونكت الهميان ٢١٢ .

(٥) ويروى : « عن لخلخانية العراق » كما فى اللسان (لخخ) . واللخلخانية : العجمة فى المنطق .

(٦) عنعنة تميم : قولهم فى موضع أنْ : عن . قال ذو الرمة :

أعن توسمت من خرقاء منزلة ... ماء الصبابة من عينيك مسجوم

=

بكرٍ [١] ، ليست لهم غمغمةُ قُضاعَة [٢] ولا طُمْطُمانيَّة حِمْير [٣] . قال : مَن هم ؟ قال : قُرَيْش . قال : ممّن أنتَ ؟ قال : مِن جَرْم . قال : اجْلِسْ [٤] .

وقال الرّاجز :

إنّ تميماً أعطيتْ تماما ... وأعطِيَتْ مآثراً عِظاما
وعدَداً وحَسباً قَمْقاما [٥] ... وباذِخاً من عِزِّها قُدَّاما
فى الدهر أعيا الناسَ أن يُراما ... إذا رَأيتَ منهُم الأجْساما
والدَّلَّ والشِّيمةَ والكلَاما ... وأذرُعاً وقَصَراً وهَاما [٦]
عَرَفت أن لم يُخلَقُوا طَغَاما [٧] ... ولم يكُن أبوهُمُ مِسقَاما
لم تَرَ فِيمَن يأكُل الطّعَاما ... أقَلّ مِنهمْ سقَطاً وذاما [٨]

تقولُ العَرَب : « لو لم يكن فى الإبلِ إلّا أنّها رَقوء الدّم [٩] » .

قال جَندَلُ بن صخرٍ ، وكان عبداً مملوكاً :

= مجالس ثعلب ١٠٠ – ١٤١ والمزهر (١ : ٢١١) والخصائص ٤١١ وفقه اللغة ١٢١ والصاحبى ٢٤ والخزانة (٤ : ٥٩٥ – ٥٩٦) . ما عدا ل : « كشكشة تميم » تحريف . وإنما الكشكشة لربيعة ، وهى أن يجعل ما بعد كاف الخطاب فى المؤنث شيئًا .

(١) هم بنو بكر بن هوازن . والكسكسة : أن يجعل بعد كاف المذكر أو مكانها سينا . تقال بفتح الكافين وبكسرهما أيضا ، كما فى الخزانة (١١ : ٤٦٤) .

(٢) الغمغمة : كلام غير بين .

(٣) الطمطمانية ، بضم الطاءين . العجمة . وفى اللسان : « شبه كلام حمير لما فيه من الألفاظ المنكرة بكلام العجم » .

(٤) قال اجلس ، من ل فقط .

(٥) القمقام : العدد الكثير .

(٦) القصر ، بالتحريك : جمع قصرة ، وهى أصل العنق . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

(٧) الطغام ، بفتح الطاء : أرذال الناس وأوغادهم .

(٨) الذام : العيب .

(٩) أى لكفاها ذلك فضلاً . والرقوء : الدواء الذى يوضع على الدم ليرقئه فيسكن أى إنها تعطى فى الديات بدلا من القود ، فتحقن بها الدماء .

وَمَا فَكَّ رِقِّى ذاتُ دَلٍّ خَبَرْنَجٍ ولا شَاقَ مالى صَدْقَةٌ وعُقُولُ (١)
ولكنْ نماَنى كُلُّ أبيضَ خِضرِمٍ فأصبَحتُ أدرِى اليومَ كيفَ أقُولُ (٢) ٢١٠

وقال الفُقَيمىُّ ، وهو قاتلُ غالبٍ أبى الفرزدق :

وما كنتُ نوَّاما ولكنّ ثائراً أَناخَ قليلا فوقَ ظَهرِ سبيلِ (٣)
وقد كنتُ مجرورَ اللِّسانِ ومُفحَماً فأصبحتُ أدرى اليومَ كيفَ أقولُ (٤)

* * *

قال المُغيرةُ بن شُعْبَةَ : من دخَلَ فى حاجةِ رجُلٍ فقد ضَمِنَها .

وقال عُمرُ رِحمَه اللهُ : لكلِّ شئٍ شَرَفٌ ، وشرفُ المعروفِ تعجيلُه .

وقال رجلٌ لإبراهيمَ النخعىّ : أَعِدُ الرّجُلَ المِيعادَ فَإلى متى (٥) ؟ قال : إلى وقتِ الصلاة .

قال : وقال لى بعضُ القُرشيِّينَ : من خافَ الكذِبَ أقلَّ من المواعيد .

وقالوا : أمرَان لا يسلمَانِ من الكذب : كثرةُ المواعيدِ ، وشِدَّةُ الاعتذار .

وقال إبراهيم النَّظَّام : قُلتُ لخنجيركُون (٦) ممرورِ الزياديِّين (٧) : اقعد ها هُناَ حتّى أرجعَ إليك . قال : أمّا حتّى ترجعَ إلىّ فإنّى لا أضمنُ لك (٨) ولكن أقعُد لك إلى اللّيل .

---

(١) الخبرنج : الخلق الحسن . وكتب فوقها فى هـ : « ناعم » . والعقول : جمع عقل ، وهو الدية .

(٢) نماه : رفع إليه نسبه . والخضرم : السيد الحمول . ل : « فأصبحت أدرى فيه كيف أقول » .

(٣) أى ولكننى ثائر .

(٤) المجرور ، أصله الفصيل يشق لسانه لئلا يرضع ، يقال جر الفصيل وأجره . قال عمرو بن معديكرب :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

ما عدا ل : « مخزون اللسان » ، ولا وجه له . وأشير فى هامش هـ إلى رواية « مجرور » .

(٥) ما عدا ل : « قال إلى متى » تحريف .

(٦) ما عدا ل : « لخنجير كور » . وفى هـ : « لخنجير كوز » .

(٧) الممرور : الذى غلبت عليه المرة فاختل عقله .

(٨) ما عدا ل : « لا أصبر لك » .

هذه رسالة إبراهيم بن سَيَابة [١]

إلى يحيى بن خالد بن برمك

وبلغنى أنَّ عامَّةَ أهلِ بغدادَ يحفظونها فى تلك الأيام ، وهى كما ترى . وأوّلُها :

للأصْيَدِ الجواد [٢] ، الوَارِى الزِّنَاد [٣] ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل ، الأشمِّ الباذِل ، اللُّبَاب الحُلاَحِل [٤] ، من المُستكينِ المستجير ، البائس الضَّرير . فإنِّى أحْمَدُ اللهَ ذا العِزَّةِ القدِيرَ ، إليك وإلَى الصَّغير والكبير ، بالرحمةِ العامةّ ، والبركةِ التامة .

أمّا بعد فاغنَمْ واسلَم ، واعلَمْ إن كنت تَعلم ، أنَّه مَن يرحَم يُرحَم ، ومن يَحرِمِ يُحرَم [٥] ، ومن يُحسِن يَغْنَم ، ومَن يَصنع المعرُوفَ لا يَعدَم . وقد سبَقَ إلَىَّ تَغَضُّبك عَلىَّ ، واطِّراحُكَ لى ، وغَفلتُكَ عنِّى بما لا أقُوم له [٦] ولا أقعُد ، ولا أنتَبهُ ولا أرقدُ . فلستُ بذى حياةٍ صَحيح [٧] ، ولا بمَيْتٍ مُستَرِيح . فررتُ بعد الله ٢١١ مِنكَ إليك ، وتحمّلتُ بكَ عليك . ولذَلِك قُلت :

أسرعَتْ بى حثًّا إليك خِطائى   فأناخَت بمُذْنبٍ ذى رجاءِ [٨]

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٤٠٥) .   (٢) الأصيد : الذى يرفع رأسه كبرا .

(٣) يقال : هو وارى الزناد ووريه ، يكون ذلك فى الكرم وغيره من الخصال المحمودة . ورى الزند : خرجت نارة .

(٤) اللباب : الخالص المحض . والحلاحل : السيد الضخم المروءة .

(٥) ما عدا ل : « من يجرم يجرم » ، تحريف .

(٦) ل : « به » .

(٧) ما عدا ل : « بحى صحيح » .

(٨) الخطاء ، بالكسر : جمع خطوة بالفتح ، كما قالوا : رَكوة وركاء . ما عدا ل ، « بمذهب » بدل . « بمذنب » .

راغبٍ راهبٍ إليك يُرجِّى مِنكَ عفواً عنه وفَضلَ عطاءِ
ولَعمرِى ما مَن أَصَرَّ ومن تا بَ مُقِراً بذنبه بِسواءِ [(١)]

فإنْ رأيتَ – أراكَ اللهُ ما تُحبُّ ، وأبقاكَ فى خَيرٍ – ألّا تزهد فيما ترى من تَضرُّعِى وتَخشُّعِى ، وتذَلُّلِى وتضعُّفِى ، فإنَّ ذَلكَ ليسَ مِنى بنحيزةٍ ولا طبيعَةٍ [(٢)] ، ولا على وجهِ تصيُّدٍ وتَصنُّعٍ وتخدُّع [(٣)] ، ولكنه تذلُّل وتخشُّع وتَضرُّع ، من غير ضَارع ولا مَهين ولا خاشِعٍ [(٤)] لمن لا يستحق ذلك ، إلّا لمن التضرُّعُ له عِزٌّ ورفعَةٌ وشرف . والسّلام [(٥)]

* * *

محمدُ بنُ حَربٍ الهلالىّ قال : دخل زُفَرُ بنُ الحارث [(٦)] على عبدِ الملك ، بعد الصّلحِ فقال : ما بقِىَ من حُبّكَ للِضحّاك [(٧)] ؟ فقال : ما لا ينفعُنى ولا يضُرُّك . قال : شَدَّ ما أحببتُموهُ معاشِرَ قيس ! قال : أحببنَاهُ ولم نُوَاسِهِ ، ولو كُنَّا آسيْناهُ لقد كُنَّا أدركْنا مافاتَنا منه . قال : فما منعَكَ من مواساتِه

(١) ل : « ومن بات مفره » .
(٢) النحيزة : الطبيعة ، وجمعها نحائز ، ومثله النحيتة والنحائت .
(٣) ما عدا ل : « ولا على وجه تصنع ولا تخدع » .
(٤) فى القاموس (خدع) : « وككتاب : المنع ، والحيلة . والتخدع : تكلفه » .
(٥) هذه الكلمة من ل فقط .
(٦) هو زفر بن الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب . الكامل ٥٣٣ ليبسك والاشتقاق ١٨٠ . وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان ، وظل يقاتله تسع سنين ، ثم رجع إلى الطاعة . الجهشيارى ٣٥ ، وكان سيد قيس فى زمانه ، ويكنى أبا الهذيل . وكان على قيس يوم مرج راهط . وهو القائل :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

المؤتلف ١٢٩ . وكان من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . شرح شواهد المغنى للسيوطى ٣١٥ .
(٧) الضحاك بن خالد الفهرى . المترجم فى (١ : ٣٨٠) .

يوم المَرْج [١] . قال : الذى مَنَع أباكَ من مُواسَاةِ عثمان يوم الدَّار .

* * *

قال الشاعر :

لكُلّ كريمٍ من ألأئمِ قومِهِ   على كلِّ حالٍ حاسِدُونَ وكُشَّحُ [٢]

قال : وقال سليمان بن سعدٍ [٣] لو صَحِبَنى رجُل فقال اشتَرطْ عَلىَّ خَصلةً واحِدةً لا تزيدُ عليها لقُلتُ : لا تَكذِبْنى [٤] .

قال : كان يُقال : أربع خِصالٍ يسُودُ بها المرء : العلم ، والأدب ، والعِفَّة والأمانة .

وقال الشّاعر :

لَئِن طبتَ نَفساً عن ثنائى فإنَّنى
لأطيَبُ نفساً عن نَداكَ على عُسرِى [٥]
فلستُ إلى جدواك أعظمَ حاجةً
على شِدَّةِ الإعسارِ منك إلى شُكرِى

وقال الآخَر : ٢١٢

أأن سُمتَنى ذُلًّا فَعِفتُ حياضَهُ   سَخِطتَ ، ومَن يأْبَ المذلّة يُعذَرِ
فهأنا مُسترضِيكَ لا مِن جنايةٍ   جنيتُ ولكِن من تجنِّيكَ فاغفرِ

---

(١) هى وقعة مرج راهط . ومرج راهط من نواحى دمشق . وكان هذا اليوم لمروان بن الحكم ابن أبى العاص ، على الضحاك بن قيس الفهرى عامل يزيد بن معاوية ، وزفر بن الحارث . الأغانى (١٧ : ١١١ – ١١٤) والميدانى (٢ : ٣٦٧) .

(٢) الكشح : جمع كاشح ، وهو العدو الذى يضمر عداوته ويطوى عليها كشحه ، وهو الخصر .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٦) .

(٤) ما عدا ل : « ولا تزد عليها قلت لا تكفينى » .

(٥) البيتان فى عيون الأخبار (٣ : ١٦٦) .

وقال إيَاسُ بن قَتادة (١) :

وانَّ من السَّاداتِ من لو أطعتَهُ   دعاكَ إلى نار يَفورُ سعيرُها

وقال الآخر (٢) :

عَزَمتُ على إقامَةِ ذى صَباحٍ   لأمرٍ مايُسَوَّدُ من يَسُودُ

وقال الهُذَلِىُّ (٣)

وإنَّ سيادةَ الأقوامِ فاعلمْ   لها صَعْدَاءُ مَطَلَبُها طويلُ

وقال حارثةُ بن بَدر (٤) :

إذا الهمُّ أمسَى وهو داءٌ فأمْضِهِ   ولستَ بممضيهِ وأنت تُعادلُه (٥)

ولا تُنزِلَنْ أمرَ الشّديدَةِ بامرئٍ   إذا رامَ أمراً عَوّقَتْهُ عواذِلُه

وقُلْ للفُؤادِ إن نَزا بك نَزْوَةٌ

من الرَّوْعِ أفرخْ ، أكثر الرّوعِ باطِلُهْ

---

(١) يقوله فى الأحنف بن قيس ، كما فى الحيوان (٣ : ٨٠) . وهذا هو إياس بن قتادة المجاشعى ، وكان الأحنف بن قيس قد دفعه إلى الأزد رهينة بعد حرب مسعود حتى تؤدى الديات . وفخر بذلك الفرزدق فقال :

ومنا الذى أعطى يديه رهينة   لغارَىْ معد يوم ضرب الجماجم

عشية سال المربدان كلاهما   عجاجة موت بالسيوف الصوارم

الكامل ٨٢ ليبسك والإصابة ٣٨٣ .

(٢) هو أنس بن مدركة الخثعمى ، كما فى الحيوان (٣ : ٨١) والخزانة (١ : ٤٨٦) وقد سبق فى (٢ : ٣٥٢) ، وهو من شواهد سيبويه (١ : ١١٦) ، يشهد لجواز جر الظروف غير المتمكنة فى لغة خثعم . وقيل إن « ذو » فيه زائدة .

(٣) هو حبيب بن عبد الله الهذلى ، المعروف بالأعلم . انظر ماسبق فى حواشى (١ : ٢٧٥ / ٢ : ٣٥٢) .

(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٨٧) .

(٥) الأبيات فى الحيوان (٣ : ٧٧) وأمالى المرتضى (٢ : ٤٧) ، والأول منها فى اللسان (١٣ : ٤٦٢) والثالث سبق فى (٢ : ١٨٧) . تعادله ، من قولهم : أنا فى عِدال من هذا الأمر ، أى فى شك منه أأمضى عليه أم أتركه . يقول : أجزم بطرد الهم ولا تتردد فى ذلك .

وقال الآخر (١) :

وإنَّ بقومٍ سَوَّدُوكَ لفاقةً إلى سَيِّدٍ لو يظفَرُونَ بِسَيِّدِ (٢)

وقال الآخر :

وما سُدْتَ فيهم أنّ فضلَك عمَّهم ولكنّ هذا الحظَّ فى الناسِ يُقسَمُ (٣)

وقال حارثةُ بن بَدر :

خَلَتِ الدِّيارُ فَسُدْتُ غير مُسوّدِ ومنَ الشَّقاءِ تفرُّدى بالسُّودَدِ (٤)

٢١٣ الفضل بنُ تميم قال : قال المغيرة : « مَن لم يَغضَب لم يُعرَفْ حلمُه » .

وقال الشاعر :

ما بالُ ضَبْعٍ ظلَّ يطلبُ دائباً فريستَهُ بين الأسودِ الضّراغمِ (٥)

وقال الآخر :

ذَكَرتُ بها عهداً على الهجر والقِلَى ولابُدّ للمشتاقِ أن يَتَذَكَّرا

وقال الآخر :

إذا ما شفيتَ النفس أبلغتَ عُذرَها ولا لوم فى أمرٍ إذا بلغ العذرُ

وقال الآخر :

---

(١) هو أبو نخيلة ، كما فى الحيوان (٣ : ٨٠) .

(٢) الفاقة : الحاجة .

(٣) أى ما سدت لأن فضلك عمهم ، بل جاءت هذه السيادة رمية من غير رام .

(٤) البيت فى الحيوان (٣ : ٨٠) وأمالى المرتضى (٢ : ٥٣) والأغانى (٢١ : ٣١) ومعجم البلدان (٢ : ٢٥٤) . وروى أبو الفرج – ونحوه ما روى المرتضى – أن حارثة بن بدر الغدانى اجتاز بمجلس من مجالس قومه بنى تميم ، ومعه كعب مولاه ، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا : مرحباً بسيدنا ، فلما ولى قال له كعب : ما سمعت كلاماً قط أقر لعينى ولا ألذ بسمعى من هذا الكلام الذى سمعته اليوم ! فقال له حارثة : لكنى لم أسمع كلاما قط أكره لنفسى وأبغض إلى مما سمعته ! قال : ولم ؟ قال : ويحك يا كعب ، إنما سودنى قومى حين ذهب خيارهم وأماثلهم ، فاحفظ عنى هذا البيت :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسودد

(٥) أشير فى هامش هـ إلى أنه فى نسخة « ما بال كلب » .

لعَمرُك ما الشكوَى بأمرٍ حَزَامَةٍ ولابُدّ من شكوَى إذا لم يكن صَبْرُ (١)

وقال الآخر :

لو ثلاثٌ هنَّ عيشُ الدّهرِ الماء والنّومُ وأُمّ عمرو

* لَمَا خشيتُ مِن مَضيق القبرِ *

وقال لَقِيطُ بن زُرارة :

شَتّانَ هذا والعِناقُ والنّوْمْ والمشرَبُ الباردُ والظّلُّ الدَّوْمْ (٢)

وقال والبة (٣) :

ما العَيشُ إلّا فى المُدَا مِ وفى اللّزَامِ وفى القُبَلْ

وإدارةِ الظَّبى الغريـ ـرِ تَسُومُهُ مالا يَحِلّْ (٤)

* * *

وقال شيخ من أهل المسجدِ : ما كنتُ أُريدُ أن أجْلِسَ إلى قوْم إلّا وفيهم من يُحَدّثُ عن الحسَن ، ويُنشِدُ للفرزدقَ .

وقال أبو مُجيب (٥) : لا تَرَى امرأةً مُصَبَّرَةَ العينِ ، ولا امرأةً عليها طاق يَمْنَةٍ ، ولا شَرِيفاً يهنَأُ بعيراً .

وقال أبو بَراح : ذهب الفتيانُ فلا ترى فتًى مفرُوقَ الشعرِ بالدُّهن ، مُعلّقاً نعلَهُ ، ولا دِيكَين فى خِطارٍ (٦) ، ولا صديقاً له صديقٌ إن قَمَرَ ضَغَا (٧) ، وإنْ

---

(١) عجز هذا البيت فى الحيوان (١ : ٢٠٢) . ونسب فى حماسة البحترى ١٩٧ لمالك من حذيفة النخعى .

(٢) الظل الدَّوْم : الدائم . ما عدا ل : « فى ظل الدوم » تحريف . صواب هذه : « فى الظل الدوم » ، كما فى إحدى روايتى اللسان . والرجز يقوله فى يوم جبلة ، كما فى اللسان (دوم) . وقبل البيتين :

يا قوم قد أحرقتمونى باللوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم

(٣) والبة بن الحباب سبقت ترجمته فى ٤١ . ل : « وايلة » تحريف .

(٤) ما عدا ل : « وإرادة الظبى » .

(٥) أبو المجيب الربعى سبقت ترجمته فى (١ : ٣٧٣) . وقد سبق الخبر فى (٢ : ١٦٤) .

(٦) الخطار والمخاطرة : الرهان والمراهنة .

(٧) قمر : غلب فى القمار . ضغا : صاح .

عوقِبَ جَزِع ، وإن خلا بصَدِيق فتًى خبَّبه (١) ، وإن ضُرِبَ أقَرّ ، وإن طال حَبسُه ضَجِرَ ، ولا ترى فتًى يُحسِنُ أن يمشىَ فى قيدِه ولا يُخاطِب أميرَه .

وقال أبو الحسَن : قال أبو عَباية : ترى زُقاقَ بَراقشَ ، وبَساتين هَزَارِ مَرْدَ (٢) ما كان يَسلكُهُ غُلامٌ إلّا بخفير ، وهُمُ اليوْمَ يخترقونَه . قُلتُ : هذا من صَلاحِ الفِتيان . قال : لا ولكن من فسادِهم .

٢١٤ البقطَرىُّ ، قال : قِيلَ لطُفَيل العرائس : كَم اثنان فى اثنين ؟ قال : أربعَةُ أرْغفة .

وقال رَجُل لرجُل : انتظرتُك على الباب بقدر ما يأكُل إنسانٌ جَرْدَقتين (٣) .

عبدُ اللهِ بن مُصعَب قال : أرسلَ على بن أبى طالب رحمه الله عبد الله بن عباسٍ ، لما قَدِمَ البَصْرة فقال له (٤) :

« ايتِ الزبيرَ ولا تَأتِ طلحة ، فإنّ الزبيرَ ألْيَن ، وإنّك تجد طلحةَ كالثّورِ عاقصاً قَرْنَه (٥) ، يَرْكَبُ الصُّعُوبة ويقول: هى أسهل ؛ فاقرئه السلامَ (٦) ،

---

(١) خببه : خدعه وأفسده . وفى الحديث : « من خبب امرأة أو مملوكا على مسلم فليس منا » . اللسان (١ : ٣٣١) ، ما عدا ل : « خنثه » . وفى هامش هـ : « خببه وخبثه » .

(٢) هزارمرد ، أصل معناه فى الفارسية ألف رجل . هزار : ألف . ل : « هزاذمرد » التيمورية « هزادمرد » صوابهما فى ب ، جـ .

(٣) الجردقة : الرغيف ، فارسية معربة من « گِردَهْ » ، ومعناه فى الفارسية الرغيف المستدير الغليظ. اللسان والمعرب ١١٥ واستينجاس ١٠٨١ .

(٤) كلام علىّ هذا فى نهج البلاغة . انظر شرح ابن أبى الحديد (١ : ١٦٩ – ١٧٢) وكان قد أنفذ عبدَ الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه إلى طاعته .

(٥) عقص قرنه : عطفه . والمراد بالقرن هاهنا الضفيرة ، يقال للرجل قرنان : أى ضفيرتان ، ويصح أن يريد صفة الثور .

(٦) ما عدا ل : « فاقرأ عليه السلام » . يقال قرأ عليه السلام وأقرأه السلام ، أى بلّغه ، وكأن معناه فى الأخير أنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده .

وقل له : « يقول لك ابنُ خالك : عرفتنى بالحجاز وأنكرتَنى بالعِراق ، فما عَدَا مما بَدَا لك (١) ؟ » .

قال : فأتيت الزبيرَ فقال : مرحباً يا ابنَ لُبابة (٢) أزائراً جئتَ أم سَفيراً ؟ قلت : كلَّ ذلك . وأبلغتُه ما قال علىّ ، فقال الزبير : أبلغه السلامَ وقُل له : « بيننا وبينَك عهدُ خليفةٍ ودَمُ خليفة (٣) ، واجتماعُ ثلاثةٍ وانفراد واحد (٤) ، وأُمٌّ مبرورة (٥) ، ومشاوَرَةُ العشيرة ، ونشْرُ المصاحف ، فنحِلُّ ما أحلَّتْ ، ونُحرِّم ما حرَّمَت » . فلما كان من الغدِ حَرَّشَ بين الناسِ غوغاؤهم ، فقال الزبير : ما كنت أرى أنّ مثلَ ما جئنا له يكونُ فيه قِتال !

* * *

قال : ومن جيِّدِ الشعر قولُ جَرير :

---

(١) الذى فى نهج البلاغة : « فما عدا مما بدا » بإسقاط « لك » . عدا ، أراد عداك أى صرفك . ومعناه ما صرفك عما كان بدا منك وظهر ، أى ما الذى صدك عن طاعتى بعد إظهارك لها . قال الرضى جامع نهج البلاغة : « وهو عليه السلام أول من سمعت منه هذه الكلمة » .

(٢) لبابة هذه ، هى لبابة بنت الحارث الهلالية ، أخت ميمونة بنت الحارث زوج الرسول صلوات الله عليه . وكنيتها أم الفضل ، وهى المعروفة بلبابة الكبرى . ولها أخت سمية لها تدعى لبابة الصغرى وتلقب بالعصيماء ، وهى أم خالد بن الوليد ، وفى إسلام هذه الأخيرة وصحبتها نظر . ولبابة الكبرى أول امرأة آمنت بعد خديجة ، وماتت فى خلافة عثمان قبل زوجها العباس . الإصابة ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ١٤٤٠ من قسم النساء والمعارف ٤٣ .

(٣) أما عهد الخليفة فالذى عاهد عليه عمر أهل الشورى أن يقروا من يقع عليه الاختيار . وأهل الشورى ستة نفر : على ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص . والدم : دم عثمان الذى اختاره أهل الشورى .

(٤) الثلاثة هم الزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، أجمعوا على اختيار الرابع ، وهو عثمان . وأما الخامس على بن أبى طالب فقد انفرد بالخلاف ، ثم بايع وهو يقول : « خدعة وأى خدعة ! » وأما السادس طلحة فكان غائباً ، كفل برأيه سعد بن أبى وقاص . انظر قصة الشورى فى الطبرى (٥ : ٣٣ – ٤٢) ، وكذا كتب التاريخ فى سنة ٢٣ .

(٥) يعنى أم المؤمنين عائشة التى خرجت فى طلب دم عثمان يوم الجمل .

لئن عَمِرَتْ تَيمٌ زماناً بغِرَّةٍ ... لقد حُدِيتَ تَيمٌ حُداءً عَصَبْصَبَا (١)
فلا يَضْغَمنَّ الليْثُ تَيماً بغرّةٍ ... وتَيم يَشمُّونَ الفَريسَ المُنَيَّبَا (٢)

وقال أعرابيٌّ : « كحِّلْنى بالمِيلِ الذى تُكحَلُ به العيونُ الدَّاءة (٣) » .

وقال ابنُ أحمرَ :

بهَجْلٍ من قَساً ذَفِرِ الخُزَامَى ... تَهادَى الجِربياءُ به الحنينا (٤)
به تَتَزَخَّرُ القَلَعُ السَّوَارى ... وجُنَّ الخازِبازِ بهِ جُنُونا (٥)
تكادُ الشمس تخشعُ حين تبدو ... لهنَّ وما نزلن وما عَسِينا

وقال الحَكم الْخُضْرىُّ (٦) :

كُومٌ تظاهَرَ نِيُّهَا وتربَّعتْ ... بقْلًا بعَيْهَم والْحِمَى مجْنُونا (٧)

---

(١) البيتان فى ديوان جرير ١٣ وأولهما فى اللسان (عمر) . وعمر : عاش وبقى زماناً طويلا . والغرة : الغفلة . وفى المثل : « الغرة تجلب الدرة » ، أى تجلب الرزق . ما عدا ل : « بعزة » وهى تخالف رواية الديوان واللسان . العصبصب : الشديد ، يريد سِيقَتْ سوقا شديداً وعنف بها .

(٢) وكذا فى الحيوان (٧ : ٦٣) . وفى الديوان : « عكلا بغرة » و« عكل » وهذه هى الرواية الصحيحة . يقول : قد فرستُ تيما فإياكم ياعكل أن تعرضوا لى فتكونوا مثلهم . والشاة والناقة إذا رأت شاة مذبوحة أو ناقة منحورة فزعت منها فنفرت . فشمها إياها نظرها إليها . وقيل إن السبع إذا ضغم شاة ثم طرد عنها أقبلت الغنم تشم موضع الضغم فيفترسها السبع وهى تشم .

(٣) الميل ، بالكسر : المرود . والداءة : المريضة التى بها الداء .

(٤) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وقسا ، بالفتح : موضع بالعالية ، ويقال بالكسر أيضاً ، كما فى المقصور ٨٨ . ذفر : ذكى الرائحة . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والجربياء : الريح الشمالية الباردة . والحنين : صوت الريح . الحيوان (٣ : ١٠٨) ، واللسان والكامل ٤٦٤ ليبسك ومعجم البلدان (قسا) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .

(٥) تتزخر : يكثر ماؤها . ب والتيمورية : « بها يتزخر » جـ : « بها يتذخر » والأخيرة محرفة . والقلع ، بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال ، الواحدة قلعة . والخازباز : ذباب يظهر فى الربيع فيدل على خصب السنة ، أو هو نبت . وجنونه : تكاثفه .

(٦) هو الحكم بن معمر الخضرى ، المترجم فى (٢ : ١٣٦) .

(٧) كوم : جمع أكوم وكوماء ، وهى العالية السنام . والنى ، بكسر النون وفتحها : الشحم . وعيهم والحمى ، موضعان . والبيت فى اللسان (جنن) بدون نسبة ، وبرواية : « تَظاهَرَنيُّها لما رعت روضاً بعيهم » .

والمجنونُ : المصروعُ ، ومجنونُ بَنى عامر ، ومجنونُ بنى جَعدة (١) .

وإذا فخر النباتُ قيل قد جُنَّ (٢) . وقال الشَّنْفَرى : ٢١٥

فدَقَّت وَجَلَّت واسبكرَّت وأُنْضِرَت فلو جُنَّ إنسانٌ من الْحُسن جُنَّتِ (٣)

قال : وسمع الحجّاجُ امرأةً من خلفِ حائطٍ تُناغى طفلًا لها ، فقال : مجنونةٌ أو أمُّ صَبىّ !

وقال أبو ثُمامة بن عازِب (٤) :

وكُلهمُ قد ذاقنا فكأنَّما يرونَ علينا جِلْدَ أجْرَب هامِلِ (٥)

وقال التَّغلَبى (٦) :

يَرى الناسُ منَّا جِلْدَ أسْوَدَ سالخ وفَرْوَةَ ضِرْغامٍ من الأُسْدِ ضَيْغَمِ (٧)

---

(١) جعلهما الجاحظ شخصين ، والمعروف أن المجنون العامرى ، هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فهو عامرى ثم جعدى . انظر المؤتلف ١٨٨ والأغانى (١ : ١٦١ ساسى) .

(٢) الفاخر : الذى بلغ وجاد من النبات ، فكأنه فخر على ماحوله . وأنشد فى اللسان (فخر) شاهداً لذلك قول لبيد :

حتى تزينت الجواء بفاخر قصف كألوان الرحال عميم

(٣) البيت من قصيدة له فى المفضليات (١ : ١٠٦ – ١١٠) . وأنشد البيت فى الحيوان (٣ : ١٠٨ / ٦ : ٢٤٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ . أى دق جسمها فى المواضع التى يستحسن فيها الدقة كالخصر ، وعظم فى الأجزاء الذى يرضى فيها العظَم كالردف . اسبكرت : استقامت واعتدلت وحسن قواؤها . وأنضرت من قولهم : أنضَرَ النبت والشجر ، إذا نضر واخضر ورقه . ل فقط : « أنظرت » تحريف . والرواية فى المراجع المتقدمة : « وأكملت » بدل : « وأنضرت » . قال ثعلب : « ويقال إن الحسان تتبعهم الشياطين » . وفى اللسان : « وفى حديث الحسن : لو أصاب ابنُ آدم فى كل شئ جن . أى أعجب بنفسه حتى يصير كالمجنون من شدة إعجابه . وقال القتيبى : وأحسب قول الشنفرى من هذا » .

(٤) هو شاعر ضبى ، كما سبق فى (٢ : ٢٧٦) .

(٥) الهامل : المسيب الذى لا راعى له .

(٦) ما عدا ل : « الثعلبى » تحريف . وإنما هو جابر بن حنى بن حارثة بن عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ، شاعر جاهلى قديم ، كان صديقاً لامرئ القيس وكان معه لما لبس الحلة المسمومة التى بعثها إليه قيصر دون أنقرة بيوم . وقصيدة البيت فى المفضليات (٢ : ٩ – ١٢) .

(٧) البيت آخر أبيات المفضلية . الأسود العظيم من الحيات ، وإنما يقال له السالخ لأنه =

وأنشدنا الأصمعيُّ :

مُنْهَرِتُ الشِّدقَين عَودٌ قد كَمَل (١)   كأنَّما قُمِّص من لِيطِ جُعَلْ (٢)

وقال نُصَيب لعُمَر بن عبد العزيز : إنّ لى بُنَيّةً ذَررتُ عليها من سوادِى .

وقال عبد الملك للوليد :

لا تَعزِل أخاكَ عبدَ الله عن مصر ، وانظُر عمَّك محمدَ بن مروان فأَقِرَّهُ على الجزيرة ، وأما الحجّاجُ فأنت أحوَجُ إليه منه إليك ، وانظُر علىّ بنَ عبدَ الله فاستَوْصِ به خيراً .

فضَرَبَ عليًّا بالسِّياطِ ، وعزَل أخاه وعَمَّه .

وقال أبو نُخَيلة (٣) :

أنَا ابنُ سَعدٍ وتوسَّطْتُ العجَمْ   فأنا فيما شيتُ من خالٍ وعمّ

وأنشد :

هُمُ وسَطٌ يرضى الإلٰهُ بحُكمهم   إذا طَرقَت إحدَى الليالى بمُعظِمِ

يجعلُونَ ذلك من قولِ الله تبارك وتعالى : ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ ويكُونَ الرَّسُولُ عليكُمْ شَهيداً ﴾ .

= يسلخ جلده فى كل عام . الضرغام والضيغم من أسماء الأسد . يقول : إن الناس يهابونهم هيبتهم الأفعى والأسد .

(١) يصف أسود سالخا ، كما فى الحيوان (٣ : ٥٠٢) . منهرت الشدقين : واسعهما . والعود : المسن ، وأصله الجمل المسن وفيه بقية .

(٢) قمص : ألبس قميصا . والليط ، بالكسر : قشر القصب اللازق به ، عنى به الجلد . والجعل : حشرة طائرة سوداء يضرب بسوادها المثل ، يصف سواد الحية .

(٣) أبو نخيلة اسمه يعمر ، وإنما سمى أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة وهو من بنى حمان بن كعب بن سعد ، ويظهر من قوله التالى أن أمه عجمية . وكان يهاجى العجاج . ومما أخذ عليه قوله فى نعت امرأة :

برية لم تأكل المرققا   ولم تذق من البقول الفستقا

ظن أن الفستق بقل . انظر الشعراء ٣٨١ ليبسك والمؤتلف ١٩٣ ، والأغانى (١٨ : ١٣٩ – ١٥٢) والخزانة (١ : ٧٨ – ٨٠) .

وأنشد :

ولولا خُلَّةٌ سبقتْ إليه … وأَخْوٌ كانَ من عَرَق المُدامِ (١) ٢١٦
دَلَفتُ لهُ بأبيض مَشرَفِيٍّ … كما يَدنو المصافِحُ بالسَّلَام (٢)

وقال يَزيدُ بنُ ضَبَّة (٣) :

لا تُبدِيَنَّ مقالةً مأثورةً … لا تستطيع إذا مَضَتْ إدراكها

وقال ابنُ ميَّادَة :

يأيُّها الناسُ رَوُّوا القولَ واستَمِعُوا … وكُلُّ قولٍ إذا ما قِيلَ يُستَمَعُ (٤)

وقال الآخر :

ما المُدلجُ الغادِى إليه بسُحرةٍ … إلّا كآخرَ قاعِدٍ لم يَبرَحِ

وقال العلاءُ بنُ مِنهالٍ الغنوىّ (٥) فى شَريك بن عبدِ الله (٦) :

فَليتَ أبا شَريك كان حَيًّا … فيُقصِرَ عن مقالَتِه شريكُ (٧)

---

(١) فى هامش هـ : « الكسائى والفراء . يقال ما كنت أخا ، ولقد أخوت أخوا » . والعرق من الخمر : الذى مزج قليلا ، كأنه جعل فيه عرق من الماء .

(٢) المشرفى : نسبة إلى المشارف ، من قرى اليمن . ما عدا ل : « للسلام » .

(٣) ضبة أمه ، غلبت على نسبه ؛ لأن أباه مات وخلفه صغيراً . واسمه يزيد بن مقسم الثقفى مولى ثقيف . وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد فى حياة أبيه ، متصلا به لا يفارقه ، فلما ولى هشام الخلافة وتنكر له صار إلى الطائف ، فلم يزل مقيما بها حتى ولى الوليد الخلافة ، فوفد عليه فأنشده القصيدة التى أولها :

سليمى تلك فى العير … قفى أسألك أو سيرى

فأمر الوليد أن تعد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت خمسين ، فأعطى خمسين ألفاً . فكان أول خليفة فعل ذلك . الأغانى (٦ : ١٤١ - ١٤٣) .

(٤) أراد : رووا فى القول ، فحذف الجار . والتروية : النظر والتفكر . ما عدا ل ، هـ : « ردوا القول » .

(٥) ل : « العنزى » وأثبت ما فى سائر النسخ واللسان (١ : ٦٦) .

(٦) شريك بن عبد الله النخعى ، ترجم فى (٢ : ٢٥٣) . وفى اللسان : « فيقصر حين يبصره » .

(٧) كتب فوقها فى هـ : « خ : شريكا » .

وَيترُكَ مِن تدرُّئِهِ علينا ‏ ‏ ‏ ‏ إذا قلنا لهُ هذا أبوكا (١)

وقال طارقُ بن أُثَال الطائيُّ :

ما إنْ يزال ببغدَادٍ يزاحِمُنا ‏ ‏ ‏ ‏ على البَراذِين أشباهُ البَرَاذينِ (٢)
أعطاهُمُ اللهُ أموالًا ومنزلةً ‏ ‏ ‏ ‏ من الملوكِ بلا عَقلٍ ولا دِينِ (٣)
ما شِئتَ من بغلَةٍ سَفواء ناجيَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ومن أثاثٍ وقول غيرِ موزُونِ (٤)

وقال مُنقِذُ بنُ دِثَارٍ الهلالىُّ (٥) :

لا تترُكَنْ – إن صَنيعَةٌ سلَفَتْ ‏ ‏ ‏ ‏ منك وإن كنتَ لستَ تنكرِهُا
عند امرئٍ – أن تقولَ إنْ ذُكِرَت ‏ ‏ ‏ ‏ يوماً من الدهر : لستُ أذكرُها
فإنَّ إحياءَهـــا إماتتُهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ وإنّ مَنًّـا بها يُكدِّرُهـــا ٢١١

وقال بعضُ الحكماء : « صاحِبْ مَن ينسَى معروفَهُ عِندك ، ويتذكّرُ حقوقَك عليه (٦) » .

وقال مِنْقَرُ بن فروةَ المِنْقرىّ :

---

(١) فى الأصول : « أبوك » ولا يستقيم به الوزن ، وأثبت صوابه من اللسان ومما كتب فوق الكلمة فى هـ : « خ : أبوكا » إشارة إلى نسخة . وروايته فيه : « ويترك من تدريه » . قال : « قال ابن سيده : إنما أراد من تدرئه ، فأبدل الهمزة إبدالا صحيحاً حتى جعلها كأن موضوعها الياء ، وكسر الراء المجاورة هذه الياء المبدلة » . والتدرؤ : الاندفاع .

(٢) تقدمت الأبيات فى (١ : ٢٢٧) . وفيما عدا ل ، تقديم البيت الثالث على الثانى . والأبيات بدون نسبة فى مجالس ثعلب ١٧٨ .

(٣) فى مجالس ثعلب : « أقداراً ومنزلة » .

(٤) فى مجالس ثعلب : « ومن فعال وقول » . وأشير فى هـ إلى رواية « ومن ثياب » .

(٥) هو منقذ بن عبد الرحمن بن دثار الهلالى ، قال المرزبانى : بصرى خليع ماجن ، متهم فى دينه يرمى بالزندقة ، كان فى صدر الدولة العباسية . وأنشد له :

ما أرى الفضل والتكرم إلا ‏ ‏ ‏ ‏ كفك النفس عن طلاب الفضول
وبلاء حمل الأيادى وأن تســ ‏ ‏ ‏ ‏ ـمع مَنًّا تؤتى به من منيل

معجم الشعراء ٤٠٤ . وفيه : « زياد » بدل « دثار » . وقد ذكره أبو الفرج فى الأغانى (١٦ : ١٤٣) فى نص منقول من الجاحظ ، وسماه : منقذ بن عبد الرحمن الهلالى ، وجعله من أصحاب والبة وبشار ، ومطيع بن إياس ، وأبان اللاحقى .

(٦) سبق الخبر فى (٢ : ٨٣) منسوبا إلى رجل من بنى تميم .

وإن خفتَ من أمرٍ فواتاً فَوَلِّهِ   سِواكَ وعن دَارِ الأذَى فتَحَوَّلِ
وما المرء إلّا حيثُ يجعَلُ نفسَهُ   ففى صالحِ الأخلاقِ نفسَكَ فاجعَلِ (١)

ونظر أبو الحارث جُمَّين (٢) إلى برذَونٍ يُستَقى عليه الماءُ ، فقال :

* وما المرءُ إلّا حيث يجعلُ نفسَهُ *

لو هملَجَ هذا البِرذَونُ لم يُجعَل للرَّاوِيَة !

وأنشد :

لا خيرَ فى كلِّ فتًى نَؤُومِ   لا يعتريهِ طارِقُ الهُمُومِ

وأنشد :

اجعلْ أبا حَسَنٍ كمن لم تَعرِفِ   واهجرْهُ مُعتزماً وإن لم يُخلِفِ (٣)
آخِ الكرامَ المُنصفِينَ وصِلْهُمُ   واقطَعْ مودَّةَ كلِّ من لم يُنصِفِ

وقال عُمارةُ بن عَقيل بن بلالِ بن جرير (٤) :

ما زال عِصيانُنا للهِ يُسْلِمُنا (٥)   حَتَّى دُفِعنا إلى يَحيَى ودينارِ (٦)

---

(١) سبق إنشاده فى (٢ : ١٠٣) بدون نسبة . ماعدا ل : « صالح الأعمال » . وأشير إلى رواية « الأخلاق » فى هـ .

(٢) مضت ترجمته فى (٢ : ١٠٣) حيث سبق الخبر .

(٣) كذا فى ب ، جـ . وفى ل ، هـ : « تحلف » . وفى التيمورية تقرأ بالتاء والياء مع الخاء المعجمة .

(٤) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى ، كان من الشعراء الفصحاء ، قدم من اليمامة فمدح المأمون ووجوه قواده ، واتصل بإسحاق بن إبراهيم المصعبى ، وله فيه مدح كثير . واجتمع الناس وكتبوا شعره ؛ وبقى إلى أيام الواثق ومدحه ، وعمى قبل موته . معجم المرزبانى ٢٤٧ والأغانى (٢٠ : ١٨٣ – ١٨٨) وتاريخ بغداد ٦٧٢٢ .

(٥) فى الأغانى : « يرذلنا » بدل : « يسلمنا » . وفى كنايات الثعالبى : « يوبقنا » .

(٦) البيتان نسبا فى الأغانى (١٨ : ٤٦) وكنايات الثعالبى ١٨ إلى دعبل بن على الخزاعى . ويحيى ودينار أخوان ، وهما يحيى بن عبد الله ، ودينار بن عبد الله ، كان دعبل مدحهما فلم يرض ثوابهما ، فقال الشعر يهجوهما .

إلى عُلَيجَين (١) لم تُقطَع ثمارُهما (٢)   قد طال ما سجدَا للشمسِ والنارِ (٣)

وشاتَم أعرابىٌّ أعرابيًّا فقال : « إنَّكم لتعتَصرُونَ العطاءَ ، وتُعيرونَ النِّساء ، وتَبيعُون الماءَ » .

وقال أبو الأسْودِ الدؤلىُّ :

لنا جِيرةٌ سَدُّوا المَجَازةَ بيننا   فإن ذكَّروكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكيسُ

٢١٨ ومِن خير ما ألْصَقْتَ بالدارِ حائطٌ   تَزِلُّ به صُقعُ الخطاطيفِ أملَسُ

وأنشد :

إذا لم يكُن للمرءِ بُدٌّ من الرَّدَى   فأكرَمُ أسبابِ الردى سَبب الحُبِّ

وقال الآخر :

وإذا شَنِئْتُ فتًى شَنِئْتُ حديثَهُ   وإذا سَمِعتُ غِناءَهُ لم أطرَبِ

وأنشد المسرُوحىّ ، لكامِل بن عِكرِمة (٤) :

لها كلَّ عامٍ موعِدٌ غير مُنجَزٍ   ووَقتٌ إذا ما رَأسُ حولٍ تَجرَّمَا (٥)

فإنْ وَعَدَت شراً أتى دُونَ وقِته   وإن وَعَدَت خيراً أراثَ وعَتَّما (٦)

---

(١) فى الأغانى : « وغدين علجين » . والعلج : الرجل من كفار العجم .

(٢) لم تقطع ثمارهما ، كناية عن أنهما لم يختنا ، كما هو عادة العلوج . وثمرة السوط : عقدة طرفه . قال الثعالبى : « ومما يكنى به عن القلفة قول دعبل ... » وأنشد البيتين .

(٣) سبق البيتان والكلام على قصتهما فى (٢ : ٣٥٤ - ٣٥٥) .

(٤) ذكره المرزبانى فى معجمة ٣٥٥ ، وأنشد له البيتين .

(٥) تجرم : انقضى وانصرم . وفى المعجم : « أرى كل عام موعداً غير ناجز وخلفا » .

(٦) فى هـ ، ومعجم المرزبانى : « فإن أوعدت شرا أتى قبل وقته » . وأشير فى هـ : إلى رواية « دون » . وفى اللسان : الأزهرى كلام العرب : وعدت الرجل خيراً ووعدته شرا ، وأوعدته خيرا وأوعدته شرا . فإذا لم يذكروا الخير قالوا : وعدته ، ولم يدخلوا ألفا . وإذا لم يذكروا الشر قالوا أوعدته ، ولم يسقطوا الألف . وأنشد لعامر بن الطفيل :

وإنى وإن أوعدته أو وعدته   لأخلف إيعادى وأنجز موعدى

أراث : أبطأ . وعتم : أبطأ أيضاً . المرزبانى : « وأعتما » ، يقال عتم وأعتم وعتم ، بمعنى .

وقال الآخر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ سَيرَ الخَيْرِ ريثٌ وأَنَّ الشرَّ راكِبُهُ يطيرُ (١)

وقال محمدُ بنُ يَسير :

تَأتِى المكارهُ حين تَأتِى جملةً وترى السُّرورَ يَجىءُ فى الفَلَتاتِ (٢)

وقال الآخر :

إذا ما بَرِيدُ الشامِ أقبَلَ نحونا ببَعض الدَّواهى المُفْظِعات فأَسرَعا (٣)

فإنْ كان شراً سارَ يوماً وليلةً وإن كان خيراً قصَّدَ السَّيرَ أربَعا (٤)

وقال آخر :

وتُعجِبُنا الرُّؤيا فجُلُّ حَديثِنا إذا نحن أصبَحنَا الحديثُ عن الرُّؤيا (٥)

فإنْ حَسُنَت لم تأتِ عجلَى وأبطأَت وإن قَبُحَتَ لم تحتَبِس وأتت عَجلَى

وقال آخر :

وإذا نَهضتُ فما النُّهوضُ بدائمٍ وإذا نُكِبتُ توالَتِ النَّكَباتُ (٦)

* * *

قال : قيل لأعرابىٍّ : ما أعددْتَ للشِّتاء ؟ قال : جُلّةً رَبوضاً (٧) ، وصيصيَةً

---

(١) سبق البيت فى ص ٢٠٨ . (٢) مضى فى ص ٢٠٩ .

(٣) فى نسخة : « الدواهى الربد سار » عن حواشى هـ . والبيتان فى رسائل الجاحظ (٢ : ٢٧٧) بتحقيقنا . (٤) قصد السير : فصله ، كما يقال قصد العظم : كسره وفصله ..

(٥) نسب إلى الفضل بن يحيى البرمكى فى مروج الذهب (٣ : ٣٩٢) قاله حين قبض عليه هو ويحيى بعد أن قتل جعفر . وقبله فى عيون الأخبار (١ : ٨١) :

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى وفى يده كشف المصيبة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من آهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا

(٦) موضع هذا البيت فيما عدا ل متقدم على البيتين السابقين .

(٧) الجلة ، بالضم : وعاء من الخوص ، يوضع فيه التمر ويكنز . والربوض : الضخمة العظيمة .

سَلُوكا (١) ، وشَملةً مَكُوداً (٢) ، وقُرْمُوصاً دَفيئا (٣) ، وناقةً مُجَالِحة (٤) .

وقيل لآخر : ما أعددتَ للشّتاءِ ؟ قال : شِدَّةُ الرِّعدة .

وقيل لآخر : كيف ليلكم ؟ قال: سَحَرٌ كلُّه .

وقيل لآخَر : كيف البردُ عندكم ؟ قال : ذَاكَ إلى الرِّيح .

وقال مَعنُ بن أُوس (٥) :

٢١٩ فلَا وَأَبِى حَبيبٍ ما نَفاهُ ... منَ أرضِ بنى ربيعةَ من هوانِ (٦)
وكان هو الغَنىَّ إلى غِناهُ ... وكانَ من العشيرة فى مَكَانِ (٧)
تكَنَّفَهُ الوُشاةُ فأزعجوهُ ... ودَسٌّ من فضالة غيرُ وانِ (٨)
فلَوْلا أنَّ أُمَّ أبيه أُمّى ... وأنْ مَنْ قد هَجاهُ فقد هجانى
وأنّ أبى أبوه لذاقَ منّى ... مَرارةَ مِبردى ولكان شانِى (٩)
إذاً لأَصابه منِّى هجاءٌ ... يُمِرُّ به الرَّوِىُّ على لِسَانى (١٠)

---

(١) الصيصية : شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة . والسلوك : السهلة السلوك .

(٢) الشملة ، بالفتح : كساء دون القطيفة يشتمل به . والمكود : الدائمة . من قولهم ماء ماكد : دائم لا تنقطع مادته .

(٣) القرموص ، كعصفور : حفرة يستدفئ فيها الصرِد من البرد ، واسعة الجوف ضيقة الرأس .

(٤) المجالحة من النوق : التى تدر فى الشتاء لا تبالى القحط . يقال ناقة مجالح ومجالحة .

(٥) فى ديوانه ٢٤ برواية القالى : « قال أبو عمرو : وكان معن بن أوس رجلا كثير الإبل ، وكان له ابن يقال له حبيب ، فأتاه ابن عم له يقال له [فضالة] بن عبد الله فقال له : يا حبيب ، هل لك أن تخرج بنا إلى الشام وتأخذ إبلا من إبل أبيك ؟ فقال : نعم . فخرجا إلى الشام ، فطعن حبيب فمات ، ورجع ابن عمه فضالة . فقال معن فى ذلك » .

(٦) فى الديوان : « لعمر أبى ربيعة » . فلعل كنية حبيب أبو ربيعة .

(٧) أى فى مكان عظيم .

(٨) فضالة هو ابن عم حبيب ، كما ورد فى القصة . وفى الأصل : « من قضاعة » ، صوابه من الديوان . وفى حواشى هـ : « رواية أبى على : فضالة » .

(٩) فى شرح الديوان : « مبردى يعنى لسانى . لكان شانى ، أى لكان همى لا أفرط فى أمره » .

(١٠) يمر : يصير مرا . والروى : حرف القافية ، عنى به الشعر . ورواية الديوان : « يذل به الروى » .

أَعَلِّمُهُ الرِّمايةَ كُلَّ يومٍ فلما استَدّ ساعِدُه رمانى (١)

وقال بعض اليهود :

وَلَو كنتُ أرضى لا أبالَك بِالذى به العائلُ الجثَّامُ فى الخَفضِ قانِعُ (٢)
إذًا قَصُرتْ عِندى الهمومُ وأصبحَتْ علىَّ وعنِدى للرِّجال صنائع (٣)

ذكر ما قالوا فى المَهَالبة (٤)

إنّ المَهالِبةَ الكِرامَ تحمَّلوا دَفْعَ المكارِهِ عن ذَوِى المكرُوهِ (٥)

---

(١) هذا هو الصواب فى رواية البيت . واستد ، من السداد ، وهو القصد كما فى حواشى هـ . وفيما عدا التيمورية ، هـ : « فلما اشتد » تحريف . انظر اللسان (سدد) حيث نبه على هذا الصواب . وفى اللسان : « قال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدى ، وكان ابنه سليمة رماه بسهم فقتله فقال البيت . قال ابن برى : ورأيته فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عملس حين رماه بسهم . وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى وشلت منك حاملة البنان »

وانظر الاشتقاق ٢٩٢ ، ٣١٧ والأغانى (٥ : ٦/١٠ : ٦٩) .

(٢) العائل : الفقير . والجثام : اللازم مكانه لايبرح . الخفض : سعة العيش ، وهو هنا عيش من يمونه ويكفله .

(٣) الصنائع : جمع صنيعة ، وهى ما يسدى من معروف أو يد إلى إنسان .

(٤) المهالبة : جمع مهلبى ، نسبة إلى المهلب بن أبى صفرة ، فالتاء فيه للدلالة على أن واحده منسوب ، وذلك أنهم حين أرادوا أن يجمعوا المنسوب جمع تكسير اضطروا إلى حذف ياء النسب ، لأن ياء النسب والجمع لا يجتمعان فأتى بالتاء بدلا من ياء النسب . الصبان (٤ : ٨٥) . وجدهم المهلب بن أبى صفرة ، واسم أبى صفرة ظالم بن سراق بن كندى بن عمرو بن عدى الأزدى العتكى . ولد المهلب فى حياة الرسول عام الفتح ، وكان من أشجع الناس ، وهو الذى حمى البصرة من الخوارج ، وله معهم وقائع مشهورة استقصى أكثرها المبرد فى الكامل ، ولذا قيل « بصرة المهلب » . وولى خراسان من قِبل الحجاج بن يوسف ، فقد كان الحجاج أمير العراقين وخراسان وسجستان ، فولى المهلب خراسان وعبد الله بن أبى بكرة سجستان . قال ابن قتيبة : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . فمنهم يزيد بن المهلب ، وقبيصة بن المهلب ، والمغيرة بن المهلب ، ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وروح بن يزيد بن أبى حاتم ، ومنهم الوزير المهلبى ، وهو الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة ، المتوفى سنة ٣٥٢ . وكان بنو المهلب فى دولة بنى أمية كما كان البرامكة فى دولة بنى العباس ، مضرب المثل فى الكرم . توفى المهلب سنة ٨٣ . ابن خلكان والإصابة ٨٦٢٧ والمعارف ١٧٥ .

(٥) كذا ورد البيتان بدون أن يسبقا بعبارة للإنشاد . وهما للفرزدق فى ديوانه ٨٨٥ وعيون الأخبار (١ : ٣٤٣) .

زانوا قدِيمَهُم بحسُن حَديثِهم   وكَرِيمَ أخلاقٍ بحسُنِ وجُوهِ

وقال أبو الجَهم العدَوِىُّ (١) فى معاوية بن أبى سُفيانَ :

نُقَلِّبُهُ لنَخْبُرَ حالتَيهِ   فَنخبُرُ مِنهُما كرماً ولِينا

نَميلُ على جوانبِهِ كأنّا   نَميلُ إذا نَمِيلُ على أبينا

وقال الآخرُ (٢) فى هذا الشكل :

إنْ أُجْزِ علقمة بنَ سَيفٍ سعيَهُ   لا أُجْزِهِ ببلاءِ يومٍ واحِدِ (٣)

لأحبَّنى حُبَّ الصَّبِّى ورمَّنى   رَمَّ الهدىِّ إلى الغَنىِّ الواجِدِ (٤) ٢٢٠

ولقد شفيتُ غَليلَتى فنقعتُها   من آلِ مسعودٍ بماءٍ باردِ (٥)

وقال بُكَيرُ بن الأخنَس :

نَزلتُ على آلِ المُهلَّب شاتياً   فقيراً بعيدَ الدارِ فى سَنَةٍ مَحْلِ (٦)

فما زالَ بى إلطافُهم وافتقادُهُم   وإكرامُهم حتى حَسِبتُهُمُ أهلى (٧)

---

(١) هو أبو الجهم بن حذيفة العدوى ، المترجم فى (٢ : ٣٢٢) .

(٢) هو رجل من بهراء ، اسمه فدكى بن أعبد ، كان مجاوراً لعلقمة بن سيف العتابى ، وكان له إبل فسرقت ، فلما علم علقمة بذلك سعى فى استردادها من خاربها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بعير وساقها إلى فدكى عوضاً ، فقال هذا الشعر يمدحه . الحماسة (٢ : ٢٦٧) وشرحها للتبريزى (٤ : ٧٠ – ٧١) واللسان (لمم) .

(٣) روى المرزبانى فى معجمه ٤٧٥ هذا البيت وتاليه منسوبين إلى المرناق الطائى . والأبيات بدون نسبة فى الحيوان (٣ : ٤٦٨) .

(٤) رمنى ، بالراء ، أى أصلح حالى . والهدى : العروس تزف وتهدى إلى زوجها . والواجد : الغنى . ورواية اللسان : « ولمنى لم الهدى » . وبعده فى المعجم :

وأثابنى يوم الصراخ بهجمة   مائة تشت على عصىِّ الذائد

(٥) ويروى : « من آل عتاب » ، كما فى حواشى هـ .

(٦) البيتان بدون نسبة فى الحماسة (١ : ١٠٩) ، ونقلهما ابن خلكان فى ترجمة المهلب بن أبى صفرة رواية عن الحماسة . وهما كذلك بدون نسبة فى عيون الأخبار (١ : ٣٤١) . وفى الحماسة : « غريباً عن الأوطان فى زمن محل » . وابن خلكان : « بعيداً عن الأوطان فى الزمن المحل » ، وابن قتيبة : « بعيداً قصى الدار فى زمن محل » .

(٧) الإلطاف : الإتحاف . والافتقاد والفقد : طلب الشىء عند غيبته ، عنى كثرة سؤالهم عنه واهتمامهم بأمره . وفى الحماسة : « فما زال بى إكرامهم واقتفاؤهم وإلطافهم » . والاقتفاء : الإكرام . وفى الوفيات : « فما زال بى معروفهم وافتقادهم وبرهم » .

وقال فى كلمةٍ له أخرى :

وقد كنت شيخاً ذا تجارِبَ جَمَّةٍ　　فأصبحت فيهمْ كالصبىِّ المُدلَّلِ

ورأى المُهلَّبَ وهو غلامٌ فقال :

خُذُونى به إن لم يَسُدْ سَرَواتِهم　　ويبرعَ حتّى لايكونَ له مِثْلُ

وقال الحَزينُ [١] ، فى طلحة بن عَبدِ الله [٢] بن عبد الرحمن بن أبى بكرٍ الصديق رضى الله عنه – وأُمه عائشةُ [٣] بنتُ طلحةَ بن عُبيد الله [٤] ، من ولَدِ أبى بكرٍ الصّدِّيق رحمه الله :

---

(١) الحزين لقب غلب عليه ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك . شاعر من شعراء الدولة الإسلامية ، حجازى . وكان هجاء متكسباً بالشعر ، بروون أنه كان يضرب على كل رجل من قريش درهمين درهمين فى كل شهر . وقد وفد إلى مصر ومدح عبد الله بن عبد الملك ، واليها ، بأبيات منها :

لما وقفت عليه فى الجموع ضحى　　وقد تعرضت الحجاب والخدم
حييته بسلام وهو مرتفق　　وضجة القوم عند الباب تزدحم
فى كفه خيزران ريحه عبق　　فى كف أروع فى عرنينه شمم

الأغانى (١٤ : ٧٤ – ٨٢) والمؤتلف ٨٨ .

(٢) الكلام بعده إلى « بن عبد الله » من ل ، هـ فقط . وطلحة هذا ، ممن له صحبة ، وأرسل عن جده الصديق . تهذيب التهذيب .

(٣) كانت عائشة زوجة لعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، ثم تزوجها مصعب بن الزبير فأعطاها ألف ألف درهم ، فقال أنس بن زنيم الديلمى لأخيه عبد الله :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة　　من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل　　وتبيت سادات الجيوش جياعا
لو لأبى حفص أقول مقالتى　　وأقص شأن حديثهم لارتاعا

يعنى أبا حفص عمر بن الخطاب . فلما قتل مصعب تزوجها عُمَر بن عبيد الله بن معمر التيمى المعارف ١٠٢ – ١٠٣ .

(٤) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . ويقال طلحة الخير ، وطلحة الفياض . ويقال له أيضاً طلحة الطلحات ، وهو لقب مشترك بينه وبين طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى الذى قيل فيه :

رحم الله أعظما دفنوها　　بسجستان ، طلحة الطلحات

كان طلحة من المهاجرين الأولين ، ومن العشرة المسمين للجنة ، وأحد أصحاب الشورى ولم يحضر يوم التشاور . وقد وقى الرسول يوم أحد من ضربة قصد بها إليه . توفى سنة ٣٦ . الإصابة ٥٤٢٩ والمعارف ١٠٠ – ١٠١ .

فإنّ تَكُ يا طَلحُ أعطيتَنى جُماليَةً تَستَخِفُّ السِّفَارَا (١)
فما كان نَفعُك لى مرَّةً ولا مَرّتَين ولكن مِرارا

وقال أبو الطَّمَحان (٢) :

سأمدَحُ مالِكاً فى كل ركب لقيتهم ، وأتركُ كلّ رَذْلِ (٣)
فما أنا والبِكارَةَ مِنْ مَخاضٍ عِظَامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وبُزْلِ (٤)
وقد عَرفتِ كِلابُكم ثيابى كأنّى منكمُ ونسِيتُ أهلِى (٥)
نَمتكُم من بنى شَمْخٍ زِنَادٌ لها ما شِئتَ مِن فرعٍ وأصلِ (٦) ٢٢١

وقال أبو الشَّغْب (٧) :

---

(١) الجمالية : الناقة تشبه الجمل فى خلقها وشدتها وعظمها . والسفار : حبل يشد طرفه على خطام البعير فيدار عليه ويجعل بقيته زماما .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ١٨٧) .

(٣) مالك هذا ، هو مالك بن حمار الشمخى ، الذى قتله خفاف بن ندبة . انظر الحيوان (١ : ٣٨٠) وحواشيه . والرذل : الدون الخسيس .

(٤) البكارة ، بكسر الباء : جمع بكر بالفتح ، وهو من الإبل بمنزلة الفتى من الناس . والرفع فى مثل هذا الأسلوب هو الأفصح . ويجوز فيه النصب مفعولا معه ، ومنعه بعض المتأخرين كابن الحاجب . همع الهوامع (١ : ٢٢١) . والمخاض : الحوامل من الإبل ، واحدتها خلفة على غير قياس ، كما قالوا لواحدة النساء امرأة . والجلة : المسان من الإبل . والسدس : جمع سديس ، وهو الذى يلقى السن بعد الرباعية ، وذلك فى السنة الثامنة . والبزل ، وأصله بضم الزاى ، جمع بزول ، ومثله البزل كركع جمع بازل ، وهو البعير حين يطعن فى التاسعة . يقول : ليست تعنينى تلك الصغار إذا ظهرت بين الكبار .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « كلابهم » على الالتفات .

(٦) بنو شمخ : قبيل مالك بن حمار الذى مدحه أبو الطمحان ، وهم بنو شمخ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن غطفان . الاشتقاق ١٧١ . قال ابن دريد « ومنهم مالك بن حمار الشمخى ، قتله خفاف بن ندبة السلمى » . انظر خبر مصرعه فى الأغانى (١٣ : ١٣٤) . نماه : رفعه فى النسب . والزناد : جمع زند ، وهو العود الأعلى الذى يقتدح به النار . والزند ووريه مثل فى الكرم وغيره من الخصال المحمودة . يقال : هو وارى الزند ، أى كريم ذو خصال حميدة .

(٧) أبو الشغب العبسى : أحد شعراء الدولة الأموية . وأنشد له أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٨٣) أبياتاً فى خالد بن عبد الله القسرى . وأخرى فى (١ : ٤٣٠) يرثى ابنه =

أَلا إنَّ خيرَ الناسِ قد تعلمونه　　أسيرُ ثقيفٍ مُوثَقاً فى السلاسلِ [١]
لَعَمرى لئِنْ أعمرتُم السِّجنَ خالدا　　وأوطأتُمــوهُ وطــأةَ المتثاقــلِ
لقد كان نَهّاضاً بِكُلِّ مُلِمَّةٍ
ومُعطِى اللُّهَى غَمراً كثير النوافِلِ [٢]
فإنّ تسجُنوا القَسرىَّ لا تَسجُنُوا اسْمَهُ
ولا تسجنوا معروفَهُ فى القبائِلِ

ومن هذا الباب قَولُ أعشَى هَمْدانَ [٣] ، فى خالِدِ بن عتّابِ بنِ ورقاءَ [٤] :

رأيت ثناءَ النّاس بالغَيب طَيِّباً　　عليكَ وقالوا : ماجدٌ وابنُ ماجِدِ [٥]

= شغبا ، وأنشدها القالى أيضاً فى أماليه (٢ : ٨٨) ، والمبرد فى الكامل ١٢٧ ليبسك . وثالثة فى (١ : ٤٣٦) يرثى بها بنيه ، وقد رواها ثعلب فى أماليه ٢٤٢ .

(١) أسير ثقيف هذا ، هو خالد بن عبد الله القسرى ، وكان من خبره أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما ولى الخلافة – وأمه أم الحجاج ابنة محمد بن يوسف الثقفى ، كما فى التنبيه والإشراف – دفع بخالد إلى يوسف بن عمر الثقفى عامله على العراق ، فحمله إلى الكوفة وعذّبه حتى قتله ، وذلك سنة ١٢٦ ، انظر تاريخ الطبرى . ويفهم من صنيع أبى تمام فى الحماسة أن الشعر فى رثاء خالد ، فقد ساقه فى باب المراثى ، وليس كذلك ، وإنما قالها الشاعر تمجيداً له وتنويها به . وفى الحماسة : « خير الناس حيا وهالكا » . وفى الطبرى (٩ : ١٩) : « بحر الجود أصبح ساجيا » .

(٢) اللهى : جمع لهوة ، بالضم ، وهى العطية . والغمر ، بالفتح ، الواسع العطاء . وفى الحماسة : « ويعطى اللهى فى كل حق وباطل » .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، ويكنى أبا المصبح : شاعر كوفى من شعراء الدولة الأموية ، وكان زوج أخت الشعبى الفقيه ، والشعبى زوج أخته . وكان هذا الأعشى أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر . وخرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج أسيراً فقتله صبرا . الأغانى (٥ : ١٣٨ – ١٥٣) والمؤتلف ١٤ .

(٤) خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى ، كان من عمال الحجاج على الرى ، ثم غضب عليه وطلبه فهرب إلى الشام واستجار بزفر بن الحارث الكلابى ، فراجع عبد الملك فى أمره فأجاره . وكان لخالد أثر عظيم فى قتال الخوارج ، وهو الذى قتل غزالة امرأة شبيب بن يزيد الخارجى الشيبانى ، وكان شبيب من قبل قد قتل أباه عتاب بن ورقاء . انظر الحيوان (٥ : ٥٩٠) والطبرى (٧ : ٢٥٢ – ٢٥٤) والأغانى (١٦ : ٤١ – ٤٢) .

(٥) كان أعشى همدان قد أملق ، فأتى خالد بن عتاب فأنشده الأبيات التالية ، فأمر له بخمسة آلاف درهم . الأغانى (٥ : ١٥٠) .

بنى الحارثِ السّامِينَ للمجدِ إنّكم ‏ بَنيتُم بنـاءً ذِكـرهُ غيـرُ بائِدِ
هنيئاً لِمَا أعطاكمُ اللهُ واعلَموا ‏ بأنّى سأُطْرِى خالِداً فى القصائِدِ
فإنْ يَكُ عَتّابٌ مَضَى لسبيله ‏ فما مَاتَ من يَبقَى له مِثلُ خالِدِ (١)

ومن شكل هذا الشّعرِ قولُ الحُسَين بن مُطَيرٍ الأسَدِىّ (٢) :

أَلِمّا على معنٍ وقُولا لقبرِه ‏ سقتكَ الغوادى مُربِعاً ثمّ مُربِعا (٣)
فَيا قَبرَ معنٍ كُنتَ أوّلَ حُفرةٍ ‏ من الأرضِ خُطّت للسماحِ وموضِعا (٤)
ويا قبر معن كيف واريتَ جودَه ‏ وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُترَعا
بلى قد وسِعت الجودَ والجودُ ميّتٌ ‏ ولو كان حيًّا ضقت حتى تصدّعا (٥)

---

(١) قتل عتاب سنة ٢٤٢ ، قتله شبيب . الطبرى (٧ : ٢٤٢) .

(٢) ل : « الحسن بن مطير » . وهو الحسين بن مطير بن مكمل – وفى الحماسة : بن مطير بن الأشيم – مولى لبنى أسد بن خزيمة ، وهو شاعر من مخضرمى الدولتين ، ممن مدح بنى أمية وبنى العباس ، وكان يذهب مذهب الأعراب وأهل البادية فى زيه وفى كلامه . الأغانى (١٤ : ١١٠ – ١١٤) والخزانة (٢ : ٤٨٥) .

(٣) معن هذا ، هو ابن زائدة الشيبانى ، المترجم فى (٢ : ١١٣) . والمرثية فى الحماسة (١ : ٣٨٧) والأغانى (١٤ : ١١٣) والخزانة (٢ : ٤٨٧) وابن خلكان (٢ : ١١٢) . ويقال ألم به وعليه ، أى نزل عليه ولم يقم . وفى الأغانى والخزانة . « ألما بمعن » . والغوادى : السحب التى تغدو . والمربع بضم الميم وكسر الباء : الغيث العظيم ينبت بعده الربيع . وفى حديث الاستسقاء : « اللهم اسقنا غيثاً مُرْبعاً مُرتِعًا » . والمُرْتع : الذى ينبت ما ترتع فيه الماشية .

(٤) السماح والسماحة : الجود . فى الأغانى والخزانة : « أيا قبر معن » . الأغانى والحماسة وما عدا ل : « للسماحة موضعا » . وفى الخزانة وابن خلكان : « للمكارم مضجعا » .

(٥) تصدع ، هى تتصدع بحذف إحدى التاءين ، أى تتشقق .

فلمّا مضَى مَعنٌ مضى الجودُ والنَّدى وأصبحَ عِرنينُ المكارمِ أجدعا (١)
فتًى عيِشَ فى مَعروفِهِ بعد موته كما كان بَعدَ السَّيلِ مَجراهُ مَرتَعا
تَعزَّ أبا العباس عنه ولا يَكُنْ جزاؤُكَ من مَعنٍ بأنْ تتضَعضَعَا
فما ماتَ من كُنْتَ ابنَه لا ولا الذى لهُ مثل مَا أسدَى أبوك وما سَعَى
تَمنَّى أناسٌ شَأْوَه من ضَلاَلِهِم ٢٢٢
فأضحَوا على الأذقانِ صَرعى وظُلَّعا (٢)

وهذا مِثلُ قولِ مسلمِ بنِ الولِيدِ ، فى يزيدَ بن مَزْيَد (٣) :

قَبرٌ ببرذَعَةَ استسرّ ضريحُهُ خَطَرًا تقاصَرُ دونَهُ الأخطارُ (٤)

---

(١) العرنين : ما ارتفع من قصبة الأنف . والأنف الأجدع : المقطوع .

(٢) الشأو : المدى والغاية . والظلع : جمع ظالع ، وهو من به شبه العرج . ل : « ضلعا » ، والضُّلَّع : جمع ضالع ، وهو المائل .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٢) . والمرثية اختارها أبو تمام فى الحماسة لمسلم (١ : ٣٩٢) ولم يذكر من هو المرثى . وكذا القالى فى أماليه (١ : ٢٧٦) . وأما ياقوت فى رسم (برذعة) وأبو الفرج فى الأغانى (ترجمة مسلم بن الوليد) وابن خلكان (ترجمة يزيد بن مزيد) فذكروا أنها لمسلم فى رثاء يزيد ابن مزيد . وانفرد ابن خلكان بقوله : « وقد قيل إن مسلم بن الوليد إنما رثى بهذه الأبيات يزيد بن أحمد السلمى ، وقيل : بل رثى بها مالك بن على الخزاعى ، وأن أول الأبيات :

* قبر بحلوان استسر ضريحه *

قلت : ورواية أبى تمام : « قبر بحلوان استسر ضريحه » ، تؤيد أن المرثى غير يزيد بن مزيد ، فإنهم قد أجمعوا أن يزيد بن مزيد مات ودفن فى « برذعة » لا فى « حلوان » .

(٤) برذعة : بلد فى أقصى أذربيجان ، قال حمزة : « برذعة معرب برده دار ، ومعناه بالفارسية موضع السبى ، وذلك أن بعض ملوك الفرس سبى سبيا من وراء أرمينية وأنزلهم هناك » . ورواية أبى تمام : « قبر بحلوان » كما سبقت الإشارة . استسر ، المعروف فيها : استسر الهلال والقمر ، أى خفى ، فهذا فى اللازم . أما متعديه فقد قالوا : استسر الجارية ، أى اتخذها سرية . وقالوا أيضاً : استسرنى فلان ، بمعنى ألقى إلىّ سره . فمجاز هذه الكلمة من المتعدى . على أن رواية القالى : « قبر بحلوان أسر ضريحه » ، وهذه لا غبار عليها . والخطر : الشرف .

أبقَى الزّمانُ على مَعَدٍّ بعدَه   حُزْناً كعُمر الدَّهر لَيسَ يُعارُ (١)
نَفَضَت به الآمالُ أحلاسَ الغِنَى   واسترجَعت نُزَّاعَها الأمْصارُ (٢)
فاذهب كما ذَهَبَت غَوادِى مزنَةٍ   أثنَى عليها السَّهلُ والأوْعارُ

★ ★ ★

---

(١) فى الأغانى وابن خلكان : « على ربيعة » . وربيعة : ابن نزار بن معد . كعمر الدهر ، أى طويلا مثله . وفى الأغانى والوفيات : « لعمر الله » . وفى البلدان : « لعمر الدهر » . ولم يرو فى الحماسة والأمالى .

(٢) الأحلاس : جمع حلس ، وهو كساء يوضع على ظهر البعير تحت الرحل . يقول : قيدت آمال المعتفين عن الرحلة فى طلب الغنى . والنزاع : جمع نازع ، وهو الغريب الذى نَزَعَ عن أهله وعشيرته . الحماسة والأمالى : « نفضت بك الأحلاس نفض إقامة » . الأغانى وابن خلكان : « نفضت بك الأحلاس آمال الغنى » . وفى الأغانى : « روادها » وابن خلكان : « زوارها » .

ذكر حروف من الأدب
من حديث بنى مَرْوان وغيرهم

قيل : إذا رَسَخ الرَّجُلُ فى العِلم رُفِعَت عنه الرُّؤْيا الصالحة [١] .

مَسْلَمة [٢] ، قال : كان عند عُمَر بن عبد العزيز رجلان ، فجعلا يلحنانِ ، فقال الحاجبُ : قُومَا فقد « أُوْذَيْتُمَا » أمير المؤمنينَ ! قال عُمَر : أنتَ آذَى لى منهما .

المدائنى قال : قعد قُدّامَ زياد رجلٌ ضائعى – من قرية باليمن يقال لها « ضياعٌ [٣] » – وزيادٌ يبنى داره ، فقال له : أيُّها الأمير ، لو كنتَ عملت باب مشْرقها قِبَل مغربها ، وباب مغربها من قِبَل مشرقها ! فقال : أنّى لك هذه الفصاحة ؟ قال : إنّها ليست من كتاب ولا حساب ، ولكنها من « ذكاوة » العقل . فقال : ويلك ، الثانى شرّ !

شُعبة [٤] ، عن الحكم [٥] ، قال : قال عبدُ الرحمنِ بن أبى ليلَى [٦] : لا أُمارِى أخى [٧] ، فإما أن أكذِبَهُ وإما أن أُغْضِبَه [٨] .

---

(١) رفعت هنا بمعنى رُويت ، أى كان من أصحاب الرؤيا الصادقة .

(٢) مسلمة بن محارب ، ترجم فى (٢ : ٤٨) .

(٣) كذا وردت هذه الكلمة ، ولم أجد ضائعاً ولا ضياعا فى أسماء البلدان .

(٤) شعبة بن الحجاج ، ترجم فى (١ : ٣٦٩) .

(٥) هو الحكم بن عتيبة الكندى ، روى عن بعض الصحابة ، وعن شريح وعطاء وطاوس وغيرهم من التابعين ، وروى عنه الأعمش وقتادة والأوزاعى وشعبة ، وكان ثقة فقيهاً عابدا . ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ١١٣ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٦) عبد الرحمن بن أبى ليلى – وهو يسار ، أو بلال ، أو داود – بن بلال بن بليل بن أحيحة بن الجلاح الأنصارى الأوسى . ولد لست بقين من خلافة عمر ، وأدرك مائة وعشرين من الصحابة الأنصار ، وفقد فى يوم الجماجم سنة ٨٢ تهذيب التهذيب .

(٧) المراء والمماراة : المجادلة .

(٨) من العجب ما ورد فى تهذيب التهذيب : « وقال الأعمش : حدثنا إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى . وكان لا يعجبه ، يقول : هو صاحب مراء » .

ابنُ أبى الزِّناد (١) قال : إذا اجتمعت حُرمَتان تُركَت الصُّغرى لِلكُبْرَى (٢) .

وعن أبى بكر الهُذَلى (٣) – واسمه سُلْمىٌّ – قال : إذا جَمَع الطَّعامُ أربعة (٤) فقد كَمُلَ : إذا كان حلالًا ، وكثُرَت عليه الأيدى ، وسُمِّىَ اللهُ على أوّلِه ، وحُمِد على آخِره :

وقالَ ابن قميئةَ (٥) :

وأهوَنُ كفٍّ لا تضيرُكَ ضَيْرةً ... يَدٌ بينَ أيْدٍ فى إناءِ طعَامِ
يدٌ مِن قريبٍ أو غريبٍ بقفرةٍ ... أتتك بها غبراءُ ذاتُ قَتامِ (٦)

وقال حمّادُ عجردٍ :

حُبَيشٌ أبو الصلتِ ذو خِبرةٍ ... بما يُصلِحُ المِعدَة الفاسِدَهْ (٧)
تخوّفَ تُخْمةَ أصحابِه ... فعوَّدُهم أكلةً واحدهْ

وقال سُويدُ المَرَاثد (٨) : ٢٢٣

إنِّى إذا ماالأمرُ بيَّنَ شكهُ ... وبَدَت بصائرُهُ لمن يتأمَّلُ (٩)
وتَبرَّأَ الضعفاءُ من إخوانِهم ... وألحَّ مِن حَرِّ الصَّميمِ الكلكلُ (١٠)
أدَعُ التى هى أرفَقُ الخَلّاتِ بى ... عند الحفيظةِ للّتى هى أجملُ

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبى الزناد ، المترجم فى (٢ : ٢٨٠ ، ٢٩٠) .

(٢) انظر تفسير هذا فى اللسان (حرم ١٨ س ١٧ – ٢٠) .

(٣) انظر ماسبق من ترجمته فى (١ : ٣٥٧) . (٤) ما عدا ل : « أربعاً » .

(٥) عمرو بن قميئة ترجم فى (٢ : ١٨) . (٦) القتام ، بالفتح : الغبار .

(٧) فى الشعراء ٧٥٥ بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر ، وعيون الأخبار (٣ : ٢٤٤) : « حريث أبو الصلت » . وفى الأغانى (١٣ : ٧٨) : « كان حريث بن أبى الصلت الحنفى صديقاً لحماد عَجرد ، وكان يعابثه بالشعر ويعيبه بالبخل . وفيه يقول :

حريث أبو الفضل ذو خبرة ... بما يصلح المعدة الفاسده

فجعل كنيته أبا الفضل ، واسم أبيه أبا الصلت .

(٨) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٨٦) .

(٩) بين ، بمعنى تبين . وفى أمثالهم : « قد بين الصبح لذى عينين » ، أى تبين .

(١٠) ألح ، من قولهم ألحت الناقة والجمل ، إذا لزما مكانهما فلم يبرحا . والصميم من الحر : شدته ، وكذلك من البرد . والكلكل ، عنى به الإبل ذوات الكلكل ، وهو الصدر .

ومما يكتب فى باب العصا

قوله (١) :

قالت أُمامةُ يومَ برقةِ واسطٍ ... يابنَ الغَدِير لقد جَعلتَ تَغَيَّرُ (٢)
أصبحتَ ، بعد شبابكَ الماضى الذى ... ذَهَبتْ بشاشَتُه وغصنُكَ أخضرُ (٣)
شيخاً دِعامتُكَ العصا ومُشيَّعاً ... لاتبتَغى خيراً ولا تستَخْبَرُ

ويُضَمُّ البيت الأخير إلى قوله :

وهُلْكُ الفتى أَلّا يَراحَ إلى النَّدَى ... وأَلّا يرى شيئاً عجيباً فيَعجبا (٤)
ومَن يتَتبَّعْ منِّىَ الظَّلْعَ يلقَنِى ... إذا ما رآنى أصلَعَ الرأسِ أشيبا (٥)

وقال بعض الحكماء : « أعجب مِن العَجَب ترْكُ التعجُّبِ من العَجَب » .

وقيل لشيخٍ هِمٍّ : أىَّ شىءٍ تشتهى ؟ قال : أسمَعُ بالأعاجيب .

وأنشد :

عَريضُ البِطانِ جديب الخِوان ... قريبُ المَرَاثِ من المرتَع (٦)
فنصفُ النَّهـارِ لكِرْيـاسِهِ ... ونِصفٌ لمأكِلِهِ أجمَع (٧)

---

(١) هو حسان بن الغدير ، كما سبق فى حواشى (٢ : ١٠٥) .

(٢) ذكر ياقوت فى معجم البلدان برقة واسط ، وقال : « لم يحضرنى شاهدها » . فهذا من شواهدها .

(٣) ما عدا ل : « بعد زمانك الماضى الذى ذهب شبيبته » .

(٤) لعلى بن الغدير الغنوى . أمالى القالى (٢ : ١٨١) . وانظر ص ٣٤٣ . وهو بدون نسبة فى أمالى الزجاجى ٣٠ .

(٥) الظلع : غمز شبيه بالعرج ، عنى بذلك ضعف الرأى . يقول : قد ارتفع عن سن الشباب إلى سن الحنكة والرأى الصائب . ما عدا ل : « ومن يبتغى منى الظلامة » .

(٦) البطان ، بالكسر : الحزام ، كناية عن سعة بطنه لكثرة أكله . والخوان ، بضم الخاء وكسرها : المائدة . والمراث : موضع الروث ، أى النجو . والمرتع : موضع الرتع بالفتح ، وهو الأكل بشره .

(٧) الكرياس ، بكسر الكاف وبالياء المثناة . قال أبو عبيدة : هو الكنيف للذى يكون مشرفا على سطح بقناة من الأرض . قال الأزهرى : سمى كرياساً لما يعلق به من الأقذار =

ومما يضم إلى العصا

قوله :

لعَمْرى لئن حُلِّئْتُ عن مَنهل الصِّبا ... لقد كنتُ وَرَّاداً لمشرِبه العَذبِ (١)
٢٢٤ ليالـىَ أغْـدو بين بُرْدَيـنِ لَاهيـاً ... أمِيسُ كغُصْنِ البانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
سلامٌ عَلَى سَيرِ القِلاصِ مع الرَّكْبِ ... ووَصلِ الغوانى والمُدامَةِ والشَّربِ (٢)
سلامَ امـرِئٍ لم تَبـقَ منـــه بقيَّـــةٌ ... سِوى نظر العينينِ أو شهوة القَلْبِ (٣)

وقال حاجبُ بنُ ذُبيان (٤) لأخيه زُرارةَ :

عَجِلْتَ مَجِىءَ الموتِ حتّى هَجَرتَنى ... وفى الـقبر هجـرٌ يازُرَارُ طويـلُ

وقال الآخر (٥) :

ألم تَعلمى عَمَّرتُكِ اللّهَ أننـى ... كريمٌ على حِينَ الكرامُ قليلُ (٦)
وأنّىَ لَا أخزَى إذا قيل مُمْلِقٌ ... جَوادٌ ، وأخزَى أن يُقالَ بَخيلُ (٧)

= فيركب بعضه بعضا ويتكرس مثل كرس الدمن . وهو فعيال من الكرس مثل جريال . وهو من الألفاظ المشتركة بين العربية والفارسية . وتفسيره فى الفارسية مثله فى العربية . وفى معجم استينجاس ١٠٢٦ :

(A privy on the roof of house having communication with a subterraneous pasage)

ما عدا ل : « لكرسائه » تحريف .

(١) حلئ : منع الورد . ل : « حليت » ما عدا ل : « جليت » صوابهما ما أثبت من هـ .

(٢) ماس يميس : تبختر فى مشيه واختالَ .

(٣) القلاص : جمع قَلوص ، وهى الناقة الشابة الفتية . والشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين للخمر ، وهو اسم جمع للشارب ، كما أن الركب اسم جمع للراكب .

(٤) هذا فى جميع النسخ ، وانظر ما سبق فى (٢ : ١٨٣) .

(٥) هو أحد الفزاريين ، كما فى الحماسة (٢ : ٣٩) .

(٦) عمرتك الله ، أى ذكرتك الله ، أو سألته أن يطيل عمرك .

(٧) أخزى : أستحيى . المملق : الذى أنفق ماله وبذره حتى أورثه الحاجة .

وإلَّا يكُن عظمى طويلًا فإنّنى ... له بالخصالِ الصالحاتِ وَصولُ (١)
إذا كنتُ فى القومِ الطِّوالِ فَضَلْتُهم ... بعارفَةٍ حتَّى يقالَ طويـــل (٢)
ولا خيرَ فى حُسن الْجُسوم وطولها ... إذا لم يَزِن حُسْنَ الجسومِ عقولُ
وكائِنْ رأينـا من فروعٍ طويلةٍ ... تموت إذا لم تُحيهـــنَّ أُصُول
ولم أرَ كالمعـروف أمّـا مَذاقـه ... فَحُلـوٌ ، وأمّـا وجهُـهُ فجميـلُ

وقال زيادَةُ بنُ زيد (٣) :

إذا ما انتَهى علمى تناهَيتُ عِندَهُ ... أطالَ فأَمْلَى أم تَناهَى فأَقصَرَا (٤)
ويُخبرُنى عن غَائبِ المرءِ فعِلُه ... كفى الفِعلُ عما غَيّب المرءُ مُخْبِرَا (٥)

وقال آخر :

أبَرَّ فما يزدادُ إلّا حماقةً ... ونُوكاً وإن كانت كثيراً مخارِجُه (٦)

وقال ابنُ الرِّقَاع (٧) :

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمَعُ بينَها ... حتَّى أقوِّمَ مَيلَها وسِنادَها (٨)
نظَرَ المُثقِّفِ فى كُعوب قَناتِه ... حتَّى يُقيمَ ثِقافُه مُنْآدَها (٩) ٢٢٥

---

(١) أنشد هذا البيت ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٤ : ٥٤) مسبوقا بقوله : « وقال آخر ، وكان قصيراً » .

(٢) العارفة : اليد تسدَى ، وجمعها عوارف ، وليس لها فعل ، وهى فاعلة بمعنى مفعولة ، أو عارفة : ذات عرف طيب ، لأنها تذكر فيثنى على صاحبها . كذا قال التبريزى فى تفسير الحماسة .

(٣) زيادة بن زيد هذا ، ابن أخت هدبة بن الخشرم راوية الحطيئة ، كما فى اللسان (رتب) . وفى الأغانى (٢١ : ١٧٢) أنه كانت بينهما مناقضات ومهاداة بالأشعار انتهت بقتل هدبة لزيادة . ما عدا ل ، هـ : « زياد » تحريف .

(٤) تناهى : كف . الإملاء : الإمهال والتطويل . والبيت فى اللسان (نهى) ، وسيبويه (١ : ٤٩) والموشح ١٩٠ .

(٥) فى حماسة البحترى ٣٣٦ : « هديه » كفى الهدى » .

(٦) أبر : زاد . والنوك ، بالضم والفتح . الحمق .

(٧) عدى بن الرقاع ، ترجم فى (٢ : ٢٦٤) .

(٨) الأبيات فى الحيوان (٣ : ٦٤) والموشح ١٣ ونهاية الأرب ٤ : ٢٤٧ .

(٩) الثقاف ، بالكسر : ما تسوى به الرماح . والمنآد : المعوج .

وعلمتُ حتَّى لستُ أَسأَلُ واحِداً عن حَرفٍ واحدةٍ لكى أزدادَها [١]

وقال بعضُ الأعراب :

لولا مَسَرَّةُ أقوامٍ تَصعَّدُنى أو الشَّماتةُ من قومٍ ذوى إِحَنِ [٢]
ما سَرَّنى أنّ إبْلِى فى مَبارِكِها وأنّ أمراً قضاهُ اللهُ لم يَكُنِ

وقال الآخر :

وإنِّى لأَهوَى ثمّ لاأَتْبَعُ الهوَى وأُكرِمُ خِلَّانِى وفِىَّ صُدُودِ
وفى النَّفسِ عن بعضَ التعرُّضِ غِلظةٌ وفى العين عن بعضِ البُكاءِ جُمُودُ

وقال كُثيِّر :

ترى القومَ يُخفونَ التبسُّمَ عندَهُ وينذرُهُم عُورَ الكلامِ نذيرُها [٣]
فلا هاجراتُ القولِ يُؤْثَرْنَ عندَهُ ولا كلماتُ النُّصح مُقصًى مُشيرُها [٤]

وقال المُقْشَعِرُّ [٥] :

يُقِرُّ بعَينى أن أرَى قِصَدَ القنا وصَرعَى رجالٍ فى وَغًى أنا حاضِرُهْ [٦]

---

(١) الحرف : الطرف والجانب ، وبه سمى الحرف من حروف الهجاء . واحدة ، أى مسألة واحدة من العلم .

(٢) تصعدنى : تشق على . والإحن : جمع إحنة ؛ وهى الحقد والعداوة .

(٣) العوراء : الكلمة القبيحة . نذيرها ، أى نذير العُور ، ينذرهم أن ينطقوا بها .

(٤) الهاجرات : ذوات الهجر ، بالضم ، وهو الفحش .

(٥) المقشعر لقب له ، وهو شاعر جاهلى ، قال المرزبانى : « وكان إذا حضر حرباً اقشعر » . واسمه يزيد بن سنان بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان قد حالف بنى سهم وخصيلة بن مرة ، على بنى يربوع بن مرة بن غطفان ، فسموا المِحَاش ، فله يقول النابغة الذبيانى :

جمع مِحَاشَكَ يا يزيد فإننى أعددت يربوعاً لكم وتميما

معجم المرزبانى ٤٩٦ .

(٦) أقر عينه وأقر بعينه : سره وأفرحه حتى قرت عينه وبردت . والقنا : الرماح . والقصد : جمع قصدة بالكسر ، وهى القطعة .

وقال الكميتُ :

أَحْسَنُ منها ذِيادُ خامِسَةٍ   فى الورِدِ ، أو فَيْلَقٌ تجالِدُها (١)

وقال صالِحُ بن مخراق فى كلامٍ له : لولا أنّ الله قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُم القِتالُ وهُوَ كُرْهٌ لكم ﴾ لأنبأتُكم أنّى لا أكرَهُه .

وقال الآخر :

تركتُ الـرِّكابَ لأربـابها   وأكرهتُ نفسى على ابنِ الصَّعِقْ (٢) ٢٢٦

جَعَلْتُ يدىّ وِشاحاً لهُ   وبعضُ الفوارسِ لا يعتَنِقْ

* * *

قال : وقال عُمَر بنُ عبد العزيز يوماً فى مجلسِهِ : مَن أُمُّ النُّعمان بن المنذِر ؟ فقال رَوحُ بن الوليدِ بن عبد الملِك : سَلْمَى بنتُ عُقَاب (٣) . قال : إنّهُ لَيُقَالُ ذلك ، يا حاجبُ أَحْسِنْ إذْنَه .

وقالوا : عَشْرُ خِصالٍ فى عشْرَةِ أصنافٍ من النّاسِ أقبحُ منها فى غَيرهم : الضِّيقُ فى الملوكِ ، والغَدرُ فى الأشرافِ ، والكذِبُ فى القُضاةِ ، والخديعة فى العُلماءِ ، والغَضبُ فى الأبرارِ ، والحِرْصُ فى الأغنياءِ ، والسَّفَهُ فى الشيوخ ، والمرضُ فى الأطبّاء ، والزَّهو (٤) فى الفقراء ، والفَخرُ فى القُرَّاء .

وأنشد :

ولا تَقْبَلوا عَقْلًا وأُمُّوا بغارَةٍ   بنى عَبدِ شمسٍ بين دُومةَ والهضْبِ (٥)

---

(١) الذياد : مصدر كالذود ، وهو سوق الإبل وطردها ودفعها . والخامسة : التى ترد الخِمْس ، وهو أن ترد يوما وترعى ثلاثة بعده ثم ترد فى الخامس . والفيلق : الكتيبة الشديدة . ما عدا ل : « يجالدها » .

(٢) أنشدهما فى الحيوان (٦ : ٤٢٥) .

(٣) قال الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٣٧٧) : « وأم النعمان سلمى بنت الصائغ : يهودى من أنباط الشام » . وفى الأغانى (٩ : ١٥٨) أن اسم ذلك الصائغ « عطية » .

(٤) هـ : « والتهزؤ » .

(٥) العقل : الدية . والأم : القصد .

وهُزُّوا صُدُورَ المَشْرَفِىِّ كأنَّما   يَقَعْنَ بهامِ القومِ فى حَنظَلٍ رَطبِ (١)

ويُضَمُّ إلى بيت الكُميت وَبيت الْمُقشَعِرّ قولُ الحَكَمىّ (٢) :

أحسنُ عندى من انكِبابك بالـ   ـفِهْرِ مُلحًّا به على وَتِدِ (٣)
وُقُوفُ ريحانَةٍ على أُذُنٍ   وسَيْرُ كأسٍ إلى فَمٍ بيَدِ (٤)

* * *

وفى بابٍ غير هذا يقول حسَّانُ بن ثابت :

ما أُبالى أنَبَّ بالْحَزْنِ تَيسٌ   أَمْ لَحانِى بظَهرِ غَيبٍ لئيمُ (٥)

---

(١) المشرف ، عنى به السلاح المشرفى ، وهو السيوف المنسوبة إلى المشارف ، وهى قرى من أرض اليمن ، أو من أرض العرب تدنو من الريف . ل : « كأنها نقعن » تحريف .

(٢) هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، مولى الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، من اليمنية . انظر جمهرة الأنساب لابن حزم ٣٨٣ — ٣٨٤ .

(٣) الفهر ، بالكسر : حجر يملأ الكف . والبيتان من مقطوعة له فى ديوانه ٢٦٥ ينعى فيها على من يبكى الأطلال ويسقيها . وقبل البيتين :

سقيا لغير العلياء فالسند   وغير أطلال مى بالجرد
ويا صبيب السحاب إن كنت قد   جدتَ اللوى مرة فلا تعد
لا تسقين بلدة إذا عدّت الـ   ـبلدان كانت زيادة الكبد
إن أتحرز من الغراب بها   يكن مفرّى منه إلى الصُّرَد
بحيث لا تجلب الرياح إلى   أذنيك إلا تصايح النقد

وبعدهما :

يسقيكها من بنى العباد رشا   منتسب عِيده إلى الأحد
إذا بنى الماء فوقها حبباً   صلَّب فوق الجبين بالزبد
أشرب من كفه الشمول ومن   فيه رضاباً يجرى على برد
فذاك خير من البكاء على الـ   ـربع وأمى فى الروح والجسد

(٤) هى ريحانة الساق يجعلها فوق أذنه تظرفاً .

(٥) البيت فى ديوانه حسان ٣٧٩ والحيوان (١ : ١٣) ، من قصيدة فى يوم أحد . قال ابن هشام : « هذه أحسن ما قيل » . السيرة ٦٢٥ — ٦٢٦ جوتنجن . نب التيس نبا ونبيبا ونُبابا : صاح عند الهياج . والحزن : ما غلظ من الأرض . لحاه يلحوه ويلحاه : شتمه .

وأنشد :

خُبِّرْتُ أنّ طُوَيلباً يغتابُنا   بعضيهةٍ يتنحَّلُ الأقوالا (١)

ما ضَرَّ سادةَ نَهْشَلٍ أهَجَاهُم   أم قامَ فى عُرْض الخَوِىِّ فبالا (٢)

وقال الفرزدق فى هذا المعنى : ٢٢٧

ما ضرّ تَغلِبَ وائلٍ أهَجوتَها   أم بُلْتَ حيثُ تناطَحَ البحرانِ (٣)

وقال الآخر فى هذا المعنى :

ما يَضيرُ البحرَ أمسَى زَاخِرا   أنْ رَمى فيه غلامٌ بحَجَرْ (٤)

* * *

ومما يزاد فى ذكر باب العصا قولُ جرير بن الخَطَفى :

ويُقضَى الأمرُ حينَ تغيب تَيمٌ   ولا يُستأمَرُون وهم شُهودُ (٥)

وقد سَلَبت عصاك بنو تميم   فما تدرى بأىِّ عصاً تَذُودُ

---

(١) العضيهة : الإفك ، والبهتان ، والنميمة . يتنحل الأقوال : يدعيها . ل : « يتحلل الأقوالا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٢) عرض الشئ ، بضم العين : وسطه وناحيته . والخوى : البطن السهل من الأرض .

(٣) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٨٨٢ ، يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه مادحاً فى ذلك بنى تغلب ، ويهجو فيها جريراً . وقبل البيت ، وهو مطلع القصيدة :

يا ابن المراغة ، والهجاء إذا التقت   أعناقه وتماحك الخصمان

وبعده :

يا ابن المراغة إن تغلب وائل   رفعوا عنانى فوق كل عنان

وتغلب بن وائل ، هم قوم الأخطل . تناطح البحران : تقابلا . وانظر الحيوان (١ : ١٣) وخزانة الأدب (٢ : ٥٠١) .

(٤) زخر البحر : كثر ماؤه وارتفعت أمواجه . وفى الأغانى (١٣ : ٨٢) : « مايضر » . والبيت فى الحيوان (١ : ١٣) برواية : « هل يضر البحر » . وفى حواشى هـ أن البيت للفرزدق .

(٥) من قصيدة له فى ديوانه ١٦٠ – ١٦٩ يهجو فيها التيم قبيل عمر بن لجأ . وبين هذا البيت وتاليه أبيات . الاستئمار : الاستشارة . شهود ، أى حاضرون .

وقال الحسين بن عُرفُطة بن نَضْلَة (١) :

لَيَهنيكَ بُغضٌ فى الصّديقِ وظِنَّةٌ   وتحديثُك الشيءَ الذى أنت كاذبُه (٢)
وأنّكَ مِهْذَاءُ الخَنَا نَطِفُ النَّثَا   شَديد السِّبابِ رافعُ الصَّوت غالِبُه (٣)
وأنّك مَشنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ   بَلاكَ ، ومِثلُ الشرِّ يُكرَهُ جانبُهْ (٤)
ولم أرَ مثلَ الجهلِ أدنَى إلى الرّدَى   ولا مِثلَ بُغضِ الناس غُمِّصَ صاحِبُهْ (٥)

وقال قَتادة بن خُرْجَة الثَّعْلبىّ ، من بنى عَجَب (٦) :

خليلَىَّ يومَ السَّلسِلين لو آنّنى   بَهبْرِ اللِّوَى أنكَرْتُ ماقلتما لِيا (٧)

---

(١) الحسين ، ويقال أيضاً « الحسيل » مصغر الحسل ، بالكسر ، وهو ولد الضب . ما عدا هـ : « الحسن » تحريف . وهو حسيل بن عرفطة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الأسدى ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، رأى الرسول الكريم وروى عنه . وهو ممن غير الرسول أسماءهم فسماه حسيناً . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد فى نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية ، والصواب ما قدمت . ومن عجب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش فى ذلك .

(٢) الأبيات فى الحيوان (٣ : ١٠٢ ، ٤٩٤) . ليهنك : ليهنئك ، سهلت همزتها . والكلام تهكم . يقال : هناهُ الشيء : كان له هنيئاً سائغاً .

(٣) الخنا : الفحش . والنطف : الملطخ بالعيب . والنثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من خير وشر .

(٤) المشنوء : المبغض . بلاك : اختبرك . مثل الشر ، أى أنت مثل الشر . أو تكون « مثل » فى الكلام نافلة ، كما تقول : مثلك لا يفعل كذا ، أى أنت لا تفعله .

(٥) الجهل : نقيض العلم ، وأن يفعل شيئاً بغير العلم . غمص ، من الغمص ، وهو الاحتقار والازدراء . وفى الحيوان : « غمض » .

(٦) خرجة ، بضم الخاء . وفى ل : « خزرجة » وليس فى أعلامهم . والثعلبى : نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان . وفى جميع النسخ : « التغلبى » تحريف . وكلمة « من بنى عجب » من ل ، هـ فقط . وهم بنو عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما فى مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ٤٤ جوتنجن ١٨٥٠ .

(٧) البيتان فى معجم البلدان (٥ : ١٠٦) والحماسة بشرح المرزوقى ١١٨٧ بدون نسبة . السلسلان ، بكسر السينين ، قال ياقوت : « كأنهم ذكّروا السلسلة ثم ثنوها : اسم موضع » . وروايته عنده : « بين السلسلين » . والهبر ، بالفتح : ما اطمأن من الأرض . واللوى : موضع بعينه ، وهو واد من أودية بنى سليم . واللوى أيضاً : منقطع الرمل . قال ياقوت : « قد أكثرت الشعراء من ذكره ، وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما » . ل : « بهو اللوى » حـ : « بهير » التيمورية : « بهرى » صوابه ما أثبت من هـ ، ب .

ولكنّنى لم أنسَ ما قال صاحبى　　نصيبَك من ذُلٍّ إذا كنتَ نائيا (١)

وقال خالد بن نَضلة (٢) :

إذا كنتَ فى قومٍ عِدًى لستَ منهُم　　فكُلْ ما عُلِفتَ من خَبيثٍ وطيِّبِ (٣)

وقال أحمد بن يوسف (٤) ، وكان يتعشَّق يحيى بن سعيد بن حَمَّاد : ٢٢٨

إنّ يحيى بنَ سعيدٍ　　يشتهى أنْ أشتهيهِ
فهو يلقانى بتَوْرِيـ　　ـمٍ وأحياناً بتيهِ (٥)

وقال أبو سَعْدٍ دَعِيُّ بنى مخزوم (٦) ، فى مُهَاجاة دِعِبل :

ولولا نزارٌ لَضَاقَ الفضاءُ　　ولم يَبقَ حرزٌ ولا مَعْقِلُ
وأخرجت الأرضُ أثقالَها　　وأُدخلَ فى است أمّه دعِبلُ

---

(١) ياقوت : « خاليا » .

(٢) خالد بن نضلة الأسدى ، فارس مشهور من فرسانهم . وله ذكر فى يوم النسار ، إذ كان رئيس أسد يومئذ . انظر كامل ابن الأثير وغيره ، فى (يوم النسار) .

(٣) البيت من أبيات فى الحماسة (١ : ١٣٤) والحيوان (٣ : ١٠٣) . والعدى : اسم جمع بمعنى الأعداء ؛ أو بمعنى الغرباء ، كما فى المخصص (١٢ : ٥٢) رواية عن ابن السكيت فى إصلاح المنطق ١١٢ حيث أنشد البيت . ونسبه التبريزى فى تهذيبه إلى دودان بن سعد ، من بنى أسد .

(٤) ترجم فى (١ : ٦٥) .

(٥) يقال : ورم فلان بأمره توريما ، إذا شمخ بأنفه وتجبر .

(٦) أبو سعد المخزومى ممن عرف بكنيته ، واسمه عيسى بن الوليد . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ، وقد عاصر دعبلا وعبد الله بن أبى الشيص . وكان دعبل قد صنع قصيدة هجا فيها قبائل نزار . فحمى لذلك أبو سعد وهجاه ولج الهجاء بينهما . ما عدا ل : « أبو سعيد » تحريف . وفيه يقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر　　يعرف بالكنية لا بالولد

ويقول ابن أبى الشيص :

أبا سعد بحق الخمـ　　ـس والمفروض من صومك
أقلت الحق فى النسـ　　ـبة أم تحلم فى نومك

انظر الأغانى (١٨ : ٥٠ — ٥٤) .

وقال :

حذَقُ الآجال آجالُ　　والهوى للمرء قتَّال (١)
والهوى صعبٌ مراكبه　　وركوب الصعب أهوالُ
ليس من شكلى فأشْتُمَه　　دِعْبلٌ ، والنَّاس أشكالُ
هِمَّتى فى التاج أَلْبَسُه　　وله فى الشِّعْرِ آمالُ

وقال :

هذا اللُّبابيُّ يَحوى　　جوائز الخلفاءِ (٢)
ففى حِرِ آمِّ مَديحى　　وفى حِرِ آمٍّ هجائى (٣)
وفى حِرِ آمِّى وإن كُنْـ　　ـتُ سيِّدَ الشعَراءِ

وقال محمد بن يسير :

فى حِرِ آمِّ الناسِ كُلهِمِ　　وأنا فى ذا مِنَ آوَّلِهمْ (٤)
لستَ تدرِى حين تَخْبُرهم　　أين أدناهُم مِنَ أفضلهمْ

وقال :

إذا ما جاوَزَ النُّدَمَاءُ خَمْساً　　بربٌ البيت والسَّاق اللَّبيبِ
فأيرٌ فى حِرِ آمٍّ فتًى دَعَانا　　وأيرٌ فى حِرِ أمٍّ فتًى مجيبِ

وقال سَلْمٌ الخاسر (٥) :

بهارون قَرّ الملكُ فى مستقَرِّه　　وأَبْهَجت الدُّنيا وأشرق نورُها

---

(١) الآجال الأولى : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش والظباء . والأخرى : جمع أجل بالتحريك ، وهو مدى العمر .

(٢) ما عدا ل : « اللبانى » .

(٣) مثله قول العرب : « باست بنى فلان » وهو شتم للعرب . وأنشد فى اللسان (سته) قول الحطيئة :

فباست بنى عبس وأستاه طيِّئ　　وباست بنى دودان حاشا بنى نصر

(٤) ما عدا ل : « أنا فى هذا » . والشعر من بحر المديد .

(٥) هو سلم بن عمرو ، مولى بنى تيم بن مرة . شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدى والهادى وهارون والبرامكة . قالوا : سمى بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً ، فباعه واشترى =

وليسَ لأيّام المَكارِمِ غاية　　تتمّ بها إلّا وأنت أميرُها ٢٢٩

وقال بشّار بن بُرد :

مِن فَتاةٍ صُبَّ الجمال عَلَيها　　فى حديث كلَذَّةِ النّشوانِ
ثم فارقتُ ذاك غيرَ ذَميمٍ　　كلُّ عيشِ الدُّنيا وإن طال فَانِ

وقال مُزاحِمٌ العُقَيْلى :

يَزِينُ سَنَا الماوِىِّ كلَّ عَشيَّةٍ　　عَلَى غَفَلاتِ الزَّيْنِ والمُتَجمَّلِ (١)
وجوهٌ لو آنَّ المُدْلِجينَ اعتَشَوْا بها　　صَدَعْن الدُّجى حتّى ترَى الليلَ ينجلى (٢)

وقال المسعودىّ :

إن الكـرام مُناهبـو　　ك المجدَ كلّهم فناهِبْ (٣)
أخْلِفْ وأتلفْ ، كلُّ شى　　ءٍ زعزعته الرِّيحُ ذاهِبْ

وقال شيخ من الأطباء : الحمدُ لله ، فلانٌ يزاحمنا فى الطِّبِّ ولم يختلف إلى البِيمارِستانات (٤) تمامَ خمسين سنةً .

= طنبوراً . وكان تلميذ بشار بن برد وراوِيته . وهو القائل :

من راقب الناس مات غما　　وفاز باللـــذة الجسور

وفيه يقول أبو العتاهية :

تعالى الله ياسلم بن عمرو　　أذل الحرص أعناق الرجال

الأغانى (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد (٩ : ١٣٦) وابن خلكان ، وقد سماه « سالما » خطأ .

(١) البيتان فى الحيوان (٣ : ٩١) ، وهما مع أربعة أخرى فى مجالس ثعلب ٢٢٧ بدون نسبة ، وثانيهما فى الشعراء ٥٢٧ ليدن واللسان (١٩ : ٢٧٨) . والماوى : جمع ماوية ، وهى المرآة . ورواية ثعلب : « ترى فى سنا الماوى بالعصر والضحى » . ما عدا ل : « تزين سنا الماوى » .

(٢) ثعلب وما عدا ل : « وجُوهاً » . وفى الشعراء : « لو ان المعتفين » . اعتشوا بها : استضاءوا بها ليلا فقصدوا إليها .

(٣) سبق البيتان فى ١٩٤ .

(٤) البيمارستان : دار علاج المرضى ، لفظ فارسى ، مركب من « بيمار » بمعنى مريض ، و « ستان » ، وهى من أدوات المكان فى الفارسية . هـ : « البهمارستان » .

وحدثنى محمد بن عبد الملك – صديقٌ لى – قال : سمعتُ رجلًا من فُرسان طَبَرِستان يقول : فلانٌ يدَّعى الفروسيَّة ، ولو كُلِّف أن يُخْلِىَ فُرُوجَ فَرسِه منحدِراً لما قَدَر عليه (١) .

وقال بعض العبيد :

أيبعَثُنى فى الشَّاء وابنُ مُوَيلِكٍ   على هَجْمةٍ قد لوَّحَتها الطَّبائخُ (٢)
مَتَى كان حُمرَانُ الشَّبابىّ رَاعياً   وقد راعه بالدَّوِّ أسودُ سالخ (٣)

وقال كثيِّر فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

تكلَّمتَ بالحقِّ المبينِ وإنما   تَبيَّنُ آياتُ الهُدَى بالتَّكلُّمِ
ألَا إنّما يكفى القَنا بعدَ زَيغِه   من الأَوَدِ الباقى ثِقافُ المُقَوِّم (٤)

الأصمعى قال : قال يُونس بن عبد الأعلى (٥) : لا يزال الناسُ بخير ماداموا إذا تخَلَّج (٦) فى صَدْر الرَّجُل شىءٌ وَجَدَ مَن يُفرِّجُ عنه .

وقال البَعيث ، فى إبراهيمَ بن عَرَبىٍّ (٧) :

---

(١) فروج الفرس : ما بين قوائمه . يقال سدَّ فروج فرسه ، أى ملأ قوائمه عدوا كأن العدو سد فروجه وملأها . فمعنى أخلى فروجه : أمسكه وحفظه من سرعة الانحدار .

(٢) ما عدا ل : « وابن مخيلد » . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، ما بين الثلاثين إلى المائة . والطبائخ : جمع طبيخة ، وهى سَموم الهاجرة وشدة حرها .

(٣) الشبابى : نسبة إلى بنى شبابة ، وهم بطن من فهم . ل : « الشبالى » ، ما عدا ل : « الثبانى » صوابهما من هـ . والدو : الفلاة . ما عدا ل : « بالذود » ، هـ : « فى الذود » .

(٤) القنا : الرماح ، جمع قناة . والزيغ : الميل ، ومثله ، الأود . والثقاف : خشبة قوية قدر الذراع فى طرفها خرق يتسع للرمح أو للقوس يدخل فيه ويغمز منه ما ينبغى أن يغمز ، حتى يصير إلى ما يراد منه ، ولا يفعل به ذلك إلا مدهوناً مملولا ، أو مضهوباً على النار .

(٥) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة الصدفى المصرى ، روى عن ابن عيينة والشافعى ، وعنه : مسلم والنسائى وابن ماجه . وكان إماما فى القراءات ، قرأ على ورش وغيره ، وقرأ عليه ابن جرير الطبرى . ولد سنة ١٧٠ وتوفى سنة ٢٦٤ . تهذيب التهذيب ، والخلاصة .

(٦) تخلج : اضطرب وتحرك ، ومثله خلج واختلج . ما عدا ل : « اختلج » .

(٧) إبراهيم بن عربى هذا ، كان والى اليمامة لعبد الملك ، وكان يقال له : « الملك الأسود » . وفيه يقول مالك المذموم : =

ترى مِنبرَ العبدِ اللَّئيم كأنَّما   ثلاثةُ غربانٍ عليه وُقوعُ ٢٣٠

وقال الأعشى :

رُبَّ رِفْدٍ هَرقتَه ذلك اليَوْ   مَ وأسرى من مَعْشَرٍ أقيالِ (١)

وقالوا : « لا وَكْسَ ولا شَطَط (٢) » .

وقال الشاعر (٣) :

ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ   لا مُمْعِنٍ هَرَباً ولا مستسلِمِ (٤)

وقال زهير :

دُون السَّماء وفوقَ الأرض قدرُهُما   عند الذُّنابَى فلا فَوْتٌ ولا دَرَكُ (٥)

وقالوا : « خير الأمور أوساطها ، وشرّ السَّير الحَقحقة (٦) » .

= ناق سيرى قد جد حقا بنا السـ   ـير وكونى جوالة فى الزمامْ
فمتى تلقنى يد الملك الأسـ   ـود تستيقنى بأن لا نضامْ

الأغانى (١٦ : ١٥١) . وفى (٧ : ٦١) أن جريراً نازع بنى حمان إليه فى ركية لهم فحكم بها له . ما عدا ل : « إبراهيم بن عدى » ، وكذا ورد الاسم فى الموضع الأخير من الأغانى .

(١) ديوان الأعشى ١٣ . والرفد ، بفتح الراء وكسرها : القدح . عنى به الجواد الذى يسقى الناس فى أقداحه ، ومثل هذه الكناية تسميتهم الجواد « جفنة » . قال أبو قردودة :

يا جفنة كإزاء الحوض قد هدموا   ومنطقاً مثل وشى اليمنة الحبره

هرقته : أرقته . أقيال : جمع قيل ، وهو الملك النافذ القول . والمشهور فى رواية البيت : « أقتال » جمع قتل ، بالكسر ، وهو العدو . والبيت فى المخصص (١١ : ٨٣) وأمالى القالى (١ : ٩٠ / ٢ : ٧ ، ٣٠٣) وشروح سقط الزند ٨٢٢ .

(٢) أى لا نقصان ولا زيادة . وفى اللسان (وكس) : « وفى حديث ابن مسعود : لها مهر مثلها ، لا وكس ولا شطط » .

(٣) هو عنترة . والبيت التالى من معلقته المشهورة .

(٤) المدجج ، بكسر الجيم المشددة وفتحها : التام السلاح . والاستسلام : الانقياد والاستكانة .

(٥) ديوان زهير ١٧٤ . يصف القطاة والصقر . يقول : لم يحلّقا فيغيبا ، ولم يصيرا على الأرض ، فهما بين هذين . عند الذنابى ، أى الصقر عند ذنبها قد قاربها ، فلا هو قد أدركها ولا هى قد فاتته .

(٦) الحقحقة : شدة السير . وكان عبد الله بن مطرف بن الشخير ، قد تعبد فلم يقتصد . فقال له أبوه : « يا عبد الله ، العلم أفضل من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، وخير الأمور =

قال : والمَثَلُ السائر ، والصوابُ المستعمَل : « لا تكُنْ حُلْواً فتُزدَرَدَ ، ولا مُرًّا فتلْفَظ » .

وقال عمر بن الخطّاب رحمه الله : إنّ هذا الأمرَ لا يُصْلِحه إلّا لِينٌ فى غير ضَعف ، وشِدّةٌ فى غير عُنف » .

وكان الحجّاج يُجاوز العُنف إلى الخُرق ، وكان كما وصف نفسه ، فإنّه قال : « أنَا حديدٌ حقُودٌ (١) ، وذو قَسْوةٍ حَسُود » .

وذكره آخر فقال : كان شَراً من صبىٍّ (٢) .

وقال أكثم بن صَيفىّ (٣) : تناءَوا فى الدِّيار ، وتواصلوا فى المَزَار (٤) .

وكان ناسىءُ الشُّهورِ (٥) يقول : اللهُمَّ باعِدْ بين نسائِنا ، وقارِبْ بين رِعائنا ،

= أوساطها ، وشر السير الحقحقة » ، هو إشارة إلى الرفق فى العبادة . أى عليك بالقصد فيها ولا تحمل على نفسك فتسأم . وإذا حملت على نفسك من العبادة ما لا تطيق ، انقطعت بك عن الدوام على العبادة . اللسان (١١ : ٣٤٢) وأمثال الميدانى (١ : ٣٢٧) . ومضت ترجمة مطرف فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) . وترجم فى تهذيب التهذيب لابنه « عبد الله » .

(١) الحديد : ذو الحدة ، وهى الغضب والنشاط والسرعة فى الأمور . وقد سبق الخبر فى الحيوان (٣ : ٤٧٠ / ٥ : ٥٩٢) بلفظ : « أنا حديد حقود حسود » .

(٢) ويقولون فى أمثالهم : « أظلم من صبى » . انظر الحيوان (٣ : ٤٧٠) .

(٣) أكثم بن صيفى ، أحد حكام العرب ، وهو أكثم بن صيفى بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمى . وكان قد سمع بمبعث النبى ، فأراد أن يفد إليه فمنعه قومه ، ثم انتدب له رجلان من قومه فأتيا النبى ﷺ ، فعادا بما أثلج صدر أكثم فى دينه ، فقرّب له بعيره فركب متوجهاً إلى الرسول ﷺ فمات فى الطريق ؛ فيقال نزلت فيه هذه الآية : (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » . وكان أكثم من المعمرين . أنشد له المرزبانى :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجة إلى مائة لم يسأم العيش جاهلُ
أتت مائتان غير عشر وفائها وذلك من مر الليالى قلائلُ

الإصابة ٤٨٢ والمعمرين للسجستانى ١٠ – ١٣ والأغانى (١٥ : ٧٠) .

(٤) لفظه عند السجستانى : « تناءوا فى الديار ولا تباغضوا ؛ فإن من يجتمع يتقعقع عمَده » .

(٥) النسىء : التأخير . وكان العرب إذا صدروا عن منًى يقوم رجل منهم من =

واجعل الأموال فى سُمَحائنا (١) .

وقال آخر (٢) :

شَتَّى مَراجِلُهم فوضَى نساؤُهُمُ وكلُّهم لأبيه ضَيزَنٌ سَلِفُ (٣)

وقال الآخر : تركُ الوطن أَحَدُ السِّبَاءَين (٤) .

وقالوا : من أجدَبَ انتجع .

وقال آخر : مَن أمّل امرأً (٥) هابَهُ ، ومن قصَّر عن شئ عابَهُ .

وقال الآخر :

رجعنا سَالمين كما بدَأْنا وما خابت غنيمةُ سالمينا (٦) ٢٣١

وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

لقد نقَّبتُ فى الآفاق حَتَّى رضِيتُ من الغنيمة بالإيابِ (٧)

= كنانة فيقول : « أنا الذى لا أعاب ولا أجاب . ولا يرد لى قضاء . فيقولون : صدقت ، أنسئنا شهراً ؛ أى أخر عنا حرمة المحرم واجعلها فى صفر ، وأحل لنا المحرم ؛ لأنهم كانوا يكرهون أن يتولى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها ؛ لأن معاشهم كان من الغارة ، فيحل لهم المحرم ، فذلك هو الإنساء .

(١) السمحاء : جمع سميح ، وهو ذو السماحة والجود . وفى هامش هـ : « فى شرح الحديث لابن قتيبة : إذا كثرت الأقطاع والرعاء فالأحمد أن تفرق ويفرقوا . وكانوا يقولون : اللهم حبب بين نسائنا ، وبغض بين رعائنا ، واجعل الأموال فى سمحائنا » .

(٢) هو أوس بن حجر . ديوانه ١٧ واللسان والمقاييس (ضزن) وأدب الكاتب ٢٨٢ والاقتضاب ٣٨٤ . قال البطليوسى : « ولم أجده فى شعر أوس » ! وصدره فى جميعها :

« والفارسية فيهم غير منكرة »

(٣) المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر من الحجارة أو النحاس . فوضى : مختلطة . والضيزن : الذى يزاحم أباه على امرأته . والسلف : واحد السلفين ، وأصله الرجلان يتزوجان بأختين ، فكل واحد منهما سلف صاحبه . أراد أن بينهما مناظرة فى الزواج ؛ يقول : هم مثل المجوس يتزوج الرجل منهم امرأة أبيه وامرأة ابنه .

(٤) السباء والسبى : الأسر .

(٥) هـ : « أحداً » .

(٦) أى غنيمة قوم سالمين . والبيت فى عيون الأخبار (١ : ١٤٢) ، ما عدا ل ، هـ : « وما غابت » . يقول : إن الغنيمة فى السلامة . وأنشد بعده ابن قتيبة :

وما تدرين أى الأمر خير أما تهوَيْن أم ما تكرهينا

(٧) ديوان امرئ القيس ١٣٤ برواية : « وقد طوفت » .

وقيل لابن عباس : أيُّما أَحَبُّ إليك ، رجل يُكثِر من الحسنات ويكثُر من السّيّئات ، أو رجلٌ يُقِلُّ من الحسنات والسِّيئات ؟ قال : ما أَعْدِلُ بالسّلامة شيئاً !

وقالت أعرابية :

فلا تَحمَدونى فى الزِّيارة إنّنى أزوركُمُ إلا أُجِدْ مُتعَلَّلا (١)

يعقوب بن داود (٢) قال : ذَمَّ رَجُلٌ الأشْتَرَ (٣) فقال له رجلٌ من النَّخَع (٤) : اسكتْ فإنَّ حَيَاتَهُ هَزَمتْ أهلَ الشّام ، وموتَه هَزَم أهل العراق .

أبو الحسن قال : أُرسِلت الخيلُ أيّامَ بِشر بن مروان (٥) ، فسبقَ فرسُ عبدِ الملك بن بشر ، فقال له إسماعيل بن الأشعث (٦) : والله لأُرْسِلَنَّ غداً مع فرسك فرساً لا يَعرِفُ أنّ أباكَ أمير العراق ! فجاء فرسُ إسماعيل سابقا ، فقال : ألم أُعلِمْك ؟!

* * *

وقال أبو العتاهية (٧) :

أيا مَن لى بأُنسكَ يا أُخَيَّا ومَن لى أن أُبُثَّك ما لديّا

---

(١) المتعلل : مصدر ميمى لقولهم : تعللت بالشىء : تلهيت به وتشاغلت .

(٢) هو يعقوب بن داود الأنبارى ، ذكره فى تاريخ بغداد ٧٥٨١ . ذكر أنه روى عن عاصم بن على . وهذا عاصم توفى سنة ٢٢١ ، ترجم له فى تهذيب التهذيب .

(٣) الأشتر النخعى : مالك بن الحارث ، ترجم فى (٢ : ٨٧) .

(٤) هم بنو النخع – بالتحريك – بن جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، ينتهى نسبهم إلى كهلان بن سبأ فى اليمن .

(٥) بشر بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك ، ترجم فى (٢ : ٢١١) .

(٦) ل : « إسماعيل بن محمد بن الأشعث » .

(٧) الأبيات التالية لم ترو فى ديوانه . وفى الأغانى (٣ : ١٤٣) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) أنها فى رثاء صديقه « على بن ثابت » ، وكان قد حضره وهو يجود بنفسه ، فلم يزل ملتزمه حتى فاظ . ولما دفن وقف على قبره يبكى طويلا أحر بكاء ، وينشد هذه الأبيات . وفى العقد (باب المراثى) أنه رثى بها ولداً له . وانظر الحيوان (٣ : ٩١ / ٦ : ٥٠٥) حيث أنشد البيتين الثانى والسادس ، والكامل ٢٣٠ ليبسك ، وذيل أمالى القالى ص ٢ ، ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) ، والمستطرف (٢ : ٢٩٤) وما سبق فى (١ : ٤٠٧) .

كفى حَزَناً بِدفنْكَ ثم إنِّى   نَفَضْتُ تُرابَ قَبرِكَ عن يَدَيَّا
طَوتْكَ خُطوبُ دَهرِكَ بعد نَشرٍ   كذاك خُطوبُهُ نشراً وطَيَّا
فلو نَشرتْ قواكَ لىَ المنايا   شكوتُ إليك ما صنعَتْ إليّا
بكيتُك يا أُخَىَّ بدَرٍّ عينى   فلم يُغنِ البكاءُ عليك شيَّا
وكانت فى حياتك لى عِظاتٌ   وأنت اليومَ أوعَظُ منك حيَّا

وقال الآخر [1] :

أبعْدَ الذى بالنَّعْف نعفِ كُويكبٍ   رَهينَةُ رمسٍ بين تُرب وجنَدَلِ [2]
أُذكِّرُ بالبُقْيا على مَن أصابنى   وبُقيَاى أنّى جَاهِدٌ غير مؤتَلِ [3]

يقول : هذه بُقياى .

قال : قيل لشَريك بن عبد الله [4] : كان معاويةُ حليماً . قال : لو كان حليماً ماسَفِهَ الحقّ [5] ، ولا قاتلَ عليًّا . ولو كان حليماً ما حَملَ أبناء العبيدِ على حُرَمه ، ولَمَا أنكح إلّا الأكْفاء .

وأصوَبُ من هذا قول الآخر ، قال : كان معاويةُ يتعرَّض ويحلُم اذا ٢٣٢
أُسْمِعَ . ومَنْ تعرَّضِ للسّفيه [6] فهو سفيه .

وقال الآخر : كان يحبُّ أن يُظهِرَ حلمَه وقد كان طار اسمُه بذلك ، فكان يُحبُّ أن يزداد فى ذلك .

---

(١) فى حواشى هـ : « هو عبد الرحمن بن زيادة » .
(٢) نعف كويكب : موضع لم يذكره ياقوت . والرمس : القبر .
(٣) البقيا ، بضم الباء : الإبقاء . وائتلى : قصر وأبطأ .
(٤) شريك بن عبد الله ، ترجم فى (٢ : ٢٥٣ ، ٢٦٤) .
(٥) سفه الرجل الحق : جهله فلم يره حقا . وفى الحديث : « سئل النبى ﷺ عن الكبر فقال : الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس » .
(٦) ل : « لسيفه » تحريف .

وقال الفرزدق :

وكان يُجير النّاسَ من سَيفِ مالكٍ   فأصبح يبغى نفسَه مَن يُجيرها [١]
وكانَ كعَنْـز السَّوء قامت بظِلفِها   إلى مُديةٍ تحتَ التُّراب تُثيرُها [٢]

وقال التُّوتُ اليمانىّ [٣] :

على أىّ بابٍ أطلُبُ الإذنَ بَعْدما   حُجِبْتُ عن الباب الذى أنا حاجِبُه [٤]

وهذا مثل قوله :

والسبَبُ المانعُ حَظَّ العاقِلِ   هو الذى سَبَّب رِزْقَ الجاهِلِ

ومثله :

ورُبَّتَ حزمٍ كان للسُّقمِ عِلّةً   وعلَّةُ بُرءِ الدَّاء حظُّ المغفَّلِ [٥]

وقال آخر :

يَخيبُ الفتى مِن حيثُ يُرزَق غَيرُه   ويُعطَى الفتى من حيث يُحرمَ صاحبُه [٦]

وقال عثمان بن الحُويرث ، لعمرو بن العاصى :

لهُ أبَوانِ فهو يُدعَى إليهما   وشرّ العبَادِ من لَهُ أبوَان

---

(١) البيتان فى ديوانه ٢٤٩ ، مع ثالث بعدهما ، وهو :

ستعلم عبد القيس إن زال ملكها   على أى حال يستمر مريرها

وأنشدهما فى الحيوان (٥ : ٤٧٥) ، وأولهما فى (٥ : ٥٩٣) ، وثانيهما فى (٥ : ٤٧٠ ، ٤٧٥) .

(٢) قال البحترى فى حماسته ٢٨٤ : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة فأراد ذبحها ولم يكن معه شئ يذبحها به ، فبينا هو يفكر فى ذلك وأى ذلك يصنع إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض فأبرزت عن سكين كانت مندفنة فى التراب ، فذبحها بها . وضرب العرب بها المثل » . وروى ثمانية أشعار فى هذا المعنى فى الباب ١١٥ . وانظر جمهرة الأمثال للعسكرى ٩٥ والميدانى (٢ : ١٧٨) ومعجم المرزبانى ٣٧٤ س ١٦ .

(٣) ويقال أيضاً « اللوب اليمانى » . انظر ماسبق فى (٣ : ٣٥٩ – ٣٦٠) .

(٤) وكذا فيما سبق . وفيما عدا هـ : « على الباب » .

(٥) فى عيون الأخبار (٣ : ٢٧٣) : « خبط المغفل » ، وهى خير الروايتين .

(٦) ل : « يمنع صاحبه » .

وقد حَكَّما فيه لتصدُقَ أُمُّه — وكان لها علمٌ به ببيانِ (١)
فقالت : صُراحٌ ، وهى تعلم غيرَهُ — ولكنّها تَهذِى بغير لسانِ (٢)

وقال الآخَر (٣) :

يَطلُبْن بالقومِ حاجاتٍ تَضمَّنها — بَدرٌ بكلِّ لسانٍ يُلبَسُ المِدَحا
كأنّ فيضَ يَديه قبلَ مسألةٍ — بابُ السماءِ إذا ما بالحَيَا انفتَحا (٤)
وكّلتَ بالدَّهر عيناً غير غافلةٍ — من جُودِ كفِّك تأسو كُلَّ ما جَرَحا

ومثله :

إذا افتقر المِنهالُ لم يُرَ فقرُه — وإن أيْسَرَ المنهال أيسر صاحبُه

وقال علىُّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه : من أفضل العبادة الصَّمت ، وانتظارُ الفَرَج (٥) .

وقال يزيد بن المُهلَّبِ ، وكان فى سجن الحجّاج : لهفى على طَلِيَّةٍ بمائة ألف ، وفرج فى جَبْهَةِ أسَد (٦) . وأنشدَ :

رُبَّما تَجزَعُ النُّفوسُ من الأمـ — ـرِ له فُرْجةٌ كحَلِّ العِقَالِ (٧)

وأنشد :

كَرِهتُ وكان الخَيرُ فيما كَرِهتُه — وأحبَبتُ أمراً كان فيه شَبَا القتلِ (٨)

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « لتصديق أمه » .
(٢) الصراح : الخالص النسب .
(٣) هو أبو نواس . العمدة (٢ : ١١١) وزهر الآداب (٣ : ٥) . وفى زهر الآداب : « غير نائمة من جود كفيك » . وقبل هذا البيت فى العمدة :

أنت الذى تأخذ الأيدى بحجزته — إذا الزمان على أبنائه كلحا

(٤) الحيا : المطر .
(٥) سبق هذا الخبر فى (٢ : ١٦٥ ، ٣٥٠) .
(٦) مضى فى (٢ : ١٦٦) .
(٧) البيت فى الحيوان (٣ : ٤٩) مع نسبته إلى أمية بن أبى الصلت ، مع شئ من شك الجاحظ . وأنشده فى اللسان (فرج) منسوباً إلى أمية . وأنشد قبله :

لا تضيقن فى الأمور فقد تكـ — ـشف غَمَّاؤها بغير احتيال

(٨) الشبا : جمع شباة ، وهو حد الشئ أو حد طرفه . ومنه شباة السيف .

مثلُ قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وهو خَيْرٌ لَكُم وَعَسَى أن تُحِبُّوا شَيْئًا وهو شَرٌّ لَكُمْ ﴾ .

وكان يقال : خُذْ مقتصِدَ العِراق ، ومجتهدَ الحجاز .

٢٣٣ وقال الآخر :

لكلِّ كريمٍ من ألائمِ قومه ... على كلِّ حالٍ حاسدون وكُشَّحُ (١)

وقال جرير :

إنِّى لآمُلُ منك خَيراً عاجلاً ... والنّفسُ مُولعةٌ بحُبِّ العاجلِ (٢)

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ مَا أسأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفين ﴾ .

وقال ابنُ هَرْمة :

أشَمُّ من الّذينَ بهم قُريشٌ ... تُدَاوِى بينها غَبَنَ القَبيلِ (٣)

كأنّ تلألُؤَ المعروفِ فيهِ ... شُعاعُ الشَّمْس فى السَّيف الصَّقِيلِ

وقال امرؤ القيس :

أجارَتَنا إنّ المَـزارَ قريبُ ... وإنِّى مُقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ (٤)

أجارتنا إنّا غريبانِ هاهنا ... وكلّ غريبٍ للغريب نسيبُ

---

(١) الكشَّح : جمع كاشح ، وهو العدو الباطن العداوة ، كأنه يطويها فى كشحه . والكشح بالفتح : الخصر . وقد سبق البيت فى ص ٢١٧ .

(٢) من قصيدة له فى ديوانه ٤١٥ يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، مطلعها :

إن الذى بعث النبى محمدا ... جعل الخلافة فى الإمام العادل

(٣) الأشم : السيد ذو الأنفة . والغبن بالفتح وبالتحريك : ضعف الرأى . ل وهامش هـ « عنن القبيل » هـ : « غبن القتيل » . والوجه ما أثبت .

(٤) البيتان لم يرويا فى ديوانه . وعسيب : جبل بعالية نجد . ورواية ياقوت (فى رسم عسيب) واللسان (عسب) : « إن الخطوب تنوب » . وعجز هذا البيت فى مجالس ثعلب ٥٤٠ .

وقال بشار :

وإذا اغتربتَ فلا تكن جَشِعاً　　　تسمُو لغَثِّ الكسب تكِسبُه (١)

وقال حَسّان بن ثابت :

أهدَى لهمْ مِدَحى قلبٌ يوازِرُهُ　　　فيما أحَبَّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ (٢)

وقال الأصمَعىُّ : أنشدنا أبو مَهديّة (٣) :

ضَحَّوْا بأشمَطَ عُنوانُ السُّجودِ بِه　　　يُقطِّعُ اللَّيلَ تسبيحاً وقُرآنا (٤)

وقال الخزرَجىُّ ، يردُّ على أبى قيس بن الأسْلَتِ ، واسمُه صَيْفىّ (٥) :

أتفخر صيْفىُّ فيما تَقُو　　　لُ أن نِلتُم غِيلةً أرْبَعَهْ (٦)
عَرَانينُ كلُّهُمُ ماجِدٌ　　　كثيرُ الدّسائع والمَنْفَعَهْ (٧)
فهَلَّا حضرتَ غداةَ البَقـ　　　ـيع لمَّا استمات أبو صَعْصَعَهْ (٨)
ولكنْ كرهتَ شُهودَ الوَغَى　　　وكنتم كذلك فى المَعْمَعهْ (٩)
سِرَاعاً إلى القَتلِ فى خُفْيةٍ　　　بطاءً عن القَتْلِ فى المجمعَهْ (١٠)

---

(١) التيمورية : « وإذا اغربت » ب ، جـ : « اعربت » صوابهما فى ل ، هـ .

(٢) المدح : جمع مدحة ، بالكسر . لسان حائك : يحوك الشعر والكلام حوكا : ينسجه ويلائم بين أجزائه ، كما يصنع الحائك ، وهو النساج . ما عدا ل ، هـ : « خائط » تحريف . صنع : صانع حاذق . والبيت من قصيدة لحسان في ديوانه ٢٤٨ – ٢٥١ يعارض بها الزبرقان بن بدر .

(٣) أبو مهدية الأعرابى ترجم فى (٢ : ٢٨١) .

(٤) البيت لحسان بن ثابت ، كما سبق فى حواشى (١ : ٢٢٠) .

(٥) ترجم فى ٢٣ من هذا الجزء .

(٦) الغيلة ، بالكسر : الاغتيال ، وهو أن يخدعه ثم يقتله . ما عدا ل : « عيلة » ، تحريف .

(٧) العرانين : جمع عرنين ، وهم السادة والأشراف . والدسائع : جمع دسيعة ، وهى العطية .

(٨) البقيع : مقبرة أهل المدينة فى داخلها . المستميت : الشجاع الطالب الموت . ب ، جـ مع أثر تغيير فى الأخيرة : « لما استمال » .

(٩) المعمعة : استعار نار الحرب ، أو صوت المقاتلة فيها . هـ : « كرهتم » .

(١٠) ل : « فى مجمعه » .

وأنشد الأصمَعيُّ :

آتِى النَّدِىَّ فلا يُقَرَّب مجلسى   وأقود للشرفِ الرّفيع حِماريَا (١)

وقال حبيبُ بن أُوْس :

كالخُوط فى القَدِّ والغَزالةِ فى البَهْـ   ـجة وابنِ الغزالِ فى غَيَدِه (٢)

وما حكاه ، ولا نعيمَ لَهُ ،   فى جِيدِه بل حَكاهُ فى جَيَدِه (٣)

إلى المُفدَّى أبى يزيدَ الذّى   يَضِلّ غَمْرُ المُلوك فى ثَمَدِهْ (٤) ٢٣٤

ظِلُّ عُفَاةٍ ، يُحب زَائرَهُ   حُبَّ الكبيرِ الصغيرَ من وَلَدِه (٥)

إذا أَناخُوا ببابِهِ أَخَـذُوا   حُكْمَهُمُ من لسانِه ويَدِه (٦)

وقال أيضاً :

لعمرُك ما كانوا ثلاثةَ إخوةٍ   ولكنهم كانوا ثَلاثَ قبائِلِ (٧)

---

(١) الندى : مجلس القوم . وأنشده فى الحيوان (٦ : ٤٨٦) مسبوقا بقوله : « وقال آخر ووصف ضعفه وكبر سنه » . وأنشده فى اللسان (شرف) شاهدا للشرف بمعنى المكان العالى ، وعقب عليه بقوله : « يقول إنى خرفت فلا ينتفع برأيى ، وكبرت فلا أستطيع أن أركب من الأرض حمارى إلا من مكان عال » . ورواية اللسان : « حمارى » موضع « حماريا » .

(٢) الأبيات من قصيدة له فى ديوانه ٩١ – ٩٥ يمدح بها خالد بن يزيد الشيبانى مطلعها :

ما لكثيب الحمى إلى عقده   ما بال جرعائه إلى جرده

الخوط ، بالضم : الغصن الناعم ، والغزالة . الشمس عند طلوعها ، أو عند ارتفاعها. وابن الغزال ، عنى به الظبى ، والغيد : ميل العنق ولين الأعطاف .

(٣) الجيَد : طول العنق فى حسن .

(٤) أبو يزيد : كنية خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى . وفيه يقول أبو تمام أيضاً :

وإذا رأيت أبا يزيد فى ندى   ووغى ومبدى غارة ومعيدا

والغمر : الماء الكثير . والثمد : القليل . يقول إن قليله أعظم من كثير غيره من الملوك ، فكثيرهم مستصغر فى جانب قليله .

(٥) العفاة . جمع عاف ، وهو الطالب .

(٦) أخذوا حكمهم ، أى كل ما يرغبون . ويعنى أيضاً أن فعله مطابق قوله ، وإنجازه مصاحب وعده . فى هامش هـ عن نسخة : « حكميهم » .

(٧) من أبيات لأبى تمام يرثى بها بنى حميد الطُّوسىّ ، وهم أبو نصر ، وقحطبة ، ومحمد .

ومن خطباء الخوارج

قَطرِىُّ بن الفُجَاءَة [١] ، أحدُ بنى كابِيةَ بن حُرقُوص [٢] ، وكنيته أبو نعامة فى الحرب ، وفى السلم أبو محمد . وهو أحد رؤساء الأزارقة . وكان خطيباً فارساً ، خرج زَمن مُصعب بن الزُّبير ، وبقى عشرين سنةً . وكان يَدِين بالاستعراض [٣] والسِّباء ، وقتل الأطفال . وكان آخرُ من بُعِث إليه سفيان بن الأبرد الكلبىّ [٤] وقَتلَه سَورَة بن أَبْجَر الدارمى ، من بنى أبان بن دارم .

ومن خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم :

حَبيب بن خُدرة [٥] ، عِدَاده فى بنى شَيبان ، وهو مولًى لبنى هلال بن عامر [٦] .

ومن علمائهم وخطبائهم وأئمتهم :

الضحَّاك بن قيس [٧] ، أحد بنى عمرو بن مُحلِّم بن ذُهْل بن شَيبان ،

---

(١) ترجم فى (١ : ٣٤١) .

(٢) كابية ، بالباء بعدها ياء تحتية ، من قولهم كبا الزند يكبو ، إذا لم يور ناراً . وهم بنو كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . الاشتقاق ١٢٤ - ١٢٥ . ل : « كاينة » ما عدا ل : « كنانة » ، صوابهما ماأثبت .

(٣) الاستعراض : أن يعترض الناس يَقتلهم . انظر اللسان (عرض ٣٩) . وفى أمالى القالى (١ : ١١٩) : « ويقال خرجوا يضربون الناس عن عرض ، يريدون : عن شق وناحية ، لا يبالون من ضربوا . ومنه استعراض الخوارج الناس ، إذا لم يبالوا من قتلوا » . وفى الكامل ٦١٦ ليبسك : « وقال أبو بيهس : الدار دار كفر ، والاستعراض فيها جائز ، وإن أصيب من الأطفال فلا حرج » . فهو اصطلاح خاص بالخوارج فى هذا المعنى .

(٤) ترجم فى (١ : ٦١) .

(٥) خدرة بالخاء ، كما سبق فى ترجمته (١ : ٣٤٦) . ل ، هـ : « جدرة » تحريف .

(٦) ما عدا ل : « الهلال بن عامر » .

(٧) ترجم الضحاك بن قيس بن خالد فى (١ : ٣٨٠) .

ويكنى أبا سعيد . ملَكَ العراقَ ، وصَلَّى خَلفَه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وعبد الواحد بن سليمان [١]. وقال شاعرهم [٢] :

ألم تر أنَّ الله أظهر دينَه ... وصلَّتْ قريشٌ خلف بكر بن وائلِ [٣]

ومن علمائهم : وخطبائهم : نصر بن مِلْحان ، وكان الضَّحَّاك ولّاه الصلاةَ بالناس ، والقضاءَ بينهم .

ومن علمائهم : مُليلٌ ، وأصغرُ بن عبد الرحمن [٤] ، وأبو عبيدة كورين ، واسمه مُسلِم ، وهو مولًى لعروة بن أذينة [٥] .

ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقَعَدِهم وأهل الفقه : عِمران بن حِطّان [٦] ويكنى أبا شهاب ، أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ٢٣٦

ومن الخوارج من بنى ضَبَّة ثم أحد بنى صَبَّاح [٧] : القاسم بن عبد الرحمن بن صُدَيقة [٨] . وكان ناسباً عالماً داهياً ، وكان يشوب ذلك ببعض الظَّرف .

ومن علمائهم ونُسَّابهم وأهل اللَّسَن منهم : الجَون بن كِلاب ، وهو من أصحاب الضّحَّاك .

ومن رجالهم وأهل النَّجْدة والبيان منهم : خُرَاشة [٩] ، وكان ركّاضاً ، ولم يكن اعتقَد .

أخبرنى أبو عبيدة قال : كان مِسمارٌ مستخفياً بالبَصرة ، فتخلّصت إليه

---

(١) فى (١ : ٣٤٣) أنه « سليمان بن هشام » . وهو المطابق لما ورد فى الطبرى (٩ : ٦٤) .

(٢) هو شبيل بن عَزْرة الضبعى . الطبرى (٩ : ٦٤) .

(٣) سبق البيت فى (١ : ٣٤٣) . وفى الطبرى : « فصلت » .

(٤) انظر ما سبق فى (١ : ٣٤٧) .

(٥) كان إباضيا من الصفرية . انظر مامضى فى (١ : ٣٤٧) . هـ : « أرية » .

(٦) ترجم فى (١ : ٤١) .

(٧) ما عدا ل : « صبيح » .

(٨) ترجم فى (١ : ٣٤٣) . ما عدا ل : « صديق » ، تحريف .

(٩) ل : « جراشة » بالجيم .

فأخبرنى أنه الذى طعن مالكَ بن علىٍّ فى فيه ، وذلك أنه فتح فاه يقول : أنا أبو على ! فشَحا بها فاهُ (١) ، فطعنتُه فى جوف فمه (٢) .

ومن شعرائهم عِتبان بن وَصيلَة الشّيبانى (٣) ، وهو الذى يقول :

ولا صَلُحَ مادامَتْ منابرُ أرضنا   يقوم عليها من ثقيفَ خطيبُ

* * *

وعن عيسى بن طلحة قال :

قلتُ لابن عبَّاس : أخبِرْنى عن أبى بكر . قال : كان خيراً كلّه ، على الحِدَّة وشدّة الغضب .

قال : قلتُ : أخبرنى عن عمر . قال : كان كالطائر الحذِر قد عَلِم أنه قد نُصب له فى كلِّ وجهٍ حِبالة ، وكان يعمل لكلِّ يوم بما فيه ، على عُنْفِ السِّباق .

قال : قلت : أخبِرْنى عن عثمان . قال : كان والله صَوَّاماً قوّاماً ، لم يخدعه نومُه عن يَقَظته .

قال : قلت : فصاحبُكم ؟ قال : كان والله مملوءًا حِلماً وعِلماً ، غَرَّته سابقَته وقرابته (٤) ، وكان يَرَى أنه لا يطلبُ شيئاً إلّا قَدَرَ عليه . قلت : أكنتم تُرونَه محدوداً (٥) . قال : أنتم تقولون ذاك .

---

(١) شحا فاه : فتحه . فى جمهور النسخ : « فاتحا فاه » . وأثبت ما فى هـ وهامش التيمورية .

(٢) ما عدا ل : « جوب فمه » .

(٣) وصيلة ، بفتح الواو ، واشتقاقه من وصيلة الغنم كما نص ابن دريد . وعتبان ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٢١٦ فى رجال شيبان . وأنشد له يقول لعبد الملك :

فإنك إلا ترض بكر بن وائل   يكن لك يوم بالعراق عصيب

(٤) سابقته ، أى سبقه إلى الإسلام . وكان على رضى الله عنه أول من آمن من الصبيان .

(٥) المحدود : المحروم من الخير ، والذى لا يوفق إلى صواب . وانظر مثل هذا الكلام لابن عباس فى مروج الذهب (٣ : ٦٠) حين سأله معاوية .

كلام فى الأدب

قال معاوية : ما رأيتُ سَرَفاً قطّ إلّا وإلى جَنبِه حقٌّ مضيّع .

وقال عثمانُ بن أبى العاص : الناكح مغترِس ، فلينظر امرؤٌ أينَ يضع غَرْسه (١) .

وقالت هندُ بنت عُتبة : المرأة غُلٌّ ، ولابدَّ للعنق منه ، فانظر مَن تضعُه فى عنقك (٢) .

وقال ابن المُقَفَّع : الدَّينُ رِقٌّ فانظر عند مَن تضَعُ نفسَك .

وقال عمرو بن مَسْعَدة (٣) ، أو ثابتٌ أبو عَبَّاد : لا تستصحِبْ من يكون
٢٣٧ استمتاعُه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بِشُكر لسانه ، وفوائد علمه .
ومن كانت غايتُه الاحتيالَ على مالِكَ ، وإطراءَك فى وجهك فإنّ هذا لا يكون إلّا ردىَّ الغَيب ، سريعاً إلى الذمّ .

* * *

---

(١) سبقت وصية عثمان بن أبى العاص فى (٢ : ٦٧) .

(٢) الغل ، بالضم : جامعة توضع فى العنق أو اليد . وفى الحديث : « وإن من النساء غلا قَمِلاً يقذفه الله فى عنق من يشاء ثم لا يخرجه إلا هو » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ١٠٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا فى صدر هذا الجزء الثالث فى ذكر العصا ووجوهِ تصرُّفِها .

وذكَرْنا من مقطَّعات كلام النُّسَّاك ، ومن قِصار مواعظ الزُّهَّاد ، وغير ذلك مما يجوز فى نوادر المعانى وقِصار الخُطَب .

ونحن ذاكرون ، على اسم الله وعونِه ، صدراً من دُعاء الصَّالحين والسَّلَف المتقدِّمين ، ومن دُعاء الأعراب ؛ فقد أجْمَعوا على استحسان ذلك واستجادته ؛ وبعضَ دعاءِ الملهوفين ، والنُّسَّاك المتبتِّلين .

وقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُم رَبِّى لَوْلَا دُعَاؤُكُم ﴾ . وقال : ﴿ ادْعُونِى أَستَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ يَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَبًا ﴾ ، وقال : ﴿ والمستَغْفِرينَ بالأَسْحَار ﴾ .

قالوا : كان عمرو بن معاويةَ العُقَيلىّ [1] يقول : اللهمَّ قِنِى عَثَرات الكِرَام والكلام [2] » .

وقال أعرابىٌّ لرجل سألَه : جَعلَ الله الخيرَ عليك دليلًا ، ولا جعل حَظَّ السّائلِ منك عِذْرَةً صادقة [3] .

وقال بعضُ كِرام الأعراب ممّن يقرِض الشّعر ويؤثر الشُّكر :

---

(١) كان عمرو بن معاوية العقيلى من أصحاب الولايات . وفى عيون الأخبار (١ : ١١٦) : « قيل لعمرو بن معاوية العقيلى – وكان صاحب صوائف – : بم ضبطت الصوائف ؟ أى الثغور . قال : بسمانة الظهر وكثرة الكعك والقديد » .

(٢) فى عيون الأخبار (٣ : ١٧٥) : « اللهم بلغنى عثرات الكرام » . على أن القول نسب إلى أعرابى فى (١ : ٤٠٥) هـ : « عثرات الكلام » وأشير إلى أنها فى نسخة « الكرام » .

(٣) مضى الخبر فى (١ : ٤٠٤) . والعذرة ، بكسر العين : العذر ، قال النابغة :

ها إن تاعذرة إن لم تكن نفعت ... فإن صاحبها قد تاهَ فى البلد

لعلَّ مُفَيداتِ الزَمانِ يُفدنَنى بنى صامتٍ فى غير شيءٍ يَضيرُها[١]

قال شيخٌ أعرابىّ : اللهمَّ لا تُنزِلْنى ماءَ سَوءٍ ، فأكونَ امرأً سَوءٍ[٢] .

قال : وسمعت عُمر بن هُبَيْرة يقول فى دعائه : اللهم إنى أعوذ بك من صديقٍ يُطِرى ، وجَليسٍ يُغْرِى ، وعَدُوّ يَسرِى[٣] .

قال : وكتب ابن سَيَابة[٤] إلى صديق له ، إمّا مُستقرِضاً وإمّا مُستفرِضاً[٥] ، فذكر صديقُه خَلّةً شديدة ، وكثرةَ عيالٍ ، وتعذُّرَ الأمور عليه ، فكتب إليه ابن سَيَابة : « إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقا ، وإن كنتَ مَليما[٦] فجعلك الله معذورا » .

وقال الأصمعىّ : سمعتُ أعرابيًّا يقول : أعوذ بك من الفَواقر والبواقر[٧] ، ومن

٢٣٨ جَارِ السَّوء فى دار المُقامة والظَّعْنِ[٨] ، وما ينكِّس برأس المرء ويُغْرِى به لئامَ النّاس .

قال الأصمعى : قيل لخالد بن نَضْلَة[٩] : قال عبد يغوث بن وَقّاص[١٠] ما أَذُمُّ ، ما فيها إلّا عَطْنَى[١١] ، ليس خالدَ بنَ نَضْلة[١٢] ، يعنى مُضر . قال خالد :

---

(١) سبق البيت فى (١ : ٤٠٥) . وبنو صامت : الدراهم والدنانير .

(٢) مضى الخبر فى (١ : ٤٠٥/ ٢ : ٢٨٣) والحيوان (٣ : ٤٧٢) .

(٣) ما عدا ل : « مطر » و « مغر » و « مسر » . والروايتان فى هـ .

(٤) هو إبراهيم بن سيابة ، كما فى (١ : ٤٠٥) . والأغانى (١١ : ٦) .

(٥) الاستقراض : طلب القرض . وبالفاء طلب الفَرْض ، وهو أن يفرض له عطاء .

(٦) المليم ، بفتح الميم : الملوم . ل ، هـ والأغانى : « ملوما » . على أن الخبر قد نسب فى تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) إلى بشر بن غياث المريسى . ولفظه : « إن كنت معتذرا بباطل فجعلك الله معتذرا بحق » .

(٧) الفواقر : جمع فاقرة ، وهى الداهية تكسر فقار الدهر . والبواقر : جمع باقرة ، عنى بها الداهية أيضا . وفى مجالس ثعلب ٥٤٠ : « اللهم إنى أعوذ بك من العواقر والنواقر » .

(٨) الظعن ، بسكون العين وفتحها : الارتحال .

(٩) خالد بن نَضلة الأسدى : فارس مشهور من فرسانهم . وله ذكر فى يوم النِّسار ، إذ كان رئيس أسد يومئذ . انظر كامل ابن الأثير .

(١٠) ترجم فى (٢ : ٢٦٧) .

(١١) ما أذم ، أى ما أقول إلا حقا . عَطْنَى : جمع عطين ، كجريح وجرحى . وفى اللسان : ورجل عطين : منتن الإهاب . ويقال : إنما هو عطينة ، إذا ذم فى أمر » .

(١٢) ليس ، هنا ، من أدوات الاستثناء ، مثلها فى قوله : =

اللهمّ إن كان كاذباً فاقتله على يد ألأمِ حيٍّ فى مُضَر ! فقتَلته تَيم الرِّباب .

قالوا : وقف سائلٌ من الأعراب على الحسن فقال : رحم الله عبداً أعطى من سَعَة ، وآسَى من كَفاف ، وآثر من قِلَّة .

وقال : فى الأثر المعروف : « حصِّنوا أموالَكم بالزكاة ، وادفعوا أمواج البَلاء بالدُّعاء » .

ومن دعائهم : أعوذُ بك من بَطر الغِنى ، وذِلَّة الفقر .

قال : ومن دعاء السَّلَف : اللهمّ احمِلْنا من الرُّجلْة (١) ، وأغْنِنا من العَيْلة .

وسأل أعرابيٌّ فقيل له : بُورِكَ فيك ! فتوالى ذلك عليه من غير مكان ، فقال : وَكَلَكم اللهُ إلى دعوةٍ لاتحضُرها نِيّة .

وقال أعرابىّ : أعوذُ بك من سُقْم وعَدْوَاه ، وذِى رَحِم ودَعْواه ، ومن فاجرٍ وجَدْواه ، ومن عملٍ لاترضاه .

وسأل أعرابيٌّ فقال له صبىٌّ من جَوف الدار : بُورِك فيك ! فقال : قَبح الله هذا الفم ، لقد تعوّد الشرّ صغيراً (٢) !

وهذا السَّائل هو الذى يقول :

رُبَّ عجُوزٍ عِرمِسٍ زَبُونِ (٣) سريعةِ الرّدِّ على المسكين
تحسَبُ أنَّ « بُوركاً » يكفينى إذا غدوتُ باسطاً يمينى

وقال آخر : اللهمّ أعِنِّى على الموت وكُربته ، وعلى القبر وغُمّته ، وعلى الميزان

= ليت هذا الشهر شهر لا نرى فيه عريبا
ليس إياى وإيا ك ولا نخشى رقيبا

(١) أى بدل الرجلة ، والرجلة ، بالضم : السفر على الرجلين .

(٢) ما عدا ل : « لقد تعلم » .

(٣) أنشده ثعلب فى المجالس ٥٤٠ . وقال : « العرمس : الشديدة . وزبون : تدفع . وأنشده فى اللسان (عرمس) وقال رواية عن ابن سيده : « لا أدرى ، أهو من صفات الشديدة أم هو مستعار فيها » .

وخِفّته ، وعلى الصِّراط وزَلَّته ، وعلى يوم القيامة ورَوْعته .

وقالت عجوزٌ وبلَغَها موتُ الحجّاج : اللهمَّ إنّكَ أمَتَّه فأمِتْ سُنّته .

قال : وكان محمد بن على بن الحسين بن علىّ يقول : اللهمَّ أعنّى على الدنيا بالغنى ، وعلى الآخرة بالتّقوى .

وقال عَمرو بن عُبَيد (١): اللهمَّ أغْنِنِى بالافتقار إليك ، ولاتُفْقِرْنى ٢٣٩ بالاستغناء عنك .

وقال عمرو : اللهمَّ أعِنّى على الدُّنيا بالقناعة ، وعلى الدِّين بالعِصمة .

قال : ومرض عوفُ بن أبى جَميلة (٢) ، فعاده قومٌ فجعلوا يُثنون عليه ، فقال : دَعُونا من الثّناء ، وأمِدُّونا بالدُّعاء .

قال : وسمعتُ عمرَ بنَ هبيرةَ يقول : اللهمَّ إنّى أعوذ بك مِن طُول الغفلة وإفراط الفِطنة . اللهمَّ لا تجعَلْ قولى فوقَ عملى ، ولا تجعل أسوأَ عملى ما قاربَ أجلى .

وقال أبو مَرْجَح (٣) : اللهمَّ اجعل خيرَ عملى ما وَلِىَ أجلى .

قال : ودَعتْ أعرابيّةٌ لرجل فقالت : كبَتَ (٤) الله كلَّ عدوٍّ لك ، إلّا نفسَك .

وقال يزيد بن جَبَل : احرُسْ أخاك إلّا من نَفْسِه .

قال : ودعا أعرابىٌّ فقال : اللهمَّ هب لى حقَّك ، وأرضِ عَنّى خلقك .

قال : وكان قومٌ نُسّاكٌ فى سفينةٍ فى البحر ، فهاجت الرِّيح بأمرٍ هائل ، فقال رجلٌ منهم : اللهمَّ قد أريتَنا قدرتَك فأَرِنا عفوَك ورحمتَك .

---

(١) ترجم فى (١ : ٢٣) .

(٢) ترجم فى (٢ : ٣٧) .

(٣) هـ : « أبو مذحج » .

(٤) كبته : صرعه ، وأخزاه ، وكسره ، ورده بغيظه ، وأذله . ما عدا ل ، هـ : « كب » . كبه : قلبه وصرعه .

قال : وسمع مُطَرِّف بن عبد الله [١] رجلًا يقول : أستغفر الله وأتوبُ إليه ! فأخَذَ بِذراعه وقال : لعلَّك لاتفعل ! مَن وعَدَ فقد أوجب .

وقال رجلٌ لابن قُثم : كيف أصبحت ؟ قال : إنْ كان من رأيك أن تَسُدَّ خَلَّتى ، وتقضِيَ دَينى ، وتكسُوَ عُرْيى [٢] خبَّرتك ، وإلا فليس المجيب بأعجب من السائل [٣] .

وقال آخَر : اللهم أمِتعْنا بخيارنا ، وأعِنَّا على شِرارنا ، واجعل الأموالَ فى سُمحائنا .

وقال أعرابىّ : اللهمَّ إنّك قد أمرتنا أن نَعفُوَ عمّن ظلمنا ، وقد ظلَمْنا أنفسَنا فاعفُ عنَّا .

وقال أعرابىٌّ ورأى إبلَ رجلٍ قد كثُرت بعدَ قِلّة ، فقيل له : إنَّه قد زَوَّج أمَّه فجاءته بنافجة [٤] ، فقال : اللهمَّ إنّا نعوذ بك مِن بَعض الرِّزق .

أبو مجيب الرّبعى [٥] قال : قال أعرابىّ : جنَّبكَ الله الأمَرَّين ، وكفاك شَرَّ الأجوفَين .

الأجوفان : البَطْن والفَرْج . والأَمَرَّانِ : الجوع والعُرْى .

وجاء فى الحديث : « من وُقِىَ شَرّ قَبقَبه وذَبْذَبِه ولَقْلَقِه فقد وُقِىَ الشَّرَّ كُلَّه [٦] » .

---

(١) ترجم فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) . وكلمة « بن عبد الله » من ل فقط .

(٢) ما عدا هـ : « عورتى » .

(٣) ل : « فليس السائل بأعجب من المجيب » .

(٤) ما عدا ل : « بنافجة مال » أى إبل . والنافجة : الإبل يحصل عليها الرجل فتكثر بها إبله . وكانت العرب تقول فى الجاهلية للرجل إذا ولدت له بنت : هنيئاً لك النافجة . أى المعظمة لمالك . وذلك أنه يزوّجها فيأخذ مهرها من الإبل فيضمها إلى إبله فينفجها ، أى يرفعها ويكثرها .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٧٣) .

(٦) ل : « فقد وقى الشر » فقط . والحديث رواه البيهقى عن أنس . وذكر السيوطى فى الجامع الصغير ٩٠٧٣ أنه حديث ضعيف . وقد ورد تفسير الحديث فقط ، فى مجالس ثعلب ٥٤٠ بقوله : « القبقب : البطن . والذبذب : الذكر . واللقلق : اللسان » .

وقال الأعرابى : مَنَحكم الله مِنحةً ليست بِجَدَّاءَ ولا نَكْداء (١) ، ولا ذاتِ داء .

٢٤٠ قال : قيل لإبراهيم المحلِّمىّ (٢) : أىُّ رجل أنت لولا حِدّةٌ فيك ! قال : أستغفر اللهَ مِمَّا أملك ، وأستصلِحُه مالا أملك .

وقال أعرابىٌّ وماتَ ابنٌ له : اللهمَّ إنِّى قد وهبتُ له ما قصَّر فيه مِن برِّى ، فهَبْ له ماقصَّرَ فيه من طاعتك .

الفضل بن تميم (٣) قال : قال أبو حازم (٤) : لَأنا مِنْ أن أُمنَع الدّعاءَ أخوَفُ منِّى من أن أُمنَع الإجابة .

قال : ولما صَافَّ قتيبةُ بن مسلِمٍ التُّرْكَ وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسع (٥) ، وقال : انظروا ما يصنع ؟ فقالوا : ها هو ذاك فى أقصى الميْمنة جانحاً على سِيَة قوسه (٦) ، يُنَضنِض بإصبعه نحو السَّماء (٧) . قال قتيبة : تلك الإصبعُ الفاردة أحبُّ إلىّ من مائةِ ألفِ سيفٍ شهير ، وسنانٍ طَرير (٨) .

---

(١) المنحة ، بالكسر : أن يمنح الرجل أخاه ناقة أو شاة ليحلبها زماناً أو أياماً ثم يردها . والجداء : القليلة اللبن . والنكداء : القليلة اللبن أيضا .

(٢) المحلمى : نسبة إلى بنى محلم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب . ومحلم ، بكسر اللام المشددة . ما عدا ل : « البجلى » نسبة إلى بجيلة .

(٣) سبقت رواية له فى ص ٢١٩ . ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) أبو حازم الأعرج ، مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٤) . وهذا السند وخبره من ل فقط . على أن هذا القول يروى لزياد بن أبى زياد المخزومى . كما سبق فى ص ١٢٦ من هذا الجزء . ولكن نسبته إلى أبى حازم مثبتة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨٦) كما سبقت الإشارة ..

(٥) محمد بن واسع الأزدى ، ترجم فى (١ : ٣٥٣) .

(٦) جانحا : مائلا . وسية القوس : رأسها .

(٧) النضنضة : التحريك . ما عدا ل : « يبضبض » ، تحريف .

(٨) الفاردة : المنفردة ، والمتنحية . والشهير : الذى شهره صاحبه ، أى سله وأبرزه ، ولم ينص على هذه الصيغة فى المعاجم . والطرير : المحدد . وانظر رسائل الجاحظ (١ : ٧٧) بتحقيقنا .

وقال سعيد بن المسيِّب (١) ، ومرَّ به صِلَةُ بن أَشْيَم (٢) : يا أبا الصَّهباء ، ادعُ الله لى بدَعوات . قال : زهَّدك اللهُ فى الفانى ، ورغبَّك فى الباق ، ووَهَب لك يقيناً تسكُنُ إليه (٣) .

أبو الدَّرداء قال : إنّ أبغضَ الناس إلىَّ أنْ أظلِمَه مَنْ لم يستعن علىَّ إلّا بالله .

وقال خالد بن صفوان : احذروا مَجَانيق الضَّعفاء (٤) ! يعنى الدُّعاء .

وقال : لا يُستجاب إلّا لمُخْلِصٍ أو مظلوم .

قال : وكان علىُّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه يقول : اللهمَّ إنّ ذُنوبى لا تضرُّك ، وإنّ رحمتَك إيّاى لا تنقُصك ، فاغفِر لى ما لا يضرُّك ، وأعطِنى ما لا ينقُصك .

وقال أعرابىّ : اللهمّ إنك حَبسْت عنّا قطرَ السماء ، فذَابَ الشّحم ، وذهب اللّحم ، ورقّ العَظْم ، فارحم أنين الآنّة ، وحنين الحانّة . اللهمّ ارحَمْ تحيُّرَها فى مراتعها ، وأنينَها فى مَرابِضها .

قال : وحجَّت أعرابيَّة فلما صارت بالموقِف قالت : اسألك الصُّحبةَ ، يا كريمَ الصُّحبة ، وأسألك سِتْرك الذى لا تُزيله الرِّياح ، ولا تُخرِّقه الرِّماح .

وقيل لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : كم بيْنَ الأرض والسماء (٥) ؟ قال :

---

(١) المسيب ، هذا بكسر الياء ، وتفتح أيضاً ، كما فى القاموس . وترجمة سعيد فى (١ : ٢٠٢) .

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٣) هذا الخبر جميعه من ل فقط .

(٤) مجانيق : جمع منجنيق ، وهى آلة كانت تستعمل للرمى بالحجارة ونحوها فى القتال وهو من الألفاظ اليونانية المعربة ، ولفظه فى اليونانية : **Magganon** . انظر تحقيق الأب أنستاس فى مجلة الثقافة العدد ١٠٠ . وقد مضى هذا النص فى (١ : ٣٥٢) .

(٥) ما عدا ل : « بين السماء إلى الأرض » . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٨) .

دعوة مُستجابة . قالوا : كم بين المشرق إلى المغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس ، ومن قال غيرَ هذا فقد كذب .

٢٤١ قال : وحجّ أعرابيٌّ فقال : اللهمّ إن كان رزقى فى السماء فأنْزِله ، وإن كان فى الأرض فأخرِجْه ، وإن كان نائياً فقرِّبْهُ ، وإن كان قريباً فيسِّره .

أبو عثمان البَقطُرىّ (١) عن عبد الله بن مسلم الفِهرى (٢) قال : لمّا وَلِىَ مسروقٌ (٣) السِّلسِلة (٤) انبرى له شابٌّ فقال له : وقَاك الله خشيةَ الفقر وطُولَ الأمل ، حتى لا تكونَ درِيّةً للسُّفَهاء (٥) ، ولا شَيناً على الفقهاء (٦) .

وقال أعرابىٌّ فى دعائه : اللهمّ لا تُخَيِّبْنِى وأنا أرجوك ، ولا تعذِّبْنى وأنا أدعوك . اللهمّ فقد دعوتُك كما أمرتَنى ، فأجِبْنى كما وعدتَنى .

وقال عبدُ الله بنُ المبارك : قالت عائشة : يا بَنِىَّ لا تطْلبوا ما عند الله مِن عندِ غير الله بما يسخِط الله .

قال : وقال رجلٌ من النُّسَّاك : إن ابتُلِيتَ أن تدخل مع ناسٍ على السُّلطان فإذا أخَذُوا فى الثَّناءِ فعليك بالدُّعاء .

وكان الفضل بن الربيع يقول : مسألة الملوك عن حالهم من تحيَّة النَّوْكَى وتَقَرُّبِ الحمقَى ، عليكم بأوجَزِ الدُّعاء (٧) .

---

(١) ما عدا ل : « اليقطرى » . وبقطر ، بفتح الباء وضمّها ، من قرى صعيد مصر . وقال الجاحظ فى كتاب البغال : ويكنى أبا عثمان ، واسمه فهدان . رسائل الجاحظ (٢ : ٢٢١) .

(٢) ب ، جـ : « سلم » بدل « مسلم » .

(٣) مسروق ، هذا ، هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى ، كان من عباد أهل الكوفة وكبار محدثيهم ، وولاه زياد على السلسلة ، ومات بها سنة ٦٣ وله ثلاث وستون سنة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١١) .

(٤) السلسلة : موضع ، لم يذكره ياقوت ولا البكرى .

(٥) الدرية : مسهل الدريئة ، وهى الحلقة التى يتعلم الرامى الطعن والرمى عليها .

(٦) الشين : العيب . ما عدا ل : « شينا للفقهاء » .

(٧) هذا الخبر فى ل فقط . وقد سبق برواية أخرى فى (٢ : ٢٥٦) . وانظر ما سيأتى فى ص ٢٨٦ .

وقال الكذّاب الحِرْمازىّ (١) :

لا هُمَّ إن كانت بنو عَمِيره رهط التِّلِبّ دعوةً مستوره (٢)
قد أجمعوا لِحِلْفة مَصْبُوره (٣) واجتمعوا كأنَّهم قارُورَه (٤)
فى غَنَـمٍ وَإبـلٍ كثيـرَهْ فابعثْ عليهم سَنَةً قاشُورَه (٥)
تحتلق المالَ احتلاقَ النُّورَه (٦)

وقال أعرابىّ :

لا هُمَّ أنتَ الربُّ تُسْتَغاثُ لَكَ الحَياةُ ولَكَ المِيرَاثُ
وقد دَعاك الناسُ فاستغاثوا غَيَاثُهُمْ وعِندك الغِيَاثُ

---

(١) الكذاب ، لقب له ، وهو عبد الله بن الأعور ، أحد بنى الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم . ولقب لكذبه . وهو القائل :

لست بكذّاب ولا أثّام ولا بجذّام ولا مصرام
ولا أحب خلة اللئام

وقال يهجو قومه :

إن بنى الحرماز قوم فيهم عجز وإيكال على أخيهم
فابعث عليهم شاعراً يخزيهم يعلم منهم مثل علمى فيهم

الشعر والشعراء ٦٦٥ والمؤتلف ١٧٠ .

(٢) الرجز روى فى اللسان (تلب) بدون نسبة ، وكذلك البيتان السادس والسابع منه فى (قشر) ، والأول والثانى والسادس والسابع فى (حلق) . قال : « والتلب رجل من بنى العنبر » . الدعوة ، بالكسر : النسب المدعى ؛ وبالفتح : المحالفة . وفى اللسان (تلب ، قصر ٤١٥) : « هؤلا مقصورة » . قال فى (قصر) : « مقصورة : أى خلصوا فلم يخالطهم غيرهم من قومهم » . هـ : « لحلفة مقصورة » .

(٣) يمين الصبر ، هى التى تؤخذ من صاحبها بإكراه . وفى الحديث : « من حلف على يمين مصبورة » ، أى صبر عليها وحبس حتى حلف بها ، فأسند الصبر إلى اليمين مجازا . اللسان (صبر) . ما عدا ل : « لحلقة مقصوره » ، تحريف . وفى اللسان : « لغدرة مشهوره » .

(٤) القارورة : وعاء من الزجاج يوضع فيه الشراب . أراد كما يجتمع الشراب فى القارورة .

(٥) قاشورة : مجدبة تقشر كل شئ ، كما فى اللسان (قشر) عند إنشاد هذا البيت وتاليه . والبيت وتاليه فى المخصص (١٠ : ١٧٠) أيضا . وفى المخصص : « ثم أتتنا سنة » وصواب الرواية ما هنا .

(٦) تحتلق المال : تحلقه ، أى تذهب به . والمال : الإبل . والنورة بالضم : حجر يحرق ويسوى منه الكلس ، ويحلق به .

ولم يكن سَيْبُك يُسْتَراثُ (١) لم يبقَ إلّا عِكرِشٌ أنكاثُ (٢)
٢٤٢ وشيجةٌ أُصولُها مُثَاثُ (٣) وطاحت الألبان والأرماثُ (٤)

* * *

وكان سعد بن أبى وقّاص يسمَّى : « المستجابَ الدَّعوة » .

وقال لعمر حِين شاطره مالَه : لقد هممتُ . فقال له عمر : لتدعو الله علىّ ؟ قال : نعم . قال : إذن لا تجدُنى بدعاءِ ربِّى شقيًّا .

وقال رسول الله ﷺ : « كم مِن ذى طِمْرينِ لا يُؤْبَهُ له لو أقسَمَ على الله لأَبَرَّه (٥) » . منهم البَرَاء بن مالك (٦) . واجتمعَ الناسُ إليه وقد دَهَمهم العدوّ ، فأقسَم على الله ، فمنحهم اللهُ أكتافَهم (٧) .

الأصمعىّ وأبو الحسن قالا : أخبرنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد (٨) ، عن أبيه ، أو عن غيره ، قال :

---

(١) هذا البيت فى ل فقط . السيب : العطاء . يستراث : يستبطأ . والريث : البطء .

(٢) العكرش : نبات خشن ، وفى أطراف ورقه شوك . أنكاث : متفرقة ، كما ينكث الحبل ، وهو أن ينقض وينكث خيوطه بعد إبرامها .

(٣) فى الأصول : « وشيح أصوله » ولا يستقيم بها الوزن . والوشيجة : المشتبكة . ب ، جـ : « متاث » . التيمورية : « مناث » وأثبت ما فى ل ، هـ . والمثاث : الندية .

(٤) الأرماث : جمع رمث ، وهو مرعى من مراعى الإبل ، من الحمض .

(٥) الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق . أبره : أجاب دعوته .

(٦) هو الصحابى الجليل البراء بن مالك بن النضر ، أخو أنس بن مالك . شهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ ، ما عدا بدرا . وكان له القدح المعلى فى النصر على مسيلمة يوم اليمامة ، إذ اقتحم الحديقة على المشركين وفتح بابها ، بعد أن لقىَ ما لقىَ من الطعن والضرب . الإصابة ٦١٧ .

(٧) كان ذلك يوم تستر فى حرب المسلمين الفرس أيام عمر سنة ٢٠ ، إذ انكشف المسلمون فقالوا : يا براء ، أقسم على ربك . فقال : أقسم عليك يارب لمَّا منحتنا أكتافهم ، وألحقتنى بنبيِّك ! فحمل وحمل الناس معه ، فقتل مرزبان الزارة ، من عظماء الفرس ، وأخذ سلَبه فانهزم الفرس ، وقتل البراء ، ودفن بتستر . الإصابة ومعجم البلدان .

(٨) هو أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب بن الشهيد الأزدى البصرى ، من ثقات المحدثين . توفى سنة ٢٠٣ . تهذيب التهذيب . وفى الخلاصة أنه توفى سنة ٢٣٠ .

بلغ سعداً شئٌ فعَلَهُ المهلَّب فى العدوّ ، والمهلَّب يومَئِذٍ فتًى ، فقال سعد : « اللهمّ لا تُرِه ذُلًّا ! » . فيَرَوْنَ أنَّ الذى ناله المهلَّب بتلك الدّعوة .

* * *

وقال الآخر :

الموت خَيرٌ من ركوب العارِ والعارُ خيرٌ من دخول النَّارِ

* واللهِ من هذا وهذا جارِى *

قالها الحسَن بن على رضى الله عنهما (١) .

وقال الآخَر (٢) ، وكان قد وقَع فى الناس وباءٌ جارفٌ ، وموتٌ ذريع ، فهرَب على حِماره ، فلمّا كان فى بعض الطَّريق ضَرَبَ وجهَ حمارِهِ إلى حَيِّه وقال :

لن يُسبَقَ اللهُ على حمارِ ولا على ذى مَيْعةٍ مُطَارِ (٣)
أو يأتىَ الحتفُ على مقدارِ (٤) قد يصبحُ اللهُ أمامَ السَّارِى (٥)

* * *

قال : سمع مُجاشِعٌ الرَّبَعىُّ رجلًا يقول : الشَّحيح أعذَرُ من الظالم ! فقال إنّ شيئين خيرهُما الشُّحُّ لَناهيك بهما شراًّ (٦) .

قال المغيرة بن عُيَيْنةَ (٧) : سمع عمرُ بن الخطاب رحمه الله رجلًا يقول فى دعائه : اللهمّ اجعلنى من الأقلِّينَ ! قال له عمر : ما هذا الدُّعاء ؟ قال : سمعت

---

(١) ما عدا ل : « حسين » بدل : « الحسن » .

(٢) هذه القصة على وجوه شتى فى الحيوان (٣ : ٤٦١) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ وزهر الآداب (٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) .

(٣) الميعة : أنشط الجرى . والمطار والطيار : الحديد الفؤاد الماضى . ويصح أن تقرأ « مطار » بفتح الميم وشد الطاء ، وهو السريع العدو .

(٤) هذا البيت من ل فقط . وفى الحيوان : « الحين » موضع « الحتف » .

(٥) هذا الشطر فى التمثيل والمحاضرة ٩ .

(٦) سبق الخبر بلفظ آخر فى (١ : ٤٠٥) .

(٧) ما عدا ل : « المغيرة بن عنبسة » .

الله يقول : ﴿ وقليلٌ ماهُمْ ﴾ ، وسمعتُه يقول : ﴿ وقَليلٌ مِن عبادِىَ الشَّكُور ﴾ ٢٤٣
فقال عُمر : عليك من الدُّعاء بما يُعرَف .

وقال ناسٌ من الصحابة لِعُمر : ما بالُ النّاس كانوا إذا ظُلِموا فى الجاهليّة فدَعَوا استُجِيب لهم ونحنُ لايستجاب لنا وإنْ كُنّا مظلومين ؟ قال : كانوا ولا مَزَاجِرَ لهم إلّا ذاك (١) ، فلَّما أنزَلَ الله عزّ وجلّ الوعدَ والوعيد ، والحُدود ، والقَوَد والقِصاص ، وَكَلَهم إلى ذلك .

وقال عمر بن الخطاب : إنَّ فى يوم كذا وكذا من شهر كذا لَسناعةً لا يدعُو اللهَ فيها أحدٌ إلّا استُجيب له . فقال له قائل : أرأيت إن دعا فيها منافق ؟ قال : فإنَّ المنافق لن يُوفَّق لتلك السّاعة .

ولمّا صَعِد المنبرَ قابضاً على يد العبّاس يوم الاستسقاء ، ولم يزدْ على الدُّعاء والاستغفار (٢) فقيل له : إنّك لم تستسقِ وإنّما كنتَ تستغفر . قال : « قد استسقيتُ بمَجادِيح السماء (٣) » . ذهبَ إلى قوله : ﴿ استغفِروُا رَبَّكُم إنّه كانَ غَفَّاراً . يُرسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارا ﴾ .

وكان عُمرُ حَمَل الهُرمُزانَ مع جماعةٍ فى البحر فغرِقوا . قال ابنُ سيرين : لو كان دعا عليهم بالهلاك لَهلكوا .

قال : وقال محمّد بن علىّ (٤) لابنه : يا بُنىَّ إذا أنعَمَ اللهُ عليك نعمةً فقل :

---

(١) مزاجر : جمع مزجر .

(٢) ما عدا ل : « بالاستغفار » ، محرف .

(٣) مجاديح : جمع مجدح ، بالكسر ، وزاد الياء فيه للإشباع ، وهو جائز مطرد فى مثل هذا عند الكوفيين . والمجدح : نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنه يمطر ، يجعلونه من الأنواء . فأراد عمر إبطال زعمهم فى الأنواء والتكذيب بها . يقول : إن الاستغفار هو ما يستقى به ، فهو النوء الذى يترقب به المطر ، لا تلك النجوم . انظر اللسان (جدح) حيث أورد الخبر وفسره .

(٤) محمد بن على بن الحسين ، أو جعفر الباقر ، المترجم فى (١ : ٢٦٢) . وانظر وصية أخرى له يوصى بها ابنه ، فى صفة الصفوة (٢ : ٦١) .

الحمدُ لله . وإذا حَزَبَكَ (١) أمرٌ فقل : لا حَول ولا قُوّة إلّا بالله . وإذا أبطأ عنك رزقٌ (٢) فقل : أستغفِرُ الله .

قالوا : كان محمّد بن على لا يُسمِع المبتَلى الاستعاذةَ من البلاء (٣) .

قال : وقال قومٌ ليزيد بن أسد : أطال الله بقاءك ! قال : دَعُونى أَمُتْ وفىَّ بقيّةٌ تبكون بها علىّ .

ورأى سالمُ بنُ عبد الله (٤) سائلًا يسأل يوم عرفةَ فقال : يا عاجزُ ، فى هذا اليوم تَسأل غيرَ الله ؟!

قال : وكان رجلٌ من الحكماء يقول فى دعائه : اللهمَّ احفَظْنى من الصَّديق .

وكان آخر يقول : اللهمّ اكفِنِى بَوائق الثِّقات (٥) .

وحدّثنى صديقٌ لى (٦) كان قد ولى ضِياع الرّىّ قال : قرأتُ على باب شيخٍ منهم : « جزَى اللهُ من لا نعرفُ ولا يعرفُنا أحسنَ الجزاء ، ولا جَزَى مَن نعرِفُ ويعرِفُنا إلّا ما هو أهلُه ، إنّه عَدْلٌ لا يَجُور » .

وكان على رُشوم عُمَر بن مِهرانَ التى كان يَرشُم بها على الطّعامِ (٧) : ٢٤٤
« اللهم احفَظْه ممن يحفظُه » .

وقال المغيرة بن شعبة (٨) فى كلامٍ له : أنّ المعرفة لتنفع عند الكلب العقور ، والجمل الصَّؤُول (٩) ، فكيف بالرجل الكريم .

---

(١) حزبه الأمر : نابه واشتد عليه . ما عدا ل : « حزنك » .

(٢) ما عدال : « الرزق » .   (٣) سبق الخبر وتخريجه فى ص ١٥٨ من هذا الجزء .

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر ، ترجم فى (٢ : ٢٩١) .

(٥) البوائق : الغوائل والشرور والدواهى ؛ جمع بائقة .

(٦) هو إبراهيم بن عبد الوهاب ، كما فى الحيوان (٥ : ٥٩٤) عند إيراد هذا الخبر بلفظ فيه بعض الخلاف .

(٧) الرشوم : جمع رشم ، وهو الخاتم الذى يختم به على البر وغيره من الحبوب . والخبر فى الجهشيارى ٢٢١ مطابق لما هنا . وورد فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٨) بلفظ : « ممن يخطفه » .

(٨) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٧) .

(٩) ما بعدها من بقية الخبر فى هـ فقط . وفى الحيوان (٢ : ١٧٣) : « وقال المغيرة =

أبو الحسن قال : قالت امرأة من الأعراب : « اللهمّ إنّى أعوذُ بك من شرّ قريشٍ وثَقيف ، وما جَمَعتْ من اللّفيف ؛ وأعوذُ بك من عبدٍ مَلَك أمرَه ، ومن عبدٍ مَلأَ بطنَه » .

قال : مرَّ عمرُ بن عبد العزيز برجلٍ يُسَبِّح بالحَصَى فإذا بلغ المائةَ عَزَلَ حصاة ، فقال له عمر : ألقِ الحصَى وأخْلِصِ الدُّعاء .

وكان عبدُ الملك بن هلال الهُنَائىّ (١) عنده زِنَبيلٌ ملآنُ حصًى ، فكان يسبِّح بواحدةٍ واحدة ، فإذا مَلَّ شيئاً طَرح ثنتين ثنتين ، ثم ثلاثاً ثلاثا ، فإذا مَلَّ قَبض قَبضة وقال : سبحانَ الله بعدَدِ هذا ، فإذا مَلَّ شيئاً قبض قُبضتين وقال : سبحانَ الله بعدد هذا ، فإذا ضَجِر أخذ بِعُرْوَتَى الزّنبيل وقَلَبه ، وقال : سُبحانَ الله بعدد هذا كلِّه (٢) ، وإذا بَكَّرَ لحاجةٍ لحَظ الزَّنبيل لحظةً (٢) وقال : سبحان الله عددَ ما فيه .

قال غَيلان (٣) : إذا أردت أن تتعلم الدُّعاء ، فاسمَعْ دعاءَ الأعراب (٤) .

قال سعيد بن المُسيِّب : مَرَّ بى صِلةُ بن أَشْيَم (٥) ، فما تمالكت أن نهضت إليه فقلت : يا أبا الصَّهباء ، ادعُ اللهَ لى . فقال : رَغّبكَ الله فيما يبقى ، وَزَهَّدَكَ فيما يفنَى (٦) ، ووهب لك اليقينَ الذى لا تسكُن النُّفوس إلا إليه ، ولا تُعَوِّلُ فى الدِّين إلّا عليه .

= لرجل خاصم إليه صديقاً له ، وكان الصديق توعده بصداقة المغيرة . فأعلمه الرجل ذلك وقال : إن هذا يتوعدنى بمعرفتك إياه ، وزعم أنها تنفعه عندك . قال : أجل ، إنها والله لتنفع ، وإنها لتنفع عند الكلب العقور » . العقور : ما يعقر ، أى يعض ويجرح . والصؤول : الذى يعدو على صاحبه ويواثبه .

(١) الهنائى ، بضم الهاء : نسبة إلى هناءة بن مالك بن فهم . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٥٩) مع خلاف فى اللفظ .

(٢) هذه الكلمة من ل فقط .

(٣) هو غيلان أبو مروان الدمشقى ، المترجم فى (١ : ٢٩٥) .

(٤) مضى هذا القول فى (٢ : ١٦٤) .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٦٣) . (٦) ل : « بقى » تحريف .

أبو الحسن قال : سمع رجلٌ بمكّةَ رجلًا يدعو لأمّه ، فقال له : ما بال أبيك ؟ قال : هو رجلٌ يحتالُ لنفسه (١) .

أبو الحسن عن عُروة بن سليمان العَبدىّ قال : كان عندنا رجلٌ من بنى تميم يدعو لأبيهِ ويَدَعُ أُمَّه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنّها كَلْبيَّة !

ورفع أعرابىٌّ يدَه بمكة قبل الناس فقال : اللهمَّ اغْفِرْ لى قبل أن يدهمَكَ النّاس !

وقال النبى ﷺ : « إنّ اللهَ يحبُّ المُلحِّينَ فى الدُّعاء » . ٢٤٥

وقال آخر : دعوتانِ أرجو إحداهما وأخاف الأخرى (٢) : دعوةُ مظلومٍ أعَنتُه ، ودعوةُ ضعيفٍ ظلمتُه .

قال : كان من دُعاء أبى الدَّرداء : اللهمَّ أمِتعْنا بخيارِنا ، وأعِنّا على شِرارنا ، واجعلنا خياراً كلَّنا ، وإذا ذهب الصالحون فلا تُبْقِنا .

وقال آخر لبعض السَّلاطين (٣) : أسألك بالذى أنت بين يديه أَذَلُّ منّى بين يديك ، وهو على عِقابك أقدَرُ منك على عقابى ، إلّا نَظرتَ فى أمرِى نَظَرَ مَنْ بُرئى أحبُّ إليه من سُقْمى (٤) .

قالوا : وكان مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخّير (٥) يقول : اللهمَّ إنّك أمرتَنا بما أمرتنا به (٦) ولا نَقوَى عليه إلّا بعونك ، ونهيتنا عمَّا نهيتنا ولا ننتهى عنه إلّا بعصمتك ، واقعةٌ علينا حُجّتُك ، غيرُ معذورين فيما بيننا وبينك ، ولا مَبخوسين فيما عمِلْنا لوجهك .

---

(١) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٥٨ س ١٢ – ١٣) .

(٢) ما عدا ل : « كما أخاف الأخرى » .

(٣) ما عدا هـ : « لبعض السلطان » أى بعض أهل السلطان .

(٤) ل : « من براءتى إليه أحب من سقمى » . وأشير فى هـ إلى أنها كذلك فى نسخة .

(٥) ترجم فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط .

عبد العزيز بن أُبان (١) ، عن سفيان (٢) ، فى قوله : ﴿ دَعْواهُمْ فِيها سُبحانَكَ ﴾ : كان أحدُهم إذا أراد أن يدعُوَ قال : سبحانك اللّهمّ .

سفيان (٣) عن ابن جُريج (٤) ، عن عِكرمة (٥) ، قال فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكما ﴾ قال : كان موسى عليه السلام يدعُو وهارونُ يُؤمِّن ، فجعلهما الله داعِيَيْن .

قال : ولمّا وقَع يونُس فى البحر وقد وُكّل به حوتٌ ، فلمّا وقَع ابتلعَه فأهوى به إلى قَرار الأرض (٦) ، فسمع تسبيحَ الحصى ، فنادَى يونُس فى الظُّلمات ﴿ أَنْ لا إلهَ إلَّا أنتَ سُبْحَانَكَ إنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالمين ﴾ قال : ظُلمةُ بَطنِ الحوت ، وظلمةُ البحر ، وظلمةُ الليل . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ

(١) هو عبد العزيز بن أبان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، ذكروا أنه كان يضع الحديث على سفيان الثورى . وكان قد ولى قضاء واسط ثم عزل فقصد بغداد فنزلها . وتوفى سنة ٢٠٧ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٥٦٠٤ .

(٢) سفيان هذا ، هو سفيان الثورى ، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى . ونسبته إلى ثور بن عبد مناة بن أد بن طانجة ، وكان يسمى « أمير المؤمنين فى الحديث » . وقالوا : كتب عن ألف ومائة شيخ . وكان حافظا فقيها محدثا زاهدا . ولد سنة ٩٨ . وتوفى سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب ، والخلاصة ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٩٠) وصفة الصفوة (٣ : ٨٢) ، وتاريخ بغداد ٤٧٦٣ .

(٣) سفيان هذا ، هو سفيان بن عيينة المترجم فى (١ : ١٠٤ / ٢ : ٤٧) .

(٤) ابن جريج ، هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى المكى ، أصله رومى ، روى عن عطاء والزهرى وعكرمة وغيرهم ، وروى عنه وكيع وابن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهم . كان من فقهاء أهل الحجاز وقرائهم ومتْقِنِيهم وعبادهم . توفى سنة ١٥٠ وهو ابن سبعين سنة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٢٢) .

(٥) هو عكرمة البربرى أبو عبد الله المدنى . مولى ابن عباس ، وأصله من البربر ، كان لحصين بن أبى الحر العنبرى ، فوهبه لابن عباس لما ولى البصرة . روى عن مولاه ، وعلى بن أبى طالب ، وأبى هريرة وخلق ، وروى عنه النخعى والشعبى وغيرهم ، وكان من أعلم الناس بالتفسير . قدم مصر يريد المغرب ، وأحدث فى أهل المغرب رأى الصفرية من الخوارج ، ثم عاد إلى المدينة وتوفى سنة ١٠٤ فى اليوم الذى توفى فيه كثير عزة ، فشهد الناس جنازة كثير وتركوا عكرمة . تهذيب التهذيب .

(٦) كلمة « قرار » مما عدا ل . وقد وضع لها فى ل إشارة إلحاق . هـ : « فهوى به » .

كَانَ مِنَ المسبِّحِينَ . لَلَبِثَ فى بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وفى الحديث المرفوع ، أنّ مِن دعاء النبى ﷺ : « أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع ، وبطنٍ لا يشبَع ، ودُعاءٍ لا يُسمع » .

علىّ بن سليم ، أن قيس بن سعد [١] قال : اللهم ارزقنى حمداً ومجداً ، فإنّه لا حَمدَ إلا بفعالٍ ، ولا مَجدَ إلّا بمال [٢] .

عوفٌ قال [٣] : قال رجلٌ فى مجلس الحَسَن : ليَهنئْك الفارس ! قال له ٢٤٦
الحسن : فلعلَّه حَامِر [٤] . إذَا وهَبَ اللهُ لرجلٍ ولداً فقل : شكرتَ الواهب ، وبُورِكَ لك فى الموهوب ، وبَلَغَ أشُدَّه ، ورُزقتَ بِرَّه .

* * *

أبو سَلَمة الأنصارىّ قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما أحسن تعزيةَ أهلِ اليمن ! وتعزيتُهم : لا يحزُنْكُم اللهُ ولا يَفتِنْكم ، وأثابَكم ما أثاب المتقين الشاكرين [٥] ، وأوجَبَ لكمُ الصّلَاةَ والرّحمة .

قال : وكان أبو بكر – رحمه الله – إذا عزَّى رجلًا قال : ليس مع العَزاء مُصيبة ، ولا مع الجزَع فائدة . الموتُ أشدُّ ماقبْلَه ، وأهونُ ما بعدَه . اذكروا فَقْدَ رسولِ الله ﷺ تَهُنْ عندكم مصيبتكم [٦] صلَّى الله على محمَّدٍ ، وعظَم الله أجرَكم .

---

(١) قيس بن سعد بن دليم ، ترجم فى (١ : ٢٥١) .

(٢) مضى الخبر فى (٢ : ١٤٧) .

(٣) بدله فيما عدا ل: « وقال » فقط . وعوف بن أبى جميلة ترجم فى (٢ : ٣٧) .

(٤) الحامر : ذو الحمار ، كما يقال فارس لذى الفرس . اللسان (حمر) . ما عدا ل ، هـ : « خامر » تصحيف .

(٥) كلمة « الشاكرين » من ل فقط .

(٦) ل : « تذل » بدل : « تهن » .

وكان عليُّ بن أبى طالب – رحمه الله – إذا عَزّى قوماً قال : إنْ تجزعوا فأهلُ ذلك الرَّحِم ، وإن تصبروا ففى ثواب الله عِوَضٌ من كلِّ فائت . وإنَّ أعظمَ مصيبةٍ أُصيب بها المسلمون محمّد ، ﷺ ، وعَظّم أجركم .

وعَزّى عبد الله بن عبّاس ، عمرَ بن الخطاب رحمهما الله ، على بنيٍّ له مات (١) فقال : عَوّضك الله منه ما عَوَّضه منك .

وهذا الصبىُّ الذى مات هو الذى كان عمر بن الخطاب قال فيه : ريحانةٌ أشُمُّها ، وعن قريب ولد بارٌّ ، أو عدوٌّ حاضر .

* * *

سفيان قال : كان أبو ذرٍّ يقول : اللهمّ أمتِعْنا بخيارنا ، وأعنّا على شِرارنا .

قال : ودعا أعرابىٌّ فقال : اللهمّ إنى أعوذ بك مِنَ الفقر المُدْقع ، والذلِّ المُضْرِع (٢) .

عَزَّت امرأةٌ المنصور على أبى العباس (٣) ، مَقدمَه مكة فقالت : عظّم الله أجرَك ، فلا مصيبةَ أعظَمُ من مصيبتك ، ولا عِوضَ أعظم من خِلافتك .

قالوا : وقال عمر بن عبد العزيز ، وقد سمعوا وقع الصّواعق (٤) ، ودَوِىّ الريح ، وصوت المطر ، فقال وقد فزِع الناس : هذه رحمتُه فكيف نِقمتُه !

وقال أبو إسحاق (٥) : اللهمّ إن كان عذاباً فاصرفْه ، وإن كان صلاحاً ٢٤٧
فزِدْ فيه ، وهَبْ لنا الصّبرَ عند البلاء ، والشكر عند الرخاء . اللهم إن كانت

---

(١) ل : « عن بنى له مات » . وانظر استعمال الجاحظ لكلمة « على » بعد التعزية فى (٢ : ٧٤ ، ٨٢) وما سيأتى فى س ١٢ من هذه الصفحة . ولم تتعرض المعاجم لتعيين الحرف الذى يستعمل بعد التعزية .

(٢) المدقع : الشديد ، وأدقعه : ألصقه بالدقعاء ، وهى التراب . والمضرع : المذل .

(٣) أبو العباس السفاح ، وهو أخو المنصور .

(٤) ل : « وقوع الصواعق » .

(٥) فى حواشى هـ : « يعنى النظام شيخه » .

محنةً فمُنَّ علينا بالعصمة ، وإن كان عقاباً فمُنَّ علينا بالمغفرة .

قال أبو ذَرّ : الحمد لله الذى جعلنا من أمةٍ تُغفَر لهم السيِّئات ، ولا تُقبل من غيرهم الحسنات .

وكان الفضلُ بن الرَّبيع يقول : المسألة للملوك من تحية النوكى . فإذا أردت أن تقول : كيف أصبحتَ ؟ فقل : صبَّحك الله بالخير . وإذا أردت أن تقول : كيف تجدك ؟ فقل : أنزَلَ الله عليك الشِّفاء والرحمة (١) .

قال أحمد الهُجَيمىّ أبو عُمر ، أحد أصحاب عبد الواحد بن زيد (٢) :

اللهمَّ يا أجودَ الأجودِينَ ، ويا أكرم الأكرمِينَ ، ويا أعفى العافين ، ويا أرحم الراحمين ، ويا أحكم الحاكمين ، ويا أحسن الخالقين ، فَرِّج عنى فرَجاً عاجلا تامًّا ، هنيئاً مباركاً لى فيه ، إنّك على كل شىءٍ قدير .

وكان عبد الله الشُّقَرى (٣) ، وهو الكعبىّ ، أحد أصحاب المِضمار (٤) ، من غِلمان عبد الواحد بن زيد – وكنية عبد الواحد أبو عبيدة – يقول :

اللهمَّ إنى عبدُك وابن عبدِك وابنُ أمَتِك ، ناصيتى بيدك . اللهمَّ هَبْ لى يقيناً ، وأَدِمْ لى العافية ، وافتح علىَّ بابَ رزقى فى عافية (٥) ، وأعوذ بك من النار والعار ، والكذِب والسُّخْف (٦) ، والخَسف والقَذْف (٧) والحِقْد والغضب . وحَبِّبْنِى إلىَّ خلقك ، وحَبِّبْهمْ إلىّ . وأسأَلُك فرجاً عاجلا فى عافية ، إنّك على كلِّ شىءٍ قدير .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٢٧٥ .

(٢) ترجم فى (١ : ٢٦٤) .

(٣) الشقرى بالتحريك : نسبة إلى شقرة ، بكسر القاف ، بن الحارث بن تميم .

(٤) المضمار : الموضع الذى يضمر فيه الخيل . وتضمير الخيل : أن تعلف حتى تسمن ثم ترد إلى القوت الضرورى فيذهب رهلها ويشتد لحمها ، وذلك فى أربعين يوما .

(٥) ل : « رزق فى عافية » .

(٦) السخف ، بالضم والفتح : رقة العقل وضعفه .

(٧) الخسف : الذل والنقصان والهوان . والقذف : السب ، والرمى بالزنا .

دعاء الغنوى فى حبسه

أعوذُ بك من السِّجنِ والدَّين ، والسَّبِّ والضَّرب ، ومن الغُلِّ والقَيْد ، ومن
التعذيب والتخييس (١) . وأعوذُ بك من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ (٢) ، ومن شرِّ
العَدوَى فى النَّفس والأهل والمالِ . وأعوذ بك من الخَوف والحَزَن ، وأعوذُ بك من
الهمِّ والأرَق ، ومن الهرَبِ والطَّلب (٣) ، ومن الاستخذاء والاستخفاء (٤) ومن
٢٤٨ الإطراد والإغراب (٥) ، ومن الكذب والعَضيهة (٦) ، ومن السّعاية والنميمة ، ومن
لُؤم القُدرَة ، ومَقام الخِزْىِ فى الدُّنيا والآخرة ، إنّك على كلِّ شىءٍ قدير .

ومن دعائه فى الحبس

أسألُك اللهم طولَ العمرِ فى الأمن والعافية ، والحِلم والعِلم والحزم ، والأخلاق الحسنة والأفعال المرضيَّة ، واليُسرَ والتيسير ، والنّماء والتثمير ، وطِيبَ الذّكر وحُسنَ الأُحدُوثة ؛ والمحَّبةَ فى الخاصّة والعامّة . وهَبْ لى ثَباتَ الحُجَّة ، والتَّأييدَ (٧) عند المنازعة والمخاصمة ، وبارِكْ لى فى الموت إنّك على كلِّ شىءٍ قدير .

* * *

---

(١) التخييس : الحبس والإذلال . ما عدا هـ : « التحبيس » .

(٢) الحور ، بالفتح : النقصان . والكور بالفتح أيضا : الزيادة . وكان هذا من دعاء النبى ﷺ . اللسان (حور ، كور) .

(٣) أى من أن أهرب فأطلب .

(٤) الاستخذاء : الخضوع .

(٥) يقال : طرده السلطان وأطرده : أمر بإخراجه عن بلده . والإغراب والتغريب : أن ينفى عن بلده .

(٦) العضيهة : الإفك والبهتان والنميمة .

(٧) ل : « والتأنى » .

وكان صالحٌ المرىّ (١) كثيراً ما يردِّد فى مجلسه :

أعوذُ بك من الخسفِ والمَسخ ، والرَّجْفة والزَّلزَلة ، والصاعقةِ والرِّيح المهلكة ، وأعوذُ بك من جَهْد البَلاء ، ومن شَماتة الأعداء .

وكان يقول : أعوذُ بك من التَّعَب والتعذُّر ، والخيبةِ وسُوء المنقلَب . اللهمّ مَن أرادنى بخيرٍ فيسِّرْ لى خيرَه ، ومَن أرادنى بشرٍّ فاكفِنى شرّه . اللهمّ إنى أسألُك خِصب الرَّحْل (٢) ، وصلاحَ الأهل .

* * *

وكان عيسى بن أبى المُدَوّر (٣) يقول :

أعوذُ بك من القِلَّة والذِّلة ، ومن الإهانة والمِهْنَة (٤) ، والإخفاق والوَحدة . وأعوذُ بك من الحَيرة وَقِلَّة الحِيلة ، وأعوذُ بك من جَهد البلاء ، وشماتةِ الأعداء .

محمد بن عبد الله (٥) قال : قال عمر بن الخطاب رحمه الله : مَن أُعْطِىَ الدُّعاء لم يُحرَم الإجابة . قال الله : ﴿ ادْعونى أَسْتَجِبْ لكُم ﴾ ومن أُعطِىَ الشُّكرَ

---

(١) ترجم فى (١ : ١١٣) .

(٢) الرحل : منزل الرجل ، ومسكنه ، وبيته .

(٣) ذكره الجاحظ فى اللحانين البلغاء . انظر (٢ : ٢٢٠) وهو هناك بلفظ « عيسى بن المدور » .

(٤) المهنة ، بفتح الميم وكسرها : الخدمة والابتذال .

(٥) هو محمد بن عبد الله العتبى الأخبارى ، من بنى عتبة بن أبى سفيان ، كان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ، وكان العتبى شاعراً صاحب أخبار وآداب ، وقف يوماً بباب إسماعيل بن جعفر بن سليمان فطلب الإذن ، فقال له غلمانه : هو فى الحمام . فقال :

وأمير إذا أراد طعامـــا قال غلمانه مضى الحماما
فيكون الجواب منى إلى الحا جب ما إن أردت إلا السلاما
لست آتيكم من الدهر إلا كل يوم ترون فيه صياما

توفى العتبى سنة ٢٢٨ . وله كتاب الخيل ، كتاب الأعاريب ، أشعار النساء اللاتى أحببن ثم أبغضن . ابن النديم ١٧٦ والسمعانى ٣٨٣ .

لم يُحرَم الزِّيادة ، لقوله عزّ وجلّ : ﴿ لَئِنْ شكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ . ومن أُعْطِىَ الاستغفارَ لم يُحرَم القَبول ، لقوله عزّ وجلّ : ﴿ واستَغْفِرُوا اللّهَ إنّ اللّهَ غَفورٌ رَحيم ﴾ .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : كونوا أُوعيةَ الكِتابِ ، وينابيعَ العِلم ، وسَلُوا اللّهَ رزقَ يومٍ بيوم .

٢٤٩ وروى محمد بن عليٍّ [١] عن آبائه ، عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا سألتم الله فسَلوه بباطن الكفَّين ، وإذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرهما » .

وقال آخر : اللهمّ إنى أعوذُ بك من بَطَر الغِنى ، وذِلَّة الفقر .

أبو سعيدٍ المؤدِّب [٢] ، عن هشام بن عُروةَ [٣] عن أبيه ، عن عائشة قالت : « سَلُوا ربَّكم حتى الشِّسْع [٤] ، فإنه إنْ لم يُيسِّرْهُ لم يتيسَّر » .

سُحيم [٥] ، عن طاوس [٦] ، قال : يكفى من الدنيا [٧] ما يكفى العجينَ من الملح .

قال : سأل رجلٌ رجلًا حاجةً ، فقال المسئول : اذهبْ بسلام . فقال السائل : قد أنصَفَنا مَن ردَّنا إلى الله فى حوائجنا .

مُجَالِدٌ [٨] عن الشَّعبى قال : قال النبى ﷺ : « اللهمّ أَذهِبْ مُلْكَ غَسَّان ، وضَعْ مُهور كِندة [٩] » .

قال عمر بن الخطاب : « لكل شيءٍ رأسٌ ، ورأسُ المعروف تعجيله » .

---

(١) محمد بن على أبو جعفر الباقر ، المترجم فى (٢ : ٢٦٢) .

(٢) ترجم فى (١ : ٢٥٢) .

(٣) ترجم مع شيخه .

(٤) الشسع . أحد سيور النعل ، وهو الذى يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه فى الثقب الذى فى صدر النعل المشدود فى الزمام .

(٥) هو سحيم بن حفص الأخبارى ، المترجم فى (١ : ٤٠) .

(٦) طاوس بن كيسان ، ترجم فى (١ : ١٧٥) .

(٧) ل : « من الدعاء » تحريف .

(٨) مجالد بن سعيد ، ترجم فى (١ : ٢٤٢) .

(٩) سبقت رواية الحديث فى (٢ : ٢٨) .

القول فى إنطاق الله عزّ وجلّ

إسماعيلَ بنَ إبراهيمَ عليهما السلام ، بالعربيّة المُبينة على غير التَّلقين والتَّمرين ، وعلى غير التَّدريب والتَّدريج ، وكيف صار عربيًّا أعجميَّ الأبوين (١) .

وأوّل مَن عليه أن يُقِرّ بهذا القَحطانىُّ ، فإنه لابدَّ من أن يكون له (٢) أبٌ كان أوّلَ عربيٍّ من جميع بنى آدم ﷺ . ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون عربيًّا حتى يكون أبوه عربيا وكذلك أبوه وكذلك جدُّه ، كان ذلك موجباً لأن يكون نوحٌ ﷺ عربيًّا ، وكذلك آدمُ ﷺ .

قال أبو عبيدة : حدثنا مِسمَع بن عبد الملك عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عن آبائه قال : أول من فُتِق لسانُه بالعربية المُبِينة إسماعيل ، وهو ابنُ أربعَ عشْرةَ سنة .

وقال النبى ﷺ : « شهدتُ الفِجَار (٣) وأنا ابنُ أربعَ عشرةَ سنة ، وكنت أنْبُلُ على عُمومَتى » . يريد : أجمع لهم النَّبْل .

٢٥٠ قال أبو عبيدة : فقال له يونس : صدقت يا أبا يسار (٤) هكذا حدّثنى نصر بن طريف (٥) .

---

(١) العجم : خلاف العرب . ما عدا ل : « أعجمى الأبوين » . والأُعجمى والأعجم : الذى فى لسانه عجمة لا يفصح بالعربية .

(٢) له ، أى للقحطانى .

(٣) هو يوم الفجار الآخِر ، وقبله أيام ثلاثة : الفجار الأول ، والثانى ، والثالث . وهذا اليوم الذى شهده الرسول الكريم كان بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن ، هاجه البراض بقتله عروة الرحال . وسمى هذا اليوم ونظائره فجاراً لأنها كانت فى الأشهر الحرم التى كان يحرم فيها القتال . انظر خبره مفصلا فى العقد الفريد وكامل ابن الأثير والأغانى (١٩ : ٧٣ – ٨١ والعمدة (٢ : ١٦٩ – ١٧٠) والخزانة (٢ : ٥٠٤) .

(٤) فى الكلام سقط ظاهر .

(٥) لم أجد له ترجمة .

وروى قيس بن الربيع [١] ، عن بعض أشياخه عن ابن عبَّاس : أنّ الله أَلْهَمَ إسماعيل العربيَّةَ إلهاماً .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ . قال : قد يُرسِل اللهُ الرّسولَ إلى قومه ، ولو أُرسِل فى ذلك الوقتِ إلى قومٍ آخرين لَمَا كان الثانى ناقضاً للأوّل . فإذا كان الأمرُ كذلك كان قومُه أوّلَ مَن يَفهم عنه ، ثم يصيرون حُجّةً على غيرهم .

وإذا كان الله عزّ وجلّ قد بعثَ محمداً ﷺ إلى العَجَم فضلًا عن العَرَب ، فقَحطانُ وإنْ لم يكونوا من قومِه أحقُّ بلزوم الفَرض [٢] من سائر العَجَم .

وهذا الجواب جوابُ عوامِّ النِّزاريَّة . فأمّا الخواصُّ الخُلَّص فإنهم قالوا : العرب كلُّهم شيءٌ واحد ؛ لأنّ الدارَ والجزيرةَ واحدة ، والأخلاق والشِّيَم واحدة ، واللغة واحدة [٣] ، وبينهم من التصاهُر والتشابُك ، والاتِّفاق فى الأخلاق وفى الأعراق ، ومن جهة الخُؤولة المردَّدة والعمومة المشتبِكة ، ثم المناسَبة التى بُنيت على غريزة التُّربة وطِباع الهواء والماءِ ، فهمْ فى ذلك بذلك [٤] شيءٌ واحد فى الطَّبيعة واللغة ، والهِمَّة والشمائل ، والمَرْعَى والرَّاية ، والصِّناعة والشّهوة . فإذا بَعثَ الله عزّ وجلّ نبيًّا من العرب فقد بعثه إلى جميع العرب ، وكلُّهم قومُه ؛ لأنَّهم جميعاً يَدٌ على العجم ، وعلى كلِّ من حاربهم من الأمم ؛ لأنَّ تناكُحَهم لا يعدوهم ، وتصاهُرَهم مقصورٌ عليهم .

---

(١) هو قيس بن الربيع الأسدى الكوفى ، اختلف فى توثيقه . روى عن السبيعى والأعمش والسدى ، وعنه : الثورى ووكيع وعلى بن ثابت . توفى سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « الغرض » .

(٣) « واللغة واحدة » من ل فقط .

(٤) هذه الكلمة من ل فقط .

قالوا : والمشاكلةُ من جهة الاتّفاق فى الطبيعة والعادة ، ربَّما كانت أبلغَ
وأوغَلَ من المشاكلة من جهة الرَّحِم . نعم حتى تراه أغلَبَ عليه من أخيه لأمّه
وأبيه . وربَّما كان أشبَهَ به خَلْقاً وخُلُقاً ، وأدَباً ومذهَبا . فيجوز أنْ يكون الله تبارك
وتعالى حينَ حَوّلَ إسماعيلَ عربيًّا أن يكون كما حوّلَ طبعَ لسانه إلى لسانهم ،
وباعَدَه عن لسان العجم ، أن يكون أيضاً حوّلَ سائر غرائزه ، وسلَخَ سائرَ
طبائعه ، فنقلها كيف أحبّ ، وركّبها كيف شاءَ . ثم فضّله بعد ذلك بما أعطاه ٢٥١
من الأخلاق المحمودة ، واللّسان البيِّن ، بما لم يخُصَّهم به . فكذلك يخُصُّه من
تلك الأخلاق ومن تلك الأشكال (١) بما يفوقُهم ويَرُوقُهم (٢) . فصار بإطلاق
اللّسان على غير التلقين والترتيب . وبما نُقِل من طباعه ونقل إليه من طبائعهم ،
وبالزِّيادة التى أكرمه الله بها ، أشْرَفَ شرفاً وأكرَمَ كَرَما .

وقد عِلمْنا أنّ الخرسَ والأطفال إذا دخلوا الجنّة وحُوِّلوا فى مقادير البالغين ، وإلى الكمال والتّمام ، لا يَدْخُلونَها إلّا مع الفصاحة بلسانِ أهل الجنة . ولا يكون ذلك إلّا على خلافِ التَّرتيب والتدريج ، والتَّعليم والتقويم .

وعلى ذلك المثالِ كان كلامُ عيسى بنِ مريم ، ﷺ ، فى المهد ، وإنطاقُ يحيى عليه السلام بالحِكمة صبيًّا .

وكذلك القولُ فى آدمَ وحوّاء عليهما السلام . وقد قلنا فى ذئب أُهبانَ

---

(١) ما عدا ل : « الدلائل » .

(٢) يقال راق فلان على فلان ، إذا زاد عليه فضلا ، فهو رائق عليه . أنشد فى اللسان :

راقت على البيض الحسا   ن بحسنها وبهائــها

ابن أوس (١) ، وغُراب نوح (٢) ، وهُدهُد سُليمان (٣) ، وكلام النملة (٤) ، وحِمَارِ عُزَير (٥) ، وكذلك كلُّ شيءٍ أنطَقه اللهُ بقُدْرته ، وسخَّره لمعرفته .

وإنما يمتنع البالغ مِن المعارف مِن قِبَل أُمورٍ تَعرِض من الحوادث ، وأُمورٍ فى أصل تركيب الغريزة . فإذا كفَاهم اللهُ تلك الآفاتِ ، وحصَّنَهم من تلك الموانع ، ووفَّر عليهم الذّكاءَ ، وجلَبَ إليهم جِياد الخواطر ، وصَرَف أوهامَهم إلى التعرُّف ، وحبَّب إليهم التبيُّن ، وقعت المعرفةُ وتمَّت النّعمة .

والموانع قد تكون من قَبل الأخلاط الأربعة (٦) على قدر القِلَّة والكثرة ، والكثافة والرِّقّة . ومن ذلك ما يكون من جهة سُوء العادة ، وإهمالِ النَّفْس ، فعندها يستوحِش من الفكرة ، ويَستثقِل النَّظَر . ومن ذلك ما يكون من

---

(١) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . يروون أن الذئب كلّمه ثم بشره بالرسول . قالوا : كان فى غنم له ، فعدا الذئب على شاة منها فصاح فيه أهبان ، فأقعى الذئب وقال له : أتنزع منى رزقاً رزقنيه الله ؟ قال أهبان : فصفقت بيدى تعجباً وقلت : والله ما رأيت ولا سمعت أعجب من هذا ! فقال : أتعجب من هذا ورسول الله بين هذه النخلات – وأومأ إلى أبيات المدينة – يحدث بما كان ويكون ، ويدعو إلى الله عباده . قال : فجئت إلى النبى ﷺ وأخبرته بالقصة وأسلمت . فكان يقال لأهبان : « مكلم الذئب » . انظر ثمار القلوب ٣٠٩ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠ / ٧ : ٥٠ ، ٢١٣ ، ٢١٧) .

(٢) انظر للكلام عليه ما ورد فى الحيوان (١ : ٢٩٨ / ٢ : ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) .

(٣) خبره مذكور فى القرآن فى سورة النمل . وانظر الحيوان (١ : ٩٧ ، ٢٩١ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٧٧ / ٦ : ٣١٠ ، ٣١٩ / ٧ : ٤٧) .

(٤) خبره كذلك فى سورة النمل . وانظر الحيوان (٤ : ٨) .

(٥) هو الذى ورد ذكره فى سورة البقرة ، أحياه الله بعد مائة عام من موته ، وفيه قول الله تعالى : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنّى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثتَ ، قال لبثت يوماً أو بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثمّ نكسوها لحما » . الآية ٢٥٩ من سورة البقرة ، وكتب التفسير ، وثمار القلوب ٤٦ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) .

(٦) الأخلاط – جمع خلط ، بالكسر ، وهو جسم رطب سيال يستحيل إليه غذاء البدن ، كما عرفه بذلك داود فى تذكرته (١ : ٦٣) . والأخلاط الأربعة ، هى الدم ، والبلغم ، والصفراء ، والسوداء .

الشَّواغل العارضة ، والقُوى المتقسَّمة . ومن ذلك ما يكون من خُرْق المعلِّم ، وقلَّة رِفق المؤدِّب ، وسُوء صَبر المثقِّف . فإذا صفَّى اللهُ ذِهنَه ونقَّحه ، وهذَّبه وثقَّفه ، ٢٥٢ وفرَّغ بالَه ، وكفَاه انتظارَ الخواطر ، وكان هو المفيدَ له والقائم عليه ، والمريدَ لهدايته ، لم يلبث أن يعلم .

وهذا صحيحٌ فى الأوهام ، غيرُ مدفوعٍ فى العقول .

وقد جَعَل اللهُ الخَالَ أباً . وقالوا : « الناس بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم » . وقد رأينا اختلاف صُوَر الحيوان ، على قدر اختلاف طبائع الأماكن (١) .

وعلى قَدْر ذلك شاهدنا اللُّغاتِ والأخلاقَ والشهوات . ولذلك قالوا : « فلانٌ ابنُ بَجْدَتها » (٢) ، و « فلانٌ بيضَةُ البلَد (٣) » ، يَقَعُ ذَمًّا ويقع حمداً .

وقال زِياد : « واللهِ لَلْكوفةُ أشبَهُ بالبصرة من بكر بن وائلٍ بتَميمٍ » .

ويقولون : « ما أشبَهَ الليلةَ بالبارحة » ، كأنهم قالوا : ما أشبه زمانَ يوسِفَ بنِ عمرَ بزمان الحجَّاج .

وقال سُهَيل بن عَمرو (٤) : « أشبَهَ امرأً بعضُ بَزِّه (٥) » .

وقال الأضبطُ بن قُريع : « بكلِّ وادٍ بنو سَعد (٦) » .

---

(١) انظر الحيوان (٤ : ٧١ / ٥ : ٣٧٠ / ٦ : ٢٥ / ٧ : ١٠٠) .

(٢) يقولونه للدليل الحاذق . قال ابن فارس فى مقاييس اللغة : « كأنه نشأ بتلك الأرض » . ويقال بجد بالمكان بجوداً وبجداً ، بالتحريك ، أى أقام به . ويقال هذا المثل أيضاً للعالم بالشئ المتقن له المميز .

(٣) البلد : أدحى النعام ، أو كل موضع مستحيز من الأرض . فمن أراد المدح أراد أنه واحد لا نظير له . ومن عنى الذم أراد أنه كبيضة النعامة التى يحضنها غير صاحبها . وذلك أن النعامة تبيض بيضتها وتتركها منفردة بدار مضيعة فيقع عليها غيرها من النعام فيحتضنها ، انظر الحيوان (٢ : ٣٣٦ / ٤ : ٣٣٦) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) . ورووا فى المدح قول على بن أبى طالب : « أنا بيضة البلد » . وفى الذم قول الراعى :

تأبى قضاعة أن تدرى لكم نسباً وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

(٤) سبقت ترجمة سهيل فى (١ : ٥٨) . ل : « مهيل » ما عدا ل : « سهل » صوابهما ما أثبت وقد مضت نسبة المثل التالى إلى سهيل بن عمرو فى (٢ : ٢٦٤) .

(٥) البز : الثياب . وقد مضى بلفظ : « أشبه امرؤ » .

(٦) هو مثل قولهم : « بكل واد أثر من ثعلبة » . الميدانى (١ : ٩٤ ، ٨٤) . وكان الأضبط قد تأذى من قومه بنى سعد فتحول عنهم إلى آخرين ، فلما رأى ظلمهم وعسفهم قال : =

ولولا أنَّ الله عزَّ وجل أفرَدَ إسماعيلَ من العجم ، وأخرجَه بجميع معانيه إلى العرب ، لكان بنو إسحاقَ أولى به . وإنَّما ذلك كرجلٍ قد أحاط علمهُ بأنّ هذا الطِّفل من نَجلِ هذا الرَّجُل ، ولكن لَمَّا كان من سِفاحٍ لم يُجِزْ أنْ يضيفَه إليه ويدعوَه أباه . وقد جعَلَ اللهُ نَسبَ ابن المُلاعَنَة نسبَ أمِّه (١) ، وإنْ كان وُلِد على فراش أبيه .

وقد أرسل الله موسى وهارون ، إلى فرعون وقومِه وإلى جميع القِبْط ، وهما أُمَّتان : كَنْعانىٌّ وقِبطىّ .

وقد جَعَل اللهُ قومَ كلِّ نَبِىٍّ هم المبلغين والحجّةَ . ألا تَرَى أنّا نزعمُ أنَّ عَجْزَ العرب عن مِثل نَظْم القرآن حجّةٌ على العجم من جهة إعلام العربِ العجمَ أنَّهم كانوا عن ذلك عَجَزَة .

وقد قال النبىُّ ﷺ : « خُصِصْت بأمور : منها أنّى بُعِثت إلى الأحمر والأسود (٢) ، وأُحِلَّت لى الغنائم ، وجُعلت لى الأرضُ طَهُوراً » . فدلَّ بذلك على أنَّ غيرَه من الرُّسُل إنّما كان يُرسَل إلى الخاصّ . وليس يجوز ٢٥٣

= « بكل واد بنو سعد » . الحيوان (١ : ٣٥٨ / ٣ : ٤/١٠٤ : ٣٩٤) .

(١) الملاعنة ، هى التى لاعن الوالى بينها وبين زوجها إذا رماها برجل أنه زنى بها . فيبدأ بالرجل ويقفه حتى يقول : أشهد بالله إنها زنت بفلان ، وإنه لصادق فيما رماها به . فإذا قال ذلك أربعاً قال فى الخامسة : وعليه لعنة الله إن كان من الكاذبين . ثم يقيم المرأة فتقول أيضاً أربع مرات : أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به من الزنا . ثم تقول فى الخامسة : وعلىّ غضب الله إن كان من الصادقين . فإذا فرغت من ذلك بانت منه ولم تحل له أبدا . وإن كانت حاملا فجاءت بولد فهو ولدها ولا يلحق الزوج .

(٢) الأحمر والحمراء : العجم الذين يكون البياض غالباً على ألوانهم ، مثل الروم والفرس ومن صاقبهم . والعرب إذا قالوا فلان أبيض وفلانة بيضاء فمعناه الكرم فى الأخلاق لا لون الخلقة ، وإذا قالوا فلان أحمر وفلانة حمراء عنت بياض اللون . ومنه فى الحديث : « خذوا شَطْرَ دينكم من الحميراء » يعنى عائشة رضى الله عنها . وذلك لبياضها . والأسود : العرب ؛ لأن الغالب على ألوانهم السمرة والأدمة . وقيل الأحمر : الإنس للدم الذى فيهم ، والأسود : الجن . انظر اللسان (حمر) .

لمن عَرَف صِدقَ ذلك الرسولِ من الأمَم أن يكذِّبه ويُنكِر دعواه . والذى عليه تَرْكُ الإنكارِ والعملِ بشريعة النبىِّ الأوّل .

هذا فرقُ ما بينَ مَن بُعِث إلى البعض ، ومن بُعث إلى الجميع .

* * *

قال : وقال حُبَاب بن المنذِر [١] يوم السَّقيفة [٢] :

« أنا جُذَيلُها المحكَّكُ [٣] ، وعُذَيقُها المُرجَّب [٤] ، إن شئتم كَرَرْناها

---

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد الأنصارى ، كان من أصحاب الرأى يوم بدر ، إذ نزل رسول الله بأصحابه فى أدنى ماء من بدر ، فقال الحباب : يا رسول الله ، هذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتىَ أدنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه من القلُب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون : فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأى ! مات الحباب فى خلافة عمر ، وقد أربى على الخمسين . الإصابة ١٥٤٧ والسيرة ٤٣٩ جوتنجن .

(٢) هى سقيفة بنى ساعدة ، من بنى كعب بن الخزرج ، رهط سعد بن عبادة . المعارف ٥٠ . والسقيفة : الصفّة ، وكل بناء مسقوف . وكان الأنصار والمهاجرون قد اجتمعوا فى تلك السقيفة بعد وفاة الرسول . وكان عمر قد زوّر شيئاً فى نفسه يقوله ، فلما نهض ليتكلم قال له أبو بكر : على رسلك ، وخطب فيهم الخطبة التى رواها الجاحظ فيما يلى ، فلما قضى أبو بكر كلامه نهض رجل وقال الكلمة التى رواها الجاحظ منسوبة إلى الحباب . فلما فرغ منها كثر اللغط وارتفعت الأصوات ، فلما أشفق عمر من الاختلاف قال لأبى بكر : ابسط يدك أبايعك . فبسط يده فبايعه عمر والمهاجرون والأنصار . وكان ذلك فى السنة الحادية عشرة من الهجرة . تاريخ الطبرى (٣ : ٢٠٠ — ٢٠١) . ولم يعين الطبرى فى (٣ : ٢٠١) صاحب الكلمة التالية . والجاحظ فى الحيوان (١ : ٣٣٦) نسبها إلى الحباب . وفى اللسان (جذل) نسبتها إلى سعيد بن عطارد ، أو الحباب بن المنذر . ونص الطبرى فى (٣ : ٢٠٩) أنه الحباب ، وذكر أنه قال فى أول خطبته : « يامعشر الأنصار ، املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يَدِين . أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة » .

(٣) الجذيل : مصغر الجذل ، بالكسر ، وهو العود ينصب للإبل الجربى تتحكك به . يقول : إنه يشتفى برأيه كما تشتفى الإبل بهذا الجذل الذى تحتك إليه .

(٤) العذيق : تصغير العذق ، بفتح العين ، وهو النخلة بحملها . والمرجب ، من =

جَذَعةً (١) . منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فإنْ عمِل المهاجرىُّ شيئاً فى الأنصارىّ ردَّ ذلك عليه الأنصارىُّ ، وإنْ عمل الأنصارىُّ شيئاً فى المهاجرىّ ردَّ عليه المهاجرىّ » .

فأراد عمرُ الكلام فقال أبو بكر (٢) :

« على رِسْلك . نَحنُ المهاجرون ، أوَّلُ النّاسِ إسلاماً ، وأوسطهم دارا ، وأكرمُ النّاسِ أحساباً ، وأحسنُهم وجوها ، وأكثرُ النّاسِ ولادةً فى العرب ، وأمَسُّهم رَحِماً برسول الله ﷺ . أسلَمْنَا قبلكم وقُدِّمنا فى القرآن عليكم ، فأنتم إخوانُنا فى الدِّين وشركاؤُنا فى الفَىْء ، وأنصارُنا على العدوّ ، آويتم ونَصرتُم وآسَيتم ، فجزاكم الله خيراً . نحنُ الأمراءُ وأنتم الوُزراء لا تَدِينُ العربُ إلّا لهذا الحىِّ من قُريش ، وأنتم محقوقون ألَّا تَنْفَسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم » .

قالوا : فإنّا قد رضينا وسَلَّمْنا .

عيسى بن يزيد (٣) قال : قال أبو بكر رحمه الله :

= الترجيب ، وهو التعظيم . وهو أيضاً أن تضم أعذاق النخلة إلى سعَفاتها ثم تشد بالخوص لئلا ينفضها الريح . وهو كذلك أن يوضع الشوك حوالى الأعذاق لئلا يصل إليها سارق ؛ وذلك إذا كانت غريبة طريفة . وقيل أن ترفد النخلة من جانب لتمنع من السقوط ، أى إن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده . بكل ذلك فسرت هذه الكلمة هنا .

(١) الجذَع : الصغير السن من الأنعام ، وهو أول ما يستطاع ركوبه والانتفاع به . وكانت العرب إذا طفئت الحرب بينهم يقول بعضهم متحديا : إن شئتم أعدناها جذعة ، أى أول ما يبتدأ فيها . اللسان (جذع) .

(٢) وكذا فى العقد (٤ : ٢٥٨ لجنة التأليف) . لكن فى نص الطبرى أن كلام أبى بكر سابق لما قيل من قبل . والخطبة برواية أخرى عند الطبرى فى (٣ : ٢٠١) وبرواية غير هذه فى (٣ : ٢٠٨) . وانظر العقد (٤ : ٢٥٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٣) .

(٣) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٤) . ما عدا ل : « ابن نذير » .

نحن أهلُ الله (١) ، وأقرَبُ النّاسِ بيتاً من بيت الله ، وأمسُّهم رحماً برسول الله ﷺ . إنَّ هذا الأمرَ إن تطاولَتْ له الخزرجُ لم تقصِّر عنه الأوس ، وإن تطاولتْ له الأوسُ لم تقصِّر عنه الخزرج . وقد كان بين الحيَّين قتلَى لا تُنسَى ، وجَرْحَى (٢) لا تُداوَى . فإنْ نَعقَ منكم ناعقٌ فقد جلس بين لَحْيَىْ أسدٍ (٣) ، يَضغَمه المهاجرىُّ ويجرحُه الأنصارىّ » .

قال ابن دَأبٍ (٤) : فرَمَاهم واللهِ بالمُسْكِتَة .

* * *

من حديث ابن أبى سُفيان بن حويطب ، عن أبيه عن جده قال :

قَدِمْت من عُمرَتى فقال لى أهلى : أعَلِمْتَ أنَّ أبا بكرٍ بالموت ؟ فأتيتُه فإذا عيناه تَذرِفان ، فقلت : يا خليفةَ رسول الله أليس كنتَ (٥) أوّلَ مَن أسلَمَ وثانىَ ٢٥٤ اثنينِ فى الغار ، فصدَقَتْ هجرتُك وحسُنَت نُصرْتُك ، ووَلِيتَ فأَحسنتَ صُحبتَهم ، واستعملتَ خيرَهم عليهم ؟! قال : وحسَناً ما صنعتُ ؟ قلت : نَعَمْ والله . قال : آللهِ (٦) ؟! واللهُ أشكَرُ له وأعلمُ به (٧) ، ولا يمنَعُنى ذلك مِن أن أستغفرَ الله .

فما خرجتُ حتَّى مات .

* * *

---

(١) ذكرت علة تسمية قريش بهذا فى ثمار القلوب للثعالبى ٨ : ١٠ . فمنها مجاورتهم البيت ، وما تفردوا به من الإيلاف ، والوفادة ، والرفادة ، والسقاية ، والرياسة ، واللواء ، والندوة ، وكونهم على إرث إبراهيم ، وكونهم قبلة العرب وموضع حجهم .

(٢) ما عدا ل : « وجراح » .

(٣) اللحيان بفتح اللام : حائطا الفم ، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان .

(٤) ابن دأب : أحد رواة الأخبار . وهو عيسى بن دأب ، المترجم فى (١ : ٣٢٤) .

(٥) ما عدا ل : « أما كنت » .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « والله » . وهمزة الاستفهام هنا عوض من واو القسم . انظر مثيلها فى قراءة : (ولا نكتم شهادةً ، آللهِ) . الآية ١٠٦ من سورة المائدة .

(٧) أى أشكَر لما صنعت وأعلم به .

أبو الخطاب الزُّرارىّ ، عن حَجناءَ بن جرير قال : قلت يا أبَه ، إنَّك لم تَهجُ أحداً إلّا وضعتَهُ ، إلّا التَّيم ؟ قال : لأنّى لم أجدْ حسَباً فأضَعَه ، ولا بِناءً فأهدمَه !

قال · وقيل للفرزدق : أحسَنَ الكميتُ فى مدائحه ، فى تلك الهاشميّات ! قال : وجد آجُرًّا وجَصًّا فبنَى (١) .

عامر بن الأسود قال : دخل رجلٌ من ولد عامر بن الظَّرِب (٢) على عمرَ بن الخطّاب رحمه الله ، فقال له : خبِّرْنى عن حالك فى جاهليّتك ، وعن حالك فى إسلامك . قال : أمّا فى جاهليَّتى فما نادمت فيها غير لُمة (٣) ، ولا هممت فيها بأَمَة ، ولا خِمتُ فيها عن بُهْمَةٍ (٤) ، ولا رآنى راءٍ إلّا فى نادٍ أو عشيرة ، أو حَمْل جريرة (٥) ، أو خيلٍ مُغيرة .

* * *

عَوانة (٦) قال : قال عمر : الرِّجال ثلاثة : رجل ينظُر فى الأمور قبلَ أن تقَعَ فيُصدِرَها مصدرَها ، ورجلٌ متوكِّلٌ لا ينظُر فإذا نزلت به نازلةٌ شاوَرَ أهلَ الرّأى وقَبِل قولَهم ، ورجلٌ حائر بائر (٧) ، لا يأتمر رَشَداً ، ولا يُطيع مُرشِدا .

قال : كَلَّم عِلْباءُ بن الهيثم السَّدوسيُّ (٨) عمرَ بنَ الخطّاب فى حاجةٍ ، وكان

---

(١) الجص ، بكسر الجيم وفتحها : ذلك الذى يطلى به البناء .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٦٤) .

(٣) المنادمة : المرافقة والمشاربة . واللمة ، بضم اللام وتشديد الميم وتخفيفها : المثل والقرن والترب . ل : « أمة » تحريف . والكلام والقصة بصورة أخرى فى الإصابة ٧١٨٨ واللسان (لما ١٢٤) .

(٤) خام يخيم : نكص وجبن . والبهمة ، بالضم : الشجاع لا يدرى من أين يؤتى .

(٥) الجريرة : الجناية يجنيها الرجل . وحملها أن ينهض بتبعتها .

(٦) عوانة بن الحكم الكلبى ، المترجم فى (١ : ٣١٦) .

(٧) البائر : التائه لا يهتدى لشئ . والعبارة فى اللسان (بور) .

(٨) هو علباء بن الهيثم بن جرير السدوسى . كان أبوه ممن حارب كسرى فى وقعة ذى قار . وعلباء أدرك الجاهلية والإسلام . وشهد الفتوح فى عهد عمر ، ثم شهد الجمل فاستشهد بها . وكان أهل الكوفة قد أوفدوه إلى عمر فكان منه ما سرده الجاحظ . الإصابة ٦٤٤٣ .

أعورَ دميماً ، جيِّدَ اللسان حسنَ البيان ، فلما تكلم فى حاجته فأحسَنَ ، صَعَّد عمر بصَرَه فيه وحَدَره ، فلما أن قامَ قال : « لكلِّ أُناسٍ فى جُمَيْلهم خُبْر (١) » .

* * *

أُخبِرنا عن عيسى بن يزيد (٢) عن أشياخه قال :

قَدِم معاويةُ المدينةَ فدخل دارَ عثمان ، فقالت عائشةُ بنتُ عثمان : واأبتاه ! وبكت ، فقال معاوية : أبِنْتَ أخى (٣) إنَّ الناس أعطَوْنا طاعةً وأعطيناهم أماناً ، وأظهَرْنا لهم حِلماً تحتَه غَضَب ، وأظهروا لنا طاعةً تحتها حِقد ، ومع كلِّ إنسانٍ سيفهُ ، وهو يرى مكانَ أنصارِه ، وإنْ نكثْنا بهم نكثوا بِنا ، ولا ندرى أعليْنا تكون ٢٥٥ أم لنا ، ولأنْ تكونى بنتَ عمِّ أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكونى امرأة من عُرْض المسلمين (٤) .

[وقالت عائشة ابنة عثمان فى أبان بن سعيد بن العاصى (٥) حين خطبها ، وكان نزل بأيْلة (٦) وترك المدينة :

---

(١) الجميل : مصغر الجمل ، وروى : « فى جملهم » ويروى : « فى بعيرهم » . والخبر بضم الخاء : المعرفة والعلم . قال ابن الأثير : هو مثل يضرب فى معرفة كل قوم بصاحبهم . يعنى أن المسود يسود لمعنى ، وأن قومه لم يسودوه إلا لمعرفتهم بشأنه . انظر اللسان (جمل) والميدانى (٢ : ١١٤ – ١١٥) وماسبق فى (١ : ٢٣٨) .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « أخبرنا عيسى بن يزيد » . وقد ترجم عيسى فى ٢٩٧ .

(٣) ما عدا ل : « يا ابنة أخى » .

(٤) من عرضهم ، بضم العين ، أى من عامتهم .

(٥) الخبر رواه الجاحظ فى الحيوان (٦ : ١٠٤ – ١٠٥) . وأبان هذا هو ابن سعيد بن العاص بن أمية عبد شمس ، كان رسول الله ﷺ قد خرج عام الحديبية فى آخر سنة ست ، يريد زيارة البيت ، فأرسل عثمان بن عفان إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، فلقيه أبان بن سعيد حين دخل مكة أو قاربها ليجيره من قريش – وكان أبان لايزال على دين قومه – فأجاره حتى بلغ قريشاً الرسالة ، ثم أسلم أبان فى غزوة خيبر سنة سبع ، وتوفى فى خلافة عثمان سنة ٢٧ . السيرة ٧٤٥ والإصابة (١ : ١٠) .

(٦) أيلة ، بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام .

نزلتَ ببيت الضّبّ لا أنتَ ضائر عدوًّا ولا مستنفِعاً أنت نافعُ [(١)]]

* * *

أبو الحسن قال : قال سلامة بن رَوح الجُذَاميّ ، لعمرو بن العاص : إنّه كان بينكم وبين العرب باب [(٢)] فكسرتموه ، فما حملَكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نخرِج الحقَّ من جَفِير الباطل [(٣)] .

قدم ببيعةِ عليٍّ إلى الكوفة يزيدُ بن عاصمٍ المحاربيّ ، فبايَعَ أبو موسى ، فقال عمّارٌ لعليٍّ : والله لينقُضنّ عهدَه ، وليَحُلَّن عَقدَه ، ولَيفِرنّ جَهْدَه ، وليُسْلمنّ جُندَه .

وقال عليٌّ فى رواية الشّعْبىّ : حملتُ إليكم دِرّةَ عمر [(٤)] لأضربَكم بها لتنتهوا فأبَيتم ، حتى اتخذتُ الخيزُرانةَ فلم تنتهوا . وقد أُرَى الذى تُريدون : السّيْف [(٥)] . وإنى لاأُصلحُكم بفسادى [(٦)] .

* * *

(١) هذه التكملة من هـ والنسخة التيمورية فقط . وبيت الضب مثل فى الضيق والقلة ، كما هو مثل فى الاغتصاب . والمستنفع : طالب النفع ، عن ابن الأعرابى . وأنشد فى اللسان (١٠ : ٢٣٧) :

ومستنفع لم يجزه ببلائه نفعنا ، ومولى قد أجبنا لينصرا

(٢) ما عدا ل : « ناب » . وهو يعنى بذلك على بن أبى طالب .

(٣) الجفير ، بفتح الجيم : الكنانة والجَعْبة التى تجعل فيها السهام . ل : « حفير » ، محرفة .

(٤) الدرة ، بكسر الدال : درة السلطان التى يضرب بها .

(٥) ب والتيمورية : « الذى يريدون » حـ : « الذين يريدون » مع أثر تصحيح فى كلمة « الذى » ، وأرى هذا الأخير من تصرف قارئ . وأثبت ما فى ل . وسائر القراءات مُتَّجهة أيضاً .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « ولأنى لا أصلحكم بفسادى » محرفة .

كانت العادة فى كتب الحيوان

أنْ أجعل فى كلِّ مُصحِفٍ من مصاحفها (١) عَشْرَ ورقاتٍ من مقطَّعات الأعراب ، ونوادرِ الأشعار ، لِمّا ذَكرتَ عَجَبكَ بذلك ، فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب فى ذلك أوفرَ إن شاء الله (٢) .

قال هَمّامٌ الرَّقَاشىّ (٣) :

أبلِغْ أَبا مِسمعٍ عنِّى مغلغَلةً ... وفى العتابِ حياةٌ بينَ أقوامِ (٤)
قدّمتَ قبلى رجالًا لم يكن لهمُ ... فى الحقِّ أن يَلجُوا الأبوابَ قُدّامى
لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ كنتَ أكرمَهُم ... قبراً وأبعدَهم من منزل الذّامِ (٥)
حتَّى جعلتُ إذا ما حاجتى عرضَتْ ... بباب دارِك أدْلُوها بأقوامِ (٦)

وقال أبو العَرْفِ الطُّهَوىّ :

وَافَى الوفودُ فوافَى من بنى حَمِلٍ ... بَكْرُ الوِفَادة فاتِى السِّنِّ عُرزُومُ (٧)

(١) هكذا يستعمل الجاحظ المصحف بمعناه اللغوى ، وإن كان قد خصص منذ جمع القرآن بكتاب الله . وإنما سمى المصحف مصحفاً لأنه أصحف ، أى جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين . وانظر ما أشرت إليه فى مقدمتى لكتاب الحيوان من ختام كل جزء من أجزائه فى النسخة الشنقيطية بهذه العبارة : « تم المصحف ... من كتاب الحيوان ، ويليه المصحف ... » .

(٢) هذه العبارة جميعها وثيقة تدل على سبق كتاب الحيوان لكتاب البيان .

(٣) عبارة الإنشاد هذه ومقطوعتها ، هى من ل فقط . وقد سبقا فى (٢ : ٣١٦) .

(٤) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . والبيت فى اللسان (غلل) بدون نسبة .

(٥) الذام : العيب . أراد أنه كريم الآباء والأجداد .

(٦) دلوت بفلان إليك : استشفعت به . وفيما سبق : « فقد جعلت إذا ما حاجة » .

(٧) أشير فى حواشى هـ إلى أنها فى نسخة : « من بنى جمل » بالجيم . والبكر ، بالفتح : الفتى من الإبل ، جعله بمنزلته فى شبابه وقوته . والفاتى : وصف من فتوَ يفتو فتاء ، والفتاء : الشباب . ل : « قانى » ما عدا ل : « فانى » كلاهما محرف . والعرزوم ، لم يرد فى المعاجم المتداولة ، وفيها : « العرزم » كجعفر ، و « العرزام » كقرطاس ، وهو القوى الشديد المجتمع . ل : « غرزوم » بالغين ، وليست له مادة فى المعاجم .

٢٥٦ كَزُّ المِلاَطَيْنِ فى السِّربال حيثُ مشى   وفى المجالس لَحَّاظٌ زراميمُ [١]

لمَّا رأى البابَ والبَوّابَ أخرجه   لُؤمٌ مُخالِطُه جُبْنٌ وتَجْزِيمُ [٢]

قد كان لى بكُمُ عِلمٌ وكان لكُمْ   مَمْشًى وراءَ ظُهورِ القوم معلومُ [٣]

وقال الحارث بن حِلِّزة – قال أبو عبيدة : [أنشدنيها أبو عمرو ، وليست إلا هذه الأبيات . و [٤]] الباقى مصنوع :

يأيُّها المُزْمِعُ ثمَّ انثَنَى   لا يَثنِك الحازى ولا الشّاحجُ [٥]

ولا قعيدٌ أعْضبٌ قَرنُه   هاجَ لَهُ من مَرتَعٍ هائجُ [٦]

بينا الفَتَى يَسْعَى ويُسْعَى له   تاحَ لهُ من أمره خالجُ [٧]

يترُكُ ما رَقَّحَ من عَيشِه   يعيثُ فيه هَمَجٌ هامِجُ [٨]

---

(١) الكز : الصلب الشديد . والملاطانِ : العضدان . واللحّاظ : الشديد اللحظ . والزراميم ، هى فيما عدا ل : « رزاميم » وكلاهما محرف . ولعل أولاهما « زراهيم » وليس من مادة هذه الأخيرة فى المعاجم إلا قول صاحب القاموس : « الزراهمة ، كعلابطة : الغليظة والعتيقة » .

(٢) التجزيم : الجبن والعجز ، يقال جزم عنه وجزم ، بتخفيف الزاى وتشديدها . ل : « وتحزيم » صوابه بالجيم كما فى سائر النسخ .

(٣) ل : « شمساً وراء » ، تحريف .

(٤) موضع هذه التكملة بياض فى ل فقط ، والكلام متصل فى غيرها من النسخ . وقد سددت هذه الخلة من رواية هذا النص فى الحيوان (٣ : ٤٩٩) حيث رويت الأبيات شاهداً من الجاحظ لإنكار بعض العرب الطيَرة . وكذا أنشدها فى البخلاء ١٣٨ .

(٥) الحازى : زاجر الطير ، أو الكاهن . والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

(٦) القعيد : ماجاء من ورائك من ظبى أو طائر . والأعضب : المكسور القرن . وفى بعض روايات الحيوان : « من مربع » .

(٧) تاح : قدر أو تهيأ . والخالج : ما يختلج المرء وينتزعه من موت ونحوه .

(٨) رقح : أصلح . ل : « يعيش فيه » ، وأبت ما فى الحيوان والبخلاء وما عدا ل . كما أنشده فى اللسان (همج ، رقح) . والهمج : الأخلاط والذين لا نظام لهم . والهامج : الذى يموج بعضه فى بعض ، أو هذا على المبالغة والتوكيد ، كقولهم : ليل لائل .

قلت لعمرٍو حينَ أرسلتُه   وقد حَبا مِن دوننا عالجُ (١)
لا تَكْسَع الشَّوْلَ بأغبارها   إنّك لا تدرى مَن الناتجُ (٢)
واصبُبْ لأضيافك ألبانَها   فإنّ شَرَّ اللبنِ الوالجُ (٣)

وقال زَبّان بن سيّار بن جابر (٤) :

تخبَّرَ طِيرةً فيها زيادٌ   لتخبِرَه وما فيها خبيرُ (٥)
أقامَ كأنَّ لقمانَ بنَ عادٍ   أشارَ له بحكمته مشيرُ

---

(١) حبا له الشيء : اعترض . وفى أمثال الميدانى (١ : ٣٣٦) : « من دونها » ، قال : « والهاء للابل » . وعالج : رملة بالبادية بين فيد والقريات ، ينزلها بنو بحتر ، من طيىء . وعمرو هذا ، هو ابن الحارث بن حلزة ، كما نص الميدانى فى الأمثال .

(٢) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها فى بطنها . والشول ، بالفتح : جمع شائلة ، وهى التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها . والأغبار : جمع غبر بالضم ، وهو بقية اللبن فى الضرع . انظر الكامل ٢١٣ ليبسك .

(٣) الوالج : الداخل ، أراد ما يرد إلى الضرع بأن يرش عليه الماء ، وذلك هو الكسع . وقيل : أراد إن شر اللبن ما يلج البيت ، أى يدخله ، يحثه بذلك على بذل اللبن للضيف ، وإيثاره على نفسه وولده . نص على المعنيين فى مجمع الأمثال .

(٤) زبان هذا فزارى ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٥١ ، وهو صهر للنابغة ؛ وفيه يقول (ديوانه ٤٥) :

ألا من مبلغ عنى خزيما   وزبان الذى لم يرع صهرى

وكانت أم زبان إحدى نساء بنى مرة رهط النابغة ، وكان من خبر ذلك الشعر ما رواه الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٤٤٧) ، أن النابغة خرج مع زبان بن سيار يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه . فلما رجع زبان من تلك الغزوة سالماً غانماً قال ... » وأنشد الشعر . ومثلهُ فى الحيوان (٥ : ٥٥٥) . وانظر عيون الأخبار (١ : ١٤٦) والعمدة (٢ : ٢٠٢) والمستطرف للأبشيهى (١ : ٥٤) .

(٥) تخبرها : سألها أن تخبره . ل ، هـ : « تخير » تحريف . والطيرة ، بالكسر هنا ، وتقال أيضاً بكسر ففتح : اسم من تطير بمعنى تشاءم . وفى بعض نسخ الحيوان : « طَيره » ، وهو الأوفق . وزياد : اسم النابغة الذبيانى ، وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . الشعراء ١١٥ والأغانى (٩ : ١٥٤) والخزانة (١ : ٢٨٠) والمؤتلف والمختلف ١٩١ . الخبير : العالم ، والمخبر بالأمر أيضاً .

تعلّمْ أنّه لا طَيرَ إلّا ... على متطيِّرٍ وهو الثُّبورُ (١)
بَلَى شيءٌ يوافقُ بعضَ شيءٍ ... أحايينًا وباطلُه كثير
ومن يُنْزَحْ به لابدَّ يومًا ... يجيءُ به نَعِيٌّ أو بشير (٢)

وقال بعض الأعراب (٣) :

نَجيبَة بطَّالٍ لدُن شَبَّ هَمُّه ... لِعَابُ الغَوَانى والمُدَام المُشَعْشَعُ (٤)
٢٥٧ جَلَا المسكُ والحَمَّامُ والبِيضُ كالدُّمَى ... وفَرْقُ المَدَارَى رأسَه فهو أنـزعُ (٥)
أُسَيِلمُ ذاكُم لاخَفَا بمكانِه ... لعينٍ تَدَحّى أو لأذنٍ تَسَمَّعُ (٦)

---

(١) الطير ، بالفتح : اسم من التطير أيضاً . والثبور : الهلاك .

(٢) البيت لم يرو فى الحيوان ، وأنشده فى اللسان (نزح) بدون نسبة ، قال : « وقد نزح بفلان ، إذا بعد عن دياره غيبة بعيدة » . ونسب فى التاج (نزح) إلى النابغة خطأ .

(٣) هو أبو الربيس الثعلبى ، أحد لصوص العرب ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان . الخزانة (٢ : ٥٣٢) . على أن الجاحظ قد خلط هنا بين شعرين ، أحدهما لأبى الربيس الثعلبى يمدح به عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وكان أبو الربيس قد سرق ناقته بعد ماصنعها وعلفها . والشعر الآخر لأحد الأغفال ، يمدح فيه أسيلم بن الأحنف الأسدى ، أحد سادات العرب زمان عبد الملك بن مروان . انظر الخزانة . وقد سبق بعض أبيات هذه المقطوعة فى (١ : ٣٩٦) .

(٤) البطال : الشجاع يبطل جراحته فلا يكترث لها ، أو تبطل عنده دماء الأقران . واللعاب : الملاعبة . والمدام : الخمر . والمشعشع : الممزوج بالماء . ويروون أن أبا الربيس لما قال هذا الشعر ومدح به صاحب الناقة ادعت فتيان قريش كلهم هذه الناقة ، وإنما كانت لعبد الله . قال السكرى : فعمد رجل من الموالى إلى نجيبة فصنعها وعلفها وجعلها فى موضع تلك الناقة ، رجاء أن يسرقها أبو الربيس فيمدحه . فمر بها أبو الربيس فطردها وقال – قال أبو عبيدة : بل قال هذه الجون المحرزى –:

نجيبة عبد دانها القت والنوى ... بيثرب حتى نيها متظاهر

وستأتى هذه المقطوعة بعد التالية .

(٥) المدارى ، بكسر الراء وفتحها : جمع المدرى ، وهى حديدة كالمسلة يصلح بها الشعر . ما عدا ل : « وطيب الدهان رأسه » . وفى الحيوان (٣ : ٤٨٦) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى : « جلا الأذفر الأحوى من المسك فرقه * وطيب الدهان » .

(٦) أسيلم هذا ، هو أسيلم بن الأحنف الأسدى ، كما فى رسائل الجاحظ والخزانة وفى حواشى نسخة (E) من أصول الكامل ١٠٣ ليبسك عند قوله : « قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الأحنف الأسدى : ما أحسنُ ما مدحت به ؟ » هذه العبارة : « كذا وقع . ويروى : لأسيلم بن الأحنف . =

مِن النفَر الشُّمِّ الذين إذا انتمَوْا ... وهابَ الرِّجالُ حَلقةَ الباب قعقعوا (١)
إذا النَّفرُ السُّودُ اليَمانون حاولوا ... له حَوكَ بُردِيهِ أرقُّوا وأوسَعوا (٢)

وقال بعضُ الأعراب :

ألبانُ إبْلِ تَعِلَّةَ بن مسافرٍ ... ما دام يملكُها علىَّ حرامُ (٣)
وطعامُ عمرانَ بنِ أوفَى مثلُه ... ما دام يَسلُكُ فى البطون طعامُ
إنّ الذين يسوغ فى أعناقهم ... زادٌ يُمَنُّ عليهمُ لَلِئامُ (٤)
لعنَ الإلٰهُ تَعِلَّةَ بنَ مُسافرٍ ... لَعناً يُشَنُّ عليه من قُدّامُ

وقال بعض الأعراب (٥) :

نَجيبَةُ قَرْمٍ شادها القَتُّ والنَّوَى ... بيثربَ حتى نَيُّها متظاهِرُ (٦)
فقلت لها : سيرى فما بكِ عِلَّةٌ ... سَنامُكِ ملمومٌ ونابُكِ فاطرُ (٧)

= والصحيح لأسلم بن الأجنف ، بالجيم والنون كذا ذكره الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف » . تدحى : تَتَدحَّى ، أى تتبسط ، كما فى القاموس . ما عدا ل : « تدجى » وهذه محرفة .

(١) النفر : اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ، مابين الثلاثة إلى العشرة ، ولا واحد له من لفظه . أطلقه على الكرام إشارة إلى أنهم ذوو عدد قليل . والشم : جمع أشم ، وهو من به شمم ، أى كِبر ونخوة ، وأصل الشمم ارتفاع الأنف . وفى نوادر القالى ١٦٤ : « من النفر البيض » . انتموا : انتسبوا . ل فقط : « انتجوا » ولا وجه هنا . ويروى : « اعتزَوْا » بمعنى انتسبوا أيضاً ، كما فى الخزانة . ويروى : « وهاب اللئام » . حلقة الباب ، أى باب الملك ، يقول : هم ذوو مكانة عند الملوك .

(٢) الحوك : النسج .

(٣) الأبيات رواها الجاحظ أيضاً فى البخلاء ١٦٥ . وفى البخلاء : « تعلة بن مساور » .

(٤) فى أعناقهم ، أى فى حلوقهم . وهذه الرواية هى أيضاً رواية البخلاء . وفيما عدا ل : « فى أحلاقهم » ، وهى صحيحة كتلك ، وأنشدها فى اللسان (حلق) شاهدا لجمع الحلق على « أحلاق » جمع قلة ، والكثير « حلوق » و « حُلُق » ، والأخيرة عزيزة .

(٥) هو أبو الربيس الثعلبى ، أو الحون المحرزى ، كما سبق فى الحاشية ٤ ص ٣٠٥ . وأنشد الجاحظ الأبيات فى الحيوان (٣ : ٤١٥) بدون نسبة .

(٦) القرم ، بالفتح : الفحل الكريم . وفى جميع النسخ : « قوم » ، صوابه من الحيوان . شادها القت والنوى ، أى نماها تناول هذا العلف . والنّىّ ، بكسر النون وفتحها : الشحم . والمتظاهر : الذى ركب بعضه بعضا .

(٧) ملموم : مجتمع مستدير . وروى : « مدموم » ، وهو المتناهى السمن . فاطر ، من قولهم : فطر ناب البعير ، إذا شق وطلع . ل : « فإنك عمة » ، تحريف .

فمثلَكِ أو خيراً تركتُ رذِيَّةً ... تقلِّب عينيها إذا مرّ طائرُ (١)

وقال بعض الأعراب – مجهولُ الاسم – وهو من جيِّد مُحْدَث أشعارهم :

حَفَرْنا على رغم اللهازم حُفرةً ... ببطن فُلَيجٍ والأسنَّةُ جُنَّحُ (٢)

وقد غَضِبوا حتى إذا مَلئُوا الرُّبَى ... رأوا أن إقراراً على الضَّيم أروَحُ (٣)

وقال رجلٌ من مُحارِب :

وقائلةٍ : تطوَّفْ في جِدَادٍ ... وأنت ، إخالُ ، معطًى لو تقوم (٤)

٢٥٨ فقلت : الضَّارباتُ الطَّلْحَ وَهْناً ... على يُمن إذا وضَحَ النجوم (٥)

قَصرنَ عَلَيَّ بعد الله فَقرِى ... فلا أسَلُ الصَّديقَ ولا ألومُ (٦)

وقال بعض الطائيِّين ، وهو حاتم :

وإنِّى لأستحيِى حياءً يسرُّنى ... إذا اللؤمُ مِن بعض الرِّجال تَطلّعا (٧)

---

(١) الرذية : المهزولة من السير . وإنما تقلب عينيها مخافة الطائر أن يقع على ما بها من دَبَر فيأكلها .

(٢) اللهازم ، هم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . المعارف ٤٣ ، ٤٤ . فليج : واد يصب فى فلج ، بين البصرة وضرية . جنح : مائلات للطعن ، جمع جانحة .

(٣) أى قبول الضيم – وهو الظلم ونقص الحق – أروح لهم وأجلب للسرور .

(٤) الجداد بفتح الجيم وكسرها : أوان صرام النخل ، وهو قطع ثمره .

(٥) الطلح : شجر هو أعظم العضاه وأكثره ورقا . وفى حاشية هـ ، والتيمورية : « الضاربات الطلح ، يعنى بها الفؤوس . وقيل يعنى المغازل . يريد بذلك أن بناته يعيشنه بغزلهن ، أو يحتطب فيضرب بالفؤوس الطلح ويستغنى عن الناس » . انظر نحو هذا المعنى فى مجالس ثعلب ١٧٤ – ١٧٥ . وهنا ، أى بعد ساعة من الليل .

(٦) قصرنه : حبسنه ومنعنه . أسل : أسأل . يقال سأل يسأل ، وسال يسال ، وسال يسَل . يقول : لا أضطر إلى سؤال الصديق ، ولا ألومه إذا منع .

(٧) الأبيات فى ديوان حاتم ١١٤ من مجموع خمسة دواوين ، وحماسة أبى تمام (٢ : ٢٣٢) وأمالى القالى (٢ : ٣١٨) وعيون الأخبار (١ : ٣٤٣) . وهذا البيت وتاليه لم يرويا فى مرجع من هذه المراجع .

إذا كان أصحابُ الإناء ثلاثةً ... حَيِيًّا ومُستَحياً وكلْباً مُجَشَّعَا (١)
فإنى لأستحيِى أُكيلىَ أن يُرَى ... مكانٌ يدى من جانب الزَّاد أقرعا (٢)
أُكُفُّ يدى من أن تَمَسَّ أكُفَّهم ... إذا نحن أهْوَينا وحاجتُنا معا (٣)
وإنَّك مهما تُعطِ بطنَك سُؤْلَه ... وفرجَك نالا منتهى الذمِّ أجمعا (٤)

وقال ، وأظنُّها لبعض اليهود :

وإنى لأُستبقِى ، إذا العُسْر مَسَّنى، ... بشاشةَ وجهى حين تَبلى المنافـعُ
وأُعفِى ثَرَا قومى ، ولو شئت نَوَّلوا ... إذا ما تشكَّى المُلحِفُ المتضارِع (٥)
مخافةَ أن أُقلَى إذا جئتُ زائراً ... وتُرجِعَنى نحوَ الرِّجال المطامعُ (٦)
فأُسْمَعَ مَنًّا أو أُشَرَّفَ مُنعماً ... وكلُّ مُصادِى نعمةٍ متواضعُ (٧)

---

(١) المجشع : وصف لم يرد فى المعاجم المتداولة . عنى به الحريص على الطعام .

(٢) فى الديوان : « وإنى لأستحيى صحابى أن يروا » . وفى الأمالى والحماسة وعيون الأخبار : « وإنى لأستحيى رفيقى أن يرى » .

(٣) فى الحماسة والأمالى :

أكف يدى عن أن ينال التماسها ... أكف صحابى حين حاجاتنا معا

وفى عيون الأخبار :

أكف يدى من أن تنال أكفهم ... إذا ما مددناها وحاجتنا معا

وفى الديوان :

أقصر كفى أن تنال أكفهم ... إذا نحن أهوينا وحاجاتنا معا

(٤) بعده فى الديوان :

أبيت خميص البطن مضطمر الحشا ... حياء أخاف الذم أن أتضلعا

وهو فى الحماسة والأمالى بعد البيت الثالث ، بهذه الرواية :

أبيت هضيم الكشح مضطمر الحشا ... من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا

(٥) نولوا ، أى نولونى . والنوال : العطاء . الملحف : المبالغ فى السؤال . المتضارع ، عنى به من يتكلف الضراعة ، أى الذُّل والخضوع . وهذا الوصف وفعله مما لم يرد فى المعاجم .

(٦) أقلى : أبغض . ورجعه إلى الشىء : رده .

(٧) المن : أن يفخر على من أنعم عليه بالإحسان ، ويبدىء فى ذلك ويعيد . والمصاداة : المقابلة ، والعناية بالشىء ، والمداراة والمداجاة .

وقال بعضُ بنى أسد :

أَلَا جعَلَ اللهُ اليمانِينَ كلَّهم　　　فِدًى لفتَى الفتيان يحيى بنِ حيَّانِ
ولـولا عُرَيـقٌ فِىَّ مِنْ عَصَبيَّةٍ　　　لقلتُ وألفاً من مَعدٍّ بن عدنانِ [(١)]
ولكنَّ نفسى لم تَطِبْ بعشيرتى　　　وطِبتُ له نفساً بأبناءِ قحطانِ

٢٥٩ وقال ثَرْوان – أو ابن ثروان – مولًى لبنى عُذْرة [(٢)] :

لو كنتُ مولَى قيسِ عيلان لم تَجِدْ　　　عَلَىَّ لإنسانٍ من النّاس درهما
ولكنَّنى مولى قُضاعة كلِّها　　　فلستُ أبالى أن أدينَ وتَغرما [(٣)]
أُولئك قَومى بارَكَ اللهُ فيهمُ　　　عَلَى كلِّ حالٍ ما أعفَّ وأكرَما
جُفاةُ المَحَزِّ لا يُصِيبون مَفصِلًا　　　ولا يأكلون اللَّحم إلّا تَخذُّما [(٤)]

وقال آخر [(٥)] :

أيَا ابنةَ عبد الله وابنةَ مالكٍ　　　ويا ابنةَ ذِى البُردَينِ والفَرسِ الوَرِدِ [(٦)]

---

(١) ل : « لقلت أناس » .

(٢) الشعر روى لشقران مولى بنى سلامان بن سعد بن هذيم ، كما فى حماسة أبى تمام (٢ : ٢٧٤) وشروح سقط الزند ٥٩١ . وقد سبق بعض هذه الأبيات فى (١ : ١٠٧) .

(٣) يقول : لو كان ولائى فى قيس عيلان لم أقترض من أحد درهما ، ليأسى من أن يؤدوه عنى ، ولكن ولائى فى قضاعة ، فلست أبالى أن أستدين ، فإنهم لا جَرَمَ يؤدون عنى ما اقترضت .

(٤) المحز : مصدر ميمى من الحز ، وهو القطع . التخذم : قطع اللحم بالسكين . يقول:هم سادة نشئوا على السيادة وعودوا أن يكون مخدومين لا خادمين ، فليس لهم بصَر بجزر الإبل وتفصيل أعضائها ، وهم إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لا نهشاً بالأسنان . والعرب تعد الجهل بجزر الإبل مدحاً ، والمعرفة به ذما . انظر شروح سقط الزند .

(٥) هو حاتم الطائى ، كما فى شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٢٠٥) . وانظر الحماسة (٢ : ٢٠٩) حيث أورد أبو تمام الأبيات بدون نسبة . ولم ترو الأبيات فى ديوان حاتم . وفى الأغانى (١٢ : ١٤٤) أنها لقيس بن عاصم ، يقولها لزوجه منفوسة بنت زيد الفوارس الضبى ، وكانت قد أتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام . فقال لها : فأين أكيلى ؟ فلم تعلم ما يريد ، فقال الشعر فى ذلك .

(٦) ابنة عبد الله ، هى ماوية بنت عبد الله ، زوج حاتم . وذو البردين : عامر بن أحيمر =

إذا ما عمِلتِ الزَّادَ فالتمسى لهُ ... أكيلًا فإنى غيـرُ آكِلـهِ وَحْـدِى (١)
كريماً قَصِيًّـــا أو قريبــاً فإنَّنــى ... أخافُ مَذمّاتِ الأحاديثِ مِن بعَدى
وكيـف يُسِيـغ المرءُ زاداً وجـــارُهُ ... خفيفُ المِعَى بادِى الخَصَاصَةِ والجَهْدِ (٢) .
وللموتُ خَيرٌ من زيارةِ باخلٍ ... يلاحظ أطرافَ الأكيل على عَمد
وإنّى لَعبدُ الضَّيعف مادام ثاوياً ... وما فىَّ إلا تلكَ من شِيمة العَبدِ (٣)

وقال ابن عَبدلٍ (٤) :

ولو شاء بِشْرٌ كان من دُونِ بَابِه ... طَماطمُ سُودٌ أو صَقالبةٌ حُمرُ (٥)
ولكنّ بشراً سَهَّل البابَ للّتـى ... يكون لبشرٍ غِبَّها الحَمدُ والأجْرُ (٦)
بعيـدُ مَرَادِ العين مارَدَّ طرفَـه ... حِذارَ الغَواشِى بابُ دارٍ ولا سِتْرُ (٧)

= ابن بهدلة ، كان المنذر بن ماء السماء قد أخرج يوماً بردين يبلو بهما الوفود ، وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما . فقام عامر فأخذهما واتزر بأحدهما وارتدى بالآخر . فى حديث طويل رواه التبريزى .

(١) فى الحماسة : « إذا ماصنعت الزاد » . والأكيل : من يؤاكلك . وفى الحماسة : « فإنى لست آكله » .

(٢) هذا البيت وتاليه لم يروهما أبو تمام ولا أبو الفرج . والمعى بفتح الميم وكسرها : واحد الأمعاء . والخصاصة : الفقر وسوء الحال .

(٣) ما عدا ل : « من مهنة العبد » .

(٤) الحكم بن عبدل الأسدى ؛ ترجم فى ص ٧٤ من هذا الجزء .

(٥) بشر هذا ، هو بشر بن مروان ، وكان له به خاصة ، وولد لحكم بن عبدل ولد فسماه بشراً ودخل عليه فقال :

سميت بشراً ببشر الندى ... فلا تفضحـنى بتَصداقها

الأغانى (٢ : ١٥٣) . وقد ترجم بشر فى (٢ : ٢١١) . الطماطم : جمع طمطم بكسر الطاءين ، وهو الأعجم الذى لا يفصح بالعربية . والصقالبة : جمع صقلبى ، نسبة إلى صقلب ، وهى بلاد بين بلغار وقسطنطينية . والتاء فى مثل الصقالبة ، هى التى يقال فيها إنها عوض عن ياء النسب فى المفرد ، كقولهم المهالبة والأشاعثة . همع الهوامع (٢ : ١٧٠) .

(٦) غبها : بعدها ، وعاقبتها . هـ : « عندها » .

(٧) مراد العين : موضع ارتيادها وتجوالها . والغواشى : الدواهى تغشى المرء .

وقال بعضُ الحجازيِّين (١) :

٢٦٠ لو كنت أحمل خَمراً يوم زرتُكمُ ... لم ينكر الكلبُ أنّى صاحب الدار

لكن أتيتُ وريحُ المسك يَفْعَمنى ... والعنبرُ الوردُ أُذكيه على النَّارِ (٢)

فأنكرَ الكلبُ ريحى حينَ أبصرَنى ... وكان يعرف ريح الزِّقِّ والقارِ

وقال ابن عَبدلٍ :

نِعمَ جَارُ الخنزيرة المُرضع الغَرْ ... ثَى إذا ما غَدَا ، أبو كلثومِ (٣)

طاوياً قد أصابَ عند صديقٍ ... من غِذاء مُلبَّقٍ مأدومِ (٤)

ثمّ أنحَى بجَعرِهِ حاجِبَ الشَّمْـ ... ـسِ فألقَى كالمِعلفِ المهدومِ (٥)

وقال حبيب بن أوس :

وحياةُ القريض إحياؤُك الجُو ... دَ فإنْ مات الجُودُ مات القريضُ (٦)

يا مُحبَّ الإحسان فى زمنٍ أصبـ ... ـحَ فيه الإحسان وهو بغيض

---

(١) ورد الشعر فى الحيوان (١ : ٣٨٠) ، والبخلاء ٢٠٢ بدون نسبة معينة . وقد نسب فى الحماسة (٢ : ٢٣٢) إلى مالك بن أسماء الفزارى المترجم فى (١ : ١٤٧) .

(٢) فعمه الطيب وفغمه : ملأ خياشيمه . والورد : ما لونه الوُرْدة ، وهى لون بين الكمتة والشقرة . ويقال مسك ذاكٍ : ساطع الرائحة . وأما أذكى المسك فهو مما لم يرد فى المعاجم ، أراد أظهر طيبه بإلقائه على النار ، كما تذكى النار ، أى يتمم إشعالها .

(٣) الأبيات فى الحيوان (١ : ٢٣٦ / ٤ : ٦٤) . والغرثى من الغرَث ، وهو شدة الجوع .

(٤) الطاوى : الجائع . الملبق : الملين بالدسم . وفى الحيوان: « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم ، وهو ما يخلط به الخبز .

(٥) الجعر ، بالفتح : ما يبس من النجو . أنحى به : قصد به واعتمد . والمعلف ، بكسر الميم وفتحها : موضع العلف .

(٦) من قصيدة له فى ديوانه ١٨١ – ١٨٣ يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى ، مطلعها :

وثناياك إنها إغريض ... ولآل تؤم وبرق وميض

القريض : الشعر . ما عدا ل : « فإن مات الجواد » ، ولا يستقيم به الوزن .

وقال :

ثم اطّرحتم قَراباتى وآصِرتى … حَتَّى توهمتُ أنّى من بنى أسدِ (١)

وقال (٢) :

وطلعةُ الشّعر أقلَى فى عيونهمُ … وفى صدورِهِمُ من طلعةِ الأسَدِ (٣)

وقال :

إيّاكَ يعني القائلون بقولهم : … إنَّ الشّقِىّ بكلِّ حبلٍ يُخنَقُ (٤)

سِرْ حيثُ شئتَ من البلاد فلى بها … سُورٌ عليك من الرِّجالِ وخندقُ (٥)

وقال (٦) :

مِن شاعر وقَفَ الكلامُ ببابِه … واكتَنَّ فى كنفَىْ ذَراهُ المنطقُ (٧)

قد ثَقَّفت منه الشآم ، وسَهَّلت … منه الحجازُ ، ورقَّقته المَشرِقُ (٨)

وقال :

بنو عبد الكريم نجومُ ليل … تُرَى فى طَيِّئٍ أبداً تَلُوحُ (٩)

---

(١) من قصيدة لأبى تمام فى ديوانه ٤٩٢ — ٤٩٣ ، يقولها فى عياش .

(٢) هذه الكلمة من ل فقط . وبين هذا البيت وسابقه :

ثم انصرفت إلى نفسى لأظأرها … إلى سواكم فلم تهشش إلى أحد

ومدح من ليس أهل المدح أحسبه … نفسى تفصَّلُ من قلبى ومن كبدى

قوم إذا أعين الآمال جُلْنَهُمُ … رجعن مكتحلات عائر الرمد

(٣) أقلى : أبغض . ما عدا ل : « وطلعة الحمد » .

(٤) من قصيدة له فى ديوانه ٤٩٩ — ٥٠٠ يهجو فيها عتبة بن أبى عاصم . ل : « بشعرهم » وأشير فى هامشها إلى رواية : « بقولهم » فى إحدى النسخ .

(٥) هذا البيت فيما عدا ل متأخر عن تاليه . والوجه ما فى ل .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط . وبين البيت التالى وسابقه :

وقبيلة يدع المتوج خوفهم … وكأنما الدنيا عليه مُطْبِقُ

وقصائد تسرى إلى كأنها … جن تهافت أو هموم طرق

من منهضاتك مقعداتك خائفاً … مستوهلا حتى كأنك تطلق

المطبِق : السجن تحت الأرض .

(٧) اكتن : استتر . الذرا ، بالفتح : الكنف والظل .

(٨) أى بلاد المشرق .

(٩) من قصيدة له فى ديوانه ٤٩١ — ٤٩٣ يهجو بها عتبة .

إذا كان الهجاءُ لهم ثوابـــاً فخبِّرنى لمن خُلِق المديح [١] ٢٦١

وقال :

أىُّ شئٍ يكون أحسَنَ من صـ ـبٍّ أديبٍ متيَّمٍ بأديبِ [٢]

وقال :

نَقِّلْ فؤادَك حيث شئتَ من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأوّلِ [٣]
كم منزلٍ فى الأرض يألفه الفتى وحنينُــه أبـــداً لأوّلِ مَنـــزلِ

وقال :

اشرَبْ فإنّكَ سوف تعلَمُ أنّـــهُ قَدَحٌ يصيب العِرضَ منه خُمارُ [٤]
غاداك أُسوار الكـــــلام بشُرَّدٍ عُونِ القَريض حتُوفُهـا أبكـارُ [٥]
غُرَرٌ منى ماشئتُ كنَّ شواهـدى إن لم يكـــن لى والِـــدٌ عطَّـــارُ

وقال سَلَمة بن الخُرشُب الأنمارىّ [٦] :

أبلـــغ سُبَيْعـــاً وأنت سَيِّدُنـــا قِدْمـاً وأوفَى رجالنـا ذِمَمـــا [٧]

---

(١) بين هذا البيت و سابقه فى الديوان :

فلا حسب صحيح أنت فيه فتكثرهـم ولا عقـل صحيـح

(٢) من قصيدة فى ديوانه ٤٣٤ .

(٣) من أبيات أربعة فى ديوانه ٤٥٧ . وقبلهما :

البين جرَّعَنى نقيع الحنظل والبين أثكلنى وإن لم أثكل
ما حسرتى أن كدت أقضى إنما حسرات قلبى أننى لم أفعل

(٤) من قصيدة له فى ديوانه ٤٩٥ يهجو بها محمد بن وهب الحميرى الشاعر . وقبله :

أشرعت فى بحر الجهالة سادرا والجهل فى بعض الهنات عقـار

وفى الديوان : « فاشرب » . والخمار ، بالضم : أثر السكر .

(٥) غاداه: باكره وغدا عليه . ماعدا ل ، هـ : « عاداك » تحريف . الأسوار ، بكسر الهمزة وفتحها : الجيد الرمى بالسهام . وفى الديوان : « مختار الكلام » . والشرد : جمع شاردة ، وهى القصيدة تذهب كل مذهب . العون : جمع عوان ، وهى الثيب . عنى أنها ليست بكرا فى النشيد ، فهى ماتزال يتناشدها الرواة ويتداولونها ، وأما ماتجلبه من الحتف للمهجو فهو بكر فى أثره و شدة وقعه .

(٦) ترجم فى (١ : ٢٣٨) . التيمورية : « سملة » . هـ و التيمورية ، ب ، حـ : « بن الحارث » كلاهما تحريف .

(٧) سبقت هذه الأبيات فى (١ : ٢٣٩) .

أنَّ بغيضاً وأنّ إخوتَها ... ذُبيانَ قد ضَرّموا الذى اضطرما
نُبِّئت أَنْ حكّموكَ بينهمُ ... فلا يقولُنَّ : بئس ماحكَما
إن كنت ذا عِرفَةٍ بشأنِهمُ ... تعرفُ ذا حَقِّهم ومن ظَلَما (١)
وتُنزِلُ الأمرَ فى منازله ... حَزماً وعزماً وتُحضِرُ الفَهَما (٢)
ولا تُبالى مِن المحقِّ ولا المُبْـ ... ـطِلِ لا إلَّةً ولا ذِمَما
فاحكمْ وأنتَ الحكيمُ بينهمُ ... لن يَعدَمُوا الحكَمَ ثابتاً صَتَما (٣)
واصدَعْ أديمَ السَّواءِ بينهم ... على رِضا من رَضِى ومن رَغِما
إن كان مالٌ فقَضٌ عِدَّته ... مالاً بمالٍ وإنْ دَماً فَدَما (٤)
هذا وإن لم تُطِقْ حُكومتَهم ... فانْبِذْ إليهم أمورهَم سَلَما (٥) ٢٦٢

وقال آخر :

أبلغ ضِرَاراً أبا عمرو مغلغَلةً ... أَنْ كانَ قولُك ظَهرَ الغَيب يأتينا (٦)
اِرهَن قَبيصةَ إن صلحٌ هممتَ به ... إنّ ضِراراً لكم رَهْنٌ بما فينا
إنّ ضُحَيكاً قتيلٌ من سَرَاتكم ... وإنّ حِطّان مِنّا ، فاعدِلوا الدّينا (٧)
وانّهَ عُبيداً فلا يؤذِى عشيرتَه ... نَهيُكَ خَيرٌ له من نَهْيِ ناهينا

---

(١) يقال عرفه يعرفه عِرفة ، وعِرفانا ، وعِرِفّانا ، ومعرفة . وفيما مضى : « إن كنت ذا خبرة » .

(٢) فيما سبق : « وتحضر الفهما » .

(٣) الصتم ، بالتحريك : الصحيح القوى .

(٤) ما عدا ل : « إن كان مالا » ، وهى الرواية السابقة أيضا .

(٥) السلم ، بالتحريك : الاستسلام وإلقاء المقادة .

(٦) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . ما عدا ل : « أن كل » .

(٧) ل : « قبيل من سراتكم » تحريف . والسراة : اسم جمع بمعنى الأشراف ، أو هو جمع سرى على غير قياس ، والسرى : الشريف . والدين : الجزاء والمكافأة .

وقال آخر :

بنى عَديٍّ ألاَ يا انهَوْا سَفيهَكمُ   إنَّ السفيهَ إذا لم يُنهَ مأمورُ (١)

وقال حضرميُّ بن عامر الأسديّ ، ومات أخوه فقال جَزْءٌ : قد فرِح بأكل الميراث (٢) :

قد قال جَزْءٌ ولم يَقل أَمماً   إنِّى تَرَوّحْتُ ناعماً جَذِلا (٣)
إن كنتَ أَزنَنْتنى بها كذباً   جزءُ فلاقيتَ مثلها عَجلا (٤)
أفرَحُ أنْ أُرزَأَ الكرامَ وأنْ   أورَث ذَوداً شصائصاً نُبَلا (٥)

---

(١) هـ : « ألا ينهى » . يا انهوا ، أى يا هؤلاء ، أو يا قوم انهوا . ومثله ما جاء فى الكتاب : (ألا يا اسجدوا) ، وفى قول ذى الرمة :

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى   ولا زال منهلا بجرعائك القطر

(٢) ذكر القالى فى أماليه (١ : ٦٧) سبب الشعر ، قال : « كان حضرمى بن عامر عاشر عشرة من إخوته ، فماتوا فورثهم ، فقال ابن عم له يقال : « جزء » : مَنْ مثلك ، مات إخوتك فورثتهم فأصبحت ناعماً جذلا ! فقال حضرمى » . وأنشد الأبيات التالية ، وأنشد بعدها :

كم كان فى إخوتى إذا احتضن الأقـ   ـوام تحت العجاجة الأسلا
من واجد ماجد أخى ثقة   يعطى جزيلا ويضرب البطلا
إن جئته خائفاً أمنتَ وإن   قال سأحبوك نائلا فعلا

قال : « فجلس جزء على شفير بئر وكان له تسعة إخوة فانخسفت بإخوته ونجا هو ، فبلغ ذلك حضرميا فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قدرا ، وأبقت حقدا ! . وانظر القصة بإيجاز فى اللسان (جزأ ، شصص ، نبل) .

(٣) القول الأمم ، هو القول القصد . الأمالى : « سددا » . والسدد والسداد : القصد ، والإصابة فى القول . تروح بمعنى راح . والناعم : المقيم فى النعيم . والجذل : الفرحان .

(٤) أزنه بالأمر إزنانا : اتهمه به . عجلا ، أى لقاء عجلا .

(٥) رزأه الشيء : نقصه إياه . والذود : جماعة قليلة من الإبل . والشصائص : جمع شَصوص ، وهى الناقة القليلة اللبن . والنبل ، بالتحريك : الصغار الأجسام . ويقرأ أيضاً : « نبلا » بضم ففتح ، جمع نبلة بالضم ، وهى الجزاء والثواب . يقال : ما كانت نبلتك من فلان ؟ أى ما كان ثوابك ؟ والبيت يستشهد به على حذف ألف الاستفهام فى « أفرح » . ذكر البطليوسى فى شروح سقط الزند ٨٦٠٢ أنه حسن الحذف فى هذا البيت لما فى الكلام من دليل عليه . أما ابن خالويه فى (ليس كلام العرب) ص ٦٨ فزعم أنه مما حذف ولا دلالة عليه .

وقال حُرَيث بن سَلَمة بن مُرارة :

تقول ابنةُ العَمْرىّ لما رأيتُها :   تنكَّرتَ حتَّى كِدتُ منك أُهَالُ (١)
فإن تعجَبى منِّى عُمَير فقد أتت   ليالٍ وأيامٌ علىّ طِوَالُ
وإنِّى لَمِنْ قوم تشِيبُ سَرَاتُهم   كذاكِ ، وفيهم نائلٌ وفَعَالُ (٢)
ولو لقيتْ ماكنتُ ألقى من العِدَى   إذاً شابَ منها مَفرِقٌ وقَذَالُ (٣)
ولكنها فى كِلَّةٍ كُلَّ شَتوةٍ   وفى الصَّيف كِنٌّ باردٌ وحِجالُ (٤) ٢٦٣
تُصَانُ وتُغْلَى المسكَ حتَّى كأنها   إذا وَضَعت عنها النَّصيفَ غزالُ (٥)

وقال بعضُ الخوارج لامرأته وأرادت أن تنفِرَ معَه :

إنَّ الحَرُوريّة الحَرَّى إذا ركِبوا   لا يستطيع لهُمْ أمثالُكِ الطَّلَبا
إن يَركبوا فرساً لا تركبى فرساً   ولا تُطيقى مع الرَّجَّالة الخَبَبا (٦)

وقال خُزَزُ بن لَوْذان (٧) لامرأته (٨) ، فى شبيهٍ بهذا :

---

(١) هاله يهوله : أفزعه وأخافه .

(٢) عنى أنهم يشيبون مما يلقون من الأهوال ويقتحمون من المخاطر . والنائل : ما ينال من معروف . والفعال ، بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٣) ب ، جـ : « إذا سال » ، التيمورية : « إذا شال » ، صوابهما فى ل ، هـ . والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان .

(٤) الكلّة ، بالكسر ، هو من الستور ماخيط فصار كالبيت ، يتوق فيه من البق ونحوه . والحجال : جمع حجلة ، بالتحريك ، وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

(٥) النصيف : خمار المرأة .

(٦) الرجالة : الذين يسيرون على أرجلهم . والخبب : ضرب من العدو .

(٧) خزز ، بزاءين وبوزن عمر ، ابن لوذان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلى ، كما فى الخزانة (٣ : ١١) . وانظر القاموس (خزز ، لوذ) والمؤتلف ١٠٢ . ونسبة الشعر التالى إلى خزز هو الثابت أيضاً فى الحيوان (٤ : ٣٦٣) والخزانة ، وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنترة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحماسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) . والأبيات فى ديوان عنترة ٢٣ – ٢٥ .

(٨) فى الديوان أنها كانت من بجيلة ، وكانت لا تزال تذكر خيله وتلومه فى فرس كان يؤثره ويطعمه ألبان إبله . انظر من أمثلة إيثار العرب خيلهم باللبن ما ورد فى الحماسة (١ : ١٣٠) .

لا تذكرى مُهْرِى وما أطعَمْتُه ... فيكونَ جلدُكُ مثلَ جلدِالأجربِ (١)
إنّ الغَبوقَ له وأنتِ مَسُوءةٌ ... فتأوَّهى ما شئتِ ثم تَحَوَّبى (٢)
كذَبَ العتيقُ وماءُ شنٍّ باردٌ ... إن كنتِ سائلتى غَبوقاً فاذهبى (٣)
إنِّى لأخشى أن تقول خليلتى : ... هذا غبارٌ ساطِعٌ فَتلبَّبِ (٤)
أنَّ العَدوَّ لهم إليكِ وسيلةٌ ... إن يأخذوك تكحَّلِي وتخضَّبى (٥)
ويكونُ مركبُكِ القَعُودَ وحِدجَهُ ... وابنُ النّعامة يوم ذلِكِ مرْكَبى (٦)
وأنا امرؤٌ إنْ يأخذونى عَنوةً ... أُقْرَنْ إلى شرِّ الرِّكاب وأُجْنَبِ

(١) أى تكونى عندى بمنزلة الأجرب لا أقربك . وفى كتاب الخيل لابن الأعرابى ٩٢ : « وما أطعمته » فيكون لونك مثل لون الأجرب » ، وقال : « ويروى مثل جلد الأجرب » .

(٢) الغبوق ، بالفتح : ما يشرب بالعشى . التحوب : التوجع والشكوى والتحزن .

(٣) العرب يقولون : كذب كذا ، وكذب عليك كذا ، وهما مثلان غريبان من أمثلة الإغراء ، وقد جاء هذا مسموعا فى كلامهم بكثرة . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمخصص (٣ : ٨٤ – ٨٦) ، والمزهر (١ : ٣٨٢ – ٣٨٤) فى باب معرفة المشترك . وقد نص ابن سيدة على أن مضر تنصب بهذا الفعل مابعده وأن اليمن ترفع به . انظر توجيهه لذلك . يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وبشرب الماء البارد الذى فى القربة الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، لأن اللبن خصَصت به مهرى ، الذى أنتفع به ويسلّمنى وإياك من الأعداء . انظر اللسان (كذب) والمخصص (٣ : ٨٦) .

(٤) عنى بالخليلة الزوجة . وفى حماسة ابن الشجرى : « ظعينتى » . والظعينة : المرأة . الساطع : المرتفع . وعنى بالغبار الساطع ما يتطاير من جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(٥) العدوّ ، من الكلمات التى تقال للواحد والاثنين والجميع ، مثنى ومذكراً ، بلفظ واحد . وروى ابن الشجرى فى الأمالى : « أن يأخذوك » ، وقال : « موضعه نصب بتقدير الخافض ، أى فى أن يأخذوك » ، ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ مسبية ، فلذلك قال : تكحلى وتخضبى » .

(٦) أى يحملك الأعداء حين تسبين على القَعود ، وهو الفصيل من فصلان الإبل . والحدج ، بكسر الحاء : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقاء العدو فرسى ، المسمى بابن النعامة.وقيل أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق ، وأول الثلاثة أصحها . والنعامة : أم فرسه ، وهى فرس الحارث بن عباد . انظر اللسان والمقاييس (نعم) والمخصص (٢ : ١٢/٥٧ : ١٣/٤٢ : ٢٠٦) . وذكر ابن الأعرابى فى كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها ٩٢ أن ابن النعامة هذا فرس خزز ، كان يدعى « الغراف » . قال : « وهو ابن النعامة » .

وأراد أعرابىٌّ أن يسافرَ فطلبت إليه امرأتُه أن تكون معه ، فقال :

إنَّك لو سافَرتِ قد مَذِحْتِ (١)　　وحَكَّكِ الحِنوَانِ فانفشَحتِ (٢)

وقلتِ : هذا صوتُ ديكٍ تحتِى

المَذَح : سَحْج (٣) إحدَى الفَخِذين بالأُخرى .

وفى شَبيهٍ بالمعنى الأوّل يقول عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة :

وأعجبَهَا مِن عَيْشِهَا ظلُّ غرفةٍ　　وريّانُ ملتفُّ الحدائقِ أخضَرُ (٤) ٢٦٤

ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يَهُمُّها　　فليست لشيءٍ آخرَ اللّيلِ تَسهرُ

* * *

وقال سلامة بن جندل (٥) هذه الأبيات وبعث بها إلى صعصعة بن محمود ابن مَرثَد (٦) ، وكان أخوه أحمر بن جندل أسيراً فى يده فأطلقه له :

أصَعصعَ إنِّى سوفَ أجزيك صعصعا　　سأَجزيكَ بالوُدِّ الذى كان بيننا

إليك وإن حَلّتْ بيوتُك لعلعا (٧)　　سأُهدى وإنْ كنّا بتثليثَ مِدحةً

---

(١) نسب فى الصحاح والتاج (فشح) إلى حسان . ومذح ، بالذال المعجمة والحاء المهملة . ل . « مدخت » ما عدا ل : « مدجت » صوابهما ما أثبت من هـ . ومذَح : اصطكت فخذاه والتوتا حتى تتسحجا . والبيت وتاليه فى اللسان (مذح ، فشح) بدون نسبة ، برواية « إنك لو صاحبتنا » .

(٢) الحنوان : مثنى الحنو بالكسر ، وهو من الرحل والقتب والسرج كل عود معوج من عيدانه . وفى الأصول ما عدا هـ : « فانفتحت » صوابه من هـ ورواية اللسان فى الموضعين ، يقال تفشحت وانفشحت : تفاجَّت وبعد ما بين رجليها .

(٣) السحج : القشر والخدش . ل : « شحج » تحريف .

(٤) من قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبْكر　　غداة غد أم رائح فمهجر

والبيتان فى الحيوان (٣ : ٤٩١) .

(٥) هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحارث – وهو مقاعس – بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر جاهلى قديم ، كان من فرسان العرب المذكورين وأشدائهم ، وكان وصافا للخيل ، وكان أخوه أحمر بن جندل من الشعراء الفرسان أيضاً . الشعراء لابن قتيبة ٢٢٩ – ٢٣٠ ، والخزانة (٢ : ٨٦) .

(٦) فى الحيوان (٣ : ٧٠) : « صعصعة بن محمود بن بشر بن عمرو بن مرثد » .

(٧) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة . ولعلع : موضع بين البصرة والكوفة .

فإن يكُ محمودٌ أباكَ فإنَّنا ‏ ‏ ‏ وجدناكَ محمودَ الخلائقِ أرْوعا (١)
فإن شئتَ أهدينا ثَناءً ومِدحةً ‏ ‏ ‏ وإن شئتَ أهدينا لكم مائةً مَعا (٢)

قال : الثناء والمدحة أحبُّ إلينا !

وقال أوسُ بن حَجَر ، حين حُبس وأقام عند فضَالة بن كَلَدة ، وتولَّتْ خدمتَه حليمةُ بنتُ فَضالة ، شاكراً لذلك (٣) :

لعمركَ ما مَلّت ثواءَ ثويِّها ‏ ‏ ‏ حليمةُ إذْ ألقى مَرَاسِيَ مُقعَدِ (٤)
ولكنْ تلقّت باليدينِ ضَمانتى ‏ ‏ ‏ وحَلَّ بفلجٍ فالقنافِذِ عُوَّدى (٥)
وقد غَبَرتْ شهرَىْ ربيعٍ كليهما ‏ ‏ ‏ بِحَمل البلايا والخِباءِ المُمَدَّدِ (٦)
ولم تُلْهِهَا تلك التّكاليفُ إنّها ‏ ‏ ‏ كما شئتَ من أُكرومة وتخرُّدِ (٧)
هى ابنة أعراقٍ كرامٍ نَمينَها ‏ ‏ ‏ إلى خُلُقٍ عَفٍّ بَرازَتُه قَدِ (٨)

---

(١) فى جمهرة الأصول : « محموداً أباك » صوابه فى هـ . والممدوح هو صعصعة بن محمود . وفى الحيوان : « محموداً أبوك » . والأروع : الحى النفس الذكى .

(٢) عنى بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه الأسير : أحمر بن جندل .

(٣) كان أوس قد جالت به ناقته فى سفر فصرعته فاندقت فخذاه ، فآواه فضالة بن كلدة ، وكانت حليمة بنت فضالة تعنى به فى أثناء مرضه . الأغانى (١٠ : ٧) . والأبيات فى ديوان أوس ص ٥ والحيوان (٣ : ٧١) .

(٤) الثوى : الضيف . والثواء : الاقامة . ويقال ألقى مراسيه ، أى استقر . ومثله : ألقى عصاه . والمقعد : الذى لا يقدر على القيام لزمانة به . عنَى به نفسَه .

(٥) الضمانة : الداء والعاهة والزمانة . وفلج : واد بين البصرة وحمى ضرية . والقنافذ : موضع لم يعين . والعود : جمع عائد ، الذى يعود المريض .

(٦) غبرت : مكثت . والبلايا : جمع بلية ، وهى الناقة التى قد أعيت وصارت نضواً هالكا .

(٧) الأُكرومة ، بالضم : فعل الكرم . والتخرد : أن تصير المرأة خريدة ، وهى الحيِيَّة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، الخفرة . والبيت فى اللسان (خرد) .

(٨) الأعراق : جمع عرق ، بالكسر ، وهو الأصل . نمينها : رفعنَها فى النسب وعزونها . عف : عفيف . ما عدا ل : « عفو » تحريف . والبرازة ، بفتح الباء : الوثوق بالفصل والرأى . وفى اللسان : « ورجل برز وَبرْزىّ : موثوق بفضله ورأيه . وقد بَرُز برازة » . ما عدا ل : « برازته » تحريف . وقد ، كلمة بمعنى حسب . أى تكفيك منه البرازة . وهذا البيت مما لم يرو فى ديوان أوس ، كما أنه ساقط من هـ .

سَنَجزيكِ أو يَجزيكِ عنّـا مثوِّبٌ   وحسبُكِ أن يثنَى عليك وتحمَدى [١]

وقال الخريمىّ :

فلـم أجْـزِهِ إلّا المودّة جَاهِـداً   وحسبُكَ منِّـى أن أودّ فأُجهَـدَا [٢]

وقال الأسدىّ : ٢٦٥

فإنّـى أحبُّ الخُلْـدَ لو أستطيعهُ   وكالخُلْد عندى أن أموت ولم أُلَمْ [٣]

وقال الحادرة :

فأثنُـوا علينـا لا أبَـا لأبيكـمُ   بأحسابنا ، إنّ الثّناءَ هو الخُلْـدُ [٤]

وأنشدنى الأصمعىُّ لمهلهِل :

فقتـلا بتقتيـلٍ وعقـراً بعقرِكُـمْ   جزاءَ العُطـاسِ لايموت مَن اتّـأرْ [٥]

وضاف أبو شَليل العَنَزىّ [٦] بنى حكِمٍ – فخذاً من عَنَزة – فقال :

---

(١) المثوِّب : المجازى . يقال أثابه وأثوبه وثوبه . وفى الكتاب : (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) . ل : « عنى مثوب » . وفى الديوان والأغانى : « سأجزيك أو يجزيك عنى » .

(٢) أنشده أيضاً فى الحيوان (٣ : ٧٢) . وأجهد ، أى أجهد فى المودة .

(٣) رواه الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٤٧٥) .

(٤) أورده أيضاً فى الحيوان (٣ : ٤٧٥) برواية : « بإحساننا » . ونص على الروايتين اليزيدى فى روايته ديوان الحادرة ص ٥ نسخة الشنقيطى .

(٥) هو فى الحيوان (٣ : ٤٧٦) بدون نسبة . العقر : القتل والإهلاك : جزاء العاطس ، هو تشميته : الدعاء له بالخير . وقوله : « جزاء العطاس » ، أى نعجل بذلك كقدر ما بين التشميت والعطاس . انظر اللسان (عقب ١١٠ جزى ١٥٩) . لا يموت من اتأر ، أى لا يموت ذكره . واتّأر : أدرك ثأره . ما عدا ل : « اثأر » بالمثلثة ، وكلاهما صحيح ، ويقال أيضاً فى غير هذا الشعر : « اثتأر » على الأصل ، هن أوجه ثلاثة فى كل ما وردت تاء افتعاله بعد الثاء . انظر شرح المفصل لابن يعيش (١٠ : ١٨٤ س ٢٦ – ٣٠) . وقد فسر ابن منظور : « لا يموت من اتأر » فى مادة (جزى ١٥٩ س ١٦) بدون أن يسبقها إنشاد ، وهو دليل على سقط فى هذا الموضع منه . ونحو هذا البيت ما أنشده فى اللسان :

ونحن قتلنا بالمخارق فارساً   جزاء العطاس لا يموت المعاقب

(٦) ما عدا ل : « أبو الشليل الغبرى » . وضاف القوم يضيفهم : نزل بهم ضيفا ومال إليهم .

أُرانى فى بنى حَكمٍ غريباً   على قَتْر أزور ولا أُزارُ (١)
أناسٌ يأكلون اللّحمَ دونى   وتأتينى المعاذِر والقُتَارُ (٢)

وقال آخر :

إذا مَدَّ أربابُ البيوتِ بيوتَهم   على رُجَّح الأكفال ألوانُها زُهرُ (٣)
فإنَّ لنا منها خباءً يحُفُّنا   إذا نحن أمسينا : المجاعة والفَقْرُ

وقال الآخر ، وهو أبو المُهَوِّش الأسدى (٤) :

تراه يطوِّف الآفاقَ حِرصاً   ليأكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادِ (٥)

وقال أيضاً (٦) :

وبنو الفُقَيم قليلةٌ أحلامهم   ثُطُّ اللِّحَى متشابهو الألوانِ (٧)

---

(١) ما عدا ل : « قصيا » أى بعيداً ، بدل « غريباً » . والقتر ، بالفتح : ضيق العيش .

(٢) المعاذر : جمع معذرة . والقتار ، بالضم : ريح القدر والشواء ونحوهما .

(٣) ل : « إذا سد » . والرجح : جمع راجحة : وهى الثقيلة ، ويقال امرأة راجح ورجاح ، أى ثقيلة العجيزة . والزهر : الحسان البيض ، جمع زهراء .

(٤) أبو المهوش ، بالشين ؛ وفيما عدا ل : « أبو الهوس » تحريف . وأبو المهوش الأسدى ، هو حوط بن رئاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا النبى ولم يروه . انظر الخزانة (٣ : ٨٦) ، والإصابة ٢٠١٥ ، وماسبق فى (١ : ٢٠٧) . ونسبة الشعر إلى أبى مهوش تطابق ماورد فى حواشى الكامل ٩٨ ليبسك . لكن نسب فى معجم المرزبانى ٤٩٤ وكنايات الجرجانى ٧٣ والاقتضاب ٢٨٨ إلى يزيد بن الصعق الكلابى . وانظر خبراً لهذا الشعر فى المراجع المتقدمة والعقد (٢ : ١٠) ، وأمثال الميدانى (١ : ١٧١) وأدب الكاتب ١٢ والخزانة (٣ : ١٤٢) وأخبار الظراف ٢٤ .

(٥) قبل البيت كما سبق فى (١ : ١٩٠) :

إذا ما مات ميت من تميم   وسرك إن يعيش فجئْ بزادِ
بخبز أو بلحم أو بسمن   أو الشيء الملفف فى البجاد

وقال الثعالبى فى ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت : ومثل هذا الكلام لابن السيد فى الاقتضاب ٤٩ ، وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ويفخر بما عنده : كأنه قد جاء برأس خاقان » .

(٦) الأبيات التالية لجرير فى ديوانه ٥٨١ ، والحيوان (١ : ٢٥٨) ، وعيون الأخبار (٣ : ٢٢٥) ، يهجو بها بنى الهجيم بن عمرو بن تميم .

(٧) بنو الفقيم ، كذا ورد فى جميع النسخ . وصوابه « بنو الهجيم » كما فى المراجع =

لو يَسمَعون بأكلةٍ أو شَربةٍ   بعُمانَ أصبحَ جمعُهم بعُمَان (١)
متأبطين بَنِيهِمُ وبناتِهمْ   صُعْرَ الأنوفِ لريحِ كلِّ دُخانِ (٢) ٢٦٦

وقال الآخر :

وجيرةٍ لن ترى فى النّاس مثلَهمْ   إذَا يكونُ لهم عيدٌ وإفطارُ
إن يُوقدوا يُوسِعونا من دخانهمُ   وليس يبدو لنا ما تنضج النارُ

وقال أبو الطُّرُوق الضَّبّىّ (٣) ، فى خاقان بن عبد الله بن الأهتم (٤) :

شكّ النّاسُ فى خاقان لمَّا   أتى لوِلادِه سنةٌ وشهرُ (٥)
وقالت أختُه : إنّى بَرَاءٌ   إلى الرّحمنِ منك وذاك نُكرُ
ولم تَسمعْ بحملٍ قبلَ هذا   أتى مِن دونه دهرٌ ودَهْرُ
فنافَرها فألحقه شَبيبٌ   وأثبتَه فثاب عليه وَفْرُ (٦)

وقال مَكّىُّ بن سوادةَ البُرجُمِىُّ فيه (٧) :

تحَيَّر اللُّؤم يَبغى من يُحالِفُه   حتَّى تناهى إلى أبناءِ خاقانِ
أزْرَى بكم يا بنى خاقانَ أنَّكمُ   من نسل حَجَّامةٍ من قِنّ هِزَّانِ (٨)

= المتقدمة . الديوان : « قبيلة مخسوسة » ، والحيوان وعيون الأخبار : « سخيفة أحلامهم » . والأحلام : العقول . ثط : جمع أثط ، وهو القليل شعر اللحية .

(١) الحيوان : « أضحى جمعهم » .

(٢) صعر : جمع أصعر ، وهو المائل . وفى الديوان : « متوركين بنيهم » . توركت المرأة الصبى ، إذا حملته على وركها .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ١٥) .

(٤) انظر ما سبق فى (١ : ٣٥٥ س ١٣ – ١٤) .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « وشك » بدون خرم . والولاد : الولادة .

(٦) ثاب عليه : رجع . والوفر : المال الكثير الواسع .

(٧) انظر ما سبق فى (١ : ٣) .

(٨) الحجامة : التى تقوم بالحجامة ، وهى امتصاص الدم بالمحجمة بعد أن يظهره المشرط . وهذه الصناعة مثل فى الخسة . والقن : المملوك هو وأبواه ، يقال عبْد قن ، وعبدانِ قن وعبيد قن . فإذا لم يكن أبواه مملوكين فهو عبد مملكة . وهزان ، بكسر الهاء وتشديد الزاى : =

سفّاكةٍ لدماءِ القوم آكلةٍ ... قِدْماً لأموالهم من غير سلطانِ [١]
لو تسألونَ بها أيّوبَ جاءكمُ ... على الذى قلتُ أيُّوبٌ ببرهانِ
أيّامَ تُعطيه خَرْجاً من حِجامتها ... يَوْماً فيوما توفّيه بأُرْبانِ [٢]
فإن رَددتمْ عليه ما يقولُ أتى ... على مقالته فيها بتِبْيانِ
ثمَّ اشتراها أبو خاقان حين عَسَت ... فالتقطت نُطْفَةً منه بأقطانِ [٣]
فاستَدخَلَتْها ولا تدرى بما فعلت ... حتّى إذا ارتكضت جاءت بخاقانِ [٤] ٢٦٧

وقال اللَّعين المِنْقرىُّ [٥] فى آل الأهتم :

وكيف تُسامُون الكرامَ وأنتُمُ ... دوارجُ حِيريُّون فُدْعُ القوائمِ [٦]

= هم بنو هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد ابن عدنان . الاشتقاق ١٩٤ .

(١) يشير إلى أن كسبها من الحجامة كسب خبيث .

(٢) الخرج : الإتاوة . الأُربان بالضم : لغة فى العربان ، كما أن الأربون لغة فى العُربون . وأصل العربان : أن يشترى السلعة ويدفع إلى صاحبها شيئاً من الثمن على أنه إذا أمضى البيع حسب من الثمن ، وإن لم يمضه كان لصاحب السلعة ولم يرتجعه المشترى . وهو بيع باطل عند جمهور الفقهاء لما فيه من الشرط والغرر ، وأجازه أحمد ، وروى عن ابن عمر إجازته . وقد عبَّر بالأربان هنا عما تدفعه مقدماً إليه من الإتاوة . انظر اللسان (أرب ، أرن ، ربن ، عرب ، عربن) ، والمعرب للجواليقى ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٣) عست : كبرت وأسنت ، يقال عسا يعسو ، وعسى يعسى ، كرضى يرضى . ومثله فى المعنى عتا يعتو . ما عدا هـ : « نقطة » ، تحريف .

(٤) ارتكضت : اضطربت . أراد تحرك جنينها فى بطنها . والمعروف فى مثل هذا أركضت المرأة والدابة . أى تحرك ولدها فى بطنها وعظم .

(٥) اللعين : لقب له ، واسمه منازل بن ربيعة ، من بنى منقر ، ونقل صاحب الخزانة عن زهر الآداب أن سبب تلقيبه بذلك أن عمر سمعه ينشد شعراً والناس يصلون ، فقال : من هذا اللعين ؟ فعلق به بهذا الاسم . وهو القائل فى الحكومة بين جرير والفرزدق :

سأقضى بين كلب بنى كليب ... وبين القين قين بنى عقال
فإن الكلب مطعمه خبيث ... وإن القين يعمل فى سفال

الشعراء ٤٧٤ والاشتقاق ١٥٣ - ١٥٤ والخزانة (١ : ٥٣٠ - ٥٣١) والعينى (٢ : ٤٠٤ - ٤٠٥) .

(٦) المساماة : المباراة والمفاخرة : دوارج ، يقال قبيلة دارجة ، إذا انقرضت ولم يبق لها عقب . وأنشد فى اللسان للأخطل : =

بنو مُلصَقٍ من وُلْدِ حَذْلَمَ لم يكن ظَلُوما ولا مستنكِرا للمَظالِمِ (١)

وقال الآخر (٢)

قالت : عهدتُك مجنوناً ، فقلت لها : إنَّ الشّبابَ جنونٌ بُرؤُه الكِبرُ (٣)

وقال أعرابىٌّ ، وهو أبو حيّة النُّميرىّ (٤) :

رمتنى وسِترُ الله بينى وبينها عشيّةَ آرامِ الكِناسِ رَميمُ (٥)
ألا ربَّ يومٍ لو رمتْنى رميتُها ولكنَّ عهدى بالنِّضال قديمُ (٦)
رميمُ التى قالت لجاراتِ بيتها ضمِنتُ لكمْ ألاَّ يَزالُ يَهيمُ (٧)

= قبيلة كشراك النعل دارجة إن يهبطوا العفو لا يوجد لهم أثر

أو هو من الدرَجان ، وهو مشية الصبى والشيخ . حيريون : منسوبون إلى الحيرة ، وهى بلد بجانب الكوفة . والفدع : جمع أفدع وفدعاء . والفدع بالتحريك : عوج وميل فى المفاصل . ل : « بدع » تحريف .

(١) الملصق : الدعى ليس من القوم بنسب .

(٢) هو العتبى ، كما فى حماسة ابن الشجرى ١٨٤ ، ٢٤٥ .

(٣) قبله ، كما فى حماسة ابن الشجرى :

لما رأتنى هند قاصراً بصرى عنها وفى الطرف عن أمثالها زوَر

وفى عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) ما يوهم أن البيت « قالت عهدتك » هو من شعر ابن أبى فنن ؛ لأنه أنشده بعد بيت لابن أبى فنن ، وهو :

من عاش أخلقت الأيام جدته وخانه الثقتان : السمع والبصر

والحق أن بيت العتبى مقحم فى هذا الموضع من عيون الأخبار ، وموضعه هو السطر الثامن عشر من صفحة ٣٢٠ فقط . وانظر الحيوان (٦ : ٢٤٤ ، ٤٢٢) .

(٤) وهو أبو حية النميرى ، من هـ والكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . والأبيات بدون نسبة فى الحيوان (٣ : ٤٩) ، وسبقت فى (١ : ٦٨) .

(٥) أى رمتنى بطرفها . وعنى بستر الله الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس : موضع . وروى : « بأحجار الكناس » . الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكناف الحجاز » . ورميم هى خليلته .

(٦) قال المبرد فى تفسيره : « لو كنت شاباً لرَميت كما رميت ، وفَتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدى بالشباب » .

(٧) توجه « لايزال » رفعاً بجعل « أن » مخففة من الثقيلة ، ونصبا بجعلها ناصبة .

وقال أبو يعقوب الأعور :

بقلبى سَقامٌ لستُ أُحسِنُ وصفَه ... على أنّه ما كان فهو شديد
تمرُّ به الأيّامُ تَسحب ذيلَها ... فتبلَى به الأيّامُ وهو جديدُ

وقال الثّقفىّ (١) :

مَن كان ذا عضُدٍ يُدرِك ظُلامتَه ... إنّ الذّليلَ الذى ليست له عَضُدُ (٢)
تنبُـو يداه إذا ما قَلَّ ناصِرُه ... ويأنَف الضَّيمَ إن أثرى له عَدَدُ (٣)

وقال أشجَعُ السُّلَمىّ (٤) ، فى هارون أمير المؤمنين :

وعلى عَدُوِّك يابنَ عمِّ محمدٍ ... رَصَدَانِ : ضوءُ الصبحِ والإظلامُ (٥)
٢٦٨ فإذا تَنبّه رُعتَهُ وإذا هَدَا ... سَلّت عليه سيوفَك الأحلامُ

وقال :

انتجِعِ الفضلَ أو تَخَلَّ من الدُّنـ ... ـيا فهاتان غايتا الهِممِ (٦)

وقال :

أبت طَبَرِستانُ إلّا التى ... يَعُمُّ البريّةَ من دائِها (٧)

---

(١) وكذا لم يعين الثقفى فى البيان (١ : ٦٧) ، والحيوان (٣ : ٤٥) وعيون الأخبار . (٣ : ٢) . وقد حسبته فى الحيوان يزيد بن الحكم الثقفى . والحق أنه « الأجرد الثقفى » كما نص ابن قتيبة فى الشعراء ٧١٢ .

(٢) العضد : النصير والعون . والظلامة : ما يطلب عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ .

(٣) أثرى عدده : كثر عدد قبيله وأنصاره .

(٤) هو أشجع بن عمرو السلمى ، من بنى سليم ، ولد باليمامة ونشأ بالبصرة ، ثم خرج إلى الرقة والرشيدُ بها ، فنزل على بنى سليم فتقبلوه وأكرموه ، ومدح البرامكة فوصلوه بالرشيد ومدحه فأعجب به أيضاً ، فأثرى وحسنت حاله . الشعراء ٨٥٧ والأغانى (١٧ : ٣٠ - ٥١) وتاريخ بغداد (٧ : ٤٥) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٣٣) والموشح ٢٩٥ .

(٥) من أبيات فى الأغانى والكامل ٢٨٧ ليبسك . وقد أنشد أشجع هارون القصيدة فأجازه بعشرين ألف درهم .

(٦) الفضل بن يحيى البرمكى .

(٧) طبرستان : بلاد بين الرى وقومس وبلاد الديلم ، وتسمى أيضاً « مازندَران » =

ضَمْمتَ مناكبَها ضمّةً   رمتْك بما بين أحشائها

* * *

قالوا : لم يدَعِ الأوّلُ للآخِر معنىً شريفاً ولا لفظاً بهيًّا إلّا أخذَه ، إلاّ بيت عنترة :

فَترى الذُّبابَ بها يغنِّى وحدَه   هَزِجا كفعلِ الشّاربِ المترنِّمِ (١)
غَرِداً يسُنُّ ذراعَه بذراعِه   فِعلَ المكبِّ على الزِّناد الأجذَمِ (٢)

* * *

وقال الفُقَيمىّ ، قاتلُ غالبٍ أبى الفرزدق :

وما كنتُ نَوّاماً ولكنَّ ثائراً   أناخَ قليلًا فوق ظَهْرِ سَبيلِ
وقد كنتُ مجرورَ اللسان ومُفحَما   فأصبحتُ أدرِى اليوم كيف أقول (٣)

وقال أبو المُثلَّم الهُذلىّ (٤) :

أصخرَ بنَ عبدِ الله إن كنتَ شاعراً   فإنّك لا تُهدى القريضَ لمفحَمِ

= واشتقاق اسمها من تبر ، الفأس بلغة الفرس ، و « ستان » بمعنى الموضع أو الناحية . وكل طبرى فهو منسوب إليها ، وأما « طبرية » التى فى بلاد الشام فالنسبة إليها « طبرانى » . وفى الأغانى (١٧ : ٤٩) : « غير الذى صدعت به بين أعضائها » . وتمام الأبيات :

سموتَ إليها بمثل السماء   تدلى الصواعق فى مائها
فلما نظرت إلى جرحها   وضعتَ الدواء على دائها
فَرَشْتَ الجهاد ظهور الجياد   بأبنائــه وبأبنائهـا
بنفسك ترميهم والخيول   كرمى العقاب بأفلائهـا
نظرت برأيك لما همـ   ـت دون الرجال وآرائها

(١) البيتان من معلقته . وانظر قول الجاحظ فيهما فى الحيوان (٣ : ١٢٧ ، ٣١٢) .

(٢) هـ : « هزجا » وفوقها « غردا » . وروايته فى الحيوان : « يحك ذراعه » . الأجذم : المقطوع اليدين . شبه الذباب فى تلك الحالة برجل مقطوع اليدين يقدح بعمودين .

(٣) سبق البيتان وتفسيرهما فى ص ٢١٤ .

(٤) ترجم فى (٢ : ٢٧٥) ، حيث أنشد البيت التالى .

وقال الهذلىّ (١) :

عَلَى عَبْدِ بن زُهرةَ طو ... لَ هذا الليلِ أَتَّحِبُ (٢)
أَخٌ لى دون مَن لى من ... بنى عمٍّ وإن قَرُبُوا (٣)
طَوَى مَن كان ذا نَسبٍ ... إلىّ وزادَه النّسَبُ
أبو الأضياف والأيتا ... مِ ساعةَ لا يُعَدُّ أبُ (٤)
ألا للهِ دَرُّك مِن ... فَتَى قومٍ إذا ركِبُوا (٥)
وقالوا من فَتىً للثَّغـ ... ـرِ يَرْقُبنا ويرتقَبُ (٦)
فكنتَ أخاهُمُ حقًّا ... إذا تُدْعى لها تَثِبُ ٢٦٩
وقد ظَهرَ السّوَابغُ فيـ ... ـهِمُ والبِيضُ واليَلَبُ (٧)
أقامَ لدى مدينة آ ... لِ قُسطنطينَ وانقلبوا (٨)
نجيباً حين يُدعى ، إ ... نّ آباءَ الفتى نُجُبُ (٩)

وقال أدهم بن مُحرزٍ الباهلىّ :

لمّا رأيت الشيبَ قد شانَ أهلَه ... تفتّيت وابتعتُ الشَّبابَ بدرهمِ

---

(١) الهذلى هذا هو أبو العيال ، يرثى ابن أمه ، أو ابن عم يقال له : « عبد الرحمن بن زهرة » وكان قد قتل فى زمن معاوية بن أبى سفيان ، انظر ديوان الهذليين (٢ : ٢٤١ طبع دار الكتب) وشرح السكرى للهذليين ١٣٧ والأغانى (٢٠ : ١٦٦ ، ١٦٧) والشعراء ٦٥١ .

(٢) هـ : « هذا الدهر » وفى ديوان الهذليين والأغانى : « أكتئب » . والكآبة : الحزن .

(٣) يقول : هم فى المودة عندى دونه ، وهم أقرب إلى منه . هـ : « بنى عمى » .

(٤) يقال : هو أبوهم ، أى يكفلهم ويرعى أمورهم .

(٥) فى الأغانى : « إذا رهبوا » . وفى الديوان : « من فتى حى إذا رهبوا » .

(٦) الثغر : موضع المخافة . وفى الديوان والأغانى : « للحرب » .

(٧) بين هذا البيت وسابقه عشرة أبيات فى الديوان . السوابغ : الدروع الواسعة الطويلة . والبيض : السيوف . واليلب : نسوع ترصف فيلبسها الرجل مثل البيضة بدلا منها أو يلبسها تحتها .

(٨) انقلبوا : رجعوا ، يعنى أصحابه .

(٩) يروى : « والفتى آباؤه نجب » . والنجيب من الرجال : الكريم الحسيب .

وقال آكل المُرارِ الملك (١) :

إنّ مَن غَرّه النساءُ بشيءٍ   بَعدَ هندٍ لجاهِلٌ مغرورُ
حُلوةُ العينِ واللسانِ ، ومُرٌّ   كلُّ شيءٍ يُجِنُّ منها الضَّمِيرُ
كلُّ أُنثى وإن بَدَت لك منها   آيةُ الحبِّ ، حُبُّها خَيتَعُورُ (٢)

وقال طُفَيلٌ الغَنَوِىّ :

إنَّ النساءَ كأشجارٍ نبتْنَ مَعًا   منها المُرَارُ وبعضُ المُرِّ مأكولُ (٣)
إنَّ النساءَ متى يُنْهَيْنَ عن خُلُقٍ   فإنَّهُ واجبٌ لابُدَّ مفعُولُ (٤)
لايَنْثَنِين لِرُشْدٍ إن صُرِفْن له   وهُنَّ بَعدُ ملاويمٌ مَخاذيلُ (٥)

---

(١) آكل المرار : لقب حجر بن معاوية ، من أجداد امرئ القيس الشاعر ، وهو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور . وثور هذا هو كندة الذى ينسب إليه الكنديون . وإنما لقب حجر آكل المرار لما ذكر أبو عبيد قال : « أخبرنى ابن الكلبى أن حجرا إنما سمى آكل المرار أن ابنة كانت له ، سباها ملك من ملوك سليح ، يقال له : ابن هبولة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبى قد جاء كأنه جمل آكل المرار – يعنى كاشراً عن أنيابه . فسمى بذلك . وقيل إنه كان فى نفر من أصحابه فى سفر فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا ، وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم » . الشعراء ٦٢ ، واللسان (مرر) ، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٣٩٣ – ٣٩٧ . والمرار : شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت عن مشافرها .

(٢) الخيتعور : المتلون الذى لايدوم على حال . وأنشده فى اللسان (ختعر) برواية : « وإن بدا لك منها » . وكذا فى شرح شواهد الشافية .

(٣) الأبيات فى ديوان طفيل ٣٤ طبع لندن ١٩٢٧ برواية أبى حاتم عن الأصمعى . والأول والثانى فى عيون الأخبار (٤ : ١١٣) والشعراء ٤٢٣ .

(٤) الواجب : اللازم الثابت ، وهو أيضاً الساقط والواقع . وفى عيون الأخبار : « فإنه واقع » . وهذا البيت وسابقه ذكر أبو حاتم فى شرح الديوان أنهما لمالك بن كعب ، والد كعب بن مالك الأنصارى .

(٥) هذا البيت من ل فقط . وفى الديوان : « لاينثنين لرشد إن منين به » وفى الشعراء : « لا ينصرفن لرشد إن دعين له » . ملاويم ، من اللوم ، جمع ملوام ، وهى الكثيرة اللوم . ومخاذيل من الخذل ، وهو ترك النصرة . وفى الشعراء : « ملائيم » تحريف .

وقال علقمة بن عَبَدة (١) :

فإنْ تسألونى بالنّساء فإنّنى ... بصيرٌ بأدواء النّساء طبيبُ (٢)
إذَا قلَّ مالُ المرءِ أو شابَ رأسهُ ... فليسَ لهُ مِن وُدِّهن نصيبُ (٣)
يُرِدْنَ ثَرَاء المال حيثُ عِلمنَهُ ... وشَرخُ الشبابِ عندهنَّ عَجيب (٤) ٢٧٠

وقال أبو الشَّغْبِ السعدىّ (٥) :

أَبَعْدَ بنى الزّهراءِ أرجو بشاشةً ... من العَيش أو أرجو رخاءً من الدّهرِ
غَطارِفةٌ زُهْرٌ مَضَوْا لسبيلهم ... ألهفِى على تلك الغطارفةِ الزُّهرِ (٦)
يذَكِّرُنِيهِمْ كلُّ خيرٍ رأيته ... وشرٍّ فما أنفكُّ منهم على ذُِكْرِ

وقال أبو حُزَابة (٧) ، فى عبد الله بن ناشِرة :

ألا لَا فتى بعدَ ابنِ ناشرَة الفتى ... ولا خَير إلّا قد تولَّى وأَدبَرَا
وكان حَصاداً للمنايا ازدرَعَنه ... فهلّا تركنَ النّبتَ ما كان أخضرا (٨)

---

(١) هو علقمة بن عبدة ، بالتحريك ، بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة الجوع ابن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو المعروف بعلقمة الفحل ، شاعر جاهلى مجيد . وقصيدته التى منها هذه الأبيات اختارها المفضل فى المفضليات (٢ : ١٩٠ – ١٩٦) ، وهى فى ديوانه من مجموع خمسة دواوين ١٣١ – ١٣٢ والشعر والشعراء ١٧١ .

(٢) بالنساء ، أى عن النساء . وفى الكتاب : (فاسأل به خبيراً) ، أى عنه .

(٣) فى المفضليات وما عدا ل : « إذا شاب رأس المرء أو قل ماله » .

(٤) ثراء المال : كثرته . وشرخ الشباب : أوله .

(٥) ويقال أيضاً « العبسى » ، شروح سقط الزند ٨٧٠ . وعبس ، هو ابن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان .

(٦) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد الشريف السخى . والزهر : جمع أزهر ، وهو الحسن الأبيض من الرجال .

(٧) أبو حزابة ، بضم الحاء ، هو الوليد بن حنيفة من شعراء الدولة الأموية ، بدوى حضر وسكن البصرة ، ثم اكتتب فى الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك . وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء . الأغانى (١٩ : ١٥٢ – ١٥٦) .

(٨) ازدرعنه : زرعْنَه .

لَحَا اللهُ قوماً أسلموك ورفَّعوا   عناجيجَ أعطتها يمينُكَ ضُمَّرا (١)
أمَا كان فيهم فارسٌ ذُو حفيظةٍ   يرى الموت فى بعض المواطِنِ أعذَرا (٢)
يكرُّ كما كرَّ الكليبىُّ بعدما   رأى الموت تحدُوه الأسنَّةُ أحمَرا
فكرَّ عليه الوَرْدَ يَدْمَى لَبانُهُ   وماكرَّ إلّا رهبةً أن يُعَيَّرا (٣)

وقال أعرابىّ (٤) :

رعاكِ ضَمانُ اللهِ يا أُمَّ مالكٍ   ولَلّهُ أن يُشْقيكِ أغنَى وأوسَعُ (٥)
يذكِّرُنيكِ الخيرُ والشرُّ والذى   أخاف وأرجو والذى أتوقَّعُ

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة (٦) :

وقالوا:ألاَ تبكى أخاكَ ، وقد أرى   مكانَ الأسى لكنْ بُنِيتُ على الصبر (٧)

---

(١) رفع فرسه : سار به دون الحضر وفوق الموضوع . والعناجيج : جمع عنجوج ، بالضم ، وهو الرائع من الخيل ، أو الجواد . الضمر : جمع ضامر . أعطتها يمينك ، يقول : أنت منحتهم تلك الخيل ، ولكنهم لم يفوا لك ، وأسلموك .

(٢) الحفيظة : المحافظة على العهد ، والمحاماة على الحرم . أعذر ، أى أجاب للعذر .

(٣) يقال كرّه ، فكرّ هو . الورد : اسم فرس . واللبان ، بالفتح : الصدر .

(٤) أعرابى من هذيل ، كما فى الحيوان (٧ : ١٤٨) . والبيتان بدون نسبة فى الحماسة (٢ : ١١١) .

(٥) الضمان : مصدر ضمن الشئ وبه : كفله . وقال المرزوق – فيما رواه عنه التبريزى فى شرح الحماسة : « أشار بقوله ضمان الله إلى مافى القرآن من قوله تعالى : ادعونى أستجب لكم . وقد ضمن الإجابة للداعى . فرعاك ضمانُ الله » . يشقيك ، كذا جاءت الرواية هنا ، وفى الحماسة كذلك : « عن يشقيك » . وعن هذه لغة فى « أن » ، وهى اللغة المعروفة بعنعنة تميم ، كما فى قول ذى الرمة :

أعن توسمت من أسماء منزلة   ماء الصبابة من عينيك مسجوم

ويحتمل أن يكون بعدها « أن » مقدرة . وروى فى الحيوان – وهو رواية المرزوق كما استظهر له التبريزى : « أن يسقيك » ، وهو بتقدير حذف الجار ، أى ولله بأن يسقيك ، أى أظهر غنى وأوسع قدرة . هـ : « أرعى وأوسع » .

(٦) ترجم فى (١ : ١٠٧) . وكان أخوه عبد الله بن الصمة قد غزا غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية ، فظفر بغطفان وساق أموالهم وذلك فى يوم يقال له يوم اللوى ، ثم أدركتهم غطفان : عبس وفزارة وأشجع ، فحمل عليه رجل من عبس فقتله . الأغانى (٩ : ٣) .

(٧) الأبيات فى الأغانى (٩ : ٣) والحماسة (١ : ٣٤٠) . وفيهما : « مكان البكا » .

٢٧١ فقلتُ: أعبدَ اللهِ أبكى أم الذى   على الجَدَثِ النائى قتيلَ أبى بكرِ [(١)]
وعَبدَ يغوثَ أو نديمَى خالِداً   وعزّ المُصَابُ وضع قبرٍ حِذَا قبرِ [(٢)]
أبَى القتلُ إلّا آلَ صِمَّة إنَّهم   أبَوْا غيرَه والقَدْر يجرى إلى القَدْرِ [(٣)]
فإمَّا تَرَينا لا تزالُ دماؤنا   لدى واترٍ يسعى بها آخِرَ الدَّهْرِ [(٤)]
فإنّا لَلَحمُ السَّيفِ ، غَيْرَ نكيرَةٍ   ونُلحِمهُ حيناً وليسَ بذى نُكْرِ [(٥)]
يُغَار علينا واترِينَ فيُشتَفَى   بنا إن أُصبنا أو نُغيرُ على وِتْرِ [(٦)]
قَسمَنا بِذاكَ الدّهَر شَطرين بيْننا   فلا ينقضى إلّا ونحن على شَطرِ [(٧)]

---

(١) الجدث : القبر . ما عدا ل : « على الحدث الباق » . وأبو بكر هؤلاء ، هم بنو أبى بكر بن كلاب ، قتلوا أخاه قيس بن الصمة . الأغانى (٩ : ٢) .

(٢) وعبد يغوث هذا أخوه ، قتلته بنو مرة . وأما خالد أخوه فقتله بنو الحارث بن كعب . الأغانى (٩ : ٢) . ماعدا ل : « أو يمينى خالدا » ، جعله كيده اليمنى . وفى الأغانى : « أو خليلى » ، وبدلها فى الحماسة : « تحجل الطير حوله » . الجذاء : الإزاء والمقابل . ما عدا ل : « إلى قبر » . وعجزه فى الأغانى : « وعز مصابا حثو قبر على قبر » . وفى الحماسة : « وعز المصاب حثو قبر على قبر » .

(٣) القدر ، بسكون الدال ، هو القدر بفتحها ، وهو ما قدره الله . وأنشد للفرزدق :

وما صب رجلى فى حديد مجاشع   مع القَدْر إلا حاجة لى أريدها

(٤) الواتر : الذى يدرك الوتر ، أى الثأر . ب ، جـ : « دائر » التيمورية : « دائر » محرفتان . وفى الأغانى : « يشقى بها » تحريف . يقول : إن ترينا أبداً دماؤنا عند من قتلْنا له قتيلا يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلب من دمائنا .

(٥) هم لحم السيف ، أى هم طعامه يعرضون أنفسهم للقتل . غير نكيرة ، منصوب على المصدر . قال التبريزى فى شرح الحماسة : « وأكثر مايستعمل نكير بغير هاء . والنكر والنكير كالعذر والعذير . ومثل هذا المصدر يؤكد به الكلام الذى قبله ، ويجرى مجرى حقا وما أشبهه . ويجوز أن تكون الهاء من النكيرة للمبالغة » . ولم يذكر « النكيرة » أحد من أئمة اللغة سوى صاحب القاموس . ألحمه : أطعمه اللحم . والحين : اسم للزمان المتصل ، فكأنه قال : ونلحمه فيما يتصل من الأوقات ، وليس يريد حينا من الأحيان . انظر شرح التبريزى .

(٦) الوتر ، بفتح الواو وكسرها : الثأر .

(٧) الشطر ، بالفتح : نصف الشئ . بيننا ، أى بيننا وبين أعدائنا .

وقال الآخر [١] :

إذا ما تراءَاه الرِّجالُ تحفَّظُوا　　　فلم تُنطقِ العوراءُ وهو قريبُ [٢]
حَبيبٌ إلى الزُّوّارِ غِشيانُ بيته　　　جميلُ المحَيَّا شَبَّ وهْوَ أديب
فَتًى لا يُبالِي أن يكون بجسمِه　　　إذا نالَ خَلّاتِ الكِرام شُحُوب [٣]
حليمٌ إذا ما الحِلمُ زيّنَ أهلَهُ　　　مع الحِلِم فى عَين العدُوِّ مَهيبُ [٤]
حليف النَّدَى يدعو النَّدَى فيجيبه　　　قريباً ويدعوه النَّدَى فيجيب
يَبيت النّدَى يا أُمَّ عمرو ضجيعَه　　　إذا لم يكن فى المُنْقيات حَلُوبُ

يقول : إذا كان الجدب ولم يكن للمال لبنٌ فهو وَهُوبٌ مِطعامٌ فى هذا الزمن . والمُنْقيات : المهازيل التى ذهب نِقيهنّ ؛ والنِّقْى : مخّ العظام وشحم العين ، وجمعه أنقاء . وناقة مُنْقية ، أى ذات نِقْى .

وقال الآخر :

ألَا تريْنَ وقــد قطّعتِنـــى عَذَلا　　　ماذا من الفَوْتِ بين البُخْلِ والجودِ [٥]
إلّا يكنْ وَرِقٌ يوماً أجُودُ به　　　للمعتفِين فإنّى لَيِّن العُودِ [٦]

---

(١) الأبيات التالية من قصيدتين متشابهتين متداخلتين يخلط الرواة بين أبياتها ، إحداهما لكعب بن سعد الغنوى ، والأخرى لعريقة بن مسافع العبسى ، انظر الأصمعيات ٩٤ – ٩٦ طبع المعارف و ١٣ – ١٦ ليبسك ، والأمالى (٢ : ١٤٧ – ١٤٨) والخزانة (٤ : ٣٧٣ – ٣٧٤) ومختارات ابن الشجرى ٢٧ .

(٢) تراءوه : قابلوه فرأوه . وفى شعر أبى ذؤيب :

أبى الله إلا أن يقيدك بعدما　　　تراءيتمونى من قريبٍ ومودق

والعوراء : الكلمة القبيحة .

(٣) الخلة ، بفتح الخاء : الخصلة . يقول : لا يبالى شحوب جسمه فى سبيل المكارم .

(٤) فى ل : « فى غير العدو » صوابه من هـ والأصمعيات . يقول : هو مهيب فى عين أعدائه ، مع ما يتحلى به من حلم ومسالمة . والبيت وما بعده إلى آخر التفسير من ل ، هـ فقط .

(٥) الفوت : البعد ، وفى اللسان : « وبينهما فوت فائت ، كما يقال بون بائن » .

(٦) الورق ، مثلثة الواو ، وككتف وجبل : الدراهم المضروبة . ما عدا ل : « أجود بها » ، وكلاهما صحيح . المعتفون : الطلاب والسائلون .

وإلى هذا ذهب ابن يسيرٍ حيث يقولُ :

لا يَعدَمُ السائلونَ الخيرَ أفعَلُه إمّا نَوالى وإمّا حُسنَ مَردُودِى [١]

٢٧٢ وقال الهُذَلىّ [٢] :

وهّابُ ما لا تكادُ النّفسُ تُرسِلُه من التّلادِ وَصُولٌ غير منّانِ [٣]

قال أبو عبيدةَ معمرُ بن المثنّى : ومن الشّوارد التى لا أربابَ لها قَولُه :

إنْ يفجُرُوا أو يَغدِروا أو يبخلوا لا يحفِلوا [٤]

وغَدَوْا عليك مرجَّليـ ـنَ كأنّهم لم يفعَلُوا [٥]

كأبى بَرَاقِشَ كلَّ لَوْ نٍ لونُـه يتخيَّــلُ [٦]

ومثله فى بعض معانيه :

أكولٌ لأرزاق العيالِ إذا شَتَا صَبُورٌ على سُوءِ الثناءِ وَقَاحُ [٧]

---

(١) انظر ما سبق فى ص ١٧٤ . وأنشد هذا البيت فى اللسان بدون نسبة ، وهو لمحمد بن يسير كما نص الجاحظ هنا ، وكما فى الأغانى (١٢ : ١٢٩) والشعراء ٨٥٥ . والمردود : الرد ، وهو مصدر مثل المحلوف والمعقول بمعنى الحلف والعقل . وفى اللسان والأغانى والشعراء « إما نوالا وإما حسن مردود » .

(٢) هو أبو المثلم الهذلى يرثى صخر الغى الهذلى ، وكان بينهما فى حياتهما عداوة ومناقضات . ديوان الهذليين (٢ : ٢٣٨ — ٢٤٠) طبع دار الكتب ، وشرح السكرى للهذليين ٣٤ ونسخة الشنقيطى ٩٤ والأغانى (٢٠ : ٢١ — ٢٢) .

(٣) ترسله ، أى تطلقه وتهبه ، وذلك لنفاسته . والتلاد : المال القديم . غير منان : لا يكدر عطيته بالمن ، وهو الاعتداد بالإحسان والفخر به . ورواية الديوان :

يعطيك ما لا تكاد النفس ترسله من التلاد وهوب غير منان

(٤) انظر الأبيات وروايتها وماقيل فيها فى عيون الأخبار (٢ : ٢٩) وديوان المعانى (١ : ١٨٢) وأمالى القالى (٣ : ٨٣) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) والبغال ٣٣٨ . ما عدا ل : « لم يحفلوا » .

(٥) المرجلون من الترجيل ، وهو تسريح الشعر وتنظيفه . ما عدا ل : « يغدوا » .

(٦) أبو براقش ، بفتح الباء : طائر كالعصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار ، يتلون فى كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب فى ذلك ما قال الأزهرى ، أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر ، وأوسطه أحمر ، وأسفله أسود ، فإذا انتفش تغير ألواناً شتى . فى ل وبعض المراجع السابقة : « يتبدل » .

(٧) الثناء : ما أخبرت به عن الرجل من قبيح أو حسن . والوقاح : الصلب الوجه القليل الحياء ؛ والأنثى وقاح أيضاً ، بغير هاء . والبيت فى عيون الأخبار (٢:٢٩) والبغال ٣٣٨ .

وقال :

وما نَفَى عنكَ قوماً أنتَ خائفُهم … كمثلِ وقمِكَ جُهَّالاً بجُهَّالِ (١)

فاقعَسْ إذا حَدِبوا واحدَبْ إذا قَعِسوا … ووازِنِ الشرَّ مثقالًا بمثقالِ (٢)

وقال الراجز (٣) :

وقد تعلَّلت ذَمِيلَ العَنسِ (٤) … بالسَّوطِ فى ديمُومَةٍ كالتُّرسِ (٥)

إذ عَرَّجَ الليلَ بُروحُ الشَّمسِ (٦)

وقال الراجز :

قد كنتُ إذْ حَبلُ صِباكِ مُدْمَشُ (٧) … وإذْ أهاضيبُ الشَّبابِ تبْغَشُ (٨)

---

(١) البيتان فى الحيوان (١ : ١٤) ومجالس ثعلب ٤٩١ والروض الأنف (١ : ١٧٠) والمجتنى لابن دريد ص ٨٨ . والوقم : القهر والإذلال والكبح ، والرد بخزى . ثعلب : « فما نفى عنك » . الروض الأنف : « ولن ينهنه » .

(٢) قعس يقعس ، من باب فرح : نقيض حدب يحدب . والقعس : دخول الظهر وخروج الصدر . قال ثعلب : « أى إذا عملوا شيئاً فزد عليه » . ومثله ما أنشده ابن سيدة فى المخصص (٢ : ١٨) :

فإن حدبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا … لينتزعوا ماخلف ظهرك فاحدب

(٣) هو دكين الراجز ، أو أبو محمد الفقعسى . وانظر الحيوان (٣ : ٧٤ ، ٣٦٣) . ونسب فى المؤتلف ١٠٤ إلى منظور بن حبة الأسدى . انظر زهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان (علل) .

(٤) وكذا إنشاده فى الحيوان . وصواب الرواية : « وقد تعاللت » كما فى المراجع السابقة . يقال تعاللت الناقة ، إذا استخرجت ما عندها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل . والعنس : الناقة الصلبة .

(٥) الديمومة : الفلاة الواسعة . والترس : ما يمسك به المحارب يتقى الضرب . جعلها كالترس فى صلابتها . وإذا صلبت الفلاة لم تتضح معالمها .

(٦) عرج الليل : حبسه . بروح الشمس : ظهورها وخروجها . وكذا جاءت الرواية فى المؤتلف . وفى سائر المراجع : « بروج » بالجيم ، وهو بمعنى الأولى .

(٧) مدمش : مدمج ، أبدل الشين من الجيم لمكان الروى . والمدمج : المحكم الفتل . والشطر من شواهد اللسان (دمج) وهو وتاليه فى الحيوان ٣ : ٥٨ .

(٨) أهاضيب : جمع أهضوبة ، وهى جلبات القطر بعد القطر . تبغش : تدفع قطرها دفعة .

وقال الراجز :

طال عليهنَّ تكاليـــفُ السُّرى   والنَّصُّ فى حينِ الهجيرِ والضُّحى (١)
حتَّى عُجَاهُنَّ فما تحتَ العُجى (٢)   رواعِفٌ يخْضِبْن مُبيضَّ الحَصَى (٣)

٢٧٣ سمع ذلك ابنُ وهَيب فرامَ مثله فقال :

تخضب مَرْواً دماً نَجيعاً   من فَرط ماتُنكَب الحوامى (٤)

وقال عامرٌ ملاعبُ الأسِنّة (٥) :

دفعتُكُم عنِّى ، وما دَفعُ راحةٍ   بشىءٍ إذا لم تَستَعِنْ بالأنامِلِ
يُضَعضِعنى حلمى وكثرةُ جهلِكم   عَلَىَّ ، وإنِّى لا أصول بجاهلِ

وقال آخر (٦) :

لا بدَّ للسُّودَدِ من أرماحِ   ومن سفيهٍ دائمِ النُّباحِ
ومن عديدٍ يُتَّقى بالرَّاحِ

---

(١) النص : السير الشديد .

(٢) العجى : جمع عجاية وعجاوة بضم العين فيهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم تكون عند رسغ الدابة .

(٣) رواعف : يسيل منها الدم .

(٤) ما عدا ل : « يخضب » . والمرو : حجارة بيض براقة ، واحدتها مروة . نكبته الحجارة نكباً : لثمته . الحوامى : حروف الحوافر من عن يمين وشمال ، واحدتها حامية .

(٥) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس ، وسمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :

ولاعب أطراف الأسنة عامر   فراح له حظ الكتيبة أجمع

وهو عم لبيد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفى العامرين قالوا : « أفرس من ملاعب الأسنة » و « أفرس من عامر » . انظر الأغانى (١٤ : ٩٠) وأمثال الميدانى (٢ : ٢٩) . وقالوا : أخذ ملاعب الأسنة أربعين مرباعاً فى الجاهلية . والمرباع : ربع الغنيمة يأخذه رئيس القوم لنفسه . انظر بلوغ الأرب (١ : ١٢٧) . توفى ملاعب الأسنة فى نحو سنة ١٠ من الهجرة . الإصابة ٤٤١٥ .

(٦) هو أبو سلمى ، أو أبو سليمى . الحيوان (١ : ٣٥١ / ٣ : ٧٩) .

وقال أبو نُخَيلَة لبعض ساداتِ بنى سعد :

وإنّ بقومٍ سَوَّدوك لَفاقةً   إلى سيِّدٍ لو يظفرون بسَيِّدِ (١)

وتمثَّل سُفيان بن عُيينةَ وقد جلس على مَرقَبٍ عالٍ ، وأصحابُ الحديث مدَى البصر يكتُبُون ، بقول الآخر (٢) :

خَلَت الدِّيارُ فسُدتُ غيرَ مُسوَّدِ   ومن الشَّقاء تَفرُّدى بالسُّودَدِ

وقال الأوّل (٣) فى الأحنف :

وإنّ مِن السادات مَن لو أطعتَه   دعاك إلى نارٍ يفورُ سعيرُها

وقال الآخر :

فأصبحتَ بعد الحِلم فى الحىِّ ظالما   تَخمَّطُ فيهم ، والمُسَوَّدُ يَظلِمُ (٤)

وقال رجل من بنى الحارث بن كعب ، يقال له سُوَيْد (٥) :

إنِّى إذا ما الأمرُ بيَّنَ شَكُّهُ   وبدت بصائرُه لمن يتأمَّلُ
وتبرَّأ الضُّعفاءُ من إخوانِهِمْ   وألحّ من حَرِّ الصّميم الكلكلُ
أدَعُ التى هى أرفَقُ الخَلّاتِ بِى   عند الحفيظة للتى هىَ أجملُ ٢٧٤

وقال الآخر (٦) :

ذهب الذين أُحبُّهم فَرَطاً   وبقِيتُ كالمغمُور فى خَلْفِ (٧)
من كلِّ مَطوِيٍّ على حَنَقٍ   متَضجّعٍ يُكْفَى ولا يَكفِى

---

(١) سبق البيت فى ص ٢١٩ . وهو من أبيات لرجل من خثعم فى الحماسة (١ : ٣٣٣ – ٣٣٤) . وقد نسبت فى معجم البلدان (البقيع) إلى عمرو بن النعمان البياضى .

(٢) هو حارثة بن بدر ، كما سبق ص ٢١٩ .

(٣) هو إياس بن قتادة ، كما مضى فى ص ٢١٨ .

(٤) التخمط : الكبر والغضب . والبيت فى الحيوان (٣ : ٨١) .

(٥) هو سويد المراثد ، وقد سبقت الأبيات وتفسيرها فى ص ٢٤١ .

(٦) هو الأحوص ، كما سبق فى (٢ : ١٨٤) .

(٧) فيما مضى : « كالمقمور » .

وقال أبو الطَّمَحان القينيُّ (١) :

فكم فيهمُ من سيِّدٍ وابنِ سيِّدٍ　　وفِيٍّ بعَقد الجار حين يُفارقُه (٢)
يكادُ الغَمامُ الغُرُّ يَرْعَبُ إنْ رأى　　وجوهَ بنِى لأمٍ وينهلُّ بارِقُه (٣)

وقال طُفَيلٌ الغَنَوىُّ :

وكان هُرَيمٌ من سنانٍ خليفة　　وعمرٍو ومِن أسماءَ لَماّ تغيّبوا (٤)
نُجومُ سماءٍ كلَّما غاب كوكبٌ　　بدا وانجلَتْ عنه الدُّجُنَّةُ كوكب (٥)

وقال رجلٌ من بنى نهشَلٍ (٦) :

إنّا لمن مَعْشَرٍ أفنَى أوائلَهُم　　قَولُ الكُماةِ لهم أين المُحامُونَا (٧)
لو كان فى الألفِ مِنَّا واحدٌ فدَعَوا　　مَن عاطِفٌ خالَهُم إيّاه يَعنُونا

---

(١) ترجم فى (١ : ١٨٧) .

(٢) البيتان فى الحيوان (٣ : ٩٣) . والأخير منهما فى الشعراء ٣٤٩ وعيون الأخبار (٤ : ٢٥) .

(٣) الغر : البيض . يزعب ، من قولهم زعب السيل الوادى يزعبه زعباً : ملأه . ل : « يرغب » تحريف . وفى الحيوان والشعراء وعيون الأخبار : « يرعد » ، وهى أجود . وبنو لأم هم بنو لأم بن عمرو بن طريف ، من طيئ .

(٤) البيت فى ديوان طفيل ١٨ برواية السجستانى عن الأصمعى ، والحيوان (٣ : ٩٤) . من قصيدة له يرثى بها فرسان قومه . وسنان هذا ، هو سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشبة . وكان فارساً حسيباً ، قاد ورأس . وحصن : فارس من غنى . وأسماء هو أسماء بن واقد بن وقيد بن رياح بن يربوع . وأما هريم الذى بقى بعد قتلهم وساد ورأس أيضاً فهو عم سنان ، واسمه هريم بن سنان بن يربوع . ورواية الديوان : « وحصن ومن أسماء » .

(٥) هـ : « كلما انقض » وفى الديوان :

كواكب دجن كلما غاب كوكب　　بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

وفى بعض نسخ الحيوان : « بدا ساطعاً فى حندس الليل كوكب » .

(٦) هو بشامة بن حزن النهشلى ، كما فى عيون الأخبار (١ : ١٩٠) وشرح التبريزى للحماسة (١ : ٥٠ بولاق) ، والخزانة (٣ : ٥١٠ – ٥١١) والعينى (٣ : ٣٧٠ – ٣٧١) . ونسب فى الشعر والشعراء ٦١٩ إلى نهشل بن حرى النهشلى ، مخالفاً ما فى عيون الأخبار . وعزى فى الكامل ٦٤ – ٦٥ ليبسك إلى رجل يكنى أبا مخزوم ، من بنى نهشل بن دارم ، فزاد الأخفش أنه هو بشامة بن حزن النهشلى . والأبيات بنسبتها إلى رجل من بنى نهشل فى الحيوان (٣ : ٩٥) ، وإلى رجل من بنى قيس بن ثعلبة فى الحماسة (١ : ٢٥) .

(٧) هـ : « قيل الكماة » .

وليس يذهب منّا سيّدٌ أبداً　　إلّا افتَلَيْنا غلاماً سيِّداً فينا (١)

وقال بعض الحجازيِّين (٢) :

إذا طَمَعٌ يوماً عَرانى قريتُهُ　　كتائبَ بأسٍ كرَّهَا وطِرَادَها (٣)
أكُدُّ ثِمادى والمياهُ كثيرةٌ　　أعالجُ منها حفرَها واكتدادَها (٤) ٢٧٥
وأرضى بها من بحرِ آخرَ إنّه　　هو الرِّيُّ أنْ ترضَى النفوسُ ثِمادَها (٥)

وقال أبو مِحْجَنٍ الثَّقفىّ (٦) :

ألم تَسَلِ الفوارسَ مِن سُلَيْمٍ　　بنَضْلَةَ وهْوَ مَوتورٌ مُشِيحُ (٧)
رأَوْهُ فازدَرَوْهُ وهوَ خِرقٌ　　ويَنفعُ أهلَهُ الرَّجلُ القبيحُ (٨)
فلم يَخْشَوا مَصالتَهُ عليهمْ　　وتحْتَ الرَّغوة اللَّبنُ الصَّريحُ (٩)

---

(١) الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم .

(٢) البيتان الثانى والثالث فى مجالس ثعلب ٦٦٤ بدون نسبة ، والثانى كذلك فى اللسان (كدد) .

(٣) عراه الضيف : غشيه طالبا معروفه . القرى : طعام الضيف . هـ : « يأس » .

(٤) الكد والاكتداد : النزع باليد ، يكون ذلك فى الجامد والسائل . والثماد : الحفر يكون فيها الماء القليل ، جمع ثمد . يقول : إنه يرضى بالقليل ويقنع به .

(٥) من بحرِ آخر ، أى بدل بحرِ غيرى . والبحر : الماء الكثير ملحا كان أو عذبا .

(٦) فى اللسان (فصح) أن القائل نضلة السلمى . وأبو محجن الثقفى ، هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى . وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان يدمن شرب الخمر ، وأقام عليه عمر الحد مراراً . وهو القائل :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة　　تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فإننى　　أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

ابن سلام ١٠٥ والشعراء ٣٨٧ والأغانى (٢١ : ١٣٧ - ١٤٣) .

(٧) الأبيات لم ترو فى ديوان أبى محجن . ورواها ثعلب فى المجالس ٨ - ٩ منسوبة إلى رجل من بنى سليم . قال : « مر قوم من بنى سليم برجل من مزينة يقال له نضلة ، فى إبل له ، فاستسقوه لبنا فسقاهم ، فلما رأوا أنه ليس فى الإبل غيره ازدروه فأرادوا أن يستاقوها ، فجالدهم حتى قتل منهم رجلا ، وأجلى الباقين عن الإبل ، فقال فى ذلك رجل من بنى سليم ... » . وأنشد الأبيات . فى مجالس ثعلب وما عدا ل : « ألم تسأل فوارس » . المشيح : الحذر الجاد .

(٨) الخرق ، بكسر الخاء : الفتى الكريم الخليقة ، والظريف فى سماحة ونجدة .

(٩) المصالة : مصدر ميمى من صال يصول . والرغوة ، مثلثة الراء .

فكَـرّ عليهمُ بالسيـفِ صَلْتـاً　　　كما عَضَّ الشَّبا الفَرسُ الجموحُ (١)
فَأَطْلَقَ غُلَّ صاحبِهِ وأَرْدَى　　　جَريحاً منهُمُ ونجَا جَريحُ (٢)

وقال بعض اليهود :

سَئِمتُ وأمسَيتُ رَهْنَ الفِرا　　　شِ مِن حَملِ قومٍ ومِن مَغْرَمِ(٣)
ومِن سَفَهِ الرّأْيِ بَعدَ النُّهَى　　　ورُمتُ الرَّشادَ فلَم يُفْهَمِ(٤)
فلوْ أنَّ قوْمى أطاعُوا الحليمَ　　　ولم يُتَعَـدَّ ولم يُظْلَـمِ(٥)
ولكنَّ قوْمى أطاعُوا السَّفيـ　　　ـهَ حتى تَعكَّظ أهْلُ الدَّمِ(٦)
فأَودَى السّفِيهُ برَأْيِ الحليـ　　　ـمِ فانتشَرَ الأمر لَمْ يُبْرَمِ

وقال بعض الشعراء :

وكنتُ جليسَ قَعقَاعِ بنِ شَورٍ　　　ولا يَشْقَى بقَعقاعٍ جَليسُ (٧)
ضَحوكُ السِّنِّ إنْ نَطقوا بخيرٍ　　　وعِندَ الشرِّ مِطراقٌ عَبوسُ (٨)

وقال الآخر :

ولستُ بدُمَّيجةٍ فى الفِرَا　　　شِ وَجَّابةٍ يَحتمى أنْ يُجيبَا (٩)
ولَا ذى قَلَازِمَ عِندَ الحِياضِ　　　إذا ما الشَّرِيبُ أَرَابَ الشَّريبا ٢٧٦

---

(١) الصلت : المنجرد الماضى فى الضريبة . شباة كل شئ : حده .

(٢) فى المجالس : « قتيلا منهم » .

(٣) الحمل : أن يحمل عن القوم دياتهم وغرمهم ، ومايحمله هو الحمالة ، كسحابة .

(٤) ل : « فلم أفهم » .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « ولم تتعد ولم تظلم » .

(٦) تعكظ القوم تعكظا : تحبسوا لينظروا فى أمورهم .

(٧) القعقاع بن شور ، ترجم فى (١ : ٤٧) .

(٨) ما عدا ل : « إن أمروا بخير » . والمطراق : الكثير الإطراق ، وهو السكوت.

(٩) سبق البيتان فى (١ : ٥٧ ، ٦٨) . وفى الأصول : « بزميجة » . وانظر ما مضى من التحقيق والشرح .

وقال حَجْل بنُ نضْلة (١) :

جاء شقيقٌ عارضاً رُمْحَهُ ... إنّ بَنى عمِّكَ فيهم رِماحْ (٢)
هَلْ أحْدَثَ الدَّهرُ لنا نكبةً ... أم هل رَقَتْ أمُّ شقَيقٍ سِلَاحْ (٣)

وقال (٤) :

ويلُ امِّ لذَّاتِ الشَّبابِ مَعيشةً ... مع الكُثْرِ يُعطاهُ الفتى المُتْلفُ النَّدِ (٥)
وقد يَقصرُ القُلُّ الفتى دُونَ هَمِّه ... وقد كانَ لوْلَا القُلُّ طَلَّاعَ أنجُدِ (٦)

---

(١) فى معاهد التنصيص (١ : ٢٧) : « وأما حَجْل بن نضلة فهو أحد بنى عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر » . هـ : « جحل » .

(٢) شقيق : اسم رجل . عارضا رمحه : واضعاً رمحه عرضاً مفتخراً بتصريف الرماح ، مدلا بشجاعته . والبيت من شواهد البلاغة ، يستشهد به البلاغيون لتنزيل غير المنكر للشئ منزلة المنكر له ، إذا ظهر عليه شئ من أمارات الإنكار .

(٣) رقت ، من الرقية ، وهى العُوذة التى يرقَّى بها صاحب الآفة . فكأنها رقت سلاحه وأحدثت به ضرباً من السحر لتضعف إصابته أو يبطل أثره . وانظر الأغانى (١٢ : ٤٩) ما عدا ل : « رفت » . وفى معاهد التنصيص : « رمت » .

(٤) القائل علقمة بن عبدة الفحل . ديوانه ١٣٥ . والبيتان فى الحماسة (٢ : ٥٢) بدون نسبة ، ونسبهما التبريزى فى شرحها إلى خالد بن علقمة الدارمى ، وكذا جاءت نسبتهما فى اللسان (قلل) . أما فى (نجد) فقد نسبا أيضاً إلى حميد بن أبى شحاذ الضبى ، وهذه هى نسبة الأعلم الشنتمرى فى حماسته . وفى الخزانة (١ : ٥٦٣) نسبتهما إلى خالد بن علقمة بن عبدة ، أو عبد الرحمن بن على بن عبدة ، حفيد علقمة ، وثانى البيتين فى إصلاح المنطق ٣٩ ، ٥٦ ، ١٨٨ ، ٤٠٢ والمخصص (١٣ : ٦٧) بدون نسبة .

(٥) ويل آم ، من صيغ التعجب السماعية ، المنقولة من الدعاء عليه ، مثل « قاتله الله » فيرى بعضهم أنها « ويل لأم » ثم خففت بحذف اللام الأولى والهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام الثانية ، وبعضهم يذهب أنها « وى لِأمّ » ، ثم حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام . انظر اللسان (ويل) والخزانة (١ : ٥٦٣) . و « وى » فى هذا التقدير بمعنى أعجب . الكثر ، بالضم : المال الكثير . وروى : « يعطاها » بعود الضمير على المعيشة . الفتى : السخى الكريم . والمتلف : المفرق لماله . والندى : السخى . وياء الندى خفيفة ، وحكى كراع تثقيلها ، فوزنها فعل أو فعيل . اللسان (ندى) .

(٦) يقصر : يحبس : وروى : « يعقل » أى يحبس . والقل ، بالضم : المال القليل . الأنجد : جمع النجد ، وهو ما أشرف من الأرض وارتفع . طلاع أنجد ، أى قادراً على السمو والارتفاع إلى معالى الأمور . وبعد هذا البيت فى ديوان علقمة :

وقد أقطع الخرق المخوف به الردى ... بعنس كجفن الفارسى المسرد
كأن ذراعيها على الخل بعد ما ... ونين ذراعا ماتح متجرد

وقال الآخر (١):

قامَتْ تُخاصِرُنى بقُبَّتِها ... خَوْدٌ تأطَّرُ غادةٌ بِكْرُ
كلٌّ يَرى أنّ الشّبابَ لَه ... فى كلِّ مُبْلغِ لذَّةٍ عُذْرُ

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة ، وهو من قديم الشعر وصحيحه :

أَلَا إنّما هذا السُّلالُ الذى تَرى ... وإدْبارُ جسمى مِنْ رَدَى العَثَراتِ (٢)
وكم من خليلٍ قد تجلّدْتُ بَعدَهُ ... تَقطَّعُ نفسى بَعده حَسَراتِ (٣)

وقال الطرِمّاحُ فى هذا المعنى :

وشَيَّبَنى أن لَا أزالُ مُناهِضاً ... بغيرِ ثَراً أسْرُو به وأَبُوعُ (٤)
أَمُخْتَرِمِى رَيْبُ المَنُونِ ولم أَنَلْ ... مِنَ المالِ ما أَعصِى بهِ وأُطِيعُ

وقال الأضبَطُ بنُ قُرَيع (٥) :

لِكلِّ هَمٍّ مِن الهُمومِ سَعَهْ ... والمُسْىُ والصُّبحُ لا فَلاحَ مَعَهْ
٢٧٧ فَصِلْ حِبالَ البَعيدِ إنْ وَصَلَ الْـ ... ـحَبْلَ وأَقْصِ القريبَ إنْ قَطَعَهْ
وخُذْ مِنَ الدَّهر ما أتاكَ به ... مَن قَرَّ عيناً بعيشه نفعَهْ (٦)
لا تَحْقِرَنّ الفقيرَ عَلَّكَ أنْ ... تَركَعَ يوماً والدَّهرُ قد رَفَعَه (٧)

---

(١) هو الأحوص ، كما سبق فى (١ : ١٩٨) .

(٢) البيتان فى ص ٢٠٠ من هذا الجزء . السلال ، بالضم : السل . وفيما سبق : « الملال » .

(٣) ما عدا ل : « دونه حسرات » .

(٤) وهذان البيتان سبقا أيضا فى ص ٢٠٠ . وفيما سبق : « بغير قوى أنزو بها » ، وهو دليل على أن الجاحظ يختار المقطوعة الواحدة أحيانا من كتابين مختلفين .

(٥) هو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ذكره السجستانى فى المعمرين ٨ . وانظر بعض أخباره فى الأغانى (١٦ : ١٥٤ – ١٥٥) وأبياته التالية فى المعمرين ، ومجالس ثعلب ٤٨٠ والأمالى (١ : ١٠٧) والأغانى (١٦ : ١٥٤) . وحماسة ابن الشجرى ١٣٧ والخزانة (٤ : ٥٨٩) والمثل السائر (١ : ٢٦) .

(٦) هذا البيت فى ل ، هـ فقط .

(٧) ويروى : « لا تهين الفقير » .

قد يَجمَعُ المالَ غيرُ آكِلِهِ ويأْكُلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعه

وقال أعرابيٌّ ، ونحر ناقة فى حُطْمةٍ أصابتهم (١) :

أَكَلْنا الشَّوَى حتى إذا لم نجِدْ شَوًى أشَرْنا إلى خَيراتِها بالأصابِع (٢)
ولَلسَّيفُ أحْرَى أن تُباشِرَ حَدَّهُ من الجوعِ لا تُثْنَى عليه المضاجع (٣)
لَعَمْرُكَ ما سَلَّيْتَ نفساً شَحِيحةً عن المالِ فى الدُّنيا بمثلِ المجاوِع (٤)

وقدّم ناقةً له أخرى إلى شجرة ليكون المحتطَب قريباً من المنحَر ، فقال :

أدنيْتُها من رأْسِ عَشَّاءَ عَشَّةٍ مُفصَّلةِ الأفنانِ صُهْبٍ فُرُوعُها (٥)
وقُلْتُ لها لَمّا شَدَدْتُ عِقالها وبالكفِّ مُمْهاةٌ شديدٌ وُقوعُها (٦)
لقد غنِيَتْ نفسى عليكِ شَحِيحةً ولكن يُسَخِّى شَحَّةَ النفسِ جُوعُها (٧)

وقال أُسقُفُ نجران (٨) :

---

(١) الحطمة ، بفتح الحاء وضمها : السنة الشديدة تحطم كل شئ .

(٢) الشوى : رُذَال المال وصغاره . وأنشد هذا البيت فى مقاييس اللغة والجمهرة (شوى) والمخصص (١٤ : ٢٩ / ١٥ : ١٦٦) . وهو وتاليه فى اللسان (شوى) .

(٣) فى البيت إقواء . يقول : نحر الناقة خير من الجوع الذى يذهب الرقاد . ل : « يباشر حده » ، وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « بمثل مجاوع » .

(٥) كذا جاء البيت بالخرم فى أوله . العشّاء ، وصف لم يرد فى المعاجم المتداولة ، وأما العشة ، بفتح العين ، فهى الشجرة الدقيقة القضبان . ومادة الكلمتين واحدة . مفصلة الأفنان : مفرقة الفروع . والصهب : جمع أصهب وصهباء ؛ والصهبة : حمرة أو شقرة .

(٦) ممهاة : قد أُحِدَّت شفرتها ورققت .

(٧) غنى ، هنا بمعنى أقام . قال الله عز وجل : (كأن لم يغنوا فيها) ؛ أو بمعنى كان ، كما فى قول مهلهل :

غنيت دارنا تهامة فى الدهـ ـر وفيها بنو معد حلولا

ما عدا ل ، هـ : « عنيت » تحريف .

(٨) الأسقف : رئيس من رؤساء النصارى . وكذا نسب الشعر فى الحيوان (٣ : ٨٨) . ونسب فى العقد (٢ : ١٢٢) إلى عابد نجران . وفى معجم المرزبانى ٣٣٩ إلى القمقام بن العباهل ، وهو تبع الثانى أو الثالث ، ملك حضرموت واليمن . وفى معاهد التنصيص (٢ : ١٢١) والصناعتين ١٩٢ إلى بعض ملوك اليمن . وانظر خبراً متعلقاً بالشعر فى زهر الآداب (٣ : ١٨٣) وأمالى القالى (٣ : ٢٩) .

مَنعَ البَقاءَ تصرُّفُ الشَّمْس   وطُلوعُها من حيْثُ لا تُمْسِى
وطُلوعُهــا بَيضاءَ صافيَــةً   وغُرُوبُهـا صفـراءَ كالـوَرْسِ
اليَـومُ نعلَـمُ مايَجــىءُ به   ومضَى بفَصْلِ قضائِه أمْسِ

وقال الآخر (١) :

وهُلْكُ الفتَى أنْ لا يَرَاحَ إلى النَّدَى   وأنْ لا يَرى شيئاً عَجيباً فيَعْجَبَا (٢)
ومَن يتَتبَّعْ منِّىَ الظَّلعَ يَلْقنِى   إذا ما رآنى أصلعَ الرَّأْسِ أشْيَبا (٣)

وقال سُحَيمُ بنُ وَثيل الرِّياحىُّ (٤) : ٢٧٨

تقولُ حَذْراءُ ليس فيكَ سِوَى الخَمْـ   ـرِ مَعيبٌ يَعيبُــه أحَــدُ (٥)
فقلتُ أخْطَأْتِ بَلْ مُعاقرَتى الخَمْـ   ـرَ وبَذْلى فيها الَّذى أجِـدُ (٦)

---

(١) سبق البيتان كذلك بدون نسبة فى ص ٢٤٢ ، وهما لعلى بن الغدير الغنوى ، كما فى الأمالى (٢ : ١٨١) .

(٢) راح يراح : أخذته أريحية وخفة وفرحة . والندى : الكرم . وانظر خبراً يتعلق بهذا البيت فى الأغانى (١٨ : ٤٥) .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « يبتغى منى الطلاعة » تحريف .

(٤) هو سحيم بن وثيل بن أعيقر بن أبى عمرو بن إهاب بن حميرى بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن تميم . شاعر مخضرم ، أدرك فى الجاهلية أربعين سنة ، وفى الإسلام ستين وهو صاحب القصة المشهورة فى المعاقرة . وذلك أن أهل الكوفة أصابتهم مجاعة فخرج أكثر الناس إلى البوادى ، فعقر غالب بن صعصعة والد الفرزدق لأهله ناقة صنع منها طعاماً وأهدى منه إلى ناس من تميم ، فأهدى إلى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذى أتى بها ، ونحر لأهله ناقة ، ثم تفاخرا فى النحر حتى نحر غالب مائة ناقة ، ولم تكن إبل سحيم حاضرة ، فلما جاءت نحر ثلاثمائة ناقة . وكان ذلك فى خلافة على بن أبى طالب ، فمنع الناس من أكلها وقال : « مما أهلّ به لغير الله » ، فجمعت لحومها على كناسة الكوفة ، فأكلها الكلاب والعقبان والرخم . انظر النقائض ٤١٤ – ٤١٨ والأمالى (٣ : ٥٢ – ٥٤) ومعجم البلدان (٥ : ٣٩٥) والخزانة (١ : ٤٦١ – ٤٦٣) . ووثيل بفتح الواو من الوثالة ، وهى الرجاحة . وضبط فى الإصابة ٣٦٦٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ بالتصغير خطأ . انظر الاشتقاق ١٣٨ والخزانة (١ : ١٢٨) .

(٥) حذراء : اسم امرأة . والمعيب : العيب ، ومثله المعاب ، كما فى اللسان . ما عدا ل : « معاب » ، وهذه أيضا هى رواية عيون الأخبار (١ : ٢٥٩) .

(٦) معاقرة الخمر : إدمان شربها .

هُوَ الثَّناءُ الذى سَمِعتِ به   لا سَبَدٌ مُخْلِدِى ولا لَبَدُ (١)
ويْحَكِ لولا الخمورُ لم أَحْفِلِ العَيْـ   ـشَ ولا أن يضُمَّنى لَحَدُ (٢)
هى الحَيَا والحَيَاةُ واللَّهوُ لا   أنتِ ولا ثَرْوَةٌ ولا وَلَدُ

وقال عبدٌ راعٍ (٣) :

غضبَتْ عَلَىَّ لأَنْ شَرِبْتُ بِجِزَّةٍ   فلئِنْ أَبَيْتِ لأَشرَبَنْ بخَرُوفِ (٤)
ولئـن نطَـقْتِ لأشْرَبَـنَّ بنعجـةٍ   حَمْراءِ من آلِ المُذَالِ سَحُوفِ (٥)

وقال :

نَاحتْ رُقَيَّةُ من شاةٍ شَرِبْتُ بها   ولا تَنوحُ على ما يأكُلُ الذِّيبُ

---

(١) لا سبد ولا لبد ، أى لا قليل ولا كثير ، قيل أصل السبد ذو الشعر ، واللبد ذو الصوف الذى يتلبد ، يكنى بهما عن المعز والضأن .

(٢) المعروف « اللحد » بفتح اللام وضمها ، وهو شق فى جانب القبر يوضع فيه الميت . وتحريك حائه لضرورة الشعر .

(٣) اشترى ذلك الأعرابى خمراً بجزة من صوف ، فغضبت عليه ، فقال الشعر متحديا لها . انظر أمالى القالى (١ : ١٥٠) وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٠٧ . ورواية الأبيات فيهما :

غضبت على لأن شربت بصوف   ولئن غضبت لأشربن بخروف
ولئن غضبت لأشربن بنعجة   دهساء مائلة الإناء سحوف
ولئن غضبت لأشربن بناقة   كوماء ناوية العظام صفوف
ولئن غضبت لأشربن بسابح   نهد أشم المنكبين منيف
ولئن غضبت لأشربن بواحدى   ولأجعلن الصبر منه حليفى
ولقد شهدت الخيل تعثر بالقنا   وأجبت صوت الصارخ الملهوف
ولقد شهدت إذا الخصوم تواكلوا   بخصام لا نزق ولا علفوف

وروى السيوطى عن ابن الأنبارى أن امرأته أجابته فقالت :

ما إن عتبت لأن شربت بصوفة   أو أن تلذ بلقحة وخروف
فاشرب بكل نفيسة أوتيتها   وملكتها من تالد وطريف
وارفع بطرفك عن بنىّ فإنه   من دونه شغب وجدع أنوف

وروى السيوطى أيضاً أن قائل الشعر الأول هو ذو الرمة .

(٤) الجزة ، بالكسر : ما يجز من صوف الشاة فى كل سنة . وأورد ابن هشام فى المغنى (فصل اللام) رواية ابن جنى : « فلإذ » شاهدا على غرابة ذلك فى اللام الموطئة .

(٥) من آل المذال ، أى هى من نسل ذلك الكبش المسمى بالمذال . سحوف : كثيرة السحائف ، وهى طبقات الشحم .

وقال أبو حَفْص القُرَيعى :

قد تغرَّبتُ للشَّقاوةِ حِيناً   حينَ بُدِّلتُ بالسعادة نُوقا [١]
يومَ فارَقتُ بَلْدَتى وقَرارى   وتبدَّلتُ سوءَ رَأْيٍ ومُوقا [٢]
لَيْتَ عِندى بخَير مِعزاىَ عَشْرٍ   طَيْلَساناً مِن الطِّرازِ عَتيقا [٣]
وبخَمْسٍ مِنهُنَّ أيضاً قميصاً   سابريًّا أَمِيسُ فيه رَقيقا [٤]
قد هجرْتُ النَّبيذَ مُذْ هُنَّ عِندى   وتمَزَّزْتُ رِسْلَهُنَّ مَذِيقا [٥]
فوجَدْتُ المَذِيقَ يُوجِعُ بَطْنِى   ووَجدتُ النَّبيذَ كان صَدِيقا ٢٧٩
يَعِدُ النَّفْسَ بالعشىِّ مُناهَا   ويَسُلُّ الهُمُومَ سَلاًّ رَفيقا

* * *

وكان فتًى طيِّب [٦] من وُلد يقطينَ لا يصحو ، وكان فى أهله روافض يخاصمون فى أبى بكر وعمر ، وعثمان وعلىّ ، وطلحة والزبير ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فقال :

رُبَّ عُقَارٍ باذَرَنْجِيَّةٍ   اصْطَفْتها من بيتِ دِهْقانِ [٧]

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « للسعادة » ، تحريف . والنُّوق : جمع ناقة .

(٢) الموق ، بالضم : الحمق .

(٣) عشر ، أى بعشر منها . ما عدا ل : « عشراً » . الطيلسان : كساء مدور أخضر ، لحمته أو سداهُ من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، معرب من « تالسان » الفارسية . والطراز : الجيد من كل شئ ، وما ينسج من الثياب للسلطان . والعتيق : البالغ النهاية فى الجودة .

(٤) السابرى : الرقيق الذى يستشف ما وراءه .

(٥) التمزز : شرب الشراب قليلا قليلا . والرسل ، بالكسر : اللبن . والمذيق : الممذوق ، وهو المخلوط بالماء .

(٦) الطيب : الفكه المزاح . انظر ماسبق فى ص ١١٥ .

(٧) العقار ، بالضم : الخمر . باذرنجية : نسبة إلى نبت يسمى « باذرنجويه » ، له زهر أحمر عطر ، ذكره داود فى تذكرته . والدهقان ، بكسر الدال وضمها : التاجر ، فارسى معرب .

جَنْـدَرْتُ أرواحـاً وطَيِّبَتُهـا   بَعدَ اتّساخٍ طالَ فى الحانِ (١)
سَكْتًا وسَلْتًا لم نَخُضْ فى أذًى   مِن قَتْلِ عُثمان بن عَفانٍ (٢)
ولا أبى بكْـرٍ ولا طَلْحَـــةٍ   ولا زُبيـــــــرٍ يومَ عُثمانِ
اللهُ يَجزيهِـــمْ بأعمالِهِـــمْ   لَيْسَ علينا عِلْـمُ ذا الشّانِ

وقال المُنَخَّلُ اليَشكُرِىُّ (٣) :

ولقـد شربتُ مِن المُـدَا   مةِ بالقلِيـل وبالكثِيـرِ (٤)
ولقـد شربتُ مِن المُـدَا   مَةِ بالصَّغير وبالكبيـــرِ
ولقد شربتُ الخمـرَ بالـ   ـخَيلِ الإناثِ وبالذكـورِ
فإذا سَكِـــرْتُ فإنّنــــى   رَبُّ الخوَرْنَقِ والسَّديرِ (٥)

---

(١) الجندرة : أصلها جندرة الكتاب ، وهى أن يمر القلم على ما درس منه ، أو أن يعيد وشى الثوب بعد ذهابه . والحان : حانوت الخمر . ولم تذكر المعاجم هذه الكلمة على كثرة ورودها فى شعر أبى نواس ، وإنما ذكرت « الحانة » . وقال أبو نواس :

فى حلبة الحان جان خلفه شهب   مبادر راعه شخص بأنفار

ديوانه ٢٧٨ . وقال :

نحن فى حان تاجر عندنا اللهـ   ـو بحِلم لم نمتزجه بطيش

ديوانه ٣٠١ . وقال فى الحان ، بمعنى الحانى ، وهو الخمار المنسوب إلى الحانة :

إلى بيت حان لا تهر كلابه   على ولا ينكرن طول ثوائى

ديوانه ٦٢ .

(٢) السكت : السكوت . والسلت : قبضك على شئ أصابه قذر ولطخ فتسلته عنه سلتا .

(٣) المنخل بن مسعود (أو ابن عبيد) بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكرى . شاعر جاهلى قديم ، كان يشبب بهند أخت عمرو بن هند ، وكان يتهم أيضاً بامرأة لعمرو بن هند ، وكان نديما للنعمان بن المنذر . وكان النعمان دميما أبرش قبيحاً ، والمنخل من أجمل العرب ، فكان المنخل يرمى بالمتجردة زوج النعمان . ويتحدث العرب أن ابنى النعمان منها كانا من المنخل . فقتله النعمان . الشعراء (٣٦٤ - ٣٦٦) والمؤتلف ١٧٨ والأغانى (٩ : ١٥٨ - ١٥٩ / ٨ : ١٥٢ - ١٦٢) وتاج العروس (٨ : ١٣١) .

(٤) هذا البيت من ل ، هـ . والقصيدة بتمامها فى الأصمعيات ٥٢ - ٥٥ بتحقيقنا مع الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، والحماسة (١ : ٢٠٢) ، والأغانى (١٨ : ١٥٥ ، ١٥٦) .

(٥) الخورنق : معرب من « خُورَنكاه » ، تفسيره موضع الأكل أو الشرب . و « خُورنَ » مأخوذ من « خورنَدَن » مصدر بمعنى الأكل أو الشرب . و « كاه » =

وإذا صَحَوْتُ فإننى　　رَبُّ الشُّوَيهةِ والبعيرِ
يارُبَّ يومٍ لِلْمُنَـ　　ـخَّلِ قدْ لها فيه قَصيرِ

وقال بعضهم لزائرٍ له ورآه يُومِئ إلى امرأته ، وهو أبو عَطاءٍ السندىّ [1] :

٢٨٠ كُلْ هَنيئاً وما شَرِبْتَ مَريئاً　　ثمْ قُم صاغراً فغَيْرُ كَريمِ [2]
لا أُحِبُّ النَّديمَ يُومِضُ بالعَيْـ　　ـنِ [3] إذا ما خلا [4] بعِرْسِ النديمِ

وقال الآخر [5] ، وتعرّضت له امرأة صاحبه :

رُبَّ بيْضاءَ كالقضيبِ تَثَنَّى　　قد دعتْنِى لوَصْلِها فأبيْت
ليس شأنى تحرُّجاً غيْـرَ أنّـى　　كنتُ نَدْمانَ زوجِها فاستحَيتُ [6]

وقال الآخر :

فلا واللهِ لا أُلْفَى وشَرْباً　　أُنازِعهم شراباً ما حَييتُ [7]

= بمعنى الموضع والمكان ، كان بظهر الحيرة ، بناه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، بناه له رجل رومى يدعى « سنمار » ، ولما أتم بناءه فى ستين سنة راق النعمان فقال : ما رأيت مثل هذا البناء قط ! فقال سنمار : إنى أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله . فقال النعمان : أيعرفها أحد غيرك ؟ قال : لا . قال : لا جرم لأدعنَّها وما يعرفها أحد . ثم أمر فقذف به من أعلى القصر ، فقتل . فقال العرب فى ذلك المثل : « جزاء جزاه سنمار » . والسدير : قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر قد اتخذه لبعض ملوك العجم ، وهو بهرام جور ، كما فى معجم استينجاس ٦٦٤ . وهو بالفارسية « سه دِلّى » أى ذو ثلاث غرف . « سِهْ » بمعنى ثلاثة . و « دلى » بمعنى غرفة . وفى معجم نفيسى (فرهنك نفيسى) ص ١٨٦٤ : « سِدِلّى » : ...... خانه أى كه داراى سه أطباق باشد » ، أى بناء مكون من ثلاث غرف . والمعاجم العربية تفسر « دلى » بأنه الباب ، أو القبة .

(١) ترجم فى (١ : ٣٨٢) . والبيتان التاليان فى الأغانى (١٦ : ٨٤) والكامل ١٣ ليبسك .

(٢) فى الأغانى : « وأنت ذميم » . ورواية الجاحظ تطابق رواية المبرد .

(٣) فى الأغانى : « يومض بالطرف إذا خلا لعرس النديم » .

(٤) فى الكامل وحواشى هـ : « إذا ما انتشى » بدل : « إذا ما خلا » .

(٥) هذه الكلمة من ل فقط .

(٦) الندمان ، بالفتح : النديم ، وأصل النديم الصاحب على الشراب .

(٧) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين ، اسم جمع الشارب . ومنازعة الكأس : معاطاتها . قال الله تعالى : (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم) ، أى يتعاطون .

ولا واللهِ ما أُلفَى بلَيْلٍ أُراقِبُ عِرْسَ جارى مابَقيتُ
سأترُكُ ما أخافُ عَلَىَّ منهُ مَقالتَهُ وأجْمَلُهُ السُّكوتُ
أبى لِى ذاكَ آباءٌ كرامٌ وأجدادٌ بمجْدِهِمُ رَبيتُ

وقال السُّحيمىّ :

ما لِىَ وَجْهٌ فى اللّئامِ ولا يَدٌ ولكنَّ وجْهِى فى الكرامِ عريضُ (١)
أهَشُّ إذا لاقيْتُهم وكأنَّنى إذا أنا لاقيتُ اللّئامَ مَريضُ (٢)

وقال ابن كُناسة (٣) :

فىَّ انقِباضٌ وحِشْمةٌ فإذَا لاقيتُ أهلَ الوَفاءِ والكَرَمِ (٤)
خَلَّيتُ نفسى على سَجِيَّتِها وقُلْتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتشِمِ (٥)

* * *

وقال عبد الرحمنِ بنُ الحكَم (٦) :

وكأسٍ تَرَى بين الإناءِ وبينَها قَذَى العَيْنِ قد نازَعْتُ أُمَّ أبانِ (٧) ٢٨١

---

(١) بالخرم ، وفيما عدا ل ، هـ : « ومالى » . والبيتان فى عيون الأخبار (٣ : ٢٧) .

(٢) فى عيون الأخبار : « أصح » موضع « أهش » .

(٣) محمد بن كناسة ، ترجم فى ص ٥٧ من هذا الجزء .

(٤) البيتان من أصوات الأغانى (١٢ : ١٠٥) .

(٥) الأغانى : « أرسلت نفسى » . وروى أبو الفرج أن إسحاق الموصلى قال لابن كناسة حين أنشده هذين البيتين : « وددت أنه نقص من عمرى سنتان وأنى كنت سبقتك إلى هذين البيتين فقلتهما » .

(٦) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، شاعر إسلامى كان يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . وهو القائل لمعاوية حين استلحق زياداً :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل الهجان
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان

الأغانى (١٢ : ٦٩ – ٧٣ / ١٣ : ١٤٤ – ١٤٨) .

(٧) الأبيات فى الكامل ٧٣ ليبسك . وفى جمهور النسخ : « بين الأنام وبينها » ، صوابه فى هـ والكامل . وقد أراد بالكأس الخمر . وقذى العين : مثل فى الصغر والقلة والخفاء . يصف شدة صفائها .

تَرَى شارِبَيْها حِينَ يَعتَقِبانِها   يَميلانِ أحياناً ويَعتَدِلانِ (١)
فما ظَنُّ ذا الوَاشِى بأبْيَضَ ماجِدٍ   وبَدَّاءَ خَوْدٍ حيـنَ يلتَقِيـانِ (٢)

وقال رمّاح بنُ مَيّادة (٣) – وكان الأصمعى يقول : خُتِم الشعر بالرماح . وأظنُّ النابغةَ أحدَ عمومته : –

أَلَا رُبَّ خَمَّارٍ طَرَقتُ بِسُدْفِةٍ   مِن الليلِ مُرتاداً لنَدْمانىَ الخَمْرَا (٤)
فأَنهلتُـهُ خمراً وأَحْلِـفُ أنّهـا   طِلاءٌ حلالٌ كى يُحمِّلَنى الوِزْرَا (٥)

وقال آخر (٦) :

ولقد شَرِبتُ الخمرَ حتَّى خِلْتُنِى   لمّا خرجْتُ أجُرُّ فضْلَ المِئزَرِ
قابُوسَ أو عَمْرَو بنَ هندٍ قاعِداً   يُجْبَى له ما بينَ دَارةِ قَيْصرِ (٧)
فى فتيَةٍ بيضِ الوُجوهِ خَضارِمٍ   عند النِّدَامِ عَشيرُهُم لم يَخْسَرِ (٨)

---

(١) فى الكامل : « حين يعتورانها » .
(٢) البداء : الكثيرة لحم الفخذين . والخود ، بالفتح : الفتاة الحسنة الخلق الشابة .
(٣) ميادة أمه ، وهو الرماح بن أبرد . ترجم فى (٢ : ٢٢٤) .
(٤) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب ، يكون واحداً وجمعاً .
(٥) الطلاء ، بالكسر : ماطبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه .
(٦) نسب الشعر فى الكامل ٧٢ إلى أعرابى . وفى حماسة ابن الشجرى ٢٣ إلى أفعى بن جناب .
(٧) قابوس ، هو قابوس بن المنذر بن عمرو بن المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر بن النعمان ابن امرئ القيس . وأمه هند بنت الحارث ، وعمرو بن هند أخوه . مروج الذهب (٢ : ٩٩) ، والعمدة (٢ : ١٧٩) . دارة قيصر ، كذا وردت فى الأصول ، وفى الكامل أيضاً : « ما دون دارة قيصر » ، ولم أجد لها ذكراً فى المعاجم وكتب البلدان . وفى حماسة ابن الشجرى : « ما دون دارة صرصر » وليس لها ذكر كتلك . وقد اقتصر المبرد على إنشاد هذين البيتين .
(٨) الخضارم : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء ، وهو الجواد الكثير العطية ، شبه بالخضرم ، وهو البحر الكثر الماء . والندام : مصدر كالمنادمة . وبدل هذا البيت فى الحماسة :

ولقد رميت الخيل لما أقبلت   بأغر من ولد الشموس مشهر

وقال ابنُ مَيَّادة :

وَمُعتَّقٍ حُرِمَ الوَقُودَ كَرَامَةً … كدَمِ الذَّبيحِ تمُجُّه أوداجُه (١)
ضَمِنَ الكُرومُ لهُ أوائلَ حَمْلِه … وعلى الدِّنانِ تَمامُه ونَتَاجُه (٢)

وأنشد اللائحُ لبعض الرّوافض :

إذا المُرْجِئُّ سرَّك أنْ تَرَاهُ … يموتُ بدائه مِن قَبْلِ مَوْتِه (٣)
فَجَدِّدْ عِنْدَه ذِكرىٰ عَلِيٍّ … وصلِّ عَلَى النبيِّ وأهلِ بيتِه

* * *

وقال بعضُهم فى البرامكة (٤) :

إذا ذُكِرَ الشِّرْكُ فى مجلِسٍ … أنَارَتْ وُجوهُ بَنى بَرْمَكِ ٢٨٢
وإنْ تُلِيَتْ عندَهُمْ آيـةٌ … أتَوْا بالأحاديثِ عَن مَرْوَكِ (٥)

وقال آخر :

لعن الله آلَ برمكَ إنّى … صرتُ مِن أجْلِهِمْ أخا أسفارِ

---

(١) المعتق : الشراب القديم . حرم الوقود : لم يطبخ بالنار .

(٢) يقال ولد لتمام وتمام ، بكسر التاء وفتحها ، أى تمام مدة الحمل . والنتاج بالفتح : مصدر نتج الناقة ، إذا ولى نتاجها .

(٣) المرجى بتشديد الياء : نسبة إلى المرجية ، وهم فرقة يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة . سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصى ، أى أخره عنهم . وفى اللسان : « والمرجئة يهمز ولا يهمز ، وكلاهما بمعنى التأخير وتقول من الهمز رجل مرجئ وهم المرجئة ، وفى النسبة مرجئى ... وإذا لم تهمز قلت رجل مرج ومرجية ومرجى » .

(٤) فى عيون الأخبار (١ : ٥١) : « وقال الأصمعى فى البرامكة » . والبرمك : اسم لكل من ولى سدانة « النوبهار » ، وهو بيت مقدس ببلخ ، وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك وترجع إلى حكمه وتحمل إليه الأموال . وكان خالد بن برمك جد البرامكة ، مِن ولدِ مَن كان على هذا البيت . مروج الذهب (٢ : ٢٣٨) .

(٥) ما عدا ل : « سورة » بدل « آية » . ومروك ، كذا ورد فى جميع النسخ وعيون الأخبار ، وفى حواشى هـ : « مروك : اسم رجل من الأعاجم له فى الأعاجم تواليف » . وصوابه : « مزدك » . ومزدك : صاحب المزدكية ، خرج فى أيام قباذ بن فيروز ، فبدل شريعة زرادشت ، واستحل المحارم ، وسوى بين الناس فى الأموال والنساء والعبيد ، فكثر أتباعه وعظم شأنه ، وتبعه قباذ نفسه ، ولم يزل كذلك حتى ولى كسرى أنو شروان فقتله ونكّل بأتباعه . مروج الذهب (١ : ٢٦٣ – ٢٦٤) ، والطبرى وابن الأثير .

إنْ يكُ ذُو القَرْنَيْنِ قد مَسَحَ الأرْ ضَ فإنِّـى مُوَكَّـلٌ بالعِيـارِ (١)

وقال آخر :

إنّ الفـــراغَ دَعـــانى إلى ابتناء المساجِدْ (٢)
وإنّ رَأْيـــــــىَ فيها كرأيِ يحيى بنِ خالِدْ

وقال أبو الهول (٣) فى جعفر بن يحيى بن خالد :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضَّرْبِ فى طَلَبِ العُرْفِ إلى الكَلْبِ (٤)
إذا شكا صَبٌّ إليه الهوَى قال له : مالى وللصَّبِّ (٥)
أغْنى فتًى يُطعَنُ فى دِينِهِ يَشِبُّ معهُ خشب الصَّلْبِ (٦)
قد وقَّح السبَّ له وجهَه فصارَ لا ينحاش للسبِّ (٧)

وقال رجل شآمٍ (٨) :

أبَعْـدَ مَرْوانَ وبعـدَ مَسْلمَـه (٩) وبعدَ إسحاقَ الذى كانَ لُمَهْ (١٠)

---

(١) مسح الأرض مسحاً ومساحة : ذرعها وقاسها . والعيار : مراجعة الميزان والمكيال ، ويلحق بهما مراجعة المساحة .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار (١ : ٥١) .

(٣) أبو الهول كنيته شهر بها ، واسمه عامر بن الرحمن الحميرى ، كان شاعراً مقلا . قال ابن النديم : له شعر يبلغ خمسين ورقة . وله مدائح فى المهدى والهادى والرشيد والأمين . ابن النديم ٢٣٢ وتاريخ بغداد ٦٦٨٢ .

(٤) الأبيات فى الحيوان (١ : ٢٦٠ – ٢٦١) والعمدة (١ : ٤٠) .

(٥) ما عدا ل : « إذا اشتكى » .

(٦) فى العمدة : « يطعن فى ديننا » . وكان هذا البيت تطيرا منه على جعفر .

(٧) هذا البيت من ل فقط ، وموضعه فى الحيوان بعد البيت الأول .

(٨) ما عدا ل : « من أهل الشام » .

(٩) هما مروان بن الحكم ، ومسلمة بن عبد الملك .

(١٠) وإسحاق هذا هو إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس . كان من أولى الأقدار العالية ، ولى لهارون المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى لمحمد الأمين حمص وأرمينية ، ومات ببغداد . تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) . اللمة ، بضم اللام وفتح الميم : المثل والند والشبيه ؛ ويقال أيضاً بتشديد الميم .

صارَ علَى الثَّغْرِ فُرَيخُ الرَّخَمَه (١)   إنَّ لنـا بفِعْـل يحيى نَقِمَـه (٢)
مُهلكــةً مُبيرةً مُنتقِمـــــه (٣)   أكلاً بنى بَرْمَكَ أكْلَ الْحُطَمه (٤)
إنَّ لهذا الأُكْلِ يوماً تُخَمه   أيسَرُ شئٍ فيه حَزُّ الغَلْصَمه (٥)

وقال الشاعر (٦) :

مارَعَى الدهرُ آلَ برمَكَ لمَّا   إنْ رَمَى مُلكَهُم بأمرٍ فظيعِ (٧) ٢٨٣
إنّ دهراً لم يَرْعَ حقًّا ليَحْيٰى   غيرُ راعٍ ذِمامَ آلِ الرَّبيعِ (٨)

وقال سهلُ بنُ هارون فى يحيى بنِ خالد :

عَدُوُّ تِلَادِ المالِ فيما يَنُوبهُ   مَنُوعٌ إذا مامَنْعُه كان أحْزَما (٩)
مُذَلِّلُ نَفْسٍ قد أبت غيرَ أن تَرى   مَكارِهَ ماتأتى مِن الحقِّ مَغْنَما

وقال إسحاق بن حسان (١٠) :

مَن مُبلِغٌ يحيى ودُونَ لِقائه   زَبَراتُ كلِّ خُنابِسٍ هَمْهامِ (١١)

---

(١) فريخ : مصغر فرخ . والرخمة : طائر يعدُّه العرب مثلا فى اللؤم والحمق . ما عدا ل ، هـ : « فريج » تحريف .

(٢) النقمة ، بفتح فكسر : لغة فى النقمة بالكسر ، وهما المكافأة بالعقوبة .

(٣) مبيرة : مهلكة . ما عدا ل ، هـ : « منيرة » تحريف .

(٤) الحطمة : النار الشديدة تحطم ما تلقى . (٥) الغلصمة : رأس الحلقوم .

(٦) هو أبو حزرة الأعرابى ، أو أبو نواس . انظر مروج الذهب (٣ : ٢٩١) .

(٧) وكذا فى مروج الذهب . وفى ل : « فضيع » بالفاء والضاد ، وصحة هذه « فظيع » . وفى هـ : « بديع » .

(٨) مروج الذهب : « حقا لآل الربيع » .

(٩) التلاد : المال القديم والموروث . ينوبه : يعتريه من الحقوق . والبيت فى الحيوان (٣ : ٤٦٦) . وهو وتاليه فى الحيوان (٥ : ٦٠٤) . وبينهما

فسيان حالاه ، له فضل منعه   كما يستحق الفضل إن هو أنعما

(١٠) سبقت ترجمته فى (١ : ١١ ، ١١٥) . ما عدا ل : حسان بن حسان » تحريف ، وأشير فى هـ إلى رواية « إسحاق بن حسان » . والأبيات مع هذه النسبة فى تاريخ الطبرى (١٠ : ٦٠) .

(١١) زَبَرات : جمع زبرة بالفتح ، وهى المرة من زبره زبراً : زجره وانتهره الطبرى : « زأرات » . أسد خنابس : جرىء شديد . وأشير فى هـ إلى أنها فى نسخة : « خلابس » . والهمهام من الهمهمة ، وهو تردد الزئير فى الصدر .

يا راعىَ السلْطانِ غيرَ مُفرِّطٍ ... فى لِينِ مُختَبَطٍ وطِيبِ شِمامِ (١)
يُعذِى مَسارحَهُ ويُصفِى شِرْبَهُ ... ويَبِيتُ بالرَّبَوَاتِ والأعلامِ (٢)
حتى تبحبَحَ ضارباً بجِرَانِه ... ورستْ مَراسيهِ بدارِ سلامِ (٣)
فى كلِّ ثَغرٍ حارِسٌ مِن قَلبِهِ ... وشُعاعُ طَرفٍ لا يُفتِّرُ سامِ (٤)

وهذا شبيه بقول العتّابىّ فى هارون :

إمامٌ له كفٌّ يَضُمُّ بَنانُها ... عصا الدِّينِ ممنوعاً من البَرْىِ عودُها (٥)
وعَينٌ مُحيطٌ بالبريَّةِ طَرْفُها ... سَواءٌ عليهِ قُرْبُها وبَعِيدُها
وأَصْمَعُ يَقْظانٌ ، يَبِيتُ مُناجِياً ... لهُ فى الحَشا مُستَودَعاتٌ يَكيدُها (٦)
سَميعٌ إِذَا ناداهُ مِنْ قَعْرِ كُرْبَةٍ ... مُنادٍ كَفَتْهُ دَعْوَةٌ لَا يُعيدُها

وقال أيضاً كُلثومُ بنُ عَمْرٍو العَتّابى (٧) :

٢٨٤ تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الغِنَى باهِلِيَّةٌ ... زَوَى الدَّهرُ عَنها كُلَّ طِرفٍ وتالِدِ (٨)

---

(١) المختبط : مصدر من اختبطه ، سأله بلا وسيلة ولا قرابة ولا معرفة . الطبرى (١٠ : ٦٠) : « مغتبطة » . والشمام : مصدر شامت الرجل ، إذا قاربته ودنوت منه . الطبرى : « مشام » .

(٢) ل : « يعدى مسارحه » ، ما عدا ل : « يغدى » ، صوابهما من هـ والطبرى . تعذى : تصير عذية ، أى طيبة بعيدة من الوخم . يقال صفا الرجل الشئ : أخذ صفوه ، كما فى اللسان .

(٣) هذا ما فى هـ . وفى ل : « تحنحح » ما عدا ل : « ينحنح » . وفى الطبرى « تنخنخ » . يقال تنخنخ البعير : برك ثم مكن لثفناته من الأرض . والضمير للسلطان ، وهو الحكم . وضرب بجرانه : استقر واستقام . وذلك أن البعير إذا برك واستراح مد جرانه على الأرض ، أى عنقه .

(٤) فى الطبرى : « فكل ثغر حارس من قلبه » .

(٥) سبق البيتان الأول والثانى فى ص ٤٠ من هذا الجزء .

(٦) الأصمع : القلب المتيقظ الذكى . يكيدها : يعالجها .

(٧) الأبيات التالية فى الحيوان (٤ : ٢٦٥) وعيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) وزهر الآداب (٣ : ٣٩) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) والأغانى (١٢ : ٨ – ٩٨) واللسان (برد) وغرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٧ وديوان المعانى (١ : ١٣) .

(٨) فى الأغانى : وكانت تحته امرأة من باهلة فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد =

رأتْ حَوْلَهاَ النِّسوانَ يرْفُلنَ فى الكُسَا … مُقلَّـدةً أجيادُهـا بالقلائـــدِ (١)
يَسُرُّكِ أنِّى نِلْتُ ما نال جعفرٌ … مِن المُلكِ أو ما نالَ يحيى بنُ خالِدِ
وأنَّ أميرَ المُؤمنينَ أغَصَّنِى … مُغصَّهُما بالمُرهَفاتِ البوارِدِ (٢)
ذَرِينى تجئْنى مِيتتى مطْمئِنَّــةً … ولم أتــجَشَّمْ هَوْلَ تِلْك المَوَارِدِ (٣)
فإنَّ كريمَـاتِ المعالِــى مشُوبــةٌ … بِمُستودَعاتٍ فِى بُطونِ الأسَاوِدِ (٤)

وقال الحسن بن هانئ :

عجبْتُ لهارون الإمامِ ومـا الـذّى … يُروِّى ويرجُو فيكَ يا خِلْقة السُّلْقِ (٥)
قَفـاً خَلـفَ وَجْـهٍ قد أُطِيـلَ كأنَّـهُ … قفا مَلِكٍ يقضِى الحقوقَ على بَثْقِ (٦)

= أخذ الأموال فحلى نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعا وأنت هنا كما ترى ! فأنشأ يقول » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص . ما عدا ل : « طوى الدهر » . الطرف : الطارف المستحدث من المال . والتالد : القديم .

(١) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٢) الحيوان : « أعضّنى معضهما » . المرهفات : السيوف المرققات . والبوارد : التى تثبت فى الضريبة لا تنثنى . وهم يمدحون السيف بذلك. قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة … إذ قيل مهلا قال حاجزه قد

(٣) ما عدا ل : « ولم أتقحم » .

(٤) فى الزهر : « فإن رفيعات المعالى » . الحماسة : « رفيعات الأمور » . العقد : « وجدت لذاذات الحياة » . الأغانى : « رأيت رفيعات الأمور » . ديوان المعانى : « وإن جسيمات الأمور » . وهو مثل من أمثلة تصرف الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وفى محاضرات الراغب (١ : ٢١٣) أن العتابى أخذ قوله هذا من ابن المقفع ، وذلك أنه سئل : لم لا تطلب الأمور العظام ؟ فقال : رأيت المعالى مشوبة بالمكاره ، فاقتصرت على الخمول ضنا بالعافية .

(٥) الأبيات فى الحيوان (١ : ٢٣٨ ، ٢٦٣) والديوان ١٧٣ والشعراء ٧٩٠ وعيون الأخبار (١ : ٢٧٣) . يهجو بها جعفر بن يحيى البرمكى . السلق ، بالكسر : الذئب . الديوان : « ايود ويرجو » . الشعراء : « يرجى ويبغى » . والتروية : التفكر والنظر .

(٦) ملك ، كذا وردت فى الأصل والشعراء . وفى الديوان والحيوان : « مالك » . ما عدا ل ، هـ : « يقضى الهموم » . البثق : منبعث الماء ، وهو بفتح الباء وكسرها . فى الديوان وبعض نسخ الحيوان : « ثبق » . والثبق : إسراع دمع العين وجريان الماء .

وأَعْظَمُ زَهـواً مِن ذبـابٍ على خِراً   وأَبْخَلُ مِن كلبٍ عَقورٍ على عَرْقِ (١)
أَرَى جعفـراً يزدادُ بُخْـلًا ودِقَّـةً   إذَا زَادهُ الرّحمٰنُ فى سَعَة الـرِّزقِ (٢)
ولَوْ جاءَ غَيرُ البُخْلِ مِن عِندِ جَعفرٍ   لما وَضَعُوهُ الناسُ إلّا على الحُمْقِ (٣)

ولما أنشد ابنُ أبى حَفْصَةَ (٤) الفضلَ بن يحيى بن خالد :

ضَرَبتَ فلا شُلَّتْ يَدٌ خالديَّةٌ   رَتَقْتَ بها الفتقَ الذى بين هاشِمِ

قال له الفضلُ : قل : « فلا شُلَّت يد برمكيَّة » ؛ فخالد كثير ، وليس برَمكُ إلّا واحداً .

وقال سَلْمٌ (٥) فى يحيى ، ويحيى يومئذ شابٌّ :

وفَتًى خَلاَ مِن مالِهِ   ومِنَ المُروءَةِ غيرُ خالِ
٢٨٥ وإذَا رَأَى لكَ مَوعِداً   كان الفَعالُ مع المَقالِ (٦)
للهِ دَرُّكَ مِنْ فَتـًى   ما فيكَ مِنْ كَرمِ الخِلالِ
أعطاكَ قَبلَ سُؤالِه   فكفاكَ مكْرُوهَ السؤالِ

ومن جيِّد ماقيل فيهم (٧)

لِلفضْلِ يَوْمُ الطَّالَقانِ ، وقَبْلَه   يومٌ أناخَ بهِ على خَاقانِ (٨)

---

(١) ل : « خر » . العرق ، بالفتح : العظم الذى قد أخذ عنه أكثر لحمه .

(٢) الدقة : الحقارة والصغر .

(٣) وضعوه ، جاءت على لغة أكلونى البراغيث

(٤) مروان بن أبى حفصة ، ترجم فى (١ : ٦٣) .

(٥) سلم بن عمرو الخاسر ، المترجم فى ص ٢٥٢ من هذا الجزء . ومن عجب ما ذكره ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٣ : ١٨٨) حيث زعم أن معاوية كان يتمثل بالبيت الأول والرابع من هذه الأبيات .

(٦) الفعال ، بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٧) القائل هو أبو ثمامة الخطيب ، كما فى الطبرى (١٠ : ٥٥) . وقد أعطاه الفضل بعد إنشادها مائة ألف درهم ، وخلع عليه ، وتغنى بها إبراهيم الموصلى .

(٨) الطالقان ، بفتح اللام : هى طالقان الرى بين قزوين وأبهر ، من بلاد طبرستان . وكان الفصل بن يحيى قد ولاه الرشيد كور الجبال ، وطبرستان ، ودنباوند ، وقومس ، وأرمينية =

ما مِثْلُ يَوْمَيْهِ اللَّذَيْنِ تَوَالَيا ... فى غَزْوَتَيْنِ حَواهما يَوْمَانِ
عَصَمَتْ حُكومَتُه جماعةَ هاشِمٍ ... مِن أنْ يُجرَّدَ بينَها سَيفانِ
تِلكَ الحُكومةُ لا الَّتى عَنْ لَبْسِها ... عَظُمَ الثَّأَى وتفرَّقَ الحُكْمانِ [١]

وقال الحسنُ بنُ هانئ ، فى جعفر بن يحيى :

ذاك الوَزيرُ الَّذى طالتْ عِلاوَتُه ... كأنَّهُ ناظرٌ فى السَّيفِ بالطولِ [٢]

ذكروا أن جعفر بن يحيى كان أول من عرَّض الجُرُبَّانات [٣] لطول عنقه .

* * *

وقال مَعْدَانُ الأعمى ، وهو أبو السَّرِيِّ الشُّميطىّ [٤] :

يومَ تُشْفَى النفوسُ مِن يَعْصُرِ اللُّؤْ ... م ويُثنَى بِسامةَ الرَّحَّالِ
وعدِيٍّ وتَيْمِها وثَقيفٍ ... وأُمَيٍّ وتَغْلِبٍ وهِلالِ
لا حَرُورًا ولا النَّوابتُ تنجُو ... لا ولا صَحبُ واصِلِ الغزَّالِ [٥]
غيرَ كَفتِى ومَن يلُوذُ بكفتِى ... فهُمُ رَهْطُ الأَعْوَر الدَّجَّال [٦]

= وأذربيجان ، وذلك فى سنة ١٧٦ . والفضل هذا هو ابن يحيى بن خالد ، أخو جعفر بن يحيى ورضيع هارون الرشيد . ولما غضب الرشيد على البرامكة وقتل جعفراً خلد الفضل فى الحبس مع أبيه يحيى ، فلم يزالا محبوسين حتى ماتا فى حبسهما ، مات الفضل قبل موت الرشيد بشهور سنة ١٩٢ . ومما يؤثر عنه أن الزوار كان يسمون فى عصره « السؤال » فقال الفضل ، لكرمه : سموهم الزوار . فلزمهم هذا الاسم . تاريخ بغداد ٦٧٨٢ . وخاقان . جاء فى القاموس : « اسم لكل ملك خقَّنه الترك على أنفسهم ، أى ملكوه ورأسوه » .

(١) الثأى : الفساد والأمر العظيم يقع بين القوم .

(٢) العلاوة : أعلى الرأس ، أو أعلى العنق .

(٣) الجربان ، بضم الجيم والراء ، وبكسرهما : جيب القميص ، أو لبنته ، وهى رقعة تعمل موضع الجيب . معرب من الفارسية : « كريبان » . اللسان والقاموس والمعرب ٩٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٦ .

(٤) ما عدا ل : « السميطى » تحريف . وقد مضت ترجمة معدان فى (١ : ٢٣) حيث سبقت الأبيات الثلاثة الأولى من هذه المقطوعة ؛ والبيت الخامس والسادس فى مقاتل الطالبيين ٤١٩ .

(٥) النوابت : جمع نابتة ، وهم أصحاب المذاهب الناشئة . ما عدا ل : « ولا النوائب » .

(٦) هو المسيح الدجال ؛ سمى مسيحاً لأنه ممسوح العين ، وسمى الدجال لتمويهه على الناس =

وبَنو الشَّيْخِ والقتيلُ بفَخٍّ   بَعْدَ يحيى ومُوتِمِ الأَشْبالِ (١)
٢٨٦ سَنَّ ظُلْمَ الإمامِ فى القومِ بِشْرٌ   إنَّ ظُلْمَ الإمامِ ذو عُقَّالِ (٢)

وقال الكميت :

آمَتْ نِسَاءُ بَنى أُمَيَّةَ مِنهُمُ   وبنُوهُمُ بمَضِيعَةٍ أُيْتَامُ (٣)

= وتلبيسه وتزيينه الباطل . وأنشدو :

ه إذا المسيح يقتل المسيحا ه

هو عيسى بن مريم يقتل الدجال بنيزكه ، وهو رمح قصير . اللسان (مسح ، دجل) .

(١) فخ : واد بمكة ، قتل به الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، خرج يدعو إلى نفسه فى ذى القعدة ١٦٩ ، وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة ، وخرج إلى مكة ، فلما كان بفخ لقيته جيوش بنى العباس ، وعليهم العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، فالتقوا يوم التروية من سنة ١٦٩ ، فقتل هو وجماعة من عسكره وأهل بيته وذلك فى أيام موسى الهادى . معجم البلدان (فخ) والطبرى (١٠ : ٢٤ - ٣٢) والبداية والنهاية (١٠ : ٤٠) والمعارف ١٦٦ والفخرى ١٧١ ومقاتل الطالبيين ٤٣١ ، ويحيى هذا هو يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وكان قد خرج فى أيام هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد . وقتله عيسى مولى عيسى بن سليمان العنزى سنة ١٢٥ . الطبرى (٨ : ٢٩٩ - ٣٠١) والمعارف ٩٥ وابن الأثير (٥ : ١٠٧ - ١٠٨) ومقاتل الطالبيين ١٥٢ - ١٥٨ . وموتم الأشبال ، هو عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وكان قد خرج عليه لبؤة معها أشبالها ، منصرفَهُ من باخمرى ، وجعلت تحمل على الناس فنزل عيسى وأخذ سيفه وترسه ثم نزل إليها فقتلها . مقاتل الطالبيين ٤١٩ . مات عيسى فى أيام المهدى .

(٢) فى مقاتل الطالبيين : « زيد » بدل « بشر » ، وهو الصواب ، فإن القصيدة كما قال أبو الفرج يعيب فيها معدان الشميطى – وهو من شعراء الإمامية – من خرج من الزيدية . كما أن الصواب أن يكون هذا البيت سابقا للبيت الذى قبله ، كما فى مقاتل الطالبيين . والإمام الذى يعنيه هو الإمام الذى يقول به الشميطية ، أتباع يحيى بن شميط ، وهم إحدى فرق الإمامية . قالوا : إن الإمام جعفر بن محمد الصادق قال : « إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم » . وقد قال له والده : « إن ولد لك ولد فسميته باسمى فهو الإمام » . فالإمام الذى يؤمنون به ، هو محمد بن جعفر الصادق . الملل والنحل (٢ : ٣) ومفاتيح العلوم ٢٢ . وأما « زيد » الذى هو الصواب فى « بشر » فهو إمام الزيدية ، وهو زيد بن على بن الحسين ، وأتباعه يسوقون الإمامة فى أولاد فاطمة عليها السلام ، ولم يجوزوا ثبوت إمامة فى غيرهم . وجعفر الصادق هو جعفر بن محمد بن على بن الحسين الأصغر بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر . الملل (١ : ٢٠٧) والمواقف ٦٢٨ والفرق بين الفرق ١٦ والاعتقادات للرازى ٥٢ وابن النديم ٢٥٣ ومفاتيح العلوم ٢١ .

(٣) الأبيات فى الأغانى (١٥ : ٥٨) ومروج الذهب (٣ : ٢٩٥) منسوبة إلى أبى العباس الأعمى . آمت : صارت أيامى ، مات عنها أزواجها .

نامَتْ جُدُودُهُمُ وَأُسقِطَ نَجْمُهُمْ والنَّجمُ يَسقُطُ وَالجُدودُ تَنامُ (١)
خَلَتِ المَنابر والأَسِرَّةُ مِنْهُمُ فَعليْهِمُ حَتَّى المَماتِ سَلامُ (٢)

وقال خليفة ، أبو خلف بن خليفة (٣) :

أعْقِبِى آلَ هاشِمٍ يا أُمَيَّا جعلَ اللهُ بيْتَ مالِكِ فَيَّا (٤)
أنْ عَصَى اللهَ آلُ مَرْوانَ والعا صِى لقد كان لِلرّسُولِ عَصِيَّا

وقال الرَّاعى فى بنى أمية :

بنى أُمَيَّةَ إنَّ اللهَ مُلحِقُكمْ عمَّا قَلِيلٍ بعثمانَ بنِ عَفّانِ

وقال خلف بن خليفة :

لو تصفَّحتَ أولياءَ عليٍّ لم تجد فى جميعهم باهليّا

* * *

وقال كعبٌ الأشْقَرِيُّ (٥) لعمر بن عبد العزيز :

إنْ كنتَ تحفظُ ما يَليكَ فإنما عُمَّالُ أَرضِكَ بالبلادِ ذِئابُ
لن يستجيبُوا لِلَّذى تدعُو لهُ حتَّى تُجلَّدَ بالسُّيوفِ رِقابُ (٦)
بأَكُفِّ مُنْصلِتينِ أَهلِ بصائرٍ فى وقعْهنَّ مَزاجِرٌ وعِقابُ (٧)

---

(١) الجد ، بالفتح : الحظ . فى الأغانى : ومروج الذهب : « نيام » وما هنا صوابه .

(٢) الأسرَّة : جمع سرير ، يعنى سرير الملك وعرشه .

(٣) سبقت ترجمة خلف بن خليفة فى (١ : ٥٠) . ونسب الشعر فى اللسان (٢ : ١٠٩) إلى سديف . شاعر بنى العباس . وفيه : « ياميا » تحريف .

(٤) يقول : انزلى عن الخلافة حتى يركبها بنو هاشم فتكون العقبة لهم ، أى النوبة . انظر اللسان (عقب ١٠٩) . فيا : مسهل فيئا . والفىء : الغنيمة .

(٥) كعب بن معدان الأشقرى ، ترجم فى (١ : ٣٢١) .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « حتى يجلد » . وتجلد : تضرب ، وأصل الجلد والتجليد ضرب الجلد .

(٧) المنصلت : الماضى فى الأمر . البصائر : جمع بصيرة ، وهى العلم ، واليقين ، والثأر ، وكل ما يلبس من السلاح كالترس والدرع . والمعنى يحتمل كلا منها . الضمير فى « وقعهن » للسيوف .

هلاَّ قُرَيش ذُكِّرتْ بثُغُورِها حزمٌ وأحْلامٌ هُناكَ رِغابُ (١)
٢٨٧ لوْلَا قُرَيْشٌ نَصرُهَا ودِفاعُها أُلْفِيتُ مُنْقَطِعاً بِىَ الأَسْبابُ

فلما سمع هذا الشعر قال : لمن هذا ؟ قالوا : لرجل من أزْد عمان ، يقال له كعب الأشقرىّ ! قال : ما كنت أظنُّ أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر .

قال أبو اليقظان (٢) : وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال :

إنَّ الَّذِين بَعثْتَ فى أَقْطارِها نبذُوا كتابَكَ واستُحِلَّ المَحرَمُ
طُلْسُ الثِّيابِ على منابِرِ أرضِنا كُلٌّ يجورُ وكلّهُمْ يتظَلَّمُ (٣)
وأَردتَ أَن يَلِىَ الأَمانَةَ منهُمُ عَدلٌ ، وهيهاتَ الأَمِينُ المُسلِمُ

* * *

وكان زيد بن عليّ كثيراً مايتمثَّل بقول الشاعر (٤) :

شرَّدهُ الخوفُ وأُزرَى بهِ كذاكَ من يَكرهُ حَرَّ الجِلادْ
مُنخَرِقُ الخفَّين يشكُو الوجَى تَنكُبهُ أَطْرافُ مَرْوٍ حِدَادْ
قد كان فى الموتِ له راحة والموت حتمٌ فى رقاب العبادْ

وقال عبد الله بن كثِير السَّهمىّ (٥) ، وكان يتشيَّع ، لولادةٍ كانت نالته .

---

(١) ما عدا ل : « ذكروا » ، ل : « بشعورها » بدل : « بثغورها » ، والوجه ما أثبت الأحلام : العقول . رغاب : جمع رغيب ، وهو الواسع .

(٢) أبو القيظان ، هو سحيم بن حفص ، المترجم فى (١ : ٤١) .

(٣) طلس : جمع أطلس . والطلسة : غبرة إلى سواد ، يعنى قذارة الثياب ، وهو كناية عن عدم العفة ، كما أن طهارة الثوب ونقاءه كناية عن العفة . تظلمه حقه : ظلمه إياه .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، كما فى حواشى الجزء الأول ص ٣١١ ، حيث سبقت الأبيات وتفسيرها . يقولها حين لقى ما لقى من الطلب والهرب ، وما كان من مصرع طفل له هوى من يد مرضعته على الجبل فتقطع . الطبرى (٩ : ١٩١) .

(٥) هو عبد الله بن كثير بن المطلب بن أبى وداعة السهمى ، من بنى سهم بن عمرو بن هصيص . وهو من ثقات المحدثين ، توفى سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب . والذى فى الحيوان (٣ : ١٩٤) : « وقال كثير أو غيره من بنى سهم » . وفى معجم المرزبانى ٣٤٨ أن الشعر التالى لكثير بن كثير السهمى ، قاله حين كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسَبِّ على .

وسمع عمّالَ خالد بن عبدِ اللهِ القسْرِيّ يلعنون عليًّا والحسينَ على المنابر :

لَعن اللهُ مَن يَسُبُّ عليًّا … وحسيناً من سُوقةٍ وإمامِ
أيُسَبُّ المُطَيَّبونَ جُدوداً … والكِرامُ الأخْوال والأعمامِ (١)
يأْمنُ الظبىُ والحمامُ ، ولا يأْ … مَنُ آلُ الرَّسولِ عندَ المَقامِ (٢)
طِبتَ بيتاً وطاب أهلُكَ أهلًا … أهلُ بيتِ النَّبىِّ والإسلامِ
رحمةُ اللهِ والسَّلامُ عليهِمْ … كلَّما قام قائمٌ بِسَلامِ ٢٨٨

وقال حين عابوه بذلك الرَّأى :

إنَّ امرأً أمْست مَعايبُهُ … حُبَّ النَّبىِّ لَغيرُ ذِى ذَنبِ
وبَنِى أبِى حسَنٍ ووالِدِهِمْ … مَن طَابَ فى الأرْحَامِ والصُّلْبِ
أيُعَدُّ ذَنباً أن أُحِبَّهُمُ … بل حُبُّهُمْ كفَّارةُ الذَّنبِ

وقال يزيدُ بنُ أبى بكرِ بن دَأْبٍ اللَّيثِى :

اللهُ يَعلمُ فى علىٍّ عِلمَهُ … وكَذَاكَ علمُ اللهِ فى عثمانِ

وقال السيِّدُ الحِمْيَرِىُّ (٣) :

إنِّى امرُؤٌ حِمَيرِىٌّ غيرُ مُؤْتَشَبٍ … جَدِّى رُعَينٌ وَأخوالِى ذَوُو يَزَنِ (٤)
ثُمَّ الوَلاءُ الّذى أرْجُو النَّجاةَ بِهِ … يومَ القيامةِ لِلهادِى أبى الحَسَنِ (٥)

---

(١) المطيبون : المطهرون . فى معجم المرزبانى : « أتسب المطيبين » ، بالخطاب .

(٢) المقام : الحرم جميعه ، أو هو الحجر الذى قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت ، وفيه أثر قدمه كما يروون ، وهو أسود وأكبر من الحجر الأسود .

(٣) مضت ترجمته فى (٢ : ١٦٨) .

(٤) فى القاموس : « هو مؤتشب ، بالفتح ، أى غير صريح فى نسبه » . رعين ، هو ذو رعين ، ملك من ملوك اليمن . ورعين : حصن له . وذو يزن أراد أبناء ذى يزن . وذو يزن : والد سيف بن ذى يزن ، وكان سيف أحد ملوك اليمن ، وهو الذى استنقذ اليمن من حكم الحبشة وطغيانهم ، بمعاونة كسرى أنوشروان ، واستخدم سيفٌ بعض الحبشة فخلوا به يوما وهو فى متصيد له فقتلوه .

(٥) يعنى على بن أبى طالب ، أبا الحسن والحسين .

وقال ابنُ أُذينَةَ (١) :

سَمينُ قُريشٍ مانعٌ منْكَ لَحْمَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ وَغَثُّ قُرَيْشٍ حيْثُ كان سمينُ

وقال ابنُ الرُّقَيَّاتِ (٢)

ما نَقَمُوا مِنْ بَنى أُمَيَّةَ إلَّا ‏ ‏ ‏ ‏ أنَّهُمْ يَحلُمُونَ إن غَضِبُوا (٣)

وأنَّهُمْ مَعدِنُ الملوكِ ولا ‏ ‏ ‏ ‏ تَصلُحُ إلَّا عليهِمُ العربُ (٤)

وقال عُرْوَةُ بنُ أُذَيْنَةَ :

إذا قريشٌ تَوَلَّى خَيرُ صالحِها ‏ ‏ ‏ ‏ فاسْتَيْقِنَنَّ بأن لا خير فى أحدِ

٢٨٩ رهْطُ النَّبىِّ وأَوْلَى الناسِ مَنزلةً ‏ ‏ ‏ ‏ بِكلِّ خَيرٍ وأَثْرَى الناسِ فى العَدَدِ

وقال حسَّانُ بن ثابت ، يرثى أبا بكر الصِّدِّيقَ رضى الله تعالى عنه (٥) :

---

(١) هو عروة بن يحيى ، وأذينة لقب لأبيه . شاعر مقدم من أهل المدينة ، ويعد فى الفقهاء والمحدثين أيضا ، لكن غلب عليه الشعر . وترجمته مستفيضة فى الأغانى (٢١ : ١٠٥ – ١١١) والشعراء ٥٦٠ والمؤتلف ٥٤ واللآلئ ٢٣٦ . وترجمهُ ابن خلكان عرضا فى أثناء ترجمة سكينة بنت الحسين .

(٢) سبق تحقيق اسمه وترجمته فى (٢ : ٢٧٨) .

(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ٧٠ . والبيتان من أصوات الأغانى (٤ : ١٥٩) . ويروى أبو الفرج أن هذا البيت كان سببا فى إنقاذه من موت محقق قضى به عليه عبد الملك بن مروان ، إذ قيل له : إن قتلته لغضبك عليه أكذبته فيما مدحكم به . قال : فهو آمن . وأن هذا البيت أيضا كاد يودى بقينة مغنية فى حضرة الرشيد ، لولا أن تداركت أمرها فأعادته فغنت :

ما نقموا من بنى أمية إلا ‏ ‏ ‏ ‏ أنهم يجهلون أن غضبوا

وأنهم معدن النفاق فما ‏ ‏ ‏ ‏ تفسد إلا عليهم العرب

(٤) معدن الملوك : أى أصولهم . ومعدن كل شئ : المكان الذى يكون فيه أصله ومبدؤه ، نحو معدن الذهب والفضة والجوهر .

(٥) كذا يقول الجاحظ ، وهو ظاهر ما ينطق به الشعر ، إذ أنه فى أسلوب الرثاء والحديث فى أمر مضى . لكن صاحب جمهرة أشعار العرب ١٣ يذكر أن الشعر مدح لأبى بكر فى حياته ، ويرفع الحديث إلى عبد الله بن مسعود ، قال : « بلغ النبى ﷺ أن قوما نالوا أبا بكر بألسنتهم ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، ليس أحد منكم آمَنَ على فى ذات يده ونفسه من أبى بكر ، كلكم قال لى كذبت وقال لى أبو بكر صدقت ، فلو كنت متخذا خليلا لاتخذتُ أبا بكر خليلا . ثم التفت إلى حسان فقال : هات ما قلت فىَّ وفى أبى بكر ، فقال حسان ... » . وأنشد الأبيات ، وأنشد بعد البيت الأخير : =

إذا تذَكَّرْتَ شَجواً مِن أخِى ثِقَةٍ   فاذكُرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فَعلا (١)
التَّالِىَ الثَّانِىَ المحمودَ مَشهدُهُ   وأوَّلَ الناسِ مِنهمْ صَدَّقَ الرُّسُلا
وثانِىَ اثنينِ فى الغارِ المُنيفِ وقد   طاف العدُوُّ بهِ إذْ صَعَّدَ الجبَلا
وكان حِبَّ رسولِ اللهِ قد عَلِموا   خَيْرِ البَرِّيةِ لم يَعدِلْ به رَجُلَا (٢)

وقال بعض بنى أسد :

لمَّا تَخيَّرَ ربِّى فارْتَضى رَجُلًا   مِنْ خَلْقِهِ كانَ مِنَّا ذلكَ الرجُلُ (٣)
لَنا المساجدُ نَبنِيها ونَعْمُرُهَا   وفى المَنابرِ قِعْدَانٌ لنَا ذُلُلُ

وقال يزيدُ بن الحكَم بنِ أبى العاص ، فى شأن السَّقيفة (٤) :

قدِ اخْتصَمَ الأقْوَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ   فَسَائلْ قُرَيْشاً حِينَ جَدَّ اخْتصامُها

=   خير البرية أتقاها وأرأفها   بعد النبى وأوفاها بما حملا

فقال رسول الله : صدقت ياحسان ، دعوا لى صاحبى . قالها ثلاثا . وانظر ديوان حسان ٢٩٩ .

(١) فى الجمهرة ، « من أخ ثقة » . وفى الديوان : « من أخى ثقة » . يقول : إذا تذكرت ما يحزنك من تجنى من تثق به وتركن إليه ، فاذكر أخاك أبا بكر ، فإنه ينسيك بكريم فعاله ما لقيته من عقوق غيره .

(٢) الحب ، بالكسر : الحبيب . وعبر بكلمة « كان » هنا ، مريداً بها على الدوام ، بمعنى لم يزل ، كما فى قول الله تعالى : « وكان الله سميعاً بصيراً » . لم يعدل به : لم يجعله عدلا له ومساويا .

(٣) منا ، أى من مضر . والأسديون هم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، يجتمعون مع رسول الله ﷺ فى خزيمة بن مدركة .

(٤) انظر ما مضى فى الكلام على السقيفة فى ص ٢٩٦ . ويزيد هذا هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبى العاص الثقفى . وقيل إن « عثمان » عمه لا جده . وهو أحد شعراء الدولة الأموية . مر به الفرزدق وهو ينشد فى أحد المجالس شعراً فقال : من هذا الذى ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ وكان الحجاج قد ولاه كورة فارس ودفع إليه العهد ، فلما دخل ليودعه قال : أنشدنى بعض شعرك – وإنما أراد أن ينشده مديحاً له – فأنشده قصيدته التى يفخر فيها بآبائه :

وأبى الذى سلب ابن كسرى راية   بيضاء تخفق كالعقاب الطائر

فغضب الحجاج وارتجع منه العهد ، وخرج يزيد عنه مغضباً إلى سليمان بن عبد الملك فأنصفه ، وأجرى له عشرين ألفاً مادام حيا . الأغانى (١١ : ٩٦ – ١٠٠) ، والشعراء وخزانة الأدب (١ : ٥٤ – ٥٦) .

أَلَمْ تَكُ مِنْ دُونِ الخَلِيقَةِ أُمَّةٌ ... بِكفِّ امرِئٍ مِنْ آلِ تَيْمٍ زِمَامُها (١)
هَدىَ اللهُ بالصِّديقِ ضُلَّالَ أُمَّةٍ ... إِلَى الحَقِّ لَمَّا ارْفَضَّ عَنها نِظامُها

وقالت صَفِيَّةُ (٢) فى ذلك اليوم :

قد كانَ بَعْدَكَ أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ ... لوْ كُنْتَ شاهِدَها لم تكثُرِ الخُطَبُ (٣)
إنَّا فَقَدناكَ فَقدَ الأرضِ وَابِلَها ... واختَلَّ قَومُكَ فاشْهَدهُمْ فقد سَغِبوا (٤)

وقال الفَرَزدَق :

صَلَّى صُهَيبٌ ثلاثاً ثُمَّ أَسْلَمَها ... إلى ابنِ عَفَّانَ مُلكاً غيرَ مَقصورِ (٥)

---

(١) يعنى أبا بكر الصديق ، وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن مرة بن كعب بن لؤى .

(٢) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله ﷺ ، ووالدة الزبير بن العوام . وذكر ابن حجر فى الإصابة أن صفية قالت هذه المرثية حين قبض الرسول . وروى أن لها مرثية أخرى فى سيرة ابن إسحاق ، منها :

لفقد رسول الله إذ حان يومه ... فياعين جودى بالدموع السواجم

ومرثية أخرى فيها :

إن يوماً أتى عليك ليوم ... كورت شمسه وكان مضيا

وكانت صفية وأخواتها : برة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، كلهن شواعر ، روى لهن ابن هشام فى السيرة ١٠٨ - ١١١ . على أن هذه المرثية البائية رويت فى اللسان (هنبت) منسوبة إلى فاطمة رضى الله عنها أيضاً .

(٣) الهنبثة : واحدة الهنابث ، وهى الأمور الشدائد المختلفة . ب : « وهنبسة » . جـ « وهنبشة » ، صوابهما فى ل ، هـ والتيمورية . والشاهد : الحاضر .

(٤) اختل القوم : احتاجوا وافتقروا . والسغب : شدة الجوع . ورواية اللسان : « فاشهدهم ولا تغب » ، وفيه الإقواء وضعف المعنى .

(٥) صهيب هذا ، هو صهيب بن سنان ، أحد الصحابة ، والذين كانوا يلازمون رسول الله فى مشاهده وغزواته وسراياه ، وهو المعروف بصهيب الرومى . وكان عمر قد أوصى قبل موته أن يصلى عليه صهيب ، وأن يصلى بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام . وتوفى سنة ٣٨ وهو ابن سبعين . الإصابة ٤٠٩٩ .

٢٩٠ ولايَةً مِنْ أبى حَفْصٍ لِثالِثِهِمْ … كانوا أَخِلَّاءَ مَهْدِيٍّ ومَحْبورِ (١)

وقال مزرّدُ بنُ ضِرارٍ (٢) يرثى عمرَ بنَ الخطّاب رضى الله تعالى عنه :

عليكَ السّلامُ مِنْ إمَامٍ وبارَكتْ … يَدُ اللهِ فى ذَاكَ الأديمِ المُمَزَّقِ (٣)
قَضَيتَ أُموراً ثمَّ غادَرْتَ بَعْدَهَا … بوائِقَ فى أكمامِها لم تُفَتَّقِ (٤)
وما كُنتُ أَخشى أَنْ تكون وفاتُه … بِكَفَّىْ سَبَنْتَى أَزْرَقِ العينِ مُطْرِقِ (٥)

قال : وسمعوا فى تلك الليلة هاتفاً يقول :

لِيَبْكِ على الإسْلام مَنْ كانَ باكِياً … فقد أوشَكُوا هُلكاً وما قَدُمَ العَهْدُ
وأَدْبَرتِ الدُّنيا وأدبَر خَيرُهَا … وقد مَلَّها مَنْ كانَ يُوقِنُ بالوَعدِ

وعن أبى الجحّاف ، عن مُسلِمٍ البَطِين :

إنّا نُعاقِبُ لا أَبالَكَ عُصبةً … عَلِقوا الفِرَى وبَرَوْا مِنَ الصِّدِّيقِ (٦)
وبَرَوْا سَفَاهاً مِنْ وَزِيرِ نَبِيِّهِمْ … تَبًّا لِمَنْ يبْرَا مِن الفارُوقِ (٧)

---

(١) البيتان مما لم يرو فى ديوان الفرزدق . المحبور : المكرم إكراماً مبالغاً فيه . وفى الكتاب : (أنتم وأزواجكم تحبرون) . ل : « ومحبور » .

(٢) ترجم فى (١ : ٣٧٤) .

(٣) الأبيات تروى للشماخ ، كما فى الحماسة (١ : ٤٥٢ - ٤٥٤) وزهر الآداب (٤ : ١٠٧) ، وتروى أيضا لجزء بن ضرار . قال التبريزى : « وقال أبو رياش : الذى عندى أنه لمزرد أخيه . وقال أبو محمد الأعرابى : هو لجزء بن ضرار أخيه » . وفى الأغانى (٨ : ٩٨) أن هذا الشعر للجن ، قالته قبل أن يقتل عمر بثلاث ، فكان ذلك نعياً له قبل أن يقتل . الحماسة : « جزى الله خيراً من أمير » . والأغانى : « عليك سلام من أمير » .

(٤) البوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية والبلية . وفى الحماسة : « بوائج » ، وهى رواية اللسان (بوج) . والبوائج : البوائق .

(٥) السبنتى : النمر ، عنى به أبا لؤلؤة المجوسى قاتل عمر . أزرق العين ، أى من أعداء العرب ، والعرب تكنى عن أعدائهم بزرق العيون ؛ لأنه صفة لون عيون الروم والعجم . المطرق : المسترخى العين خلقة ، والإطراق صفة من صفات الأفاعى .

(٦) الفرى : جمع فرية ، وهى الكذبة . وبروا ، يقال برأ يبرأ من المرض ، وبرئ يبرأ أيضاً . وقد سهل الهمزة وعامل الفعل معاملة المعتل .

(٧) السفاه ، كسحاب : السفه وخفة الحلم .

إنّى على رَغْمِ العُداةِ لقائِلٌ ... دِنَّا بِدِينِ الصَّادِقِ المَصدُوقِ

وقال الكميت :

فقُلْ لبنى أُميَّةَ حيثُ حَلُّوا ... وإنْ خِفتَ المُهنَّدَ والقَطِيعا [(١)]

أجاعَ اللهُ مَن أشبعتُموهُ ... وأشبَعَ مَن بجَوْرِكُمُ أُجِيعا

بَمَرْضِىٍّ السِّياسةِ هاشِمِيّ ... يكونُ حَيًا لأُمَّتِهِ رَبِيعا [(٢)]

وقال حرب بن المنذر بن الجارود ، وكان يَتَفتَّى ويتشيّع ، فى كلمةٍ له :

٢٩١ فحسْبِى من الدنيا كَفَافٌ يُقيمُنى ... وأثوابُ كَتَّانٍ أَزُورُ بها قبرى [(٣)]

وحُبِّى ذَوِى قُرْبَى النبىِّ محمدٍ ... فما سالَنا إلّا المَودَّةَ من أَجْرِ [(٤)]

* * *

---

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . والقطيع : السوط يقطع من جلد سير ويعمل منه ، يقطعون أربعة سيور ثم يفتلونها ويتركونها حتى تيبس .

(٢) حيا ، أى بمنزلة الحيا ، وهو المطر تحيا به الأرض .

(٣) الكفاف ، كسحاب : القوت على قدر النفقة ، لا فضل فيه ولا نقص .

(٤) يقال سأله يسأله ، وساله يَسَاله ، وساله يسَله ، كلها بمعنى : وهو إشارة إلى قول الله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) .

وجه التدبير فى الكتاب إذا طال

أن يداوِىَ مؤلِّفه نشاطَ القارئ له ، ويسوقَه إلى حظِّه بالاحتيال له . فمِن ذلك أن يُخرجه من شئ إلى شئ ، ومن بابٍ إلى باب ، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفنّ ، ومن جُمهور ذلك العِلم (١) .

وقد يجب أن نذكرَ بعض ما انتهى إلينا من كلام خُلفائنا من وَلَد العباس ، ولو أن دولتَهم عجميّة خُراسانيّة (٢) ، ودولة بنى مَرْوان عربيّة أعرابيّة وفى أجناد شاميّة .

والعرب أوعى لما تسمع ، وأحفظ لما تأتى (٣) ، ولها الأشعار التى تقيِّد عليها مآثرَها ، وتخلِّد لها محاسنَها . وجَرَت من ذلك فى إسلامها على مثل عاداتها فى جاهليّتها ، فبنَت بذلك لبنى مَرْوانَ شرفاً كثيراً ومجداً كبيراً ، وتدبيراً لا يُحصى .

ولو أنّ أهلَ خُراسان حفِظوا على أنفسهم وقائعَهم فى أهل الشام ، وتدبيرَ ملوكهم ، وسياسة كبرائهم ، وما جرى فى ذلك من فرائد الكلام (٤) وشريف المعانى ، كان فيما قال المنصور وما فعل فى أيامه ، وأسّس لمن بَعده ما يَفى بجماعة ملوك بنى مروان .

ولقد تتبّع أبو عُبيدةَ النحوىّ ، وأبو الحسن المدائنىّ ، وهِشام بن الكلبىّ ، والهيثمُ بنُ عَدىّ ، أخباراً قد اختلَفت ، وأحاديث قد تقطّعت ، فلم يدرِكوا إلّا قليلًا من كثير ، وممزوجاً من خالص .

---

(١) ل : « جمهرة ذلك العلم » .

(٢) العجم : خلاف العرب . ما عدا ل : « أعجمية » . والأعجم : من فى لسانه عجمة لا يفصح بالعربية . هـ : « ولولا أن دولتهم » .

(٣) لعلها : « تأثِر » ، أى تروى .

(٤) ل ، هـ : « فوائد الكلام » .

وعلى كلِّ حالٍ فإنّا إذّاصرنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد ، وعبد الملك ابن صالح ، والعباس بن موسى ، وإسحاق بن عيسى (١) ، وإسحاق بن سليمان (٢) ، وأيوبُ بن جعفر (٣) ، وما رواه إبراهيم بن السّندىّ عن السّندىّ (٤) ، وعن صالح صاحب المصلَّى ، عن مشيخة بنى هاشم ومواليهم — عَرفتَ بتلك البقية كثرةَ ما فاتَ ، وبذلك الصحيح أين موضعُ الفساد مما صَنَعه
٢٩٢ الهيثم بن عدىّ ، وتكلّفه هِشامُ بن الكلبىّ .

* * *

وسنذكر جملًا مما انتهى إلينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرهما وإن كنا قد ذكرنا من ذلك طَرَفا ؛ ونقصِد من ذلك إلى التخفيف والتقليل ، فإنه يأتى من وراء الحاجة ، ويُعرَفُ بجملته مراد البقيَّة (٥) .

قال : وكان المنصورُ داهياً أريباً ، مصيباً فى رأيه سديداً ، وكان مقدَّماً فى علم الكلام ، ومكثِراً من كِتاب الآثار (٦) . ولكلامه كتابٌ يدور فى أيدى الورّاقين معروفٌ عندهم . ولمّا همّ بقتل أبى مُسْلم سقَطَ بين الاستبداد برأيه والمشاورةِ فيه ، فأرِقَ فى ذلك ليلتَه ، فلما أصبحَ دعا بإسحاق بنِ مُسْلم العُقيلى ،

---

(١) مضت ترجمة هؤلاء جميعا فى ص ١١٨ من هذا الجزء .

(٢) هو إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو يعقوب الهاشمى ، كان من أولى الأقدار العالية . ولى لهارون الرشيد المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى لمحمد الأمين حمص وأرمينية . ومات ببغداد . تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ، ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) .

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، كان من أعلم الناس بقريش وبالدولة ، وبرجال الدعوة . وكان فى أول أمره على مذهب أبى شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام . انظر مامضى فى (١ : ٩١) .

(٤) ترجمة إبراهيم بن السندى فى (١ : ١٤١) . وأبوه السندى بن شاهك ، بفتح الهاء ، كان ذا منزلة غالبة عند الأمين وأبيه هارون . التنبيه والإشراف ٣٠٢ والجهشيارى ٢٣٦ — ٢٣٧ والمعارف ١٦٩ .

(٥) ل ، هـ : « البغية » .

(٦) الكتاب : الكتابة .

فقال له : حدّثنى حديث الملِك الذى أخبرتنى عنه بحَرَّان (١) . قال : أخبَرَنى أبى عن الحُضَين بن المنذر (٢) أنّ ملكاً من ملوك فارس – يقال له سابورُ الأكبر – كان له وزيرٌ ناصح قد اقتبس أدباً من آداب الملوك ، وشابَ ذلك بفهم فى الدين ، فوجَّهه سابور داعيةً إلى أهلِ خُراسان ، وكانوا قوماً عَجَماً (٣) يعظمون الدنيا جهالةً بالدِّين ، ويُخِلُّونَ بالدِّين استكانةً لقُوتِ الدنيا ، وذُلًّا لجبابرتها ، فجمعهم على دعوةٍ من الهوى يَكيد به مطالبَ الدنيا (٤) ، واغترَّ بقتل ملوكهم لهم وتخوُّلهم إياهم (٥) – وكان يقال : « لكل ضعيف صَولة ، ولكل ذليل دَولة » – فلما تلاحمت أعضاءُ الأمور التى لَقَّحَ ، استحالت حَرْباً عواناً (٦) شالت أسافلُها بأعاليها ، فانتقل العزُّ إلى أَرْذَلِهم (٧) ، والنباهة إلى أخملهم ، فأُشربوا له حبًّا مع خَفْض من الدنيا افتُتِح بدعوة من الدين ، فلما استوسقت له البلاد (٨) بلغ سابورَ أمرُهم وماأحال عليه من طاعتهم ، ولم يأمَنْ زوالَ القلوب وغَدَرات الوُزراء ، فاحتال فى قطْع رجائه عن قلوبهم ؛ وكان يقال :

وما قُطع الرَّجاءُ بمثل يأسٍ تُبادهه القلوب على اغترارِ (٩)

فصمَّم على قتله عند وُروده عليه برؤساء أهل خُراسان وفُرسانهم ، فقتَلَه ، فبغتَهم بحدَثٍ ، فلم يرُعْهم إلّا ورأسُه بين أيديهم ، فوقف بهم بين الغُربة ونأىِ

---

(١) حران : مدينة من جزيرة أقور ، بينهما وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان .

(٢) ترجم فى (٢ : ١٦٩) . ما عدا ل : « الحصين » ، تحريف .

(٣) ل : « عجبا » بالباء .

(٤) يكيد ، هنا ، بمعنى يعالج . كاد الأمر يكيده : عالجه .

(٥) التخول ، أراد به اتخاذهم خولا ، أى عبيدا وخدما . وكلمة « هم » من هـ . ما عدا ل هـ : « وتخوله إياهم » .

(٦) العوان . التى حورب فيها مرة بعد مرة . وأصل العوان : الثيب من النساء .

(٧) أى أضعفهم وأحقرهم .

(٨) استوسقت : اجتمعت . وفى حديث النجاشى : « واستوسق عليه أمر الحبشة » : اجتمعوا على طاعته . ما عدا ل ، هـ : « استوسعت » ، تحريف .

(٩) المبادهة : المفاجأة والمباغتة .

الرَّجعة ، وتخطُّف الأعداء ، وتفرُّق الجماعة ، واليأْسِ مِن صاحبهم ، فرأوا أن يستتموا الدّعوة بطاعة سابور ، ويتعوَّضوه من الفُرقة ، فأذعنوا له بالمُلْك والطاعة ، وتبادَرُوه بمواضع النَّصيحة ، فَملَكهم حتَّى ماتَ حتْفَ أنفِه .

فأطرق المنصور مَلِيًّا ثم رفع رأسَه وهو يقول :

لِذِى الحِلمِ قبلَ اليومِ ما تُقْرَعُ العصا … وما عُلِّمَ الإنسانُ إلَّا لِيَعلَما [1]

وأمر إسحاقَ بالخروج ودعا بأبى مسلم ، فلما نظر إليه داخلا قال :

قدِ اكْتنفتكَ خَلَّاتٌ ثلاثٌ … جَلبنَ عليكَ محذُورَ الحِمامِ
خِلافُكَ ، وامتنانُكَ ترتَمِينى ، … وقَـوْدُكَ لِلجماهِيـرِ العِظـامِ

ثم وثب إليه ووثَب معه بعضُ حَشَمِهِ بالسُّيوف على أبى مسلم ، فلمّا رآهم وثَب ، فبدره المنصور فضربه ضربةً طَوَّحَه منها [2] ، ثم قال :

اشربْ بِكأْسٍ كُنتَ تَسْقِى بها … أَمَرَّ فِى الحَلقِ مِنَ العَلقَمِ [3]
زعمتَ أَنَّ الدَّينَ لا يُقتضَى … كَذَبتَ فاستَوفِ أبا مُجْرِمِ

ثم أمر فحُزَّ رأسُه وبعث به إلى أهل خراسانَ وهم ببابه ، فجالوا حولَه ساعةً ثم رَدَّ من شغبهم انقطاعُهم عن بلادهم ، وإحاطةُ الأعداء بهم ، فذَلُّوا وسلَّموا له .

---

(١) البيت للمتلمس فى ديوانه ص ١ نسخة الشنقيطى . وذو الحلم ، هو عمرو بن حممة الدَّوْسىّ ، قضى فى العرب ثلاثمائة سنة – كما زعموا – فكبر فألزموه السابع من ولده فكان معه ، فكان الشيخ إذا غفل كانت آية ما بينه وبينه أن يقرع له العصا حتى يعاوده عقله . وقيل ذو الحلم : عامر بن الظرب العدوانى ، أو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، أو ربيعة بن مخاشن الملقب أيضاً بذى الأعواد ، أو سعد بن مالك . المعمرين للسجستانى ٤٥ والأغانى (٣ : ٣/٤ : ٢١/١٢٨ : ١٣٤) . وانظر ما سبق فى ص ٣٨ .

(٢) طوحه : أهلكه ، أو ألقاه . ل : « طرده منها » .

(٣) العلقم : شجر الحنظل ، أو ثمرته ، أو شحمة ثمرته . والبيتان فى الطبرى (٩ : ١٦٧) عند ذكر مقتل أبى مسلم ، وكذا فى مروج الذهب (٣ : ٣٠٤) . الطبرى : « سقيت كأساً » . وهذا البيت مؤخر فيهما عن تاليه .

فكان إسحاق إذا رأى المنصورَ قال :

وما أحذو لك الأمثالَ إلّا … لِتَحْذُوَ إنْ حَذَوت على مِثالِ (١)

وكان المنصور إذا رآه قال :

وخَلَّفها سابُورُ لِلنَّاسِ يُقتدَى … بأَمثالِها فِي المُعْضِلاتِ العظائِمِ ٢٩٤

* * *

وكان المهدىُّ يحبّ القِيان وسَماع الغِناء ، وكان معجباً بجاريةٍ يقال لها « جوهر » ، وكان اشتراها من مروانَ الشّامىّ ، فدخل عليه ذاتَ يومٍ مروان الشامىُّ وجوهرُ تغنِّيه ، فقال مروان :

أَنْتِ يا جَوهَرُ عِندِى جَوهرهْ … فِي بياضِ الدُّرَّةِ المُشْتَهِرَهْ (٢)

فإذا غَنَّتْ فَنارٌ ضُرِّمتْ … قَدَحت فى كلِّ قَلبٍ شَرَرَهْ (٣)

فاتّهمه المهدىّ ، وأمر به فدُعَّ فى عنقه إلى أن أُخرج (٤) . ثم قال لجوهر : أطربيني . فأنشأت تقول (٥) :

وأنتَ الذى أخلفتَنى ما وعدْتَنى … وأَشمتَّ بى مَن كان فيكَ يلُومُ

وأَبرَزْتَنى للنّاسِ ثم تَركْتَنى … لهم غَرَضاً أُرْمَى وأنتَ سَليمُ

فلوْ أنّ قولًا يَكلِمُ الجسمَ قد بَدا … بجسمىَ مِن قولِ الوُشاةِ كُلُومُ (٦)

---

(١) حذا الشئ بالشئ : قدره وقطعه على مثاله . ما عدا ل ، هـ : « وما ضربوا » .

(٢) يقال شهره فاشتهر ، واشتهره فاشتهر ، فهو مشتهر ومشتهر . وبهما روى قوله :

أحب هبوط الواديين وإننى … لمشتهَرٌ بالواديين غريب

(٣) ما عدا ل : « قذفت فى كل قلب » .

(٤) ما عدا ل : « إلى أن خرج » . دعه دعا : دفعه دفعا عنيفا فى جفوة .

(٥) الأبيات التالية رواها فى الحيوان (٣ : ٥٥) منسوبة لإحدى المجهولات تجيب بها عاشقها عن شعر قاله فيها . والمعروف أنها لامرأة من قوم ابن الدمينة ، يقال لها أميمة ، كان هويها وهاج بها مدة ، فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ، وكان بينهما مجاوبة شعرية . انظر ديوان ابن الدمينة ٣٦ – ٣٧ والأغانى (١٥ : ١٤٨) والحماسة (٢ : ١٤٦) ومعاهد التنصيص (١ : ٥٨) .

(٦) الكلوم : جمع كلم ، بالفتح ، وهو الجرح .

فقال المهدىّ :

أَلَا يا جَوهَرَ القلبِ   لقد زِدْتِ على الجَوْهرْ
وقد أكمـلَكِ اللّهُ   بحُسْنِ الدَّلّ والمنظَرْ (١)
إذا ما صُلْتِ ، يا أُحْسَـ   ـنَ خَلْقِ اللهِ ، بالمِزْهَرْ (٢)
وغَنَّيْتِ ففـاحَ البيـ   ـتُ مِن رِيحِكِ بالعَنْبَرْ (٣)
فلا واللهِ ما المَهْدِىُّ   أَوْلَـى منكِ بالمِنْبَـرْ
فإنْ شِئتِ فَفِى كَفِّـ   ـكِ خَلْعُ ابنِ أبى جَعفَرْ (٤)

* * *

قال الهيثم : أنشدت هارون وهو ولىُّ عهدٍ أيامَ موسى ، بيتين لحمزة بن بِيض (٥) فى سليمان بن عبد الملك (٦) :

٢٩٥ جازَ الخِلافَةَ وَالِداكَ كِلاهُما   مِن بيْنِ سَخطةِ ساخِطٍ أو طائعِ
أَبواكَ ثُمَّ أخـوكَ أصبَـحَ ثالِثـاً   وعلى جَبينِكَ نُورُ مُلْكٍ ساطعُ (٧)

قال : يا يحيى ، اكتب لى هذين البيتين .

* * *

---

(١) الدل ، بالفتح : حسن الحديث والهيئة .
(٢) المزهر ، بالكسر : العود الذى يضرب به .
(٣) ما عدا ل : « من ريقك » .
(٤) ابن أبى جعفر ، هو المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور .
(٥) سبقت ترجمته وضبط اسمه فى (١ : ٢٦٩) .
(٦) فى الأغانى (١٥ : ١٨) عن الهيثم بن عدى قال : « أخبرنى مخلد بن حمزة بن بيض قال : قدم أبى على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله عليه فأنشده قوله ... » وأنشد البيتين التاليين ، وبعدهما :

سرّيت خوف بنى المهلب بعد ما   نظروا إليك بسم موت ناقع
ليس الذى ولاك ربك منهم   عند الإله وعندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألفاً . ولم يرد فى روايته إنشاده هارون هذا الشعر .
(٧) كذا بالإقواء . ورواية الأغانى : « نور ملك الرابع » .

ولما مدح ابن هَرْمة (١) أبا جعفر المنصور ، أمر له بألفَىْ درهم ، فاستقلَّها ، وبلغ ذلك أبا جعفر فقال : أما يَرضَى أنّى حقَنْت دمهَ وقد استوجبَ إراقَته ، ووفَّرت ماله وقد استحقَّ تلفَهُ ، وأقررته وقد استأهل الطَّرْد ، وقرَّبته وقد استجزى البعد (٢) ؟ أليس هو القائل فى بنى أمية :

إذا قيلَ مَن عند رَيبِ الزَّمانِ   لِمُعتَرٍّ فِهْرٍ ومُحْتاجِها (٣)
ومَن يُعْجِلُ الخيلَ يومَ الوَغَى   بإلجامها قبلَ إسراجِها
أشارَتْ نساءُ بَنى مالِكٍ   إليكَ به قبلَ أزْواجِها

قال ابن هَرْمة : فإنّى قد قلت فيك أحسنَ من هذا ! قال : هاته ! قال : قلت :

إذا قُلْتُ أىَّ فَتًى تعلمونَ   أهَشَّ إلى الطَّعْن بالذّابِلِ (٤)
وأَضرَبَ لِلقِرْنِ يومَ الوَغَى   وأطعَمَ فى الزَّمَن الماحِلِ
أشارتْ إليكَ أكُفُّ الوَرَى   إشارَةَ غَرقَى إلى ساحِلِ

قال المنصور : أما هذاالشعر فَمسترَقٌ ، وأما نحن فلا نكافِئُ إلا بالتى هى أحسن .

* * *

ولما احتال أبو الأزهر المهلَّبُ لعبد الحميد بن رِبعىّ بن خالد بن معدان ، وأسلمه حميدٌ (٥) إلى المنصور قال : لا عُذرَ فأعتذرَ ، وقد أحاط بىَ الذّنْبُ وأنت أولى بما ترى ! قال : لستُ أقتل أحداً من آل قَحْطَبة ، بل أهب مسيئَهم لمحسِنِهم ، وغادِرَهم لوفيِّهم ! قال : إنْ لم يكن فىَّ مصطنعٌ فلا حاجة لى فى الحياة ، ولست أرضى أن أكون طليقَ شفيعٍ ، وعتيقَ ابنِ عمّ ! قال : اسكتْ مقبوحاً

---

(١) إبراهيم بن هرمة ، ترجم فى (١ : ١١١) .

(٢) كذا فى ل . وفيما عدا ل : « استحرى » بإهمال الحاء والراء ، وكلاهما لم ينص عليه فى المعاجم ، وهما بمعنى « استحق » .

(٣) المعتر : المتعرض للمعروف من غير أن يسأل .

(٤) أى القنا الذابل ، وهى الرماح الدقيقة اللاصقة الليط ، أى القشر .

(٥) حميد بن قحطبة ، المترجم فى (٢ : ٢٥٧) .

مشقوحاً (١) ، واخرجْ فإنّك أنْوَكُ جاهل ، أنت عتيقُهم وطليقُهم ما حييت . ٢٩٦

* * *

ولما داهن سفيانُ بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب فى شأن إبراهيم بن عبد الله (٢) ، وصار إلى المنصور ، أمر الربيعَ بخَلْعِ سواده (٣) والوقوف به على رأس اليمانية (٤) فى المقصورة يومَ الجمعة ثم قال : قُل لهم : يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من إحسانى إليه ، وحسنِ بلائى عنده ، وقديمِ نعمتى عليه ، والذى حاوَلَ من الفتنة ، ورامَ من البغْى ، وأراد من شقِّ العصا ومعاونةِ الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحقَّ بهذا من فعله أليمَ العقاب ، وعظيمَ العذاب . وقد رأى أميرُ المؤمنين إتمامَ بلائه الجميلِ لديه ، ورَبَّ نَعمائه السابقة (٥) عنده ، لما يتعرَّفهُ أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يؤمِّله من الخير العاجل والآجل ، عند العفو عمن ظلَم ، والصفح عمن أساء . وقد وهب أمير المؤمنين مسيئَكم لمُحْسِنِكُم ، وغادرَكم لوفيِّكم (٦) .

* * *

وقال سهل بن هارون يوماً ، وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغى للمسلمين أن يرغَبوا فيه ، وقد يُرغَب عن بعض العلم كما يرغَب عن بعض

---

(١) المقبوح : المبعد المطرود ، وكذلك المشقوح .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، خرج على المنصور وظهر بالبصرة مستهل رمضان سنة ١٤٥ فغلب عليها وعلى الأهواز وواسط وكسكر ، وعظمت جموعه ، وسار يريد الكوفة ، فوجه إليه المنصور عيسى بن موسى فى العساكر فالتقوا بباخمرى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة فى ذى القعدة ، فقتل إبراهيم فى جمع كثيف ممن كان معه ، وهزم الباقون ، وبعقب قتله هو وقتل أخيه محمد بن عبد الله من قبل ، لقب أبو جعفر بالمنصور . انظر كتب التواريخ فى خلافة المنصور ، وفى حوادث سنة ١٤٥ .

(٣) كان السواد شعار العباسيين ، وقد بدأ التسويد فى سنة ١٢٩ أى قبل قيام الدولة العباسية بثلاث سنوات . انظر الطبرى (٩ : ٨٢) .

(٤) ما عدا ل : « رؤوس اليمانية » . (٥) هـ : « السابغة » .

(٦) ما عدا ل : « مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم » .

الحلال ! قال المأمون : قد يسمَّى بعض الشيء علماً وليس بعِلم ، فإن كنتَ هذا أردتَ فوجهُه الذى ذكرناه . ولو قلتَ : العلم لا يُدْرك غَوره ، ولا يُسبَر قعرُه ، ولا تُبلغ غايتُه ، ولا يستقصى أصنافُه ، ولا يضبَط آخرُهُ ، فالأمر على ما قلت . فإذا كان الأمر كذلك فابدءُوا بالأهمّ فالأهمّ ، وابدءُوا بالفرض قبل الفضْل ، فإذا فعلتُمْ ذلك كان عَدلًا ، وقولًا صِدقا . وقد قال بعض العلماء : اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهَى إلى نفسك وأخفُّ على قلبك ، فإنّ نفاذَك فيه على حسَب شهوتك له ، وسهولِته عليك . وقال أيضا بعضُ الحكماء [1] : لست أطلب العلم طمعاً فى بلوغ غايته ، والوقوفِ على نهايته . ولكن التماسَ ما لا يسع جهله ، ولا يَحْسُنُ بالعاقل
إغفالُه . وقال آخرون : عِلْم الملوك : النَّسبُ والخبر وجمل الفقه . وعِلم التُّجّار : ٢٩٧
الحسابُ والكِتاب . وعلم أصحاب الحرب : درس كُتُبِ المغازى وكتب السِّيَر .

فأمّا أنْ تسمِّىَ الشيءَ علما وتَنهى عَنه من غير أن يكونَ يشغلُ عما هو أنفَعُ منه ، بل تَنهى نهياً جَزْماً ، وتأمر أمراً حتما ! والعلم بصر ، وخِلافهُ عمًى ، والاستبانة للشرِّ ناهيةٌ عنه ، والاستبانة للخير آمرةٌ به .

* * *

ولما قرأ المأمونُ كتبى فى الإمامة فوجدها على ما أُمَر به ، وصرتُ إليه وقد كان أمر اليزيدىَّ [2] بالنظر فيها ليخبره عنها ، قال لى : قد كان بعضُ من يُرتضَى عقلُه ويُصدَّق خبرُه [3] خبَّرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة ،

---

(١) ما عدا ل : هـ : « العلماء » .

(٢) هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدى ، وذلك أنه صحب يزيد بن منصور الحميرى خال المهدى ، مؤدباً لولده فنسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدباً للمأمون ، كما جعل الكسائى مؤدباً للأمين ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ، وعنه : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وإسحاق الموصلى . وكان أحد أكابر القراء ، يقرئ هو والكسائى الناس فى بغداد فى مسجد واحد . توفى بخراسان سنة ٢٠٢ . إرشاد الأريب (٢٠ : ٣٠) وبغية الوعاة ٤١٤ وتاريخ بغداد ٧٤٦٥ .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « من نرتضى عقله ونصدق خبره » .

فقلنا له : قد تربى الصِّفةُ على العِيان ، فلما رأيتُها رأيتُ العِيانَ قد أرْبى على الصِّفة ، فلما فَلَيتها أربَى الفَلْىُ على العِيان كما أربى العِيان على الصفة .

وهذا كتابٌ لا يحتاج إلى حضور صاحبِه ، ولا يفتقر إلى المحتجِّين عنه ، قد جَمَع استقصاءَ المعانى ، واستيفاءَ جميع الحقوق ، مع اللفظ الجَزْل ، والمخرج السَّهل ، فهو سوقىّ ملوكىّ ، وعامّىّ خاصّىّ .

* * *

ولما دخل عليه المرتدُّ الخراسانىّ وقد كان حمله معه من خُراسان حتّى وافى به العراقَ ، قال له المأمون :

لَأَنْ أستحييَك بحقٍّ أحبُّ إلىَّ من أن أقتُلَكَ بحقّ ، ولأن أقبَلك بالبرَاءة أحبُّ إلىَّ من أن أدفعَك بالتهمة ، قد كنتَ مسلِماً بعد أن كنتَ نصرانيًّا ، وكنت فيها أتْنَخَ (١) وأيامُك أطول ، فاستوحشتَ ممّا كنت به آنِساً ثم لم تلبثْ أن رَجعت عنّا نافراً ، فخبِّرْنا عن الشّىء الذى أوْحَشَكَ من الشىء الذى صار آنَسَ لك من إلفكَ القديم ، وأُنسِك الأوّل . فإن وجدتَ عندنا دواءَ دائك تعالَجْتَ به ، والمريضُ من الأطبّاء يحتاج إلى المشاورة . وإن أخطأَك الشِّفاء ونبا عن دائك الدواء ، كنت قد أعذرت ولم ترجِعْ على نفسك بلائمة ، فإن قَتلناك قتلناك بحكم الشّريعة . أو ترجع أنت فى نفسك إلى الاستبصار والثِّقة ، وتعلم أنّك لم تقصِّرْ فى اجتهاد ، ولم تفرِّط فى الدخول فى باب الحزم .

قال المرتدّ : أوحَشَى كثرةُ ما رأيت من الاختلاف فيكم !

قال المأمون : لنا اختلافان : أحدهما كالاختلاف فى الأذان وتكبير الجنائز ، ٢٩٨

(١) فى الأصول : « أتيح » ، ولا وجه له . ويقال تنخ بالمكان تنوخا ، أى أقام وثبت . وفى حديث عبد الله بن سلام « أنه آمن ومن معه من يهود فتنخوا على الإسلام » أى ثبتوا وأقاموا ورسخوا . وانظر الخبر فى العقد (٢ : ٣٨٤) .

والاختلافِ فى التشهُّد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ، ووجوهِ القراءات واختلافِ وجوه الفُتيا وما أشبَهَ ذلك . وليس هذا باختلاف ، إنما هو تخييرٌ وتَوسِعةٌ ، وتخفيفٌ مِن المحنة . فمن أذَّن مَثنَى وأقام مثنى لم يُؤثَّم ، ومَن أذّن مثنَى وأقام فُرادَى لم يُحَوَّب (١) ، لا يتعايرون ولا يتعايبون ، أنت ترى ذلك عِيانا وتشهد عليه بتاتاً (٢) .

والاختلاف الآخَر كنحو اختلافِنا فى تأويل الآيةِ من كتابنا ، وتأويلِ الحديث عن نبيِّنا ، مع إجماعنا على أصل التنزيل ، واتِّفاقنا على عين الخبَر . فإنْ كان الذى أوحشَكَ هذا حتّى أنكرتَ من أجله هذا الكتابَ ، فقد ينبغى أن يكون اللفظُ بجميع التَّوراة والإنجيل مُتَّفَقاً على تأويله ، كما يكون مُتَّفَقاً على تنزيله ، ولا يكونَ بين جميعِ النَّصارى واليهودِ اختلافٌ فى شئ من التأويلات . وينبغى لك أن لا ترجعَ إلّا إلى لغةٍ لا اختلاف فى تأويل ألفاظها .

ولو شاء اللهُ أن يُنزِلَ كتبَه ويَجعلَ كلامَ أنبيائه وورثَةِ رسله لا يحتاج إلى تفسيرٍ لفَعَل ، ولكنّا لم نَرَ شيئاً من الدِّين والدُّنيا دُفِع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البَلوَى والمحنة . وذهبت المسابقَة والمنافسة (٣) ، ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بَنَى الله الدنيا .

قال المرتدّ : أشهد أنّ اللهَ واحد لا نِدَّ له ولا ولَد ، وأنَّ المسيح عبدُه ، وأنّ محمداً صادقٌ ، وأنك أميرُ المؤمنين حقّا !

فأقبل المأمونُ على أصحابه فقال : فِرُوا عليه عِرضَه (٤) ، ولا تَبرُّوه فى يومه

---

(١) لم يحوب ، من الحوب ، بالضم ، وهو الإثم . وهذا الفعل مما لم يذكر فى المعاجم .

(٢) بتاتاً ، أى قطعاً . ما عدا ل ، هـ : « تبياناً » .

(٣) ل : « السابقة والمنافسة » .

(٤) فروا ، من الوفر . يقال : وفره عرضه ووفره له : لم يشتمه .

ربما يَعتُق إسلامُه ؛ كى لا يقولَ عدوّه إنّه أسلمَ رغبة . ولا تَنْسَوْا بعدُ نصيبَكم من بِرِّه وتأنِيسه ونُصرتِه ، والعائدةِ عليه .

* * *

حدثنا أحمد بن أبى دواد قال : قال لى المأمون :

لا يستطيع الناسُ أن يُنصِفوا الملوكَ من وزرائهم ، ولا يستطيعون أن ينظُروا بالعدل بين الملوك وحُماتهم وكُفاتهم ، وبين صنائعهم وبِطانتهم . وذلك أنهم يرون ظاهرَ حرمةٍ وخدمةٍ ، واجتهادٍ ونصيحة ، ويرون إيقاعَ الملوك بهم ظاهراً ، حتى لا يزالُ الرّجل يقول : ما أوقَعَ به إلا رغبةً فى ماله ، أو رغبةً فى بعض ما لا تجود النفس به (١) ، ولعل الحسَد والملالة (٢) وشهوةَ الاستبدال ، اشتركَتْ فى ذلك .

وهناك خياناتٌ فى صُلب المُلْك ، أو فى بعض الحُرَم ، فلا يستطيع الملكُ أن يكشف للعامّة موضعَ العورة فى المُلْك ، ولا أن يحتجَّ لتلك العقوبة بما يستحقُّ ذلك الذنب ، ولا يستطيع الملكُ تركَ عقابِه ، لما فى ذلك من الفساد ، على علمه بأنّ عُذرَه غير مبسوطٍ للعامّة ، ولا معروفٍ عند أكثر الخاصّة .

* * *

ونزل رجلٌ من أهل العسكر (٣) ، فغَدَا (٤) بين يدَىِ المأمون ، وشكا إليه مَظْلِمتَه (٥) ، فأشار بيده : أنْ حسبُك ! فقال له بعضُ مَن كان يقرُب من المأمون :

---

(١) ما عدا ل : « النفوس به » .

(٢) ما عدا ل : « والملال » .

(٣) هى عسكر المهدى ، وهى الرصافة ، كما فى معجم البلدان ، لأنه عسكر بها حين شخص إلى الرى .

(٤) هـ : « فعدا » .

(٥) المظلمة ، بفتح الميم وكسر اللام : ما يظلمه الإنسان من حق .

يقول لك أميرُ المؤمنين : اركبْ . قال المأمون : لا يقال لمثل هذا : اركب ، إنما يقال له : انصرف !

وحدّثنى إبراهيم بن السِّنْدِىّ (١) قال : بينا الحسن اللؤلؤىّ (٢) يحدِّث المأمونَ ليلاً وهو بالرَّقَّة ، وهو يومئذ ولىُّ عهد ، وأطالَ الحسنُ الحديثَ حتى نَعَس المأمون ، فقال الحسن : نَعَسْتَ أيُّها الأمير ! ففتح عينَيه وقال : سوقىٌّ وربٌّ الكعبة ! ياغلام خُذ بيده .

* * *

[آخر الجزء الثالث من تجزئة محققه ، وبقيت من تجزئة المصنف بقية جعلت فى الجزء الرابع مع الفهارس العامة للكتاب]

* * *

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ١٤١) .

(٢) هو الحسن بن زياد اللؤلؤى ، ترجم فى (٢ : ٣٣٠) .

فهرس الأبواب